

تكوين دكتوراه الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية

مقاصد الأحكام في الأديان السماوية عرضا على نظرية: الدِّينِيَّاتِ التَّطْبِيقِيَّةِ

- دراسة مخبرية مقاصدية -

(بحث لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية)

تحت إشراف : الأستاذ الدكتور محمد جمال

إعداد الطالب: دوسو هارونا

الموسم الجامعي: 2022 / 2023م



الدِّينِيَّاتُ التَّطْبِيقِيَّةُ

وهي باللاتينية: SRP = Science des Religieuses Appliquées (Fr)/ ReligiousAppiqués Science (Eng)
ويعنى بها: المسائل الدّينية الخاضعة للدراسات التطبيقية (المختبرية-العلمية)، والمختصرة في تعبير {الدّينيات التطبيقية}.

وهي باللاتينية: SRP = Science des Religieuses Appliquées (Fr)/ ReligiousAppiqués Science (Eng)

ويعنى بها: المسائل الدّينية الخاضعة للدراسات التطبيقية (المختبرية-العلمية)، والمختصرة في تعبير {الدّينيات التطبيقية}.

الإهداء:

- إلى الوالدين الكريمين
- إلى جميع إخواني وأخواتي
- وإلى كل مربٍّ ومربيّة
- إلى أساتذتي الأجلاء بجامعة السلطان مولاي سليمان بالمغرب
- وإلى روح أبي الطاهرة "المتوفى في غيابي وأنا في طلب العلم بديار الغربية " بالمغرب الشقيق
- إلى رفقاء الدرب من زملاء الدراسة في المغرب كما في الكوت ديفوار
- إلى كل من يسعى إلى البحث في تراثنا الديني الإسلامي بحس المقاصدية والتأصيل
- إليكم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

وبعد فإن أحق من يشكر بدءا وختما هو رب العزة تعالى أشكره وأحمده على ما أنعم علي بالصحة والعافية وبالهداية إلى اختيار هذا الموضوع ، كما أتقدم بشكري الخالص إلى أستاذي المشرف الدكتور محمد جمال الذي لم يبخل علي طيلة مدة إعداد هذا الموضوع بتوجيهاته وتسديداته النيرة التي أزالت من أمامي العوائق ويسرت لي سبل امتطاء المركب الصعب. فجزاه الله عني خير الجزاء.

ووجب بعدها علي أن أتقدم بشكري إلى كافة من امتدت إلي أيديهم بالمساعدة في بلاد المغرب،

أشكر أيضا كافة الهيئات الصيدلية والدينية والمختبرية الطبية والمؤسسات الدينية من مسلمة ومسيحية ويهودية على صبرهم على مشاكستي وإلحاحي في أسئلتني عليهم فيما كانت حاجتي إليهم من هذا البحث.

ولا يفوتني ختاماً أن أتقدم بالشكر العميم إلى هيئة هذا التكوين العتيد في جامعة السلطان مولاي سليمان برئاسة الدكتور سيدي عبد الرحمان العضاوي وإلى الطاقم الإدراي بكلية الآداب وفي مقدمتهم عميد هذه الكلية ونائباه والسيد الكاتب العام والسيد رئيس مصلحة الدكتوراه والماستر.

فبارك الله جهودكم جميعاً ووفقكم لما يحبه ويرضاه.

===

مقدمة

أولاً: تقديم الموضوع

لما كانت النظريات الدينية أو بالصيغة اللاتينية (الدينيات النظرية) لا تكفي لوحدها لفك كل الألغاز المحيطة بالدين وتحليل قضايا الإنسان المعاصر، بما تقتنع معه الشعوب المعاصرة بجدوى الدين في حياة الإنسان في مختلف الأمصار ومختلف الأجناس، كل ذلك جعلنا ننخرط في مسار بحث علمي عملي تطبيقي حديث والمسمى ب(الدينيات التطبيقية)، ليكون بديلاً عن (الدينيات النظرية).

وبيان ذلك أن الدينيات التطبيقية تدعي لنفسها كونها نظرية عملية تهدف إلى التعامل مع الأديان الثلاثة بنفس منطق التحليل والنقد والتقويم والتوجيه بعيداً عن التعصب والأفكار القبلية. وبذلك يصح اعتبار الدينيات التطبيقية بمثابة نظرية حديثة في دراسة المنظومة الدينية وعلومها معاً، وحق لها ذلك ما دامت تهدف إلى الكشف بطريقة تجريبية مخبرية عما للأحكام الدينية من آثار نفسية، صحية، مادية، اجتماعية وحقوقية على العباد والبلاد... وبذلك يستقيم الجمع بين الفائدة الروحية الوجدانية وبين الفائدة العملية التي تتكشف عنها مثل هذه البحوث المخبرية التي تجعل من الدين منطلقاً لها وغاية نصبت نفسها خادمة لمقاصده السامية.

وبعبارة أخرى فالدينيات التطبيقية علم يسعى إلى الكشف عما للروحانيات الدينية من آثار مادية ونفعية ملموسة على الأرض وعلى السلوك البشري وعلى الحياة الاجتماعية اليومية-و الاقتصادية، والثقافية والتربوية للشعوب...، وحتى لا تكون دراسة الدين دراسة أحادية الجانب فإننا بهذه الأزواجية بين الروحي والمادي نريد أن نجعل من نتائج البحث في هذه الأزواجية منهجاً ومرجعاً في مخاطبة **الإنسان البسيط بالدين**. وذلك ببيان أن الدين الإسلامي ليس مجرد طقوس إيمانية تتلقى من المنقول ومن تفسير تقليدية لها يلزم الداعي بها مخاطبيته، بل دين قابل لوضع أحكامه في عدسة العلوم بما يقتنع معه المخاطب منذ البداية بأن الدين منظومة معقولة يشهد لها العلم التجريبي بالكثير من المزايا النفعية العائدة على البشر من حيث هم بشر، وعلى افتراض أن المخاطب لا يعتقد أي دين أو يعتقد ديناً محرفاً وناقصاً كما المسيحية واليهودية.

وبهذا الشرط يصح لمن ينتصب للدعوة إلى الدين الإسلامي الانطلاق من أرضية صلبة ترتكز على معطيات ملموسة مدلول عليها بالعلم في سبيل تقوية الإغراء بالفوائد النفعية التي ينطوي عليها الدين. ولا يمكن ذلك إلا بأن يمتلك الداعي الديني الوسائل المهنية التخصصية التي تمكنه من إقناع مخاطبيه بقدرة الدين على فك ألغاز الوجود وألغاز النفوس البشرية وأحكام العبادات ومتطلبات الحياة من عدالة وقيم خيرية وما

يترتب عن الامتثال لها من نفع مادي يتراءى للمخاطب كأنه صورة في مرآة ناصعة لا تشوبها شائبة.

ثانيا: أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في أن مثل هذا النوع من الدراسة كفيلا بتقديم الدين إلى الناس بتفسير جديد يأخذ بنتائج العلم التجريبي ببيان ما ينطوي عليه بروحانياته وأحكامه العملية من منافع مادية للإنسان، مع استحضار التفسير التقليدي الذي نعتبره عملا وصفا جبارا لا يمكن تجاوزه بالكلية ولا الاستغناء عن فوائده لأنه الأصل على كل حال.

فمن شرط نجاح هذا المشروع أن نربط بين العلوم الدينية وبين العلوم التجريبية التطبيقية بحيث تتداخل المعطيات السيكلوجية، والمادية، والميدانية التجريبية ... مع العمل الديني الأصيل. وهو مشروع عالمي تروم هذه الأطروحة الإسهام فيه بلفت الانتباه من خلال هذا البحث إلى أنه لا ينبغي التقليل لما لهذا النوع من الدراسات في ديننا من أهمية قصوى وما سيكون لها من جاذبية عظيمة في حياة الناس.

ومن شأن هذا النوع من الدراسة أن يجعل المؤمن يزداد إيمانا إلى إيمانه بقدر ما يقوي لديه الاقتناع بجدوى دينه وعدالة وفعالية حقائقه السامية من خلال عرض تعاليمه على نتائج العلم والواقع المادي للإنسان. وبالجملة من شأن هذه الإزدواجية تقوية الاعتقاد.

تلك بادرة متواضعة مني من خلال الانخراط في هذا المشروع الذي يريد أن يجعل من نفسه جزءا من مجهود نظرية علمية مرجعية في تقديم الدين إلى الناس قصد ترسيخ اعتقاد أصوله في القلوب وتوجيههم عن رضى للعمل بفروعه. وهي نظرية سأحاول في مستهل هذا البحث التعريف بها وبأهدافها، على أمل أن أخضعها للتطبيق على بعض أحكام الدين بالكلم والعدة والعدد في الفصول المؤتثة لهذه الأطروحة - بحول الله ومشيتته- فريثما يتأتى لنا ذلك دعنا نكشف عن الأسباب الحقيقية والكامنة وراء اختيارنا لهذا الموضوع والتي تمثلت في دافعين أساسيين؛

ثالثا: سبب اختيار الموضوع

- **السبب الذاتي:** وهو وفاء مني بوعده قطعته مع الله على (أن أخدم دينه بطريقة مبتكرة فيها جدة وموضوعية كما سنعرضه في حينه).

- **السبب الموضوعي:** وهو المساهمة مني في تيار الثورة الفكرية والعلمية في مجال الدراسات الدينية.

وبيان السبب الذاتي كما ذكرت ؛ أني عاهدت الله على أن أخدم دينه وفق أربعة مبادئ:

أولها؛ العمل على تقديم فرضيات طرق إقناعية نحسبها استلهاما من النظرية توفيقية جديدة إذ بضمّها إلى محافل الدراسات الدّينية سنسهم في النهوض بالدّين، وإثرائه بربطه بالعلوم المادية ومستجدات العصر، وما يمكن أن ينشأ عن ذلك من التناغم مع قضايا الأمة الإسلامية)

ثانيها؛ جعل هذا العمل أشبه بدعوة مركزة تستهدف أئمة الانحلال، ورواد الفسوق، والممسكين بعنان الفجور لعلّي بهذا التركيز أن آخذ بأيديهم إلى معرفة تقريبية ملموسة وصحيحة للقيم الإسلامية الأصيلة وطريق الرّشاد . و لا شك في أننا كلما نجحنا مع جماعة سنتعظ بها جماعة أخرى مجاورة في المكان أو تأتي بعدها في الزمان.

ثالثها؛ النّضال من أجل إقناع الناس بأن الملل الثلاث إنما هي ملة واحدة على مستوى الاعتقاد، ديناً واحداً لله سبحانه ، منبهين على مواطن تحريف الكتابيين لكتبهم ويتفرع عنه في ديننا التنبيه على مدى إساءة الفرق والمذاهب العقديّة الإسلامية إلى حقيقة الدين.

رابعها؛ للمساهمة في تقوية البعد الروحي و الأخلاقي، أو القيمي-الثقافي بما تنصلح به أحوال الأمة وقرع ناقوس الحقيقة الناصعة الناطقة في أذان الأجيال المقبلة لعلها تتحو طريق الصواب في التدين والفهم والتبليغ والاجتهاد في أمور الدين. واعتباره منهجا روحيا وماديا رائعا في الحياة.

وأما عن الموضوعي؛ فيتمثل في محاولة الرقي بدراسة ومناهج الدّراسات الدّينية، لجعلها أكثر شمولية حتى تتناول كلا من الجوانب النظرية والتطبيقية معا . بما من شأنه إضفاء طابع العلمية على الدّعوة الإسلامية، -أي جعل الدّعوة علمية فضلا عن كونها روحية وعبادتيّة أصيلة- امثالاً لمضمون قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...)¹ ولا تفسير للحكمة عندي في هذه الآية إلا العلم والدين هو العلم خلافا للدينين اليهودي والنصراني اللذين دعا توماس لكويني إلى عدم اعتبارهما علما لصعوبة التدليل علميا على ما انويا عليه من خرافات ناتجة عن تدخل الرهبانة والأحبار فيهما بالتحريف والتغيير!

رابعاً: إشكالية الموضوع

تنطلق إشكالية البحث عندي من جملة أسئلة أفترضها كما يلي:

* كيف لنا الخروج بالشرع وبالدين من الدّينيات الفكرية – أي الفكر الإسلامي النظري المهيمن على الدراسات الإسلامية - إلى الدّينيات التّطبيقية، أي من النظريات الغارقة

¹ - النحل: الآية 125.

في الروحانيات المجردة وفي الإيمان المبني على التسليم إيمانياً بالمنقول من غير إجابة النظر إلى التماس البراغمية والنفعية فيما هو روحاني عن قناعة الإنسان البشر قبل قناعة الإنسان الإنسان؟

* وما هي الآليات والضوابط والقوانين التي علينا اعتمادها لتحقيق هذا الغرض وكيف لنا إقناع المستهدفين بهذه الدراسة بشر عتيها؟

* كيف لنا أن نرقى بمناهج الدراسات الدينية، وحلّ معادلاتها ومشاكلها (قصد تبسيط وتوضيح أمورها أمام الباحث المبتدئ وتشجيعه على الخوض فيها)؟

* وما الدّاعي إلى نظرية كهذه في مجال الدراسات الدينية (الإسلامية) بالأخص؛

- فهل لأنها الأنسب أو الأجدر بحلّ شيء من أغاز العلاقات الوجودية بين الأشياء؟

- أم لأن أهمية النظرية هي توفير حيز أكبر ليس فقط بغرض إقناع الناس بمقاصد بعض المعادلات في العلاقات الوجودية بين الأشياء والأفعال والأشخاص والأعمار والقوانين الطبيعية، وإنما كذلك بغرض إحداث ثورة علمية عارمة وشقّ الطريق سالكا لمنهج فكري جديد في الحقل الديني ودراساته الإسلامية؟

تلكم هي الإشكالية التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع أملا في أن أحصل على الإجابات الشافية عن الأسئلة الكامنة فيها من خلال الأبواب والمباحث التي تنتظمها هذه الرسالة...

فريثما تتضح لنا الإجابات عن تلكم الأسئلة، دعنا نقول إن الموضوع يسعى إلى الخروج بالشرع من الفكريات النظرية البحتة إلى التطبيقات العملية الواضحة، أو الخروج بدراسة الدين من النظرياتية الاجتهادية- المظنونة إلى البراغمية الواقعية المقنعة. وهذا لا يتأتى إلا ب:

- مباشرة هذا الغرض بالآليات والمساطر، والقوانين اللازمة لتحقيقه.

- وما يتصل بذلك من دراسة القضايا؛ المتعلقة بالمنظومة التربوية-التعليمية الدينية

- ودراسة المناهج؛ التي يجب أن تسير عليها المؤسسات الدينية في تربية الأجيال وتلقينها العلم

- وتشخيص الإشكاليات؛ التي تعاني منها الدراسات الدينية في منظومتها التربوية والتعليمية (منهاجا وموضوعا)

- والبحث عن مصدر الخلل لعلاجها بغية الرقي بتعليمنا الديني السامي.

- وأخيرا؛ عرض السُّبل القويمة وتبسيط الطريق السديدة، وفتح الآفاق الجديدة، وما يتطلبه ذلك من نَفَس طويل حتى نضع أمام الناشئة والمدرسين والباحثين في إفريقيا السمراء عموما والكوت ديفوار خصوصا مشروعا يعبد لهم الطريق لفهم الدين على نحو أيسر وأبسط وأسهل لعل أن يساعدهم ذلك على بلوغ المبتغى والهدف المنشود.

خامسا: الدراسات السابقة

وبما أن الدراسات في هذا الحقل قليلة في مجال الدّراسات الدينية. سنبدل أقصى الجهد في سبيل الحصول على النتائج التي سنكتشف لاحقا على امتداد عروض هذه الأطروحة ، وهو أمر ما كان ليتحقق دون منهاج وخطة محددة سلفا أعرضا كما يأتي:

سادسا: خطاطة البحث

اقتضت طبيعة البحث تقسيم الأطروحة إلى بابين:

(أ)- الباب الأول: وعنوانه ب

* الدّينيات التّطبيقية الروحانية» أي نظام العبادات والطقوس...

(ب)- الباب الثاني: وعنوانه ب

* الدّينيات التّطبيقية العلمية» أي الدراسات والعلوم الدينية "

وفي سبيل تحقيق ذلك قمنا بتقسيم الأطروحة إلى التقسيمات التفصيلية الآتية؛

- مدخل نظري- يمهّد لأبواب الأطروحة وبابان:

1 - تناول الباب الأول الجزء النظري أو الوصفي (لموضوع الدّينيات التّطبيقية)

المخصصة لدراسة المنظومة الدّينية . وقد احتضن هذا الجزء النظري فصلا فريدا

واحدا؛

ثم زُودت هذا الفصل بجناحين؛

* جناح نظري والذي تضمن؛ المبحث الأول (والذي بدوره تضمن عشرة مطالب)

* جناح تطبيقي (من جهة ثانية) والذي ضمن هو الآخر؛ المبحث الثاني (والمتمضمّن

لأربعة مطالب)

2- بينما مثل الباب الثاني: الجزء العملي أو التطبيقي (لموضوع الدّينيات التّطبيقية)

والمخصص لدراسة العلوم الدّينية وموادها التربوية-التعليمية.

وقد احتضن هذا الجزء فصلا واحدا؛ من ثلاثة مباحث والذي تضمن بدوره سبعة مطالب

ثم توجت ذلك كله بحصيلة مقتضبة

+فخاتمة عامة

+ وقائمة المراجع

+ وفهرسة الأطروحة.

سادسا: مصادر ومراجع البحث:

- وقد رجعت في إنجاز ذلك كله إلى مراجع متنوعة كما إلى مصادر مختلفة، فكانت أهم المراجع المعتمدة كما يلي:
- الكتب المقدسة (وفاء لروح تخصص تكوين الحوار بين الأديان والثقافات)
 - المختبرات (العلمية والتجريبية)
 - المؤسسات (الدينية، التربوية، الإعلامية...) التي استقبلتنا واحتضنتنا لإجراء بعض من دراساتنا العلمية-الدينية فيها
 - أفكار، نصائح، وتجربة خبراء الميدان (الذين كنا بقربهم) طيلة مدة إنجاز هذه الأطروحة
 - وكتاب "مناهج العلوم واللسانيات التطبيقية" للأستاذ الزغبوشي كلية الآداب فاس-سايس، والذي استفدنا من فلسفته التحريرية دون أن يكون أكثر من ذلك.
 - وغيرها كما سيكتشفه القارئ في الهوامش لاحقا وفي قائمة المراجع

سادسا: المناهج المعتمدة في البحث

- اقتضت طبيعة البحث اعتماد مجموعة من المناهج فيه منها :
- المنهج الوصفي خاصة في الجانب (النظري الاجتهادي) في البيت.
 - المنهج التجريبي خاصة في الجانب التطبيقي(العملي النفعي البراغماتي) في الميدان.
 - المنهج المقارن خاصة في مقارنة متون الرسائل السماوية بعضها ببعض.
- بهذه التشكيلة المنهجية اقتحمنا غمار مباحث هذه الأطروحة. فالكمال لله تعالى ومن فاته الكمال فإن الإخلاص وصدق النية لم يفتاه.
- وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم.



فصل تمهيدي

المبحث الأول: تقديم نبذة تعريفية بموضوع الأطروحة

في سبيل تقديم لمحة مختصرة عن مضمون الأطروحة وما ادعيناها في بدايتها من انخراطنا في أعمال النظرية المدعاة (الدينيات التطبيقية) لابد من تعريف قيود عنوانها حتى يستقيم للقارئ تكوين فكرة عامة عنها.

المطلب الأول: مفهوم الدينيات التطبيقية

أ- مفهوم الدينيات التطبيقية لغة

مصطلح الدينيات جمعٌ على وزن "فعليات أو الفعليات وخلفيات، ووهميات الخ...") وهي مشتقة من أصل كلمة الدين، جمعت على هذا النحو جمع مؤنث سالم مع نسبتها إلى الهين. كقولنا (العراقيات والمغربيات) إلخ. فالدينيات بصيغة الجمع هذه، تعني دراسة كل ما له صلة بالدين وبالملة، بما فيها المسائل الشرعية العملية وأحكامها، أو العقديات ومسائلها وأركانها ... وكل ذلك أخضعناه لدراسات تطبيقية وإجرائية في دراسة عملية تجريبية-مختبرية.

ب- مفهوم الدينيات التطبيقية اصطلاحاً؛

تعنى الدينيات التطبيقية بدراسة وتفسير الدين وفق المنظور التطبيقي أو المادي لإثبات حقائقه العلمية والموضوعية، قصد جعل الدين ومناهجه التربوية- التعليمية ملموساً وأكثر قرباً للفهم.

ولعل أحسن تعريف مختصر للنظرية هـ و: «أنها دراسة الشيء الوجداني في ضوء الشيء الملموسي». أي: دراسة ما هو روح صوفي في اقتترانه بما هو ملموس حسي. وبعبارة أخرى: دراسة ما هو روح صوفي في ضوء ما هو عقلي ملموسي .

ومن شأن هذا أن ينتج فقهاً تطبيقياً بحيث يثبت الفقيه التطبيقي أموراً دينية للمخاطب مع الاستناد في الإثبات أو النفي إلى حقائق علمية تشهد للشرع ويشهد الشرع لها.

- مفهوم (ب)/نظرية الدينيات التطبيقية ومفهوم طُون = Concept Tóon؛

إذا كان الدينيات التطبيقية نظرية حديثة لدراسة المنظومة الدينية وعلومها دراسة وتفسيراً في البعد التطبيقي العملي أو المادي للشيء قصد إثبات الحقائق الدينية (الموضوعية- العلمية)، فإن مفهوم ؟ طُون على النحو الآتي:

The Tóon = (فأ) = طُونون ؟

علاقة النظرية بمفهوم الطونون (القطب الفكري)

التعريف:

أ-) لغة؛ الطونون = Le Tóon، هي لفظة فرافين- إيدي التي تعني "القطب أو قمة القمم" في الشيء أو شيء ما.

ب-) واصطلاحاً؛ هي «القطب الفكري الذي تنضوي في خائنه سليلة أفكار مشتقة تابعة للمفهوم الفكري الأم.

بحيث قد تكون الفكرة إما:

مفهوماً تصوورياً = Concept

نظرية علمية = Theory

مدرسة فكرية = Idea\Ideology School

أو علماً = Science

وهكذا... Etc

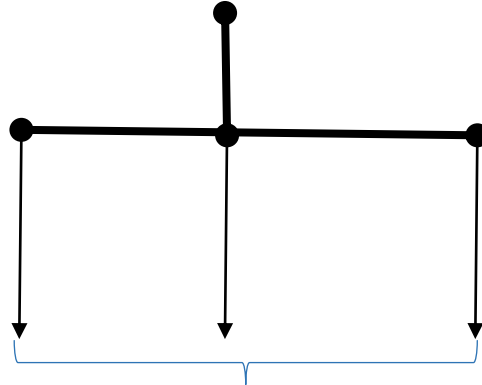
فما دامت أنها تستطيع أن تنتفرع منها سليلة أفكار أخرى فإنها بذلك تصبح قطبا فكريا

أو نظريا للغير.

الأمثلة التصورية:

مثال رقم 1:

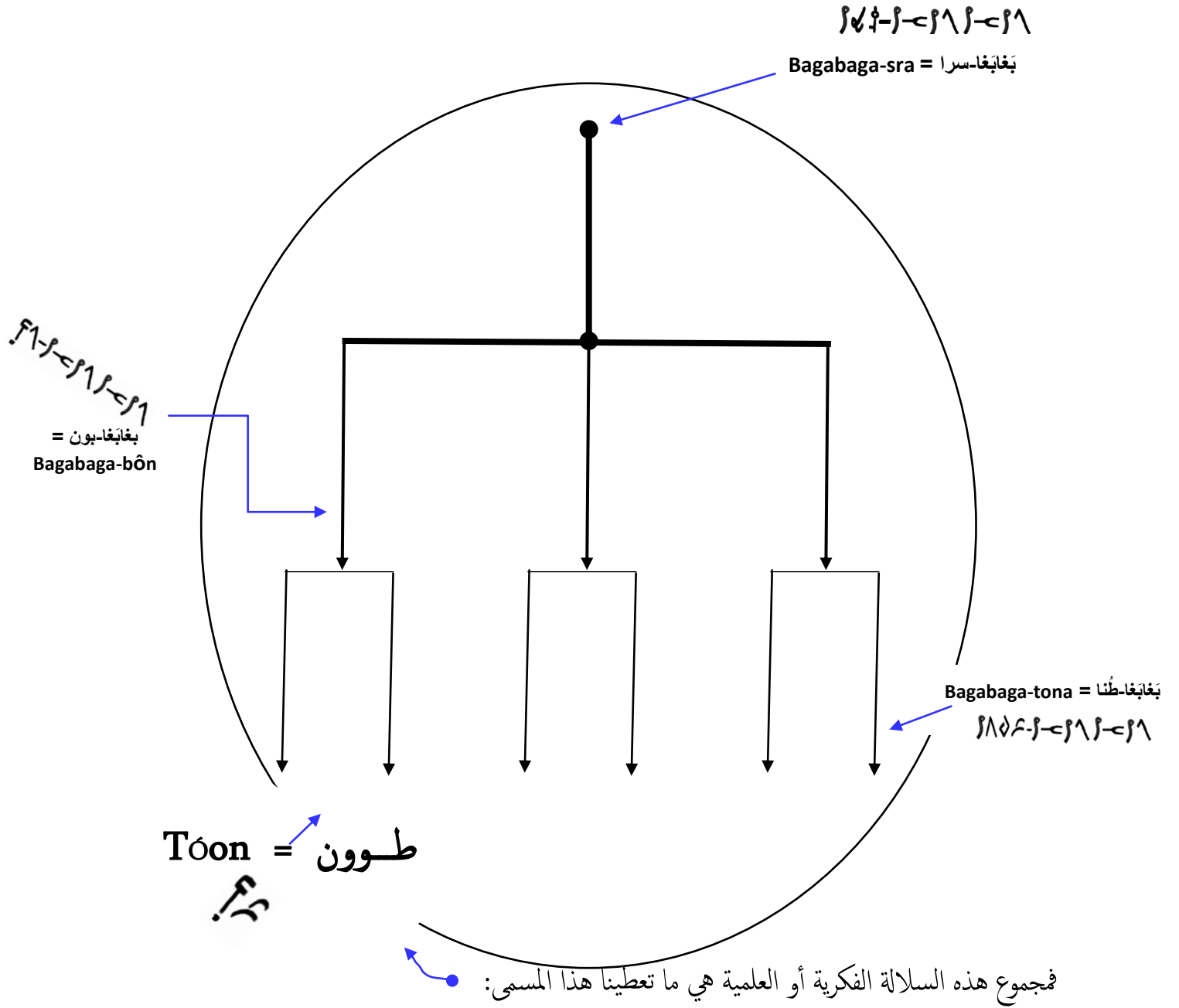
فكرة الأم (والمسمى بـ الطون = فأ = Tón)



الأفكار السليلة

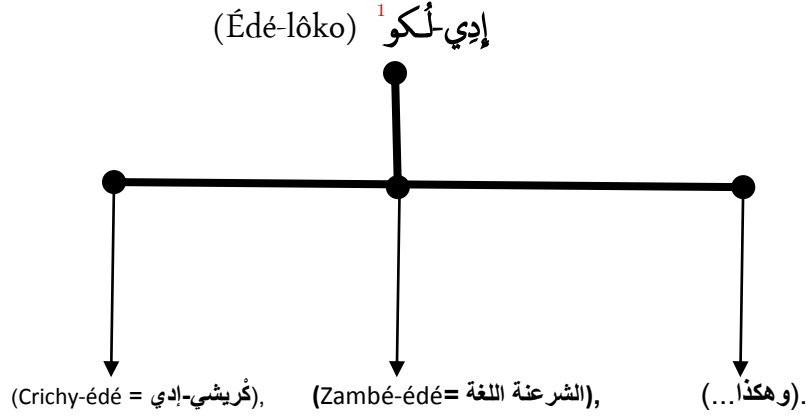
(والمسمى بـ بَعَابِغَا = فـf

مثال رقم 2



هام: الكلمات المستعملة في هذه الصفحة كلها من أصل لغة فراين - إيدي (Frafin-èdè) اللغة القارية الأفريقية الموحدة ولغة حضارتها الراهنة أي حضارة نومي كرو (Numéni-kro) الأفروعالمية (Afro-universelle).

الأمثلة العملية:



لمزيد راجع: زامبي-إيدي (دراسة عن علاقة اللغة وتأثيرها على الفقه، على أصول الدين، وعلى علومه)، 2018م = 1439هـ.

التصنيف:

أ- إذا كان الطون = Tóon، هو ذاك المفهوم القطبي (لفكرة ما، لنظرية ما، أو لعلم ما)، و المؤدي إلى ولادة أفكار علمية تابعة له أو مشتقة منه، يهيئها بدورها لتكون في المستقبل مفهوما قطبيا حاملا لقب ما يعرف:

ب : طون = Tóon

وصاحبها؟- : طوون غبن = Tóon-gbén

وعليه تكون المفاهيم مصنفة على الشكل الآتي:

وعليه تكون المفهوم مصنفة على هذه الشاكلة الآتية:

← طوون = Tóon: (تضم في طيتها)

1- بَغَابَا-سرا = Bagabaga-sra

2- بَغَابَا-بون = Bagabaga-bôn

3- بَغَابَا-طْنَا = Bagabaga-tona

بَغَابَاو = Bagabagaw

¹ إدي - اللغة في أبعاد مختلفة بما في ذلك تلك المتعلقة بالجانب الروحاني، حيث وعلى سبيل المثال في ذلك نظرية الشرعة اللغة وتحديدًا (زامبي-إيدي) الدارسة/ الباحثة علاقة اللغة بالدين كما عن مثابة اللغة ودورها الهامة في إدراك مقاصد الشرع ومناطق الحكم من نصوص هو أصلا منزل فيها، وبعد هذا الأخير سليل الفكرة الأم (أي الشرعنة اللغة فرعا مشتقة من إدي-لكو) وهكذا...

ب - هذا على خلاف النظرية أو العلم أو المفهوم الاصطلاحي الذي لا يساوي إلا نفسه، أي هو هو .. نظرية... تعني هي هي / ولم يتولد منها مفهوم علمي آخر عدا ذاته، فإنها بذلك تكون الفكرة أو النظرية... فيصح فيها أن تعرف؟-:

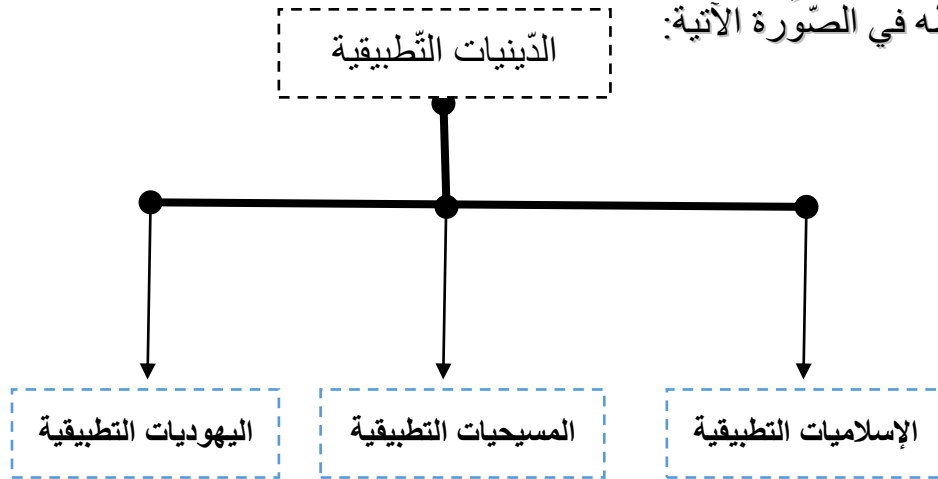
Fhuin = فُوعي

Fhuingbén = فوعي-غبن

وصاحبها؟-

المقاربة التحليلية:

بناء على هذا التمييز بين النظرية العلمية القابلة للتفريع وبين غير القابلة للتفريع من خلال هذا العرض البسيط لمفهوم الطون = Tóon، يمكننا القول بأن نظرية الدِّينيات التَّطبيقية بمثابة مفهوم قطبي، بحيث يمكن/ تفريع نظريات سلبية عنه / أو علوم على غرار ما سنلاحظه في الصُّورة الآتية:



وقد تحمل هذه المسميات مسميات أخرى تنحو هذا المنحى، أي غير خارجة عن نطاق (النظريات التطبيقية للعلوم الدِّينية) والتابعة -بطبيعة الحال- لنظرية الدِّينيات التَّطبيقية (الفكرة الأم) بالنسبة للإسلاميات، والمسيحيات واليهوديات التَّطبيقية (بحيث تكون الأفكار المتولدة من هذه التطبيقات أفكاراً سلبية تتمحور حول قطبها الأم وتلك هي الدِّينيات التَّطبيقية)¹.

=====

¹ لمزيد من المعلومات راجع كتاب: (DSTÉA) [مDosso Harouna /2017 -?/Dictionnaire des Sciences, Théories & des Écoles Africaine

المطلب الثاني: عمدة الدّينيات التّطبيقية ومصادر استلهاها

أ) عمدة الدّينيات التّطبيقية من النصوص

القرآن الكريم؛ قوله تعالى -على لسان أبي الأنبياء-: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى؟ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ؟ قَالَ بَلَى؟ وَلَا كَيْنَ لِيُطْمِنَنَّ قَلْبِي؟ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260) البقرة.

فقوله (أريني كيف يحيي الموتى) عبارة دالة على طلب إبراهيم من الله سبحانه تطبيق القضية الدّينية وفعاليتها وحيث تمثلت هاهنا في إحياء الموتى. بعد أن كان قد وجهه الله سبحانه لتفسير المسائل الدّينية العقديّة والشرعية فيما يشبه حمولة اعتقادية استسلامية للأصل الذي يملى عليه من ربه.

لكن أمام إصرار نبينا إبراهيم (عليه السلام) على التماس الدليل المادي لتفسير التعاليم الدّينية، وجهه الله تعالى إلى تفسير التعاليم تفسيراً مادياً وهو ما نعاينه في هذه التجربة الحسية التي لا يمكن فصلها عما وراءها من الروحانية الغيبية وهي قوله تعالى: (فخذ أربعة من الطير فصرهن... ثم اجعل... ثم ادعهن...) ¹ الخ الآية ونحوها. و ذلك عندي أحد النماذج التّطبيقية التي ستؤثّر موضوع (الدّينيات التّطبيقية) الرامي إلى الكشف عن نفعية ومادية المسائل الدّينية وعلومها.

ومن باب الاعتراف بكنوز القرآن الكريم أؤكد أن هذه الآية ومثيلاتها تعد بالنسبة لي مصدر إلهام حقيقي للانخراط في سلك من يبحثون في ضوء هذه النظرية [ان جعلتها مرجع استمداد منهجي في هذه الموازنة بين الدّيني والنفعي في حياة المسلم. على أن هنالك مصادر أخرى مساعدة في هذا الغرض. ومما أذكره في هذا الباب:

ب-) الكتب العلمية مثل:

- كتاب: "التربية المعرفية والاستراتيجيات التعليمية من رصد كفايات التعلم معرفياً إلى أجرأتها ديداكتيكياً" لمجموعة من المؤلفين الزغبوشي / مصطفى بو عنان / إسماعيل العلوي / ورشيد شاكري.

- وكتاب: "أبحاث معرفية، مجلة علمية نسوية محكمة متخصصة في العلوم المعرفية" بنعيسى زغبوش ومصطفى بو عنان، أساتذة جامعية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس-سائيس وظهر المهرار.

وهي كتب لم نعتمدها في الأطروحة حرفياً وإنما استفدنا من أنماطها التحريرية وفلسفتها العلمية.

¹ - سورة البقرة: الآية 260.

(ج)-العقل والتجربة الميدانية: وهي جملة الأفكار، والنصائح، وتجربة خبراء الميدان الذين اتصلنا بهم طيلة إنجازنا هذه الرسالة وهكذا الخ...

=====

المطلب الثالث: خصائص ومميزات الدّينيات التّطبيقية

- الدّينيات التّطبيقية: علم تطبيقي بالنسبة للدراسات الإسلامية وللعلوم الدينية ككل (مما تؤهلها بأن تكون مصنفة قائمة الذات العلوم التطبيقية)
- تعدّ الدّينيات التّطبيقية أول لبنة علمية في مجال العلوم الدينية الساعية إلى تطبيقية العلوم الدّينية وبراعماتها
- دراسات الدّينيات التّطبيقية ثمرة نوعين من العلوم:
 - العلوم الدّينية (السماوية)
 - والعلوم المعرفية (الإنسانية)
- وأن موضوع الدّينيات التّطبيقية هو دراسة المنظومة الدّينية (من عقيدة، عبادات، ومعاملات...) من جهة. ودراسة لعلومها (من حيث المناهج، والموضوعات، والأساليب...) من جهة ثانية.

المطلب الرابع: أهداف الدِّينيات التَّطبيقية:

من أهمّ مقاصد وأهداف الدِّراسة الدِّينيات التَّطبيقية:

- إعطاء تفسيرات فرعية ثانية للدِّين ولحقائقه العلمية الكامنة في نصوصه (وهو ما نسميه التفسير التطبيقي، المادي والبرغماتي النفعي للعلوم الدينية)
- دعم التفسيرات الوصفية الأصيلة بها.

- عقلنة الدِّين وبراغماتيته، وتوجيه الدعوة نحو ما نسميه بـ "مهنية الدَّعوة = Professionalism"، بما يجعلها ملموسة وحسية ومكشوفة تقدم التعاليم الدينية بشكل إقناعي للحس البشري البسيط المركز في فطر المخاطبين بالدعوة الدينية المهنية = Materialism of D'awah" أي تفرغ العلوم الدينية من إطارها المعنوي في إطارها المادي دون المساس بالخصوصية التي يحملها الخطاب الديني في الأصل.

ومن شأن هذا التفرغ أن يرتقي بالمعارف الدينية من إطارها المعنوي بما يجعلها أكثر تطبيقية، بحيث يقدمها حامل الدعوة المهني كنظرية مادية في الظاهر إلى الناس، كما لو هي نظرية في علوم الحياة يكشف لهم عن منافعها المادية والنفسية في سبيل أن يقتنعوا بأن مشقة الامتثال يكمن وراءها ربح مادي ونفسي أكبر

وبهذا التصوير العلمي والحسي المادي للدين يمكن استقطاب عدد أكبر من الناس لاعتناق الدعوة الإسلامية. بل من شأن هذا العمل جعل المعتنقين القدامى للدين عن تقليد يزدادون اقتناعاً ويرسخ الدين في قلوبهم أكثر. وهو شرط منطقي لتأهيلهم لممارسته عن قناعة حقيقية لا تترك مساحة لأسئلة فضولية مكبوتة في عقولهم ووجدانهم. إذ بنشر الثقافة الدِّينية الإسلامية عن وعي في قلوب معتقديه وغير معتقديه يجعل المؤمن يزداد إيمانا على إيمانه، ويجعل غير المؤمن أكثر اقتناعاً بالحقائق العلمية الدِّينية كذا بتعاليمه السامية.

المطلب الخامس: الفرق بين الدّينيات التّطبيقية وغيرها:

1- الفرق بين الدّينيات التّطبيقية وإعجاز القرآن:

- إعجاز القرآن منحصر في دراسة الجوانب التعجيزية في القرآن عن طريق القرآن الكريم نفسه في الحد الأقصى وعن طريق السنة النبوية في الحد الأدنى. بينما الدّينيات التّطبيقية هي دراسة لكل من المنظومة الدّينية وعلومها على حد سواء.
- إعجاز علم القرآن علم يسعى إلى إظهار ما للقرآن وللسنة من جوانب علمية على المستوى التفسيري أو الوصفي وحسب. بينما الدّينيات التّطبيقية- وعلاوة عما ذكر- فإنها كذلك تسعى إلى إبراز ما لهما وللمسائل الدّينية وعلومها ككل من جوانب مادية بغية تقريب الحقائق الدّينية إلى النفوس وجعلها أكثر ملموسية من أي وقت مضى (كأن يسعى- مثلا- إلى إثبات ما للصلاة من عوائد صحية على النفوس، وما لغسل الجنابة من خلفيات إيجابية على المرء جسديا ومعنويا... ذلك عبر:
(أ + ب for; A+B) نموذجا.

2 - الفرق بين الدّينيات التّطبيقية والعلوم العقلية / علم الكلام

العلوم العقلية علوم تسعى إلى عقلنة المسائل دون الخروج بها من نطاق العلوم النظرية أو الاجتهادية-العقلانية، بينما الدّينيات التّطبيقية هي تلك التي تسعى إلى إثبات الحقائق الدّينية/ الشرعية ماديا ومخبريا ، والسبب الأساسي من تسمية ما تسميه من تعاليم الدين تسميات مقنعة للعقل والوجدان.

3 - الفرق بين دراسات الدّينيات التّطبيقية ودراسات العلوم التّطبيقية/ المعرفية

تمتاز دراسة الدّينيات التّطبيقية بكونها تتمحور حول النصّ الشرعي دوما (أي حول الكتب المقدّسة عموما) قبل خوض غمار أي تحقيقات علمية أخرى في الفلك والجغرافيا والطب والهندسة قصد إثبات أيّ حقائق علمية دينية أو واقعية ذات الصلة بالدين أو الروحانيات. وهذه الازدواجية تسعى إلى تعزيز الإيمان بما تفرع عن الإيمان بالنص من علوم خادمة له بعد مخاض التجريب والتحقيق المجهري الدقيق. بخلاف العلوم التّطبيقية المحضة التي لا تستند إلى الدين العلوم فمصدرها استنادها إلى العقل لخدمة العقل (بحيث يكون محورها الإنسان لا محورها الدين)، بينما الدراسات الدّينيات التّطبيقية فمصدرها النص الذي يمد العقل فيما ينتهي إليه من تجاربه المخبرية. منتها (بحيث يكون محورها الإنسان والربّ أو الدين).

4 - الفرق بين فقيه الدراسات الدّينيات التّطبيقية وفقه دراسات الفقه الإسلامي:

نسجل بداية، أن فقيه الدراسات الفقه الإسلامي يدعى "الفقيه الوصفي أو الفقيه النظري"، بينما فقيه الدراسات الدّينيات التّطبيقية يدعى "الفقيه التطبيقي". فهما مختلفان في طريقة تحرير وتناول القضايا والمسائل الدينية. إذ الفقيه الوصفي يعتبر النصوص غاية لذاتها لتعزيز تفسيراته للمسائل المطروحة، بينما الفقيه التطبيقي يعد تلك المعطيات الدينية وسيلة ومنطلقا له إلى التساؤل وإلى إجراء دراسته التجريبية لتعزيز أطروحاته والاستناد عندئذ إلى نصّ الدين في سبيل الإحاطة بمبادئ الشرع ومقاصده المادية المحسوسة بما فيه مصلحة الإنسان. ومن الأمثلة على ذلك: مسألتنا ((العدّة، وغسل جنابة من المنى)) كما سنراها لاحقا.

المطلب السادس: المصطلحات المستعملة في الدِّينيات التطبيقية : Terminologies :

يُتداول في خضم هذا العلم مُصطلحات لغوية من أمثال:

- (أكدت الدراسة الدِّينيات التطبيقية (المختبرية منها أو...) أن كذا وكذا تؤدي إلى كذا.
- أثبتت التجربة العلمية (للدِّينيات التطبيقية) أن... كذا هو كذا .
- أقرت المشاهدة والملاحظة الموضوعية (للدِّينيات التطبيقية) أن...
- جُرب فصُحح (في دراسات الدِّينيات التطبيقية) أن كذا وكذا يؤدي إلى كذا.
- وقس على هذا غيره من العبارات المتداولة في هذا العلم.
- *كما يستحضر إلى جانب ذلك أيضا تعبيرات جُمليّة من أمثال:
- أثر/ أو ما أثر العبادات من: (وضوء، صلاة، أو صوم الخ...) على -حياة وسلوك- الإنسان، والمجتمع... من الناحية البرغماتية والمعنوية .
- أثر الدِّين أو تعليم علومه من: (القرآن، الحديث، أو الفقه...) على -حياة وسلوك- الإنسان، المجتمع... من الناحية البرغماتية والمعنوية.
- وقس على ذلك

المطلب السابع: ميادين أجراة الدراسات الدِّينيات التطبيقية

- المختبرات
- مراكز الدراسات والبحوث العلمية والإحصاء
- الدراسات المؤسساتية؟ المؤسسات الدِّينية و المؤسسات التربوية--التعليمية والمؤسسات الإعلامية والميادين والأصعدة المعنية بدراسة الطرح أو المطروحة.

المطلب الثامن: وسائل/ آليات أجراة دراسة الدِّينيات التطبيقية: Moynes

- تُجرى الدِّراسة عبر مراحل عدّة، أهمّها:
- أولا: التأمل والتفكير {لتشخيص الإشكالية}
- ثانيا: طرح الأسئلة بداية تهيئنا {للبحث عن معالجتها}
- ثالثا: البحث عن أجوبتها وعن حُلّوها {ذلك إما من خلال}؛

* مُساءلة الجمهور (لجمع أكبر قدر ممكن من من المعلومات الإشكالية المطروحة والمبحوث عن علاجها، قبل الحكم بما ذهبت إليه غالبية الرأي العام)

* أو الانكباب على عملية البحث والإحصاء (Enquiry end Sondage)

* أو إجراء دراسات مختبريه (Laboratory)

* أو الخوض في سلسلة أعمال تجريبية (ذاتية أو جماعية) للإقرار بخبرة علم يفيد اليقين.

* أو الاكتفاء بعلم المشاهدة المدققة أو الملاحظة المعمقة (للإقرار بخبرة تفيد اليقين).

وعلى هذا السلم فإن الدراسات الدينيّة التطبيقية تكون مرفوقة أو معززة إما بـ :

- - دراسة مختبرية

- دراسة تجريبية ومشاهدة (الموضوعية)

- دراسة الأسئلة الموجهة {

- دراسة أجوبة المستجوبين

- دراسة البحث والإحصاء (Enquiry end Sondage)

- دراسة علم أفاد اليقين في مسألة ما

- دراسات مؤسساتية متنوعة:

- عبر المؤسسات الدينية (المجالس العلمية) مثلا

- عبر المؤسسات التربوية (المدارس والجامعات)

- عبر المؤسسات الإعلامية: (الإذاعات والمحطات التلفزيونية)

تلکم هي الوسائل والمستندات المعتمدة في دراساتنا (للدينيات التطبيقية)

المطلب التاسع: منهجية/طريقة إجراء الدراسات الدينية التطبيقية: Methodologies

ومعتمدا على منهجيتين:

أولا: المنهجية المبسطة:

وتتلخص في التمحور حول نصّ لاستجلاء حقائقٍ دينية = Data Religious .
فتطرح حيالها؛ الأسئلة والفرضيات = Hypotheses and Suppositions المؤدية
إلى إجراء الدراسة التجريبية = Practical Studying وذلك بقصد الحصول على؛
أجوبة تكون تطبيقية أكثر من كونها نظرية وعقلية إلى كونها مادية وبراهماتية محسوسة
متكشفة.

والقصد الخروج في آخر المطاف بدراسة موضوعية تخلص لأهداف (الدينيات
التطبيقية).

ثانيا: المنهجية المعمّقة:

وتتضمن ما يلي:

- عنوان الدراسة (المراد إنجازها) = Title Subject
- المعطيات الدينية التي تتمحور حولها (من نصّ ديني أو قواعد عامة مستوحاة من النص
الديني ...) = Data Religious
- عرض الإشكاليات وفرضيات الأجراء = Hypotheses and Suppositions
- الخوض في إجراء الدراسة التجريبية = Start of the Practical Studying
- التنصيص على الأدوات الماعتمدة (في إجراء الدراسة) = Measure / Moyne to Using
- المساهمون أو المرجع = Participants or Reference
- المناقشة والحلّ = Result Debate
- النتيجة / الخلاصة = The Resume
- اختتام المسألة بفرضية جديدة بأبعاد واضحة (قصد فتح آفاق أخرى عن المسألة
المطروحة لدراسات أخرى) = Closing the thematic via a new hypothesis or problematic.

المطلب العاشر: مجالات الدِّينيات التَّطبيقية: Interventions Domains

لا تختصر الدِّينيات التَّطبيقية في دراسة العلوم الدِّينية مجردة عن الأصول، وإنما تتناول الدين نفسه في بعديه الروحاني والبراغماتي معا بغرض بيان مدى أثره على الأرض وعلى السلوك البشري مع استحضار ما تتطلبه الدراسة من آليات، ضوابط، ومعايير للعمل التطبيقي التفسيري العلمي الدقيق ...

وفي خلاصة جامعة فإن الدِّينيات التَّطبيقية هي العلم ... هي النظرية المناسبة للتعامل مع تعاليم الدين بيانا وكشفا وتجليا وإقناعا بما يجعل تفسيره العلمي مطردا في الزمان والمكان مقنعا لأصحاب المكان متناغما مع العادات السننية الكونية التي توافقها نتائج التأملات الفكرية المسترشدة بأدوات الاجتهاد الديني فقها وأصولا ومقاصد ومنطقا في مؤاخاة بين الاجتهادين الاجتهاد العلمي التجريبي الذي منطلقه النص والاجتهاد الديني بشروط الاجتهاد التقليدية المتواطأ عليها.

ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى الارتقاء بأدوات الاجتهاد الدينية التقليدية بما يجعلها مواكبة لتقلبات العصر وما ينطرح فيه يوميا من نوازل مستجدة دون الخروج بها من دائرة مبادئ وكليات الشرع. فالأمر إذن مسألة انفتاح بالعلم المخبري على العصر ومواكبة لمستجداته لكن مع التمسك كل التمسك بمبادئ وكليات الدين.

وتوسعا في بيان الغرض من هذا المفهوم وجب التنبيه إلى أن دراسة الدِّينيات التَّطبيقية لا تقصي أي دين من دائرة دراساتها بما تفسحه من مجال للتنافس بين الأديان الثلاثة ، للإجابة عن السؤال المقاصدي: أي من هذه الأديان الثلاثة أقرب إلى العلم؟ أي منها هو الأليق بأن تتوافق مقاصد أحكامه مع منتهيات العلم التجريبي الحديث؟.

فما أعظم إذن نفع نظرية بهذا المنطق الاختباري ، إذا أجريت على أصولها السابق بيانها في المطالب السابقة!!.

بهذا الحس المقاصدي يسوغ لنا المجاهرة بأن الدراسات الإسلامية لا تمثل سوى جزء بسيط من دراسات الدِّينيات التَّطبيقية ككل، بحيث يمكن تطبيقها أيضا في الدراسات المسيحية واليهودية (أي في العلوم المتفرعة عنهما) ولما لا في كافة الملل أو النحل كذلك؟، وذلك باعتبارها نظرية شاملة تمحيضية غرضها تمييز الدين الذي ينطوي على علوم حقيقية عن الدين الذي ينطوي على خرافات وسفسفات يأبأها العلم والمنطق والفطرة.

=====

المبحث الثاني؛ الدِّينيات التَّطبيقية في دراسة المنظومة الدِّينية

المطلب الأول: الدِّينيات التطبيقية في دراسة منظومة العقديات الروحانيات

ونعني بذلك؛ أننا نريد في هذا الإطار دراسة الآليات الكفيلة بالكشف عما يلي:

- عن براغماتية (نفعية) تعاليم الإيمان ومردوديتها على نفسية وبدن الإنسان.

- عن أثر العقيدة في/على حياة المرء (علمياً وتجريبياً)

وعلى هذا سنتأتي سلسلة دراستنا المتعلقة بالروحانيات على هذا السلم المنهجي :

=====

- موضوع الدراسة رقم 1: التوحيد في الأديان السماوية الثلاثة "

- الشق النظري

بديهياً أن كلا من الإسلام، المسيحية واليهودية ديانات سماوية ترجع إلى الملة الإبراهيمية حيث إن كل هذه الديانات الثلاثة دعت إلى التوحيد وإلى عبادة الله الواحد القهار وإلى وتوحيده في ذاته وأفعاله وفي الطاعة فغنه بالمقارنة بين هذه الديانات الثلاث تكاد تجد أن تعاليم التوحيد وعلوم الغيب في أصلها قبل التحريف والتشويه هي القطب الأساس الجامع بينها. وفيما دون ذلك تجد بعض التشريعات القليلة جدا في الدينين المسيحي واليهودي لا تخرج عن غرض خدمة العقيدة لا خدمة الإنسان في مجالات الحياة على خلاف الإسلام الذي شملت تشريعاته كل مجالات الحياة.

وهذا ما يعطي للتوحيد الحاكمية على الأديان كلها لذلك فهو يحظى بمكانة جليلة داخل الديانات السماوية كلها، فهو أهمّ القواسم المشتركة بين هذه الديانات كلها خلافاً للتشريعات العملية التي نجد بونا شاسعا بينها وبين تشريعات الإسلام التفصيلية.

=====

الشقّ التطبيقي:

أولاً: عرض موضوعات الدراسة محل التطبيق

- (1)- دراسة طريقة فهم المسلمين للتوحيد/الوحدانية
- (2)- دراسة طريقة فهم الكاثوليك والبروتستانت للوحدانية»
- (3)- «دراسة طريقة فهم اليهود للتوحيد/الوحدانية»:

=====

أ - معنى التوحيد من خلال النص الديني في الإسلام

- التوحيد من خلال أي القرآن الكريم ومن ذلك نجرد الآيات الآتية:

- قوله تعالى: {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ} ¹.

- وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ².

- وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُواهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ} ³.

- وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} ⁴.

- وقوله تعالى: {قِيَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} ⁵.

- وقوله تعالى: {يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} ⁶.

- وقوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ(4)} ⁷.

¹ - الصافات : 4

² - الكهف : 110

³ - فصلت : 6.

⁴ - ص : 65.

⁵ - غافر : 16.

⁶ - يوسف : 39.

⁷ - سورة : الإخلاص.

- التوحيد في السنة النبوية. ونجد منها الأحاديث الآتية:

• حديث بُني الإسلام: عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((بُني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج))، وفي رواية: ((على أن يُعبد الله ويُكفر بما دونه، وإقام الصلاة...))، وفي رواية: ((شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة...))، وفي رواية: ((إيمان بالله ورسوله، والصلاة الخمس...))؛ [متفق عليه]¹.

• حديث جبريل: عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ؟ قال: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا))، وفي رواية أبي هريرة: ((الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة...))، وفي رواية: ((لا تشرك بالله شيئًا، وتقيم الصلاة...))؛ [متفق عليه].

• حديث أمرت أن أقاتل الناس: عن أبي هريرة أن رسول الله ؟ قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله)). وفي رواية: ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به)). وفي رواية ابن عمر: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة))؛ [متفق عليه].

• وعن أبي مالك، عن أبيه قال: سمعتُ رسول الله ؟ يقول: ((من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله))، وفي رواية: ((من وحد الله))؛ [مسلم].

• حديث وفد عبد القيس: عن ابن عباس قال: "إنَّ وفد عبد القيس لما أتوا النبي ؟ قال: ((مَنْ القوم؟)) أو: ((مَنْ الوفد؟))، قالوا: ربيعة، قال: ((مرحبًا بالقوم - أو بالوفد - غير خزايا ولا ندامي))، فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مُضَر، فمُرنا بأمرٍ فصلَّ نُخبر به مَنْ وراءنا ونُدخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة، فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: ((أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟))، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تُعطوا من المغنم الخمس))، ونهاهم عن أربع...". وفي رواية: ((أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله - ثم فسرها لهم فقال شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وإقام الصلاة...)). ولمسلم: ((أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة...))؛ [متفق عليه].

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الايمان. ومسلم كذلك في كتاب الايمان.

• حديث الأعرابي: عن أبي أيوب أن أعرابياً عرض لرسول الله ؟ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله - أو يا محمد - أخبرني بما يُقربني من الجنة وما يُباعدي من النار، فكف النبي ؟، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: ((لقد وُفِّق)) أو: ((لقد هُدي))، قال: ((كيف قلت؟))، فأعاد، فقال النبي ؟: ((تَعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرِّجَم. دع الناقة))؛ [متفق عليه].

• حديث معاذ: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ؟ بعث معاذًا إلى اليمن، فقال: ((ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تُؤخذ من أغنيائهم وتُرَدُّ على فقرائهم)) وفي رواية: ((فليكن أوَّل ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك...)) ولمسلم: ((فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله...)) الحديث؛ [متفق عليه]¹.

ب - معنى التوحيد من خلال النص الإنجيلي المسيحي

ورد في الرسائل الإنجيلية دلائل عدة على وحدانية الله الخالق:

- "لأنَّ اللهَ وَاحِدٌ" رومية 3: 30.

- "وَأَنْ لَيْسَ إِلَهٌ آخَرُ إِلَّا وَاحِدًا" 1كورنثوس 8: 4. "وَلَكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ" غلاطية 3: 20. "لأنَّهُ يُوَجِّدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ" (1 تيموثاوس 3: 5. "أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ" يعقوب 2: 19.

ج - معنى التوحيد من خلال النص التوراتي اليهودي

- ورد في سفر ملاخي آخر أسفار العهد القديم إصحاح 2 عدد 10: "الَّيْسَ إِلَهٌ وَاحِدٌ خَلَقْنَا؟" (ملاخي 2: 10).

- في سفر التثنية إصحاح 6: قوله "13 الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وباسمه تحلف". وقوله "14 لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم". وقوله "15 لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم لئلا يحمي غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض". وقوله "16 لا تجربوا الرب إلهكم كما جربتموه في مسّة". وقوله "17 احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها".

ثانياً: إشكاليات الدراسة؛

¹ اخرجه مسلم في صحيحه: رقم الصفحة للحديث 19.

هي محاولة الجواب عما إذا كان التوحيد المذكور في نصوص الكتب المقدسة قد فهمت حقيقته وماهيته من قبل كل طوائف الموحدين (المسلمون، المسيحيون، واليهود) على حد سواء؟ وعما إذا كان الموحدون يمثلون حقا ذلك السلوك الوجداني الروحاني التوحيدي على أرض الواقع؟

للإجابة عن هذه الأسئلة التي تطرحها الإشكالية سنعمد إجراء الدراسة التطبيقية؛ على الشكل التالي:

وفقا لما تتطلبه إشكاليات الموضوع المطروحة، أجرينا دراسة تحقيقية (Investigation) بخصوص الموضوع استعنا فيها بوسائل ومناهج براغماتية مختلفة، انطلقنا فيها- مبدئيا من قراءة النص نحو قراءة الواقع أملا في إيجاد تقاطع جامع بينهما...، ولاكتشاف نتائج ذلك تابعوا معنا هذه القراءة الإجرائية¹.

ثالثا: دراسة تحليلية (لمضامين النصوص المقدسة)؛

أ - جرد بنصوص توحيدية من الكتب المقسة الثلاثة

من خلال قراءتنا للنصوص التوحيدية الواردة في الكتب المقدسة من حيث المبدأ وعلى فرض ما هي عليه في الأصل عند التنزيل، لا نملك إلا القول بأنها جميعا جاءت نورا وهدى من الله لأهل الأرض، وأن هذه الأديان الثلاثة خرجت جميعا من مشكاة واحدة، لولا قيام البعض منهم (اليهود والنصارى) بتحريف وتغيير كتبهم المقدسة أو بعض منها إما بالزيادة أو بالنقصان لهوى في نفوسهم ليشترروا الضلالة بالهدى كما في قوله تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} الآية ، ضدا على ما أمرهم الله عز وجل من عبادة الإله الواحد الأحد كما يلاحظ ذلك في قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} الآية .

لكن السؤال المطروح هو عن المسلمين الذين لم يحرفوا دينهم؟

هل مسلمو اليوم يمثلون التوحيد الذي دعا إليه الله تعالى في أرض الواقع مع الناس؟ هل يطبقونه مع أنفسهم وفي حياتهم اليومية العامة؟ إلى أي حد يمكن الاطمئنان إلى مذهب عقدي مخصوص من المذاهب العقدية الكثيرة المتناسلة عبر تاريخ الإسلام إلى اليوم؟ إنها الأسئلة المؤلمة التي سنحاول من خلال تحقيقات هذه الرسالة الجواب عنها . لكن ليس قبل الفراغ مما كنا فيه من مواصلة الوقوف على ما لدى الديانات الأخرى في منقولاتهم أو نصوصهم المقدسة.

¹- وهي كما أشرنا لها دراسة تحقيقية (Investigation)

- الأصل في العقيدة المسيحية

لا خلاف في أنهم يؤمنون بدورهم إيماناً لا جدال فيه بشرعية و قدسية وقانونية أسفار العهد القديم كلها، لذا فإن ما ذكرته النصوص السابقة عن الإنجيل منطبق كذلك على النصارى، وفي ذلك يقول المسيح في إنجيل متى 5:17 (لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لانقض بل لأكمل). أي أن المسيح عليه السلام جاء ليكمل الناموس أي (شريعة موسى عليه السلام) لا لينقضها¹.

- وقد ورد في إنجيل مرقس الإصحاح 12 عدد 29، جاء أحد الكتبة (أصحاب العلم من اليهود) وسأل المسيح عليه السلام وقال له يا معلم ما هي الوصية الأولى للكل؟ فأجابته المسيح عليه السلام ولم يقل ثلاثة وإنما قال له أنأول كل الوصايا هي ((شيماع يسرائيل: ادوناي ايلوهينو ادوناي إحاد))، ((اسمع يا إسرائيل: الرب الهنا رب واحد)). هذه هي أول كل الوصايا للكل الرب الإله واحد لا شريك له².

- وورد في إنجيل مرقس إصحاح 12 عدد 32 : (بِالْحَقِّ قُلْتُ لِأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ" مرقس 12: 32 . دليل آخر على أن الرب واحد لا شريك له³.

- وورد ورد في إنجيل يوحنا إصحاح 5 عدد 44 : (وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟" يوحنا 5: 44. دليل على أن الاله واحد وليس ثلاثة⁴.

- الأصل في العقيدة اليهودية

لاشك أيضا في أنهم يؤمنون بما حواه الكتاب المقدس. والجدير بالتنبيه عليه أن التوراة وسائر أسفار العهد القديم يوجد بها دلائل عدة على وحدانية الخالق وعدم وجود أي شريك له في الملك سبحانه وتعالى عما يصفون. ويدل على ذلك ما ورد في النصوص المقدسة الآتية:

- حيث ورد في سفر التثنية (أحد أجزاء التوراة الخمسة) إصحاح 4 عدد 39 : "فَاعْلَمْ الْيَوْمَ وَرَدِّدْ فِي قَلْبِكَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْإِلَهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَعَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلِ. لَيْسَ سِوَاهُ" (تثنية 4: 39). دليل واضح على أن الاله واحد في السماء والأرض ولأحد سواه⁵.

- وورد في سفر التثنية أيضا نص مهم جدا و هو أول وصية من الوصايا العشر لسيدنا موسى عليه السلام و هي عند اليهود تسمى (صلاة شيما) و هي تشبه الشهادة في

¹- راجع: إنجيل متى 5:17.

²- راجع: إنجيل مرقس الإصحاح 12 عدد 29.

³- راجع: إنجيل مرقس إصحاح 12 عدد 32.

⁴- راجع: إنجيل يوحنا إصحاح 5 عدد 44.

⁵- راجع: سفر التثنية.

الإسلام، إصحاح 6 عدد 4 : "شيماع يسرائيل : أدوناي ايلوهينو ادوناي إحاد". وقوله: "اسمع يا إسرائيل: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ" (تثنية 6 : 4). فهذا تنبيه إلى إسرائيل إلى شعب اليهود جملة علأن الاله الرب الخالق هو إله واحد، وسبحان الله الذي لا شريك له¹.

والحاصل من هذا أن من يتأمل هذه النصوص في الديانات الثلاثة يجد أن القرآن الكريم بالنسبة للمسلمين، والعهدين القديم والجديد بالنسبة لليهود والنصارى حافلة بنصوص متفقة في المعنى تنص توحيد الله تعالى من غير شريك ولا كفيئ ولا مثيل وتدعو إلى عبادة الخالق سبحانه وتعالى عما يصفون.

¹ - إصحاح 6 عدد 4.

ب - الدراسة الميدانية : (طبيعة التدين في المجتمعات المسلمة واليهودية والمسيحية)؛

وخلصتها أن قراءتنا للواقع، وتحقيقاتنا عن بعض المجتمعات المتدينة كما في (المغرب والكويت ديفوار) مثلا، مقارنة بمجتمعات أخرى سواء الإسلامية منها أو المسيحية الغربية نستفيد معلومات جمة خلصنا منها إلى أنه ليس بالضرورة أن هذه المجتمعات تعكس جميعا ما يعنيه التوحيد في هذه النصوص الدينية في الأديان الثلاثة.

+ طبيعة التدين في المجتمعات المسلمة / المغرب والكويت ديفوار نموذجا

أ- المسلمون ليسوا على نمط واحد في فهم التوحيد ففي المغرب والكويت ديفوار اللتين درسنا عن تجربتهم الاعتقادية من خلال هذه النماذج التي أفادتنا بها الدراسة.

(أ)- فالمغرب: وجدنا فيه أن حال الموحدين أو المعتنقين عموما على ثلاثة نماذج:

أولها: شريحة، تُعدّ المطبّقة والممثّلة لحالة المسلم الحقيقي، وهي الشريحة التي أطلقنا عليها تسمية الشريحة المسلمة بكل ما تحمله الكلمة من معنى (وتقدّر أعمارها ما بين السنّ الـ 40 و ما فوق).

ثانيها: شريحة، تتعامل مع العقيدة الإسلامية بطريقة موسمية و ظرفية كما في رمضان والأعياد وهي الشريحة التي أطلقنا عليها تسمية الشريحة المتأسلمة (ويقدر متوسط العمر لديها ما بين سنّ 35-40).

ثالثها: شريحة، لا علاقة لها أصلا بالعقيدة الإسلامية ولا بتطبيق شعائرها، لأنها -وبكل بساطة- من عقيدة أخرى تعيش في مجتمع غالبه مسلمون، ألا وهم اليهود المغاربة، وهي الشريحة التي أطلقنا عليها تسمية الشريحة اللامسلمة (ويعدّون الأقلية في البلاد).

ومن جهة ثانية: نكاد لانجد في المغرب مسيحيين لندرتهم في هذا المجتمع على الرغم من أن المغرب على أبواب أوروبا المسيحية.

ب)- الكويت ديفوار: لكن الأمر في الكويت ديفوار على نمط مختلف ذلك أن حال الموحدين أو المعتنقين فيها على نموذجين فقط خلافا للنماذج الثلاثة التي رأينا في المغرب، فعن النماذج المعتنقين في الكويت ديفوار نجد ما يلي:

أولها: الشريحة المسلمة، والتي تطبّق أو تمثّل الإسلام على حاله التقليدي، وهذه الشريحة محسوبة على كل الفئات العمرية وإن كانت على أنساق مختلفة من حيث طريقة الالتزام بتعليمات وعقيدة الدّين "إذ دوما كانت عقيدة الشباب والشيوخ على درجات مختلفة من حيث التطبيق والالتزام". أي من حيث الزيادة في العبادات المندوبة على الحد الأدنى المقبول منها.

ثانيها: الشريعة اللامسلمة، وهي التي لا علاقة لها أصلاً بالعقيدة الإسلامية ولا بالتمثيل لشعائرها، لأنها —وبكل بساطة— من عقيدة أخرى تعيش في بلد غالبية مسلمون مقارنة مع المغرب، ألا وهم المسيحيون وأصحاب معتقدات أخرى، وهي الشريعة التي أطلقنا عليها الشريعة اللامسلمة (ويعتدون هم الأقلية في بلاد وأرض الفيلة).

نخلص من هذه الموازنة بين المغرب والكويت ديفوار، إلى أن في بلاد الإيفواريين، فإما أن يكون المرء فيها مسلماً (فيتمثل لعقيدته وشعائره السامية)، يومياً وبانتظام أو لا يكون مسلماً بتاتا، فلا يكون له صلة لا بعقيدتها ولا بتطبيق شعائرها يومية كانت أو موسمية مقارنة مع نموذجي المغرب.

إلا أنه يوجد في كوت ديفوار حالة قد لا توجد بالضرورة في المثال المغربي، أي أنه ورغم وجود شريعة المسلمين المطبقين، إلا أنها تنقسم انقساماً آخرًا:

* الطائفة المؤمنة التي تعبد الله من غير تلبيس لعقيدته بأي أمر خارج.

* والطائفة المؤمنة التي تعبد الله على حرف، أي أنه بقدر ما يؤمن بالله ويعبده، فإنه يؤمن كذلك بما ورثه من الأجداد والآباء (كالموروثات التقليدية والتراثية في الكوت ديفوار)¹.

+طبيعة التدين في المجتمعات المسيحية وبيان ما بين طوائفها من الخلاف

وأما النصارى: فإن بحوثنا الميدانية عن حالهم، وتجوالنا في كنائسهم، وقراءتنا لواقعهم قادتنا إلى الوقوف على الحقائق الآتية:

(أ)- أن فهم النصارى لمعنى التوحيد ولمعنى الألوهية في واقع الأمر—دون تلك التي نصت عليها كتابهم—مختلف إلى حد ما عن فهم المسلمين للتوحيد ولمعنى الألوهية.

(ب)- ذلك أن المسيحيين يعبدون موجودات أخرى مع الله—ولا نقول من دون الله وإنما مع الله—يعتدون تلك المخلوقات آلهة مع الله. وهذه المعبودات مع الله تختلف من طائفة مسيحية إلى أخرى.

وإليك مُجمل الخلافات بين الكنيسة الكاثوليكية، الأرثوذكسية وطائفة البروتستانت، على النحو الآتي:

عند الكاثوليك مثلاً: والذي تعدّ (فرنسا = French) البلد الرائد والمروج لها، فقد فهم هؤلاء التوحيد على خلاف ديانات أخرى كما على خلاف باقي الطوائف المسيحية الأخرى، حيث اعتبروا التوحيد فعلاً أنه الاعتقاد بأن الله هو الخالق والمعبود الأسمى

¹ - طبيعة الدراسة: دراسة ميدانية وواقعية للوضع.

، إلا أنه وبالنسبة لهم يجب الاعتقاد أيضا في اليسوع إلهًا أو على أنه ابن الإله (ذلك على حسب طوائفهم).

وعند الأرثوذكس مثلا: والذي تعدّ (روسيا = Russia) البلد الرائد والمروج لها أساسا. فهؤلاء لا يختلفون كثيرا عن الكاثوليك في الأساسيات عدا بعض الجزئيات والفروع في معتقداتهم المسيحية، وكلاهما مخالفان خلافا كبيرا البروتستانت.

أما البروتستانت: والذي تعدّ (ألمانيا = Germane) البلد الرائد لها أساسا، وذلك على غرار مارتن لوثر المهرطق (Heretic Martin Luther)، الذي يعتبر مؤسس طائفة البروتستانت الإنجيليين في القرن 16م، فقد اختلفت هذه الطائفة كثيرا في معتقدها عن باقي المعتقدات المسيحية فضلا عن اختلافهم مع باقي الطوائف المسيحية حول فهم معنى التوحيد والألوهية سيما أصحاب الديانات الأخرى،

وإليك مُجَمَّل الخلافات بينهم وبين باقي الطوائف المسيحية مجملا، أو بينهم وبين الكنيسة الأرثوذكسية تحديدا:

مجمل خلافات الأرثوذكسية مع البروتستانت:

الخلافات كثيرة: بعضها متعلق بالعقيدة والإيمان، وبعضها بالطقوس، وبعضها الآخر بالنظام الكنسي، وبعضها في أمور العبادات ...

فمن أهم الخلافات بينهما (أي الأرثوذكسية مع البروتستانت) ما يلي:

1 - اعتقاد البروتستانت بالطبيعتين والمشيئتين في السيد المسيح ، بينما تؤمن الكنيسة القبطية، بأن طبيعة السيد المسيح اللاهوتية وطبيعته الناسوتية، متحدتان معًا في طبيعة واحدة، هي طبيعة الكلمة المتجسدة. وأن السيد المسيح كامل في لاهوته، وكامل في ناسوته، وأن لاهوته لم يفارق ناسوته، لحظة واحدة ولا طرفة عين، لذلك لا نتكلم مطلقًا عن طبيعتين بعد الاتحاد، هذا التعبير الذي بسببه رفضوا مجمع خلقيدونية سنة 451 م.

2- انبثاق الروح القدس:

يعتقد البروتستانت مثل الكاثوليك بانبثاق الروح القدس من الأب والابن، وهذا مخالف لعقيدة كنيسة الأرثوذكسية، التي تؤمن بانبثاق الروح القدس من الأب وحده، حسبما ورد في (إنجيل يوحنا 15:26).

3- عدم إيمانهم بأسرار الكنيسة السبعة

وإن وجد عندهم شيء من ذلك، لا يسمونه سرًا. مثال ذلك: أن الزواج عند البروتستانت، مجرد رابطة أو عقد بين اثنين، وليس سرًا كنسيًا. كذلك توجد عندهم معمودية، ولكنها ليست سرًا كنسيًا بكل فاعليته... ويسمونها فريضة.

4- لا يؤمنون بالتقليد Tradition أو التسليم الرسولي

فهم لا يؤمنون إلا بالكتاب المقدس فقط، ولا يقبلون كل القوانين الكنسية، ولا المجمع المقدسة وقراراتها، ولا يلتزمون بتعاليم الآباء. وبالتالي لا يقبلون كل ما قدمه التقليد من نظم كنسية.

5- لا يقبلون الكهنوت:

فهم ينادون كاهنا واحد في السماء وعلى الأرض معا، هو يسوع المسيح، دون أي كاهن بشري آخر، وإما أن يقولوا إننا جميعًا كهنة، لا فرق في ذلك بين إنسان وآخر، ولذلك فإن من يدعى (قسًا) عند الطوائف البروتستانتية، لا يقصد به أنه كاهن، إنما هذا لقب يعنى عندهم أنه خادم أو راع، أو معلم، وليس كاهنًا يمارس الأسرار الكنسية.

وبما أنهم لا يؤمنون بالكهنوت، فمن باب أولى أن لا يؤمنوا برئاسة الكهنوت. وأيضاً ويرون أن الكنيسة هي جسد واحد، له رأس واحد هو يسوع المسيح، ولا توجد رئاسة كهنوتية من البشر، بحيث يرون رئاسة المسيح للكنيسة لا تسمح بوجود رئاسات بشرية. ونتيجة لهذا لا يؤمنون طبعًا بسلطان كنسي أيا كان...

نستثنى من كل هؤلاء الأنجليكان أو الأسقفيين، الذين توجد في كنيستهم، درجات الأسقف و القس و الشماس، ولهم أيضًا رؤساء أساقفة، مثل رئيس أساقفة كانتربري، ورئيس أساقفة يورك وغيرهما. ولكنهم يعتقدون بموضوع زواج الأساقفة، وقد رشحوا حاليًا قسيسات وأسقفات من النساء، وفي هذا الباب وضع قداسة البابا شنودة الثالث كتابًا خاصًا عن الكهنوت يمكن الرجوع إليه.

6- خلافات كثيرة في موضوع الخلاص:

من أهمها تركيز البروتستانت فقط على الإيمان، وعدم الاهتمام بكل ما عداه، وهنا يعتمدون على عبارة "أَمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فَتَنْخُلُصَ" (سفر أعمال الرسل 16: 31). ويرون أنه بمجرد إيمان الإنسان يخلص، في نفس لحظة إيمانه، وكأنهم بهذا ينكرون الأسرار اللازمة للخلاص، مثل المعمودية والتوبة، وينكرون دور الكنيسة في موضوع الخلاص، إذ العلاقة عندهم يجب أن تكون مباشرة مع الله.

ومن ضمن الموضوعات التي هي مجال خلاف: مدى إمكانية هلاك المؤمن إذا ارتد، فالبروتستانت خلافا للكاثوليك والأرثوذكس يرون أن المؤمن لا يمكن أن يهلك مهما سقط.

ومن الخلافات البارزة في موضوع الخلاص، مسألة الإيمان والأعمال. ففي تركيزهم على الإيمان يُغلبونه على جانب الأعمال، لذلك ينكرون لزوم الجهاد، وأكثر هؤلاء بعدًا عن التطرف من يقولون أن الإيمان ينبغي أن يكون إيمانًا عاملاً بالمحبة⁽¹⁾.

7- ينكرون الطقوس:

البروتستانتية ضد الطقوس، وبالتالي لا يعترفون بأية ليتورجيات (صلوات طقسية)، لا يستخدمون ما عندنا من كتب طقسية، مثل: القطمارس katameooc، والإبصلمودية، وصلوات اللقان، وطقس السجدة، وطقوس البصخة و الشعانين، والطقوس التي تصاحب كل سر من أسرار الكنيسة، وما إلى ذلك.

8- خلافات في المعمودية:

ولعل من أهمها لزوم المعمودية للخلاص، كذلك لزوم المعمودية للأطفال، ولا يؤمنون بفاعلية المعمودية، إذ لا علاقة للمعمودية بالولادة الجديدة، وبالتبرير وغفران الخطايا، وهكذا تتحول المعمودية في البروتستانتية إلى اسم بلا مفعول، لأن كل ما ننسبه إلى المعمودية من فاعلية، ينسبونه كله إلى الإيمان، وكأن الشعائر الدينية العملية أصبحت مجرد علامة أو مجرد طقس وهم لا يؤمنون بالطقوس...

لكن وجب التنبيه إلى أن ليس كل البروتستانت على إيمان واحد متحد في المعمودية، فمنهم من يوافق على معمودية الأطفال، ومنهم من يوافق أن المعمودية بالتغطيس.. مع خلافات أخرى.

9- لا يؤمنون بالاعتراف:

ونقصد عدم إيمانهم بالاعتراف بالآباء الكهنة من جهة، لأنهم لا يؤمنون أصلاً بكهنوت البشر، لأنهم يرون الاعتراف بالله مباشرة، ويتبع هذا طبعًا، أنهم لا يؤمنون بالتحليل الذي يقرأه الكاهن على رأس المعترف، ولا يؤمنون بسلطان الحل والعقد جملة.

10- لا يؤمنون بسر الافخارستيا:

في البروتستانتية لا توجد قداسات، ولا ذبيحة إلهية، ولا يؤمنون باستحالة الخبز والخمر، إلى الجسد والدم الأقدسين، وهكذا لا يوجد تناول من هذه الأسرار المقدسة، وكل ما يفعلونه لتنفيذ وصية الرب (أنجيل لوقا 22:19) هو احتفال في بعض المواسم، فيه كسر الخبز، لمجرد الذكرى، ويدعون ذلك فريضة وليس سرًا كنسيًا. وهكذا فإنه لا يوجد مذبح في الكنائس البروتستانتية، لأنه لا توجد ذبيحة...²

¹- راجع: غلاطية 6:5.

² راجع: أنجيل لوقا 22:19.

هذا بخلاف الأنجليكان (الأسقفيين)، فعندهم مذابح وقداسات، ويؤمنون باستحالة الخبز والخمر إلى الجسد والدم...
11- خلافات بالنسبة إلى الكتاب المقدس:

على الرغم من اهتمام البروتستانت بالكتاب اهتمامًا كبيرًا، وعلى الرغم من كلامهم عن (الحق الكتابي)، إلا أننا نأخذ عليهم هنا أمرين هاميين:

(أ)- عدم إيمانهم ببعض أسفار الكتاب مثل طوبيا، يهوديت، يشوع بن سيراخ، باروخ، سفر الحكمة، المكابيين الأول والمكابيين الثاني، وبعض أجزاء أخرى من الكتاب... واعتبارهم أنها أبوكريفا، وعدم ضمها إلى الكتاب، مثلما تضم في ترجمة الكاثوليك للكتاب...

(ب)- لا يتعاملون مع العهد القديم بالاحترام اللائق لكل تعاليمه، كما لو كان السيد المسيح قد نقض الناموس أو الأنبياء الذين قبله، أو اعتبار أشياء جوهرية في العهد القديم، وكأنها كانت مجرد رموز، وانتهت لتذوب في العهد الجديد! فإذا أثبتوا عقيدة آيات من العهد القديم، لا يقبلون ذلك على اعتبار أنه من العهد القديم! لأن الخط الذي يفصل بين الرمز والحقيقة الثابتة في العهد القديم، غير واضح عندهم و نختلف نحن معهم فيه كذلك...

12- لا يؤمنون بصيامات الكنيسة:

قد يقبلون الصوم كعمل فردي في أي وقت، ولكنهم لا يوافقون على أصوام محددة في مواعيد معينة يصومها كل الشعب، فهم لا يصومون الأربعاء والجمعة، ولا أسبوع الألام، ولا الصوم الكبير، ولا صوم الميلاد، ولا صوم العذراء، ولا صوم الرسل، ولا باقي الأصوام، كما لا يؤمنون بالصوم النباتي. لا يقبلون قيدًا على الإنسان في أكله وشربه بأية صورة...

13- لا رهبنة في البروتستانتية:

لا يوجد نظام الرهبنة، إلا عند الأرثوذكس والكاثوليك، أما الرهبنة فلا وجود لها في البروتستانتية، وكل الخدام متزوجون على اختلاف رتبهم.

حتى في الكنيسة الأسقفية، التي هي في وضع متوسط بين الكاثوليكية والبروتستانتية، تؤمن ببعض أسرار الكنيسة، كالكنهوت والأفخارستيا، لا يوجد فيها رهبنة، ولا تبثل، فالأساقفة ورؤساء الأساقفة، متزوجون أيضًا... سمعنا أخيرًا عن وجود رهبنة عند بعض الألمان البروتستانت...

14- لا يؤمنون بالصلاة على الموتى:

فلا يطلبون الرحمة لنفس الميت، ولا النياح له، كل ما يحدث أن يدخل جثمان الميت إلى الكنيسة، لنقرأ بعض الفصول وتلقى العظة، لمجرد تعزية أسرة المتوفى، أو

للاستفادة من الموت، ولكن لا يصلون مطلقاً من أجل الميت، ولا يطلبون مغفرة، ولا يسألون الله من أجل أبدية هذا الذي انتقل.

15- لا شفاعاة في البروتستانتية:

لا يؤمنون بشفاعة الملائكة، ولا العذراء، ولا القديسين، ولا شفاعاة الموتى في الأحياء، ولا الأحياء في الموتى، لا وساطة إطلاقاً بين الله والناس. وهذا يقود إلى نقطة أخرى، أو تتفرع عنها، وهي:

16- عدم إكرام القديسين:

لا إكرام للملائكة ولا للقديسين، فلا يحتفلون بأعياد القديسين، كما يفعله الأرثوذكس، ولا يقرأون في الكنيسة سنكساراً يشمل سير القديسين، ولا توجد عندهم تماجيد للقديسين، ولا ذكصولوجيات، ولا تذاكيات، ولا صلاة مجمع، ولا إكرام لعظام القديسين، ورفات أجسادهم. وهذه النقطة تقود إلى نقطة أخرى وهي:

17- لا أيقونات ولا صور في البروتستانتية:

وقد لعبت (حرب الأيقونات)، دوراً هاماً في التاريخ، بينهم وبين الكاثوليك. فلا يؤمنون بوجود صور وأيقونات في الكنيسة، ولا بإيقاد شمعة أمام صورة أحد القديسين، ولا بنذر ينذر على اسمه، فهذا نوع من طلب شفاعاة، وهم لا يؤمنون بالشفاعة. وتتعلق بهذا الموضوع نقطة أخرى وهي:

18- عدم بناء الكنائس على أسماء القديسين:

فلا تبنى كنيسة على اسم ملاك، أو شهيد، أو قديس، ولا تتسمى باسمه، إنما قد تتسمى الكنيسة، باسم المدينة أو الحي، مثل: الكنيسة الإنجيلية بشبرا، أو الكنيسة الإنجيلية بأسوط... أو قد تتسمى الكنيسة باسم فضيلة، مثل: كنيسة الرجاء... ولكنها لا تحمل اسم قديس... أما الأسقفيون فتوجد عندهم كنائس بأسماء القديسين، مثل: كاتدرائية جميع القديسين في القاهرة مثلاً، أو كاتدرائية سان بول بلندن...

19- الكنيسة كبناء:

البعض يتطرف فينكر الكنيسة كبناء، على اعتبار أن الله مهيمن على السماء والأرض، لا يسكن مكاناً، ولكن عموماً توجد كنائس للبروتستانت، ولكنها بلا هياكل، ولا حجاب، ولا تنقيد بمنارات أو قباب، وبلا أيقونات. كل ما فيها، منبر للوعظ ومقاعد، كالجمعيات التي تخصص في الوعظ عند الآخرين.

20- لا قبلة نحو الشرق:

كنائس البروتستانت لا تتجه إلى الشرق، مثل كنائس الأرثوذكس، كذلك إذا وقفوا للصلاة، لا يتجهون إلى الشرق، بل في أي اتجاه، حسب موضع كل منهم.

21- لا بخور ولا شموع:

لا يستخدم البخور في الكنائس البروتستانتية، ولا يوجد طقس رفع بخور العشية، ولا طقس رفع بخور الصباح، ولا تصحب الصلوات ببخور، والمبخرة غير موجودة في الكنيسة إطلاقاً، كذلك لا توجد شموع، ولا يرفقون قراءة الإنجيل، بإضاءة شموع.

22- لا توجد صلاة قنديل:

(أي صلاة مسحة المرضى)، سواء اعتبرت سرّاً من أسرار الكنيسة أم لا، هم لا يؤمنون بالأسرار، أو بأية صلاة طقسية، ولا بالصلاة على المرضى، كسر كنسي، فيه تقديس الزيت والدهن به.

23- لا صلوات أجنبية:

لا يؤمنون بالصلوات السبع التي للكنيسة، لا بمواعيدها ولا بمحتوياتها. ولا يلزمون بمبدأ الصلوات المحفوظة عموماً. يصلّى كل إنسان متى يشاء، وكيفما يشاء.

وهذا يقود إلى نقطة أخرى، وهي صلاة (أبانا الذي في السموات)، لا يستخدمونها في بدء الصلاة، ولا في نهايتها، ولا يلتزمون بها إطلاقاً، كما لا يلتزمون مطلقاً بصلاة المزامير، ولا مانع في بعض الاجتماعات، من أن تردد الصلاة الربانية، باعتبار أنه لا خطأ في ذلك، ولكن بغير التزام.

24- بعودة المسيح / الحكم الألفي:

ويؤمنون أن السيد المسيح، سيأتي في آخر الزمان، ويحكم ألف سنة على الأرض، يكون فيها الشيطان مقيداً. ويسود فيها السلام، ويرعى فيها الحمل مع الأسد... ولكن توجد اختلافات بين البروتستانت في تفاصيل الحكم الألفي.

25- لا يؤمنون بدوام بتولية العذراء:

بل يعتقدون أنها تزوجت بيوسف النجار، وأنجبت منه بنين، عرفوا باسم "أخوة يسوع" (إنجيل متى 13: 55، 56). ولا يكرمون العذراء، وكثيراً ما يلقبونها باسم "أم يسوع"، ولا يوافقون على عبارة "الممثلة نعمة" (لوقا 1: 28)، بل يترجمونها "المنعم عليها"، وينكرون صعود جسد العذراء إلى السماء، خلافاً لمعتقد الكاثوليك والأرثوذكس،

ولا يحتفلون بأي عيد من أعياد السيدة العذراء، وبعضهم يقول عن العذراء إنها
"أختنا"!!!¹

26- يؤمنون بحرية العقيدة وتنوعها:

فكل إنسان له الحق في أن يعتقد ما يشاء، ويعلم ما يشاء، وينشر ما يشاء من
معتقدات، دون سلطة كنسية تمنعه، فهم لا يؤمنون بالسلطة الكنسية، ومن هنا نشأت
عشرات المذاهب البروتستانتية، تختلف فيما بينها في كثير من العقائد، وإن كان يضمها
إطار عام في بعض النقاط. ويقولون أن هذا لون من التعدد Plurality، يثرى فكر
الكنيسة!، وكأنه لا يلزم، أن يكون لكل إيمان واحد (2).

27- مواهب الروح القدس:

كثير من المذاهب البروتستانتية، تؤمن باستمرار بموهبة الألسنة، ويعتبرونها دليلاً
على الملاء بالروح، أو دليلاً على قبول الإنسان للروح القدس، والبعض يقبل وجودها،
وانتشارها، ولزومها، ولكن ليس لكل. ولعل هذا واضح جداً في طائفة الخمسينيين، وفي
جماعات الكرزماتيك Chrismatic.

28- ينكرون الأبوة الروحية:

فلا يدعون أحداً أباً، ولا قساً، ولا أسقفاً، متأولين لقول السيد المسيح للأبء الرسل:
"لا تدعوا لكم أباً على الأرض" (متى 9:23).

29- لا يستخدمون رسم الصليب:

مع أهمية الصليب في البروتستانتية كوسيلة الرب لفداء البشر، و لا يكرمون
الصليب، كما يكرمه الأرثوذكس. لا يوجد عندهم عيد للصليب، كما يوجد عند
الأرثوذكس، ولا يبدأون الصلاة برسم الصليب، وباسم الآب والابن والروح القدس، كما
يفعله الأرثوذكس ولا ينهونها كذلك. ولا يمسك رعاتهم صلباناً في أيديهم، على أنه للرسم
وللبركة، وهم لا يؤمنون باستخدام الصليب للبركة، ولا بصدور بركة عن الأبء الكهنة،
ولا بطريق الرسم.

30- عقيدة الاختيار:

وفيها يؤمنون بعقيدة هي: اختيار الله البعض للخلاص، منذ الأزل، وعلى مبدأ النعمة
المطلقة، وعلى مبدأ سلطان الله المطلق. وكما يقولون: "إن الله بمجرد مسرته قد اختار

¹ راجع: إنجيل متى 13: 55، 56. ولوقا 1: 28
² -رسالة أفسس 4: 5.

منذ الأزل بعضًا للحياة الأبدية... فرز الله بعضا من الناس، وخصهم بالقضاء الإلهي للحياة الأبدية".

فلربما يكون هذا ما قد نبه اليه المسيح عليه السلام حينما قال في إنجيل يوحنا اصحاح 17 عدد 3: (3---17) "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" وهو نص في العهد الجديد الذي يبين عقيدة المسيح عليه السلام، عقيدة الموحدين المؤمنين، تميزا لها عن عقيدة فرقة الضالين الذين حادوا عن الحق منهم.

فقوله: (هذه هي الحياة الأبدية) أي دخول جنة الخلد، فلقد جعل يسوع (ع) الشرط الأساسي لدخولها (أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك).

فلو تأملنا قول المسيح "أنت الإله الحقيقي"، سنتساءل لماذا فاه المسيح بهذه العبارة بالذات؟ أ هل هو دليل على أن بعضا من أتباعه سيعبدون من بعده إلهها غير الإله الحقيقي وأنه سيكون مخلوقا مثلهم؟

الجواب على ذلك لن يكون إلا إيجابا: أي أن الاتباع فعلا قد عبدوا المسيح عليه السلام نفسه ومع الله أو بدلا من الله سبحانه، كما أنهم عبدوا أيضا روح القدس جبريل عليه السلام.

كما أن تنبيه عيسى عليه السلام بكلمة "وحدك"، تعتبر دليلا على أن ديانة التثليث ستوجد من بعده وعلى أنها باطلة. ذلك أن الإله -وعلى لسان اليسوع ذاته- واحد. إذن فبهذا يكون المسيح عليه السلام قد دحض الذين عبدوا المسيح ذاته من بعده، ذلك لأنه قال أن الإله الحقيقي هو الله و ليس هوالمسيح، وأن هذا الإله واحد لا شريك له حتى لا يعبد معه غيره أو من هو دونه.

ينضاف إلى ذلك أقوال أخرى للمسيح عليه السلام منها قوله في إنجيل يوحنا اصحاح 12 - 35: "النور معكم زمانا قليلا بعد. فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام. والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب". " 36 ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور"

44 فنادى يسوع وقال: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني". ونحو ذلك الخ...

هذه جملة من أحوالهم وزيجهم برواية أسفار الإنجيل عنهم، أما عن زيغهم برواية القرآن الكريم فكثير نقتصر منه على قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ

دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ¹.

+ طبيعة التدين عند اليهود:

ببحثنا واستقراءنا لأحوالهم أحوالهم وقفنا على النتائج الآتية:

خلافاً لعقيدة الكاثوليك الغربية والأرثوذكس الشرقية والبروتستانتية الاحتجاجية توصلنا إلى أن اليهود أقرب في تدينهم - إلى حدّ ما- للمسلمين في مسألة التوحيد وتفسير معنى الألوهية، ذلك في الأساسيات وإن اختلفنا معهم في بعض الفرعيات المتعلقة بفهم العقيدة.

¹- التوبة: 31.

أ)- أما عن الأساسيات التي اتفقنا حولها معهم:

فتلك التي توجد في سفر أشعيا (والذي يعتبره النصارى بمثابة الإنجيل الخامس بعد متى ومرقص ولوقا ويوحنا نظرا لكثرة النبوءات والتوصيات التي أوصلت بها، كما أنه يوجد فيه بشارات كثيرة جدا بالرسول ؟ وبرسالة الإسلام).

- ففي الاصحاح 44 عدد 24 : "أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ شَيْءٍ نَاشِرُ السَّمَاوَاتِ وَحَدِي بِأَسْفَلِ الْأَرْضِ. مَنْ مَعِيَ؟"¹.

- وفي الاصحاح 45 عدد 1 : "أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلَا إِلَهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلَهَ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. أَلَيْسَ سِوَايَ"². أو نحو ذلك الخ...

فعلى هذا فنصوصهم ونصوصنا عن التوحيد متفقة عموما لكننا نختلف معهم في التعبير عنها في أرض الواقع وفي التفصيل.

ب)- وأما عن الفروع التي اختلفنا معهم حولها: فتمثلت في

- أن اليهود: وصفوا الله بأوصاف لا دليق بذات إله باعتبار أن ذاته مقدسة وسامية فوق كل الذوات وكل الأشياء، ومن أمثال ذلك ما حكوا عن الله من أنه يسكر ويحزن ويندم ويبكي ويولول ويتصارع مع مخلوق (يعقوب) ويصرعه المخلوق بل ويحبسه.

- وأن اليهود: في دينهم حرفوا نصوصا عدّة لتتلاءم ومع مصالحهم، وقد اقتدى بهم في ذلك نظراؤهم المسيحيون، هم ينكرون أن يكونوا قد حرفوا التوراة إلا أن تتبعنا واستقرأنا واستجماع حصيلة ما كتبه كثير من الباحثين أكدت زيغهم وتحريفهم للتوراة.

- الأدوات الإجرائية التي اعتمدها في هذا الاستقراء؟

- نوعية الدراسة؛ تحقيقات (د. تتبع واستقراء) = Investigation Studying

- المرجع: المؤسسات الدينية، المعابد والكنائس المزارت، والأخبار والمعتقدون الذين حققنا معهم.

- فترة البحث: من 27 يونيو-إلى-24/ سبتمبر / 2018م = 1440هـ.

- المناقشة والتحليل؛

من تتبع معنا مضامين النصوص التوحيدية في كل الديانات الثلاثة سيلاحظ ما هنالك من توافق تام بين مضامين النصوص المؤطرة لعقيدة التوحيد في هذه الديانات الثلاثة،

¹ - إشعيا 44: 24

² - إشعيا 45: 1.

إلا أنه على مستوى التطبيق لاحظنا أن اليهود والنصارى تركوا النصوص الواضحة الدلالة على التوحيد إلى نصوص متشابهة حتى يستقيم لهم حمل الصريح مع المتشابه غير الصريح وتأويله به وتغليبه عليه.

ومن وجوه هذا التحريف عند اليهود،

- أن تصوروا إلههم تصويراً مقيتاً يبكي ويندم ويتعزى ويصرعه غيره ويحنت باليمين.
- كما اعتبروا الإله (ياهو Yahu - ايلوه Eloah - يهوه Jehovah) أنه خاص بهم ذلك وقد شاركهم في هذا طائفة شهود يهوه Jehovah's Witnesses - Watch Towers النصرانية الذين اعتبروا أن هذا الإله خاصاً بهم وحدهم من دون سائر الأمم...

أما النصارى الكاثوليك فقد جعلوا الإله ثلاثة. يقودهم في هذا الفهم المحرف شاول الطرسوسي Saul of Tarsus والذي تحول بعد ذلك إلى بولس الرسول أو القديس بولس Saint Paul وهو المؤسس الحقيقي لدين النصارى والذي صار أتباعه يعرفون بالبوليسية Paulism .

وبمقارنة اعتقاد هذه الطائفة وما كان عليه المسيح عليه السلام يتأكد لنا من خلال روايات كافة الإنجيل العالمية أن المسيح لم يقل بذلك على إذ عقيدة التثليث التي لم يقل بذلك على الإطلاق. لا يوجد نص واحد صريح ينص على التثليث، وأن ما دعا إليه المسيح هو التوحيد فقط.

- على أن هناك من يذهب إلى أن القول بالتثليث وجد أول ما وجد في رسالة يوحنا الأولى اصحاح 5 عدد 771 " / Jn:5:7: حاصل العبارة أن "الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد"¹.

وقد ثبت بعد تدقيق وتمحيص أن هذا النص مدسوس ومنتحل، بدليل أن هذا النص لا يوجد في أقدم النسخ وبعد ذلك قد تم حذفه من كل النسخ الحديثة بدءاً بالنسخة القياسية المنقحة RSV حتى باقي النسخ الجديدة وهذا النص لا يوجد إلا في نسخة الملك جيمس التي أجمع 32 عالم نصراني على أن هذه النسخة بها عيوب خطيرة.

- بينما يذهب آخرون إلى أن أول ما وجد فيه هذا النص هو من إنجيل متى اصحاح 28 عدد 19 / 19: Mt:28:19 ونصه: "فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"².

¹- راجع: اصحاح 5 عدد 771 " / Jn:5:7: (SVD)

²- راجع: إنجيل متى اصحاح 28 عدد 19 / 19: Mt:28:19 (SVD).

وللتدليل على أن هذا النص مدسوس في إنجيل متى أنه تم اكتشاف نسخة من إنجيل متى باللغة العبرية لا يوجد بها هذا النص ، والذي يقرأ العهد القديم يعرف سر وحشية اليهود والنصارى.

نستنتج من طرح هذا الموضوع أن الأصل في ديانة هؤلاء هو التوحيد لكنهم شوهوا هذا الإيمان جملة وتفصيلا لغاية في نفوسهم، وكفى بهذه الأمثلة دليلا على دحض ادعاءات التثليث.

نخلص إلى طرح سؤالي مفصلي حاصله :

إذا كانت النصوص الدينية واضحة في أن الأصل في عقيدة الديانات الثلاثة هو التوحيد، فلماذا اختلفنا في طرق طاعته وعبادته ومسالك الاستدلال ومستويات إدراك حقيقة ألوهيته وربوبيته ووحدانيته؟.

- ما سر هذا التعدد في في الأطياف الدينية التي تدين بوجوده وتدعي عبادته؟ ثم ومع التسليم بأننا كمسلمين مختلفون مع النصارى واليهود في توحيدهم وعبادته، فهناك أيضا عند المسلمين اختلافات في طرق التدليل على وجوده ووصف حقيقته؟.

=====

الفرضية الختامية (بآفاق وأبعاد جديدة)؛

وعلى ما تقدم تطفو أسئلة فرعية دقيقة لازمة عما سبق نفترضها كما يلي:

- ما الفرق بين التوحيد والواحدية؟

- ما الفرق بين التوحيد والوحدانية؟

- ما الفرق بين افتقار الواحد واستغناء الواحد؟

موضوع الدراسة رقم 2: معنى التوحيد والوحدانية والواحدية والأحدية

- الشقّ النظري:

- بديهي أن الكلمات الثلاث أصلها واحد في الإطلاق اللغوي وكلها تصب في معنى الفردانية وعدم التركيب. لكن على المستوى الاصطلاحي نجد فروقا بينها.
- فالتوحيد: هو أهمّ مبدأ عقدي في الإسلام، بحيث عليه يقوم بنيانه كلّهُ.
- بينهما الوحدانية هو الأمر البديهي الذي في الديانات السماوية قبل التحريف.
- أما الواحدية: فهو معنى مدلول عليه عمليا بأنه الموجود الذي لا يصح فيه التركيب.
- وأما الأحدية فهو المعنى المفيد لأنه تعالى فرد على غير مثال وأنه بذلك لا شريك له ولا مثيل ولا شبيه.

- الشقّ التطبيقي:

عنوان الدراسة: الفرق بين افتقار الواحد واستغناء الواحد

1- جرد انتقائي بالنصوص الدينية المميزة بين المفهومين

- قوله تعالى: {قل يأيها الناس أنتم فقراء إلى الله والله هو الغني الحميد}
- وقوله تعالى: {وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} ¹. أو نحو ذلك من النصوص الدينية الدالة على غنى الله وافتقار غيره إليه!

2 - إشكاليات الدراسة؛

وتتلخص في التماس الأجوبة عن كيفية استغناء الله تعالى عن الخلق، والوسائل الكيفيّة بتسديد تلك الأجوبة لتنسجم مع الحقيقة الوجودية لله تعالى ومن ثم كشف أسباب افتقار الخلق إلى الخالق دون أن يكون العكس؟

أجراء الدراسة التطبيقية؛

أجريت دراسة تحليلية (Analytical) وعملية تجريبية عملية مستعينا بوسائل مادية كما بأساليب ومناهج براغماتية مختلفة، تطبيقيا على معنيي: **الوحدانية المطلقة والوحدانية المفتقرة**

3 - التحليل:

* **الوحدانية المطلقة:** وهي - عند جمع محصلة تعريفاتها من مختلف مصادرها السننية - وصف خارجي من المخلوق للخالق موافق للمنقول علم المخلوق بالأمارات السننية كما

¹ - سورة الزريات 58.

علم بالمنقول أنها خاصية من خصوصياته. وأن من هذا حاله لا يمكن أن يفنقر إلى غيره
تعلّى عن ذلك علواً كبيراً. والبيات في ذلك كثيرة.

* **الوحدانية المفنقرة:** هي كل الآحاد المنبئة في الوجود الطبيعي المحسوس وهي آحاد
منفصلة تتركب مع بعضها لتتكون منها أجسام مركبة هي نحن البشر وكافة ما ينطبق
عليه اسم الشينية.

4 - دراسة تجريبية عملية :

وخلصتها أن كل واحد من آحاد الكون إلا وهو بحاجة إلى آحاد أخرى تقويه. لأنه
باجتماع هذه الآحاد تتكوّن الأجسام، وتتكوّن الأعضاء، وتتكوّن الأحياء، والأنظمة
كالنظام العصبي ونظام الجهاز التنفسي أو نظام المناعة إلخ. بخلاف الوحدانية المطلقة
فإن الوحدانية المفنقرة عبارة عن أعداد بأرقام محددة بين حدّ أعلى وحدّ أدنى في
مكونات الأجسام.

وهو ما تأكّد لنا من وقوفنا على عدد كبير من التحليلات المخبرية التي أفادنا بها
مختبر بوعياذ للتحليلات الطبية (نرجس-فاس). والتي أنجزت بتاريخ؛ 03 / 11 /
2018م = 1440هـ.

5 - المناقشة والتحليل؛

إذا كان هذا هو حال الآحاد الكونية التي كل منها مفنقر إلى غيره لتشكيل جسم أو
منظومة، يبقى السؤال عن وحدانية الله تعالى مجارة لاعتقادات الأرثوذكس
والكاثوليك.

* ما معنى (وحدانية الله)؟

- 1- فهل الله واحد بمعنى أنّ له ثانياً وثالثاً، كما نقول عند عدّ الأشياء: واحد.. اثنان..
ثلاثة...، وهو ما يُسمّى بـ (الوحدة العددية)؟
- 2- أم أنّ الله واحد بمعنى أنّه لا يوجد له شريك ومثيل؟، وأن هذا الشريك المماثل له في
صفاته كان ممكناً أن يكون، ولكنّ لم يحدث وبعبارة أخرى: أنّه في عالم الإمكان
والفرض يمكن أن يكون لله شبيه آخر، لكن في عالم الوجود المتحقق لم يقع ذلك، وهو ما
نسّميه بـ (الوحدة الخارجية)؟

ومن هذا القبيل في الشهود أنه كان يمكن أن تكون في مجموعتنا الشمسية شمس
أخرى، لكنّ ذلك لم يحصل، وأن العرب لم تسمّ بـ (الشمس) إلا هذه، أما غيرها فسمّته
(نجماً)، وهكذا لم يكن هناك في الخارج واللغة إلا موجود واحد يصدق عليه أنه
(الشمس).

2 - أم أنّ الله واحد بمعنى أنّه لا يمكن - أصلاً - أن يكون له ثان، (لا أنّه يمكن لكنّه لم يقع)، هذا السؤال ينفي وجود مثل وشبيهه بطريق (الإمكان)، فيلزم عنه أن ما استحال إمكاننا استحال تحققاً فيبقى الله وحده وهو (الوحدة الحقّة الحقيقية)؟

6 - اعتراض مفترض والجواب عنه:

قد يعترض علينا معترض بأن هذا الموضوع حشو وزيادة عما في القرآن وأن المتكلمين قد ناقشوه في دليل التمانع؟.

والجواب عنه موافقة لسماحته الشيخ علي آل موسى:- أن كلّ الآيات التي ذكرت لفظ (الواحد) - بصورة (المعرفة) - كصفة لله تعالى، جاءت مقترنة بصفة (القهار)، وقد تكرّر ذلك في القرآن الكريم منها: **الْقَاهِرُ الْوَّاحِدُ** ، نستفيد منه أنّ وحدة الله ليست كأى وحدة وجودية محسوسة بل وحدة غالبية قاهرة.

- وحيث تبين من فحص قدرات أحاد الكون وأنها متفاوتة وأن ما يتفاوت قوة وضعفا فهو متناهي ومحدود القدرة لا يصح في قدرته القول معها بأنها قاهرة.

- وحيث إنها وحدات عددية لمحدودات عددية وقدراتية تنتهي لتعقبها وحدات وقدرات أولى وثانية وثالثة

- وحيث تبين بالاستدلال أن الله تعالى لا يصح أن تكون وحدته خارجية بمعنى أنه ليس خارج ذاته شبيه له في الوجود.

لم يبق إلا أن وحدته (وحدة حقة حقيقية)، سابقة للموجودات في سبقية أزلية متعالية عن الزمان والمكان فاعلة غير منفعة لا يمكن معها وجود إله آخر فضلاً عن وقوعه، ولذلك نقول: إنّ شريك الباري محال، ممتنع الوجود، ولا أنّه ممكن ولكنّه لم يوجد .

ما معنى أحدية الله؟

ثبت بالمنقول أن الله سمي نفساً أحداً **بَلَوْرَةً إِخْلَاطِيَّةً** ؟؟؟؟
الأحدية في تقديري تحتمل عدة أوجه بالتحليل الفيزيائي والكيميائي لأحدية افتراضية انطلاقاً من واقع الأحاد المحسوسة. في الافتراضات الآتية:

(أ)- الوجه الأول: ماسة برتقالية صغيرة ليست مركبة من أجزاء وجودية (وجه، يد، ساق،....) وهو ما يُسمّى بـ (التركيب الخارجي).

(ب)- الوجه الثاني: تعريف لفظي لماسة برتقالية صغيرة ليس مركبا من (جنس ولافصل)، ولا من (ماهية ووجود)، وهذا ما يُسمّى بـ (التركيب العقلي).

(ج) - الوجه الثالث: ماسة برتقالية صغيرة ليست مركبة لا في الخارج (الواقع الوجودي) ولا في الوهم. فأنت تتصور لها وجودا لكن لا يمكن أن تتصور لها حقيقة يحيط بها الذهن إحاطة تفصيلية.

فإذا ثبت هذا بهذا الافتراض العقلي فإن تصور حقيقة وجودية للباري تعالى من ذاته لا يمكن أبدا وإلا أدى ذلك إلى الإحاطة بوجوده. وما يتصور فيه الإحاطة بوجوده تتصور فيه الأبعاد وما تتصور فيه الأبعاد يتصور فيه الافتقار أي افتقار تلك الأبعاد إلى بعضها وإلى غيرها فيستحيل في حقه معنى الألوهية.

= فينتج أن حقيقة الباري تعالى لا تعرف إلا من آثاره وفعله وفي هذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: "من تفكر في ذات الله تزندق"، فإنه لم تتطالع العقول على تحديد صفته"، ويقول الإمام السجاد: "وانحسرت العقول عن كنه معرفته". وهذا الكلام الحكيم من علي رضي الله عنه يحيل إلى أن الله تعالى ليس مركباً ولو على سبيل (التركيب التخيلي) - وهو (الوهم).

غريب جدا أن هذه الوجوه الثلاثة نستنتجها من كلام أمير المؤمنين وهو قوله: ".... وقول القائل: (إنه - عز وجل - أحدي المعنى)، يعني به: أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربنا - عز وجل -"¹.

ولعل القارئ البسيط إزاء هذا المستوى من الإدراك والفهم وإزاء هذا النص الذي صدر في العصر الأول للإسلام قد يعتبره من قبيل التأثير بالفلسفة اليونانية.

هذا الفهم المستعصي على بعضنا حتى الآن - ونحن في القرن الواحد والعشرين - كان ذكره أمير المؤمنين كجواب على سؤال أعرابي سأله في أوج اشتداد المعركة بينه وبين طلحة والزبير وعائشة في معركة الجمل. وما كان فيها من جلبة خيلها وصليل سيوفها، ووسط تطاير الأيدي والرؤوس!!، فقال: يا أمير المؤمنين، أتقول: إن الله واحد؟، فحمل الناس على الأعرابي وقالوا له: أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب؟!، فقال علي: ﷺ دعوه، فإن الذي يريده الأعرابي هو ما نريده من القوم"².

ثم أجابه ﷺ وهو بين زحمة الألوف والصفوف والسيوف: "يا أعرابي، إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام: وجهان منها لا يجوز أن على الله - عز وجل -، ووجهان يثبتان فيه:

- فأما اللذان لا يجوز أن عليه فقول القائل: (واحد) يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز؛ لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: (إنه ثالث

¹ - الشيخ الصدوق، الخصال/2، باب الواحد، ح 1.

² - الخصال/2، باب الواحد، ح 1.

ثلاثة). وقول القائل: (هو واحد من الناس)، يريد به: النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز؛ لأنه تشبيه، وجلّ ربّنا وتعالى عن ذلك.

- وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه: فقول القائل: (هو واحد ليس له في الأشياء شبه)، كذلك ربّنا. وقول القائل: (إنّه - عزّ وجلّ - أحديّ المعنى)، يعني به: أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربّنا - عزّ وجلّ -¹. هكذا فقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام المعاني الأربعة السابقة كاملة:

- 1) - الوحدة العددية: " (واحد) يقصد به باب الأعداد".
 - 2) - الوحدة الخارجية: "أي (هو واحد من الناس)، يريد به: نوعا من جنس".
وهذان الوجهان هما "اللذان لا يجوزان عليه" -جلّ وعلا-.
 - 3) - الوحدة الحقة الحقيقية: أي "هو واحد ليس له في الأشياء شيء".
 - 4) - الأحدية: أي " (إنّه -عزّ وجلّ- أحديّ المعنى)، يعني به: أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم".
- والأخيران هما "الوجهان اللذان يثبتان فيه" -سبحانه وتعالى-.
- وبدمج معطيات النصّين - القرآني والروائي - نخرج بالخريطة التالية حول موضوع (وحدة الله):

وحدة الله لها معنيان:

1 - **الواحدانية**: ومعانيها هي:

أ- الوحدة العددية.

ب- الوحدة الخارجية.

وهذان المعنيان لا يصحّان في الإطلاق على الله.

ج - الوحدة الحقة الحقيقية (وهو المعنى الصحيح للوحدانية).

ومما يثبت الوحدانية أمور، هي أنّ الله:

¹ - الخصال/ 2، باب الواحد، ح 1.

أ- لم يورث الألوهية لأحد، فلا إلهة سوا الله؟؟؟؟؟؟.

ب - لم يرث الألوهية من أحد، فلا إله سوا الله؟؟؟؟؟؟.

ج - لم يكن معه مقارن في الألوهية؟ فلا إله من الأهل؟؟؟؟؟؟؟.

فانعدم الإله السابق واللاحق والمزامن (لا إله إلا الله)!!

2- **الواحدية:** وللواحدية - كذلك - معانٍ هي:

أن الأحدية نفي التركيب، ونفي التركيب يكون بثلاثة معان:

أ- نفي التركيب الخارجي.

ب- نفي التركيب العقلي.

ج- نفي التركيب التخيلي¹

===

7 - **استنتاج:**

نستنتج من هذا ما يلي:

1- أن علم العقيدة المتمحور حول التوحيد ينذر بأنه مجال خصب للبحث بمختلف الوسائل العلمية الدقيقة.

2 - وأن الاستيعاب الجيد لهذا العلم بحاجة إلى عقل فلسفي، رياضي، وفيزيائي علمي تجريبي إلى جانب العقل الروائي النقلي.

¹ - المرجع: سماحة الشيخ علي آل موسى في محاضراته يوم 5 / 2 / 2015م - 8:16 ص، الموضوع الواحدية والأحدية...

موضوع الدراسة رقم 3 " الإيمان والإلحاد »

العنوان: تقبل أو عدم تقبل المؤمن للملحد وتقبل الملحد للمؤمن أو عدم تقبله له
الشقّ النظري:

1- مفهوم المؤمن

(أ)- المفهوم اللغوي؛ المؤمن/ الإيمان في اللغة: هو التصديق، ويقال آمنه ضدّ الخوف (إذا أنجاه منه)، والله يعطى الأمان لمن استجار به واستعانه.
(ب)- المفهوم الاصطلاحي؛ وهو في القرآن الكريم على ثلاثة معان متباينة لكنها تصب في نفس المقصد.

1. المعنى الأول: هو المصدق وهو في معهود الناس (كأن يحدثك أخوك أو صديقك حديثاً غريباً فتقول له: أنا مؤمن بحديثك).

2. أما الثاني: فكل إنسان اعتقد أن الله هو خالقه وان الرسول الذي بعثه هو نبي الله وان الحساب حق والآخرة حق وغير ذلك من أمور الغيب فهو المؤمن.

3. وأما الثالث: فهو اسم من أسماء الله تعالى كما ورد في سورة الحشر " هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن"¹.

يتأسس على هذا أن المؤمن بمنطوق الشرع: هو من وحد الله بالإشهاد له (أنه لا إله إلا هو)، وأنه من يؤمن أولياءه من عذابه، ويؤمن عباده من ظلمه، وأنه خالق الكون، وأنه خالق الخوف والأمن، وأن كون ه سبحانه مُخوفاً لا يمنع من كونه مؤمناً، كما أن كونه مُذلاً لا يمنع من كونه معزاً، إذ هو المؤمن المخوف كما هو المعز والمذل في الآن ذاته، فتأمل مع قوله تعالى (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون)².

يقول محمد بن عبد الرحمن العريفي (في الفرق بين المؤمن والمسلم): المؤمن هو من يصدق بما سمعه من الرسول (؟)، والمسلم هو يتفانى في تحويل ما سمعه من إيمان وعمل إلى سلوك يومي يرضي الله جل جلاله.

(ج)- خصائص المؤمن وصفاته؛

1. المؤمن الحق، عادل مع نفسه ومع الآخرين، يحمي نفسه من السهر والضجر والتذمر واللامبالاة والسلبية، ويحمي الآخرين من تسلط نفسه الأمانة عليهم، لا يطالب بحقوقه إلا بعد أن يؤدي كامل مسؤولياته بكامل الالتزام والإتقان والإحسان.

¹- سورة الحشر الآية: 23

²- كاتب الموضوع Wana Maly، في قسم: القسم الإسلامي العام.

2. المؤمن الحقيقي يطبق ما صحَّح عن رسول الله بأنه ما ضرب امرأة قط، بل يضع أمه تاجا على رأسه، ويكرم زوجته، ويرحم أخته، ويعطف على ابنته، ويداوم على زيارة خالاته وعماته.
3. المؤمن الحق، طموح فعال نشيط مشغول بمعالي الأمور، له ورد يومي من كتاب الله وسنة رسول الله ؟ للقراءة ثم للفهم ثم للتطبيق العملي ثم للدعوة ونشر هذه الكنوز والجواهر الروحية النفيسة بين كل الناس.
4. المؤمن، حيي يستحي أن ينهر السائل، ويستحي أن يعامل أهله وأقاربه وأباعده معاملة لا ترضي حبيبه الأعظم ؟، ويستحي أن يأخذ ما ليس له، ويستحي أن يعامل جيرانه معاملة تختلف عن معاملة النبي ؟ لجيرانه.
5. المؤمن الحق، صادق في الكلام إن تحدث!
6. وهو من يحول كلماته إلى أفعال واقعية حقيقية الشيء الذي يبرهن على حسن إسلام المرء، وحسن اقتدائه كما على حسن أخلاقه.
7. إن عاملك المؤمن فإنه في ذلك صادق في حديثه وأمين على مالك، على وديعتك، على مشاعرك وأحاسيسك وحتى على أسرارك، لأنه كتوم للسر، مراع للأمانات، محافظ على ما استودعته عنده مثل محافظته على نفسه.
8. المؤمن، كريم يبذل كل ما في وسعه وأكثر، ذلك في سبيل نقل مغنمه إلى الآخرة، تراه يعطي الشيء وهو في أمس الحاجة إليه، يقينا منه بأن (ما عند الله خير وأبقى) القصص60، واعتقادا جازما منه أن (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) النحل96.
9. المؤمن، حنون حساس رقيق القلب والوجدان، يشعره الصوم بضعف المريض، ويشعره الحج بعجز العاجز، وتشعره الزكاة بضيق ذات يد المحتاج، وتشعره الصلاة في الجامع بوجوب مساعدة الآخرين والعمل ضمن فريق، ترفع مسكنة الأرامل واليتامى عنده ويستجيب لها بجس المسؤولية في محاولة لتفريج كربهم.
01. المؤمن، صبور لا يقنح فعلا من أفعال الله، يرضيه ما يرضي الملك سبحانه وتعالى، قد خفض جناح الذل للمعز المذل الخافض الرافع، لا يشكو همه للناس كي لا يزيد بل يشكو همه فقط لرب الناس كي يزول.

11. المؤمن الحقيقي طائر جميل رأسه محبة غامرة لله سبحانه وتعالى، وجناحاه خوف من عقابه، ورجاء لثوابه، وهكذا فهو يتقي أن يراه مولاها فيما لا يرضاه ويجتهد في أن ينال أكبر ثواب يزيد فرص دخوله الجنة.

21. المؤمن الحق وفي لكل أصحاب الفضل عليه، لوجه العظيم الكريم المتفضل و لنبيه الكريم عليه الصلاة والسلام ثم للوالدين الحنونين ثم للإخوة الأحباء ثم للمعلمين ثم للأصدقاء الأوفياء ثم للزوجة الصابرة على الضراء الشاكرة في السراء.

31. المؤمن صادق الإيمان لا يحقر أحدا ولا شيئا، يحترم الكبير ويعطف على الصغير ولا يبغض الناس أشياءهم ولا يعير من امتحنهم الله ببعض الامتحانات الشكلية أو المضمونية.

41. صفات المؤمن الحقيقي أنه يحب النبي ؟ ويتبعه في كل أقواله وأفعاله وأحواله، جعلنا الله منهم فاللهم آمين¹

=====

2 - الملحد

(أ)- المفهوم اللغوي؛

الإلحاد لغة مصدر قولهم : ألد يلد، وهو مأخوذ من مادة (ل ح د) التي تدل على الميل عن الاستقامة، يقال ألد الرجل : (إذا مال عن طريقة الحق والإيمان)، وسمي اللحد لحدا لأنه مائل في أحد جنبي الجذث (القبر)، والملحد : الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه.

وقال الراغب: يقال: لحد بلسانه إلى كذا: إذا مال.

وقال الجوهري: وألد فلان: مال عن الحق، وألد في دين الله، حاد عنه وعدل، ولحد لغة فيه، وألد الرجل: أي ظلم في الحرم، والتحد مثله، وأصله من قوله تعالى: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم)، والباء في (بالحاد) زائدة، الملحد: الجائر بمكة.

وقال ابن منظور: لحد في الدين يلد، وألد مال وعدل، وقيل: لحد مال وجار.

وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الْمُحْدُ؛ الْعَادِلُ عَنِ الْحَقِّ الْمُذْخِلُ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، يُقَالُ: قَدْ أَلْحَدَ فِي الدِّينِ وَأَلْحَدَ أَيَّ حَادٍ عَنْهُ، وَرُوِيَ: أَحَدْتُ: مَلْتُ، وَأَلْحَدْتُ: مَارَيْتُ وَجَادَلْتُ وَأَلْحَدْتُ: مَارَى

¹ - صاحب المقال: احمد طقش / بالتاريخ 04 :مارس 2011.

وَجَادَلَ، وَمَعْنَى الْإِلْحَادِ فِي اللُّغَةِ الْمَيْلُ عَنِ الْقَصْدِ، وَلَحَدَ عَلَيَّ فِي شَهَادَتِهِ يُلْحَدُ لِحَدًّا: أَثِمَ،
وَلَحَدَ إِلَيْهِ بِلِسَانِهِ: إِذَا مَالَ.

وَقَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ
عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل: 103) قَرَأَهَا حَمَزَةٌ مِنْ (لَحَدَ) ثَلَاثِيًّا، وَقَرَأَ بَاقِيَ السَّبْعَةِ بِضَمِّ الْيَاءِ
وَكَسْرِ الْحَاءِ مِنْ (أَلْحَدَ) رُبَاعِيًّا، وَهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، يُقَالُ: أَلْحَدَ الْقَبْرَ وَلَحَدَهُ إِذَا أَمَالَ
حَفْرَهُ عَنِ الاسْتِقَامَةِ، فَحَفَرَ فِي شِقِّ مِنْهُ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِكُلِّ إِمَالَةٍ عَنِ الاسْتِقَامَةِ، وَالْمَعْنَى:
لِسَانُ الرَّجُلِ الَّذِي يُمِيلُونَ قَوْلَهُمْ عَنِ الاسْتِقَامَةِ إِلَيْهِ لِسَانٌ أَعْجَمِيٌّ غَيْرُ بَيِّنٍ.

ب)- المفهوم الاصطلاحي؛

قَالَ الْكَفَوِيُّ: الْإِلْحَادُ هُوَ الْمَيْلُ عَنِ الْحَقِّ، وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفًا لِعَوِيًّا، وَمِنْ
الْمُمْكِنِ أَنْ نَقْتَسِمَ مِمَّا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ تَعْرِيفًا اصْطِلَاحِيًّا فَنَقُولُ: الْإِلْحَادُ: هُوَ الْمَيْلُ عَنِ
الْحَقِّ وَالْعُدُولُ عَنْهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ بِنَيْتِهِ الْحَرَامِ أَوْ بِآيَاتِهِ الْكِرَامِ فِي دَلَالَتِهَا
أَوْ فِيمَنْ نَزَّلَتْ عَلَيْهِ.¹

ج)- الخصائص؛ المتعلقة بالملحد وصفاته،

تتضافر مجموعة من الخصائص لتكوين شخصية الملحد وهي بالسبر والتجربة
والمعاينة الميدانية تتلخص عندي فيما يلي:

❖ أولاً: الخصائص النفسية للإلحاد: وهي ثلاثة:

المراحل النفسية التي يمر منها الملحد

الخصائص الذهنية للعقلية الإلحادية

الملاوعي وعلاقته بسلوكية الملحد.

❖ ثانياً: الأساليب الدفاعية النفسية للإنسان الملحد، ويشمل:

الانغلاق على الذات

النفق الاجتماعي

التفريغ العنيف

¹ - راجع المنهل الثقافة التربوية <https://www.manhal.net/index>

التفريغ التفريعي

الاستلاب

والنرجسية¹.

¹- راجع : صفحة منتدى التوحيد، مقالة ل(ابن عبد البر الصغير) الموضوع: سيكولوجية الإنسان الملحد التاريخ: أكتوبر 2011م وهو باحث متخصص.

- الشقّ التطبيقي:

عنوان الدراسة التطبيقية: الملحد في مجتمع المؤمن أو المعتقد

1 - المعطيات الدينية المتعلقة بفقهاء الأقليات في الدين (الفقه الإسلامي) نموذجاً¹

2 - إشكالية الدراسة؛ وخلصتها في هذه التساؤلات:

لماذا أضحت قضية الأقليات الدينية مسألة مهمة في مجتمعاتنا المسلمة المعاصرة؟

- هل بمعنى أن الاهتمام بها عبارة عن خطاب دعوي، يجب على فقهاء الدين بذل الجهد في سبيل إعادة توعية الأتباع المتقلبين نحو الإلحاد بخطئهم؟

- أم بمعنى أنه مجرد خطاب موضوعي يستحق التقدير والعناية شأنه شأن أي خطاب موضوعي متجرد من الذاتيات والأنانيات العصبية؟

فإن افترضنا صواب السؤال الأول ، فما رأي فقهاءنا اليوم ومشاعرهم حول نقاب الناس إلى الإلحاد في مجتمعاتهم تصرّحاً أو ضمناً؟

- هل هي أحاسيس إيجابية تنطلق من قاعدة (لا إكراه في الدين) ، ما مدى صدق هذه الأحاسيس مع شروطها وما نسبتها المئوية، ولماذا هذه النسبة بالذات؟

- أم هي أحاسيس سلبية تنطلق من قاعدة (تفريط القيم على الدين) ، وما نسبتها المئوية، ولماذا هذه النسبة بالذات؟

وإن افترضنا صواب السؤال الثاني ، فلم إذا نفرق الفقه إلى فقهين: فقه المسلمين وفقه أقليات نحن من فرطنا فيهم بأن خرجوا من الإسلام إلى دين آخر؟

إنها الإشكالية التي حملتنا على التماس الأجوبة السليمة لها كإسهام متواضع منا في سبيل معالجتها. وهكذا جاءت الدراسة على النحو الآتي:

3-أجراًة الدراسة التطبيقية؛

بناء على عنوان الموضوع وإشكاليات المطروحتين، أجرينا دراسة ميدانية استعنا فيها بوسائل إعلامية وأخرى، فقادتنا أطوار تلك الدراسة إلى الاطلاع على الحقائق الآتية:

¹ - حيث الدين لم يمنع ذلك، أي إقامة الأقلية في المجتمع الإسلامي أو الديني ككل، (فالسيرة النبوية/ التاريخ الإسلامي) خير مثال على ذلك، انظر الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة في عهده صلعم كنموذج.

نوع الدراسة	عنوان الدراسة	الإشكالية المطروحة على الأفراد	% النسبة (الإيجابية)	(السلبية % النسبة)
إحصائية	الإيمان والإلحاد	هل تتقبل الملحد في مجتمعك؟	76%	24%
Statisticso ndage/fr(أجابوا بـ (نعم)	أجابوا بـ (لا)
المساهمون / المرجع				
				1 - أفراد المجتمع (أي المجتمع المدني الموجهة إليهم السؤال والمطلعة على آرائهم)
				2 - والمؤسسة الإعلامية فرانس24(في برنامجه في فلك الممنوع).

4- الميدان/الأدوات المتمدة في الدراسة

- المجتمع المدني

- والمؤسسات الإعلامية

- المناقشة وافتراض الحلول

بالغربة، أن يبدي الناس شعورا مخالفا لمكوناتهم فكأنهم يحبون الشيء في الظاهر بينما يكرهونه في بواطن أنفسهم وذلك من خلال ما رأيناه في طرق تعاملهم مع الآخر في تقاربهم وتحاورهم أو محاججاتهم لغيرهم في الرأي وعن الشأن الديني صراحة، هي حقائق اكتشفناها ليس وحسب في نطاق هذه الدراسة النموذج بل في كثير من الدراسات التي أجريناها في مختلف أطوار هذه الرسالة.

ولكن وجب الاعتراف بالأمر الذي هون علينا تحمل هذه المعادلة المتناقضة عند هذه العينات المبحوثة في مجتمع كوت ديفوار والمجتمع المغربي هو ما لمسناه من تمكننا رغم ذلك من تعايشنا مع الأقلية الدينية دونما أية حرب معه ا تحت شعار ضمان أمن مجتمعنا واستقراره اللهم، إلا أن يحدث العكس يوما ما في ظل ما يفترض من تقلبات الوضع الاجتماعي والسياسي في واقع هو مضطرب أصلا ويحمل أسباب الخوف من المستقبل.

5 - الخلاصة/ النتيجة = The Resume

يعيش معظم الناس في مجتمعاتهم الإسلامية مع الملاحظة دون أن يكونوا متقبلين في أنفسهم وضعهم ، وذلك تحت شعار ضمان الأمن والاستقرار لبلادهم. وذلك إن دلّ على شيء فإنما يدل على الرسالة الثقيلة التي يضطلع بها فقهاء اليوم. كيف يؤسسون لحركة

دعوية نشيطة فاعلة قادرة على منع تقلب الناس نحو الإلحاد وقادرة على استقطاب الأقليات الدينية كما كان الأمر في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وزمن الخلافة الراشدة. وهو ما يدعو بناء على ما قدمناه أنفا إلى ضرورة إعادة النظر في طرائق الفكر الدعوي التقليدي باعتماد آليات العلم التجريبي بما من شأنه تقريب الدين إلى الناس كمنظومة صديقة للواقع لا غريبة عنه . وهو عمل من شأنه أن يرتقي بالدعوة إلى مهنية فاعلة لها من القوة الإقناعية ما ترسخ به الدين في القلوب المتلقية. تلك في تقديري مسؤولية العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

6 - الفرضية الختامية (بأفاق وأبعاد جديدة)؛

■ ما الذي يجب -إذاً- فعله حتى نتغلب على معادلة التعايش مع الملاحدة (كما باقي الأقليات الأخرى) في المجتمعات الإسلامية؟

- هل نفرض عليهم معتقد البلد؟ لكن بأي وجه وبأي شروط؟
- أم نقبلهم على ما هم عليه (تحت شعار الانفتاح وحرية التدين)؟
- أم يقبلون بشروط ذكية مقابل بقائهم على إلحادهم وهي شروط تحمل في طياتها أسباب استقطابهم . هل عليهم بدورهم أن يتقبلوا الحد الأدنى مما نحن عليه في سبيل تأهيلهم لتقبل الكل؟ لكن بأي وجه وبأي آليات؟

موضوع الدراسة رقم 4: المذاهب والفرق العقائدية في الدين

1. - الشقّ النظري:

أ)- المفهوم اللغوي؛

كلمة المَذْهَبُ: من جذر: ذهب. ووزن المذهب: مَفْعَل). ومَذْهَبُ الرَّجُلِ: سيرته/ ومذهبه في الدين: اعتقاده/ والمَذْهَبُ: الخلاء يُذْهَبُ إليه لقضاء الحاجة . يكون المذهب مصدرًا لمعنى الذهاب، وموضعًا للذهاب أيضًا . وفي الحديث «أن ابن عمر كان يأمر بالحجارة تطرح في مذهبه يستطيب به¹». والمذهب: بفتح فسكون من ذهب، الجمع: مذاهب، الطريقة والمعتقد².

ب)- المفهوم الاصطلاحي؛

المَذْهَبُ هُوَ مَجْمُوعَةُ الآرَاءِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ فِي مَجَالِ دِينِيٍّ أَوْ اجْتِمَاعِيٍّ أَوْ فَلَْسَفِيٍّ³ .

وهو طريقة خاصة في استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، و الاختلاف في طريقة الاستنباط تتكون المذاهب الفقهية. أما الاختلاف في العقائد اختلافًا لا يخرج عن الإسلام فيكون الفرق العقيدية . وإن خرج الحلاف عن الإسلام فيكون الأديان religious law School of...⁴

ج)- أسباب الافتراق ومظاهره:

1. تأويل نصوص الكتاب والسنة على غير مراد الله تعالى

2. الأخذ ببعض الدين وترك البعض الآخر

3. استجلاب فكر غير إسلامي وإقحامه في الإسلام

4. تأجيج فكرة التفرقة والطائفية في الدين

5. جلب المصلحة الخاصة -أو الطائفية- باسم الدين

6. أو تطويع الدين لخدمة السياسة

¹ - راجع: شمس العلوم- نشوان بن سعيد الحميري -المتوفي: 573هـ/1177م.

² - معجم لغة الفقهاء-محمد رواس قلعه جي/حامد صادق قنبيبي-صدر: 1405هـ/1985م.

³ - المعجم الغني -عبد الغني أبو العزم-صدر: 1421هـ/2001م.

⁴ - معجم لغة الفقهاء-محمد رواس قلعه جي/حامد صادق قنبيبي-صدر: 1405هـ/1985م.

أما عن أهمّ الأصول التي وقع فيها هذا الافتراق فهي:

- الإيمان
- القدر
- الأسماء والصفات
- الإمامة.

(د)- مظاهر من سلبيات نهج المذهبية والتفرقة في الدين:

- 1 - التشدد
- 2 - القومية
- 3 - التفرقة
- 4 - زرع روح التقاعس، وكسر حس الاجتهاد في الأمة ضدا على منهج الأسلاف، والركون إلى المحاكاة والتقليد، ومنه التمييز بين القاضي المجتهد والقاضي المقلد على طريقة المحاكم الأندلسية والمغربية بعد العصر الموحد.

(هـ)- إيجابيات المذهبية والفرقية في الدين على الأمة

- 1- إثراء الفكر العقدي والفهمي بمدونات كثيرة في الفقه والعقيدة تجعل منها مرجعا تراثيا زاخرا يمكن الرجوع إليه عند الحاجة على الرغم من الأخطاء والانفراطات الواقعة فيه.
- 2- إنكاء حس الاجتهاد بالتمييز بين مختلف العلل التي استند إليها المختلفون في الدين احتكاما إلى المرجعية الأصولية والمرجعية الكلامية الأصيلة لترجيح المذهب السليم على المذهب السقيم.¹ ...

=====

٢ - الشقّ التطبيقي:

عنوان الدراسة (المراد إجراؤها)؛ // تبني المذهبية والفرقية في الدين، وعدمها

1- المرجعيات الدينية التي عليها مدار الدراسة.

- قوله تعالى: (وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ 153) الأنعام، ونحو ذلك من الآيات²

¹- لمزيد راجع: لا مذهبية في الإسلام ولا فرقية/ ص 32/ 2014م لدوسو هارونا.
²- كما في قوله تعالى-أيضا-: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ 159) الأنعام. وقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

- وقال بن مسعود (رضي الله عنه): خط لنا رسول الله ? خطأ وقال هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال: هذه سبل وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه. ثم قرأ: " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله"¹ الحديث أخرجه: أحمد في مسنده/ الجزء: 28 / الصفحة: 367.

=====

2- إشكاليات الدراسة؛

بناء على مضمون هذه النصوص المجردة والواضحة الدلالة فهل علينا القول بأن هذه النصوص ليست صريحة ومجملّة تحتاج إلى البيان؟ فإذا كانت صريحة فما الداعي إلى الاختلاف؟ أم هي الحزبية والطائفية التي تأولت الدين من أجل جعل ل لأنفس نفوذا في العالم الإسلامي، كما المسيحي كذلك (مما يدفع بأصحابها إلى التماس ما يدل على ذلك فيما انتهت إليه الطوائف العقديّة من المسالك المنهجية المتباينة كما حال المعتزلة والأشاعرة والماتريديّة والشيعة والحنبلية بمن فيهم الحشوية والتجسيمية؟

3- إجراء الدراسة التطبيقية؛

وفي سبيل الكشف عن الجواب الشافي لهذه الأسئلة وتطبيقا على الميدان خلصنا إلى النتائج الآتية حسب الجدول الآتي:

نوع الدراسة	عنوان الدراسة	الإشكالية المطروحة على الأفراد	وحدة المذهب والعقيدة الدينية	لمذاهب الدينية
إحصائية Statistic (Sondage/fr)	المذهبية واللامذهبية	هل تؤيد المذهبية والفرقية في الدين؟	النسبة % 52.63	النسبة % 47.37
			أجابوا لصالح صف واحد في الدين (أي لاللامذهبية)	أجابوا لتعدد الصفوف في الدين (أي للمذهبية)
		1. جامع القرويين-فاس. 2. كنيسة سان فرانسوا-فاس. 3. جامعة سيدي محمد بن عبد الله-فاس 4. المتمدرسين / واللا متمدرسين.		

4 - الميدان/الأدوات المعتمدة في الدراسة

تَهْنَدُونَ (103) آل عمران. وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «كذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾» الحديث، ونحو ذلك من الآيات والأحاديث بذات الصلة.
1 - الانعام/ الآية: 153

اعتمدنا في هذه الدراسة الإحصائية = Statistic Studying على هيئات ومؤسسات دينية، ومؤسسات أكاديمية وتربوية، ومساجد، ومعابد، وطبقنا استجواباتنا على كل طبقات المجتمع // تاريخ الاجتياز؛ أبريل / 2018م = 1439هـ.

5 - المناقشة وافترض الحلول

تقودنا نتائج هذه الدراسة إلى الاعتقاد بأن الوعي بالمسألة المدروسة شيء وواقع الأمر شيء آخر. فعلى الرغم من وجود نسبة مهمة من المستجوبين يرفضون الطائفية والمذهبية ويتخوفون من النتائج التي يمكن أن تسفر عنها في المجتمعات الإسلامية إلا أنك عند المعاينة تجد كثيرا منهم متحيزين لطائفة متعاطفين معها.

وبتقصي أسباب ذلك توصلنا إلى ما يلي:

(أ) - أن وجهاء المذاهب العقديّة من الأساتذة الباحثين والفقهاء ومعهم أتباعهم ، ومشايخ الطرائق ومعهم مریدوهم ، ووجهاء الحزبية في الدين ومؤيد وهم لا يزالون في البلاد الإفريقية يدافعون عن فكرة الطائفية الدينية -على اختلاف مسمياتها مع وحدة الأغراض- بكل ما أوتوا من قوة.

(ب) - أن البرنامج المدرسية والجامعية لا تزال تزكي المذهبية. وتدعو إلى الخصوصية المذهبية.

(ج) - أن المناضلين في إفريقيا من أجل توحيد الصفوف تحت مذهبية الإسلام قليلون جدا لصعوبة تكوين منظومة جامعة لكل المذاهب وهو نفس ما يصدق على الطوائف المسيحية في مختلف البلاد الإسلامية والبلاد المسيحية على السواء.

وعلى هذه النتائج يثور سؤال عن افتراض الحلول لواقع المجتمعات المسلمة الإفريقية الغارقة في الطائفية المذهبية.

6- فرضيات الحلول للتشرد المذهبي الداخلي للأمة

أ - العمل على استخراج مدونة فقهية جامعة من الراجح في كل مذهب ومن المتفق عليه بين المذهب وتدوينه وتعميم نشره في سبيل أن يجل تدريجيا محل الفقه الطائفي المذهبي

ب - وضع منظومة جامعة من اختيارات القواعد الأصولية واعتبارها المعيار المرجعي في الاجتهاد دون ما عداها. إذ من شأن ذلك أن يحد من فتح الذرائع لتاويلات بعيدة للدين وفقا لمصالح الأفراد والجماعات. ومن ذلك مثلا التشديد على تحديد طبيعة العلاقة بين السنة والقرآن والاحتياط في اعتماد الأحاديث الحسنة والضعيفة بدعوى التماس تقويتها بطرق مختلفة مشبوهة كما حال الحنابلة والوهابية اليوم وهو أمر خطير.

ج - العمل على إنشاء مجالس التقريب بين المذاهب - أو العمل على التوفيق والجمع بين الآراء المتفرقة بما يجعلها قابلة للعمل بها وفقا لأحوال مخصوصة ومناطق مخصوصة.

7 - فرضيات الحلول للصراع الديني بين الإسلام وبين اليهودية والمسيحية

وفي سبيل أن يستقيم الحوار الديني بين الأديان الثلاثة وتهيئته لإمكانية تقليص هوة الخلاف العقدي بينها نفترض ما يلي:¹

أ - الصدور في محاوره الأخر عن منظومة عقديه وفقهيه موحده

ب - محاوره الأخر في الدين الأخر في ضوء المشترك بين أطرافه من جهة، وفي ضوء المختلف عليه بينها كطريق إلى إثبات التناقض في عقائد الأخر. وهو ما يصدق على الدين اليهودي والمسيحي معا.

ج - العمل على جرد إحصائي لأطراف اليهودية والمسيحية معا وتلخيصها في مرجعيات مهيئة للباحث من أجل تبسيط عمل الرجوع إليها لمناقشتها في ضوء المرجعية الإسلامية. وجعلها المرجع الأساس في الحوار الديني بين المسلمين المسيحيين واليهود معا؛ سواء:

د - في دين موسى عليه السلام و المتمثلة في الطوائف كالأرثوذكسية اليهودية والإصلاحية، والمحافظه (والتراثية)، و الحرادية)، هذبالإضافة إلى حركات اليهودية العنصرية كالصهيونية...

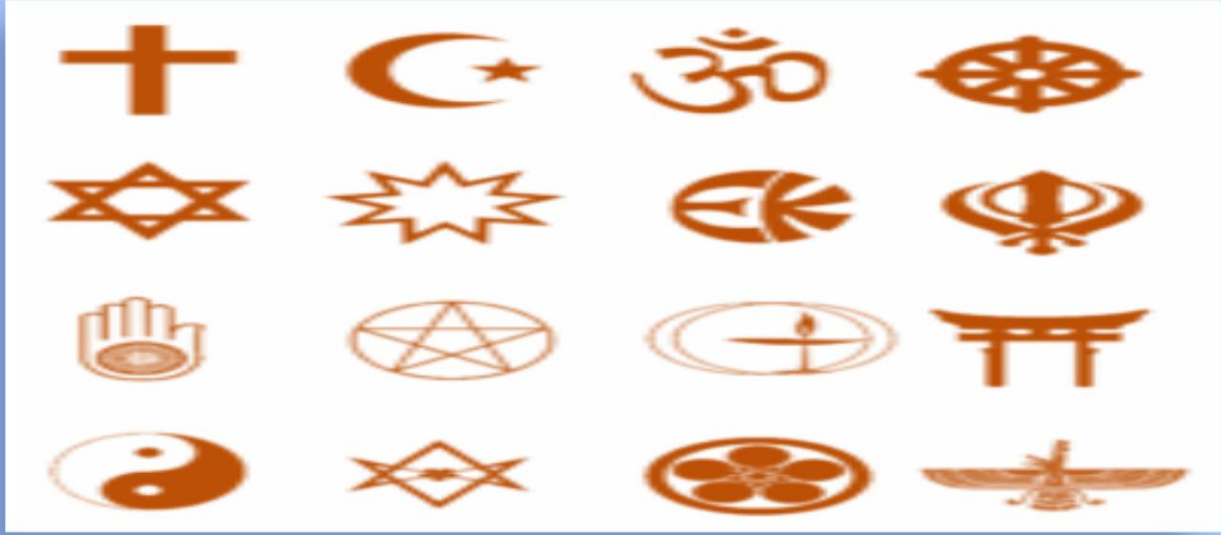
هـ - أو في دين اليسوع عليه السلام على غرار الطوائف الأربعة الكبرى التي تشكل 99% من المسيحيين والتي هي؛ (الكنيسة الكاثوليكية، الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، الكنيسة الأرثوذكسية المشرقية، والكنائس البروتستانتية المختلفة). بالإضافة إلى حركات داخلية أجراها حركة حوار مسكوني التي تنشط في تعزيز وحدة المسيحيين.

إذا سلمت هذه الافتراضات وهي لا تخرج عن دائرة إمكان التحقق أمكن الحديث عن إمكانية حوار ممكن بيننا وبين الأخر عبر مؤتمرات علمية حقيقية. فحري بالقيمين على المعاهد والجامعات الأكاديمية توجيه البحث نحو حصر المشترك وحصر المختلف فيه داخل نفس الدين أو بين الأديان الثلاثة وأطرافها مجتمعة. وبهذا يصح لنا أن نمثل في حوارنا لنداء الله تعالى الذي أجراه على لسان نبيه ليعلم المسلمين مسالك الحوار وشروط خوض غماره وهو قوله تعالى: (قل تعالوا إلى كلمة سواء بيننا...)².

¹ - قدمت المدرسة الأفريقية الروحية حلولا على هذا النحو الآتي، ولكن كمزيد للمعلومات يستحسن الرجوع إلى كتاب: Dosso Harouna / 2016 / École Spirituelle Africaine (ÉSA).

² - ال عمران/ الآية: 64

موضوع الدراسة رقم 5 : الحوار الديني الحضاري



I. الشقّ النظري:

(أ)- المفهوم اللغوي للحوار الحضاري:

يطلق لفظ الحوار في كلام العرب وتراد به عدة معان أهمها:

- الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وهي دلالة تقترب من دلالة لفظة "حوار" التي تدل على: التحدث والتجاوب القولي، فالمحاوره: المجاوبة، واستحاره: استنطقه¹. وتتسع دلالة الحوار. لكن أن اشتد هذا الحوار المفروض فيه أن يكون على شكل مراجعات كلامية مترددة بين طرفين صار جدالاً أو حواراً جدالياً لا يؤمن معه من التعسف على أصول المناظرة².

- والحوار المراجعة في الكلام بهدوء وسلام³، يقال " تحاوروا إذا تراجعوا الكلام بينهم"⁴، لكن قد يرد اللفظ بصيغة الحيرة وهي تردد المخاطب بين رأيين وقولين ومذهبين لا

¹ - لسان العرب، ابن منظور، إعداد: يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار صادر، ودار لسان العرب، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، ج1، ص750.

² - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط3، دون تاريخ، ج1، ص212.

³ - لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص750. وجاء في دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1971م، مج3، ص647 " تحاور الناس: تراجعوا الكلام وتداولوه".

⁴ - المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص212.

يرسو على أحدهما وهذا ما قد يقلب الحوار إلى ضده ليأتي بنتائج عكسية خلافا للحوار العادي الذي الأصل فيه البحث عن الحق والاتفاق سلفا على ذلك.¹

ب)- المفهوم الاصطلاحي؛

يعني الحوار "الحديث الذي يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات... ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس"²، ومن هنا -وكما أشار له د. مصطفى عطية جمعة في مقالة له ذات الصلة-، يرتقل الحوار إلى ما ينتجه العقل البشري من آداب وحكمة يشهد لها المعقول والمنقول. ذلك أن الأدب صورة عاكسة للنشاط الإنساني العقلي واللغوي والاجتماعي الطبيعي التساكني. وهو قاسم مشترك بين سائر الأشكال الأدبية مثل: المسرحية والقصة والرواية والمناظرة والمناسحة والحكمة والعظة وأيضا في الشعر فهناك الكثير من القصائد التي تشمل الشكل القصصي الحواري، دون أن ننسى ما قد يكون بين الشعراء من سجال أشبه بالمحاورة من قبيل النقائض والمجاوبات التي حفلت بها كتب الأمالي والتاريخ.

ج) مقترحات المدرسة الروحية الإفريقية لحوار ديني حقيقي

قدمت المدرسة حلولا لامتناس الوضغ المضطرب بين المذاهب وبين الأديان في إفريقيا (for absorbaton of the situation). نذكر منها:

- 1- إضعاف فكرة المذهبية في الدين الإسلامي (لتقليص هوة الشقاق بين أبناء الملة الواحدة).
- 2- تأليف قلوب الفرق والأطياف الدينية في إفريقيا والعزف على وتر الضمير الديني السامي الجامع.
- 3- الاجتهاد في تحرير المشترك العقدي من اختلافات الأطياف المسيحية والكتابية وإقناع الكتابيين به بقدر إقناع المتشددين من المسلمين به.
- 4- إشاعة المسلمين بين الكتابيين ثقافة الإيمان بالله وحده وكونه المعبود الأوحد قبل تحريف الأديان.
- 5- نشر ثقافة الإيمان برسول الله كلهم ومحبتهم جميعا دون استثناء
- 6) إشاعة فكرة اعتبار المسلمين بقصص الرسل كلهم بين الكتابيين

¹ - القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1416هـ، 1996م، ص488.

² - المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة أولى، 1979م، ص100.

- 7) إشاعة فكرة أن ما لم ينسخه الإسلام من أحكام شرائعهم هو أيضا شريعة للمسلمين.
- 8) وضع منظومة مركزة بهذه التوصيات في سبيل التأسيس لدستور تعايشي بين المسلمين والكتابيين. يصادق عليه علماء المسلمين وعلماء الكتابيين.
- 9) انتقاء النصوص التوحيدية الدالة بوضوح على المشترك العقدي بين الأديان الثلاثة من نسخ العهد القديم والجديد وتضمينها وثيقة التعايش بين الأديان.
- 10) انتقاء النصوص التوحيدية الدالة على المشترك العقدي بيننا وبين الكتابيين من القرآن الكريم وتضمينها وثيقة التعايش.
- 11) انتقاء الأحكام الفقهية الدالة على حقوق الأقليات الدينية في الإسلام وتضمينها وثيقة التعايش بين الأديان.
- 12) انتقاء محطات تاريخية مشرقة من تاريخ الإسلام في تعايش المسلمين مع الكتابيين. وتضمينها وثيقة التعايش بين الأديان.
- 13 - جعل القاعدة الأصولية: (شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ) بندا أساسيا من بنود الوثيقة.

=====

الشقّ التطبيقي: الحوار الديني في تقدير العينات المبحوثة في المغرب وكوت ديفوار

1 - المرجعية الدينية التي عليها مدار الدراسة الميدانية:

ننتقي من ذلك:

- قوله تعالى على لسان نبيه: **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ؟ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَإِن تَوَلَّوْا فَعُقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ 64** " سورة آل عمران.

2- إشكالية التنزيل الميداني

حاولنا من خلال هذه الدراسة الاطلاع على الرأي العام لدى الناس حول القضايا الآتية:

- هل فعلا الناس مقتنعون بتعددية الأديان في المجتمعات، وهل يوافقون على إمكانية إجراء حوارات دينية دورية بين المسلمين وبين الكتابيين؟

- أم لا يوافقون على الحوار اعتمادا على قاعدة: (أن الدين عند الله الإسلام) ، وأنه لا حوار وقد تبين الرشد من الغي؟ وأن الكتابيين إن شأؤوا أسلموا وإن شأؤوا كفروا وظلوا على أديانهم.

- ما هو الدين الذي يفضله المستجوبون هل الإسلام؟ أم المسيحية؟ أم اليهودية...؟

فجاءت نتيجة الاستجواب كما يلخصها الجدول الآتي:

نوع الدراسة	عنوان الدراسة	الأسئلة المطروحة على الأفراد
إحصائية Statistic (Sondage/fr)	الحوار الديني	هل تؤمن بحوار الأديان؟ أم بوحدة الأديان؟
		الذين أبدوا تأييدهم له كانوا الذين أبدوا تأييدهم له كانوا
		الذين أبدوا تأييدهم له كانوا الذين أبدوا تأييدهم له كانوا

66.67%

(هي النسبة التي أبدت تأييدها لوحدة الأديان ومعارضتهم لتعدد حوار الأديان)

33.33%

(هي النسبة التي أبدت تأييدها لتعدد الأديان والحوار بينهم)

- 1 - جامع القرويين.
- 2 - كنيسة سان فرانسوا-فاس.
- 3 - الشوارع.

المرجع والمساهمون

3 - ميادين إجراء الدراسة الإحصائية

- جامع القرويين (فاس-المدينة)

- كنيسة سان فرانسوا-فاس = Sans François (Fes)

- جامعة سيدي محمد بن عبد الله- كلية الحقوق والاقتصادية والاجتماعية (فاس-ظهر المهرارز)

- الأفراد في الشارع.

4 - تاريخ الإنجاز أبريل / 2018م = 1439هـ.-

5 - مناقشة نتيجة الدراسة وافترض الحلول

1- بالنسبة للمسلمين المستجوبين خلصنا من خلال النسب المئوية في المستجوبين أن قلة من من يؤمنون منهم بالحوار مع الكتابيين. إذ يكاد جل من استجوبناهم من المسلمين في جامعة القرويين خصوصا يجمعون على أن الإسلام مؤيد من الله لا يحتاج إلى من يدافع عنه. لكن ذلك لم يمنع من وُمنون بالحوار الديني معهم.

2- ولا يختلف الأمر كثيرا مع المسيحيين المستجوبين سواء من المواضيع على على الصلاة في كنيسة سان فرانسوا- بفاس أو مع مسيحيي الشارع إذ يكادون يجمعون على أن الدين الحق هو دين اليسوع وأنه هو ما يجب تبليغه ودعوة الناس إليه . مع أن منهم من يؤمن بإمكانية الحوار.

2 - لكن الدهشة كانت مع المسلمين المغاربة المستجوبين إزاء اليهود حيث يكادون يجمعون على أنه لا يجب الحوار مع اليهود إطلاقا، بينما اليهود المغاربة أبدت نسبة مهمة منهم استعدادها للحوار.

6 - ملاحظة:

من الغرابة بمكان أن تجد تخصصات في الحوار الديني بالمغرب يرفض أغلبيتهم الحوار مع اليهود وهو ما يدعو إلى طرح تساؤلات عن مستقبل الحوار الديني في إفريقيا اعتبارا لكون المغرب هو حلقة وصل بين المسلمين الأفارقة وبين المسيحيين في أوروبا وبينهم وبين اليهود من جهة أخرى باعتبار أن للمغرب جالية يهودية بالملايين في العالم كله.

7. الخلاصة/ النتيجة = The Resume

نستخلص من العرض أهم ما يلي:

أنه لا يزال الطريق طويلا أمام من ينادون اليوم بالحوار والحضاري مع انعدام شروطه. فشتان ما بين أن ننظر لشيء وبين أن ننقله إلى ساحة التطبيق الواقعي. ففي عصر أضحى فيه العنف الديني يتزايد في الشرق الأوسط والأنى وإفريقيا، وجب قرع ناقوس الخطر في آذان الهيئات العلمية الجامعية وغير الجامعية الرسمية وغير الرسمية في المغرب والكويت ديفوار وكل العالم الإسلامي من أجل إعادة النظر في برامج تدريس الحوار الديني وتاريخ الأديان، وذلك بالعمل على وضع أرضية علمية فاعلة قادرة على اكتساح الميدان قادرة على النزول إلى الشارع من أجل حوار ديني حضاري بناء له مرجعية مسلمة بين المتحاورين بشروط الحوار الحضاري والديني الأنيق.



موضوع الدراسة رقم 6: إلى متى ستصمد العلوم الإسلامية في وجه العلوم العلوم التكنولوجية؟؟

1 - أسئلة الدراسة وأجوبتها

وجهنا هذ السؤال إلى شرائح عريضة من المجتمع الإفواري. وهو سؤال له خطورته خاصة مع المجتمعات الأقل ثقافة دينيا كما الحال عندنا في إفريقيا السمراء عموما وفي الكوت ديفوار خصوصا. ووجه خطورة السؤال تكمن في توجس المسلمين الأفارقة ضعيفي الثقافة الدينية من المستقبل الدراسي لأبنائهم في ظل هذا الزخم التكنولوجي العارم. إذ كيف يمكن إقناعهم بجدوى العلوم الإسلامية بالنظر إلى العلوم التكنولوجية التي آمنوا بها ونخاف أن تصبح هذه التكنولوجيا هي دينهم يوما ما وبذلك يتخلون عن الدين الإسلامي.

ذلكم هو السؤال الذي وجهناه للعينة المبحوثة في شعب كوت ديفوار وقد استعنا في ذلك بمؤسسات دينية وأكاديمية مرموقة قادتنا إلى الحقائق التي يلخصها هذا الجدول

نوع الدراسة	عنوان الدراسة	الإشكالية المطروحة على الأفراد	النسبة % (الإيجابية)	النسبة % (المتحفظة)	النسبة % (السلبية)
إحصائية	دور الدين وعلومها في المجتمع	هل ترى للدين دورا في الحياة الاجتماعية، وفي عالمنا هذا؟	96.42% هم من اجابوا ب (نعم)	3.57% أبدو تحافظهم عن دور الدين في عالم اليوم	0.01% هم من اجابوا ب (لا)
Statistic					
(Sondage/fr)					

المساهمون / 1 - الطلبة
المرجع
2-الباحثون (سلك الدكتوراة)
3- طلبية الشريعة
4- طلبية الحقوق
5- اللاتمدرسون
6- والشارع

2 - المناقشة والتحليل:

- سجلنا تجاوبا من المستجوبين مع سؤالنا إياهم وعائنا أن هناك وعيا بالخصوصية الدينية للمسلمين الإفواريين وأن هناك هما حقيقيا يحملونه في قلوبهم ألا وهو الحفاظ على الدين الإسلامي بهذه الرقعة الجغرافية .
- سجلنا أن دور رجال الدين والقيمين على التعليم الديني هام جدا في كوت ديفوار وهي جهود جبارة لا تنكسر.

إلا أن هذا لا يمنعنا من أن نتساءل إلى أي حد سيصمد أبناؤنا في المدارس الدينية علما بأن آفاق الشغل في هذه المدارس محدودة. وهو ما يدعو إلى التساؤل عن الوسائل الكفيلة بضمان استمرارنا في التثبيت بديننا في خضم هذا الهجوم التكنولوجي والإليكتروني الكاسح.

- إلى أي حد ستستمر سلسلة العلماء في بلدنا ممن يقدمون الدين للناس كدين أسمى بديل عن سائر الأديان؟

- متى سنرى ثمرات تنزيل الدين الإسلامي وتقديمه للمعتنقين في ثوب آخر يغويهم بما ينطوي عليه من منافع مادية ونفسية بطريقة علمية مخبرية مقنعة كما قدمناه أنفا بشروط جديدة وعقلية عملية جديدة؟.

موضوع الدراسة رقم 7: ما الدين الأكثر شمولاً والأقل شمولاً؟

1- المرجعية الدينية التي عليها مدار الدراسة

- قوله تعالى: { ... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ... } الآية 38/ سورة الأنعام.

2 - إشكاليات الدراسة؛

بناء على هذه الآية وغيرها فإن عدة أسئلة تطرح نفسها في هذا الموضوع:

- هل للآية مفهوم مخالف للمنطوق يفيد أن التوراة والزبور والإنجيل وقع فيها تفريط؟
- أم أن الآية لا مفهوم لها وان منطوقها مؤول بأن كل كتب الله السماوية لم يقع فيها تفريط وأنها مكتملة بحسب طبيعة الأزمنة التي نزلت فيها وأحوال الأقسام الذين نزلت فيهم؟
- بأي وجه يصح إقناع البسطاء من لدن الدعاة بأن الدينين المسيحي واليهودي قاصران وغير شاملين مقارنة بدين الإسلام؟
- هل اليهود والنصارى يعترفون في قرارة أنفسهم بأن أديانهم غير شاملة مقارنة بالإسلام ومع ذلك يكابرون؟
- إذا سلمنا هذا ما هي الوسائل الكفيلة بتحويل تشبثهم بعقائهم إلى تخليهم عن أديانهم واقتناعهم بدين الإسلام؟

أسئلة وأمثالها قادتنا ونحن نستجوب بها العينات المبحوثة في الميدان إلى النتائج التي يلخصها هذا الجدول:

2 - (أجراء الدراسة التطبيقية)

نوع الدراسة	عنوان الدراسة	الإشكالية المطروحة على الأفراد	النسبة % (الإيجابية)	النسبة % (السلبية)
إحصائية Statistic (Sondage/fr)	الدين الأكثر شمولاً وحضوراً على كافة الأصعدة	أيهم أكثر شمولاً؛ ● الإسلام ● أم المسيحية ● أو اليهودية؟	المؤيدون 80%	اللامؤيدون 20%
			الدليل/ الحجة استناداً إلى قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله (اليوم أكملت لكم دينكم... ورضيت لكم الاسم ديناً) الآيات ونحو ذلك من الحجج الدامغة ذات الصلة	الدليل/ الحجة استناداً إلى أن الدين الحانز على كتاب واحد (أي القرآن فقط) لا يمكن له أن يكون الأشمل مقارنة بدين قوم (بني إسرائيل) علما عندهم من كثرة الكتب (العهد القديم والعهد الجديد)
المساهمون أو المرجع	جامع القرويين. 2- كنيسة سان فرانسوا-فاس. 3- الشوارع.			

3 - الميدان/ الأدوات المعتمدة في الدراسة الميدانية

- أجرينا البحث الدراسي الميداني على عينات متعددة في مختلف المؤسسات الدينية من مساجد وكنائس ومعابد ومؤسسات أكاديمية وتربوية
- تاريخ الإنجاز = أبريل / 2018م = 1439هـ -.

4 - المناقشة وافترض الحلول؛

لاحظنا أن أغلب من استجوبناهم يرون أن دينهم هو الأشمل دون باقي الأديان.
سؤالنا هنا: أترى هؤلاء الذين استجوبناهم أجابوا عن تعصب أم عن وعي؟ وهل من صوتوا عن وعي صوتوا عن علم أم عن جهل وقصور النظر؟

وافترضنا للحلول لا نملك إلا العودة إلى التأكيد على الدعوة إلى إعادة النظر في شروط أسباب وأدوات التواصل مع الآخر ليس فقط من خلال طرح الأسئلة ولكن من خلال تأهيلهم لفهم الأسئلة والتجاوب معها عن وعي وعن اقتناع. حينئذ يصح التقييم وهو أحد الأسباب المؤهلة للحوار الديني بين الإسلام من جهة وبين المسيحية واليهودية من جهة ثانية.

المطلب الثاني: الدِّينيات التَّطبيقية من خلال نظام العبادات

أولاً: مفهوم العبادة لغة واصطلاحاً

- العبادة لغة: هي الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد للغير انقياداً طوعياً، لا عصيان فيه، ولا مُقاومة معه؛ فنقول: بعير معبَّد؛ أي: مُنقاد سَلِس . ويرادفه الشعيرة والطقس والتقدّيس وفي المعجم الوسيط، العبادة: هي الخضوع للإله على وجه التعظيم.

- العبادة شرعاً: هي كل الشعائر التي يعبد بها الله امتثالاً عن اعتقاد سابق من قبيل "الصلاة، الزكاة، والصيام والحج" وما يتصل بذلك كالطهارة والعقوبة والذبائح وغيرها. وسنقتصر من دراستنا هذه على بعض النماذج من العبادات للكشف مخبرياً على ما تنطوي عليه من الفوائد العلمية.

النموذج التطبيقي الأول: قسم النجاسة: المنى بين النجاسة والطهارة طيباً ودينياً المرصد الأول: نجاسة المنى في الفقه الإسلامي مقارناً بالطب • الشقّ النظري:

1 - مفهوم المنى:

هو ماء مائل إلى البياض يخرج بقوة وبكثرة على إثر اللذة الكبرى. ويخرج بطرق مختلفة منها: الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة، الاستمناء، والاحتلام. ويترتب على خروج المنى شرعاً وجوب الغسل أو الوضوء الأكبر.

• الشقّ التطبيقي:

1 - المرجع الديني الذي عليه مدار الدراسة

- عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: ((جاءت أم سليم- امرأة أبي طلحة- إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق؛ هل على المرأة من غسل، إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، إذا رأت الماء))

وجه دلالة الحديث:

أن الحديث يدلُّ على أن من احتلم فرأى الماء- أي: المنى- فعليه الغسل. وقد نقل الإجماع على ذلك: ابن حزم، وابن عبد البر، وابن قدامة، والنووي، وابن تيمية¹

¹ - الموسوعة الفقهية-لدرر السنية/ المصدر: صحيح النسائي وو حديث صحيح.

الفرع الثاني: مَنْ احتلم ولم يُنزل

مَنْ احتلم ولم يُنزل منياً، أو لم يرَ شيئاً، فلا غُسلَ عليه، وذلك باتِّفاقِ المذاهبِ الفقهيةِ الأربعةِ: الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشافعيَّة، والحنابليَّة، وحُكي الإجماعُ على ذلك

الدليل من السنَّة:

عن أمِّ سلمة، أمِّ المؤمنين رضي الله عنهما: أنها قالت: ((جاءت أمُّ سليمٍ- امرأةُ أبي طلحة- إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقالت: يا رسولَ اللهِ، إنَّ اللهُ لا يستحيي من الحقِّ؛ هل على المرأةِ من غُسلٍ إذا هي احتلَّمت؟ فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: نعم، إذا رأتِ الماءَ))

وجه الدلالة:

أنَّ الحديث يدلُّ على أنَّها إن لم ترَ الماءَ، فلا غُسلَ عليها.

الفرع الثالث: مَنْ رأى منياً ولم يتذكَّر احتلاماً

مَنْ رأى منياً ولم يتذكَّر احتلاماً، فإنَّه يجبُ عليه الغُسلُ، وهذا باتِّفاقِ المذاهبِ الفقهيةِ الأربعةِ: الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشافعيَّة، والحنابليَّة، وحُكي الإجماعُ على ذلك

- عن أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين رضي الله عنهما أنها قالت: ((جاءت أمُّ سليمٍ- امرأةُ أبي طلحة- إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقالت: يا رسولَ اللهِ، إنَّ اللهُ لا يستحيي من الحقِّ؛ هل على المرأةِ من غُسلٍ إذا هي احتلَّمت؟ فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: نعم، إذا رأتِ الماءَ))¹

- ومن حديث عائشة رضي الله عنها وفيه (سألتُ سُلَيْمَانَ بْنَ يَسَارٍ، عَنِ الْمَنِيِّ يُصِيبُ ثَوْبَ الرَّجُلِ أَيْغَسِلُهُ أَمْ يَغْسِلُ الثَّوْبَ؟ فَقَالَ: أَخْبَرْتَنِي عَائِشَةُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَغْسِلُ الْمَنِيَّ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي ذَلِكَ الثَّوْبِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى أَثَرِ الْغَسْلِ فِيهِ)².

2 - إشكاليات الدراسة؛

تروم الدراسة معرفة السبب العلمي الكامن وراء نجاسة المني إذ كون الغسل واجبا شرعا وفورا على إثر خروجه، جعلنا نتساءل؛

¹ - رواه البخاري (282)، ومسلم (313).

² - - سألتُ سُلَيْمَانَ بْنَ يَسَارٍ، عَنِ الْمَنِيِّ يُصِيبُ ثَوْبَ الرَّجُلِ أَيْغَسِلُهُ أَمْ يَغْسِلُ الثَّوْبَ؟ فَقَالَ: أَخْبَرْتَنِي عَائِشَةُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَغْسِلُ الْمَنِيَّ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي ذَلِكَ الثَّوْبِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى أَثَرِ الْغَسْلِ فِيهِ.

- بأي وجه هو نجس مع أن غير المتدينين بالإسلام لا يستعجلون الفورية في الغسل ويحيون كما يحيا المتدينين يتناسلون كما يتناسلون، يتزوجون كما يتزوجون ؟
- كيف يكون نجسا ما منه خلق الإنسان العاقل المميز عن سائر المخلوقات والذي قال فيه تعالى : (إنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) ¹ هل التطهر من المنى المراد به مجرد الامتثال أم هناك ما وراء الامتثال لا نعرفه ويعرفه العلم؟.

أسئلة سنعمل على التماس أجوبة لها من التشريح المخبري لنرى وجه العلاقة بين نتائج البحث التجريبي في هذه المسألة ومقاصد الشريعة من إيجاب الغسل من المنى وتحريم الصلاة والصيام على من كان جنبا.

3 - إجراء الدراسة التطبيقية²

4 - الخبرة الطبية (مستشفى الغساني)

5 - رأي (الفقه الإسلامي).

6 - ميدانيا دراسة مجهرية = Scientific-Medical Studying

7 - المكان: المركز الاستشفائي الغساني-ظهر المهراز فاس (التابع لوزارة الصحة المديرية الجهوية فاس- مكناس) / المملكة المغربية.

8 - المرجع: د. طارق غنصور (طبيب ورئيس مصلحة المرصد الجهوي للصحة)

9- التاريخ: 30 / ماي / 2018م = 1439هـ.

=====

أولا: - رأي الطب في الغسل من المنى

انفرد الدين الإسلامي عن بقية الأديان الأخرى بإيجاب الغسل من خروج المنى وهو ما لم تنبه عليه الأديان الأخرى ولم يعره الطب الحديث اعتبارا ذا بال. بأن اعتبره سائلا نظيفا معقما . بل من الأطباء من اعتبره سائلا غنيا بالفيتامينات والبروتينات. حتى إن كثيرين من المنحليين جنسيا من الرجال والنساء في أوروبا يشربونه دونما حرج في ذلك.

¹ - صحيح مسلم رقم الحديث: 289

² - لذا ينصح الأطباء والخبراء بالبول بعد الجماع أو بعد الاستمناء بغية تطهير ما تبقى من منى معلقة في الداخل أو من أي ملوثات أخرى، وهذا بالأخص بالنسبة للمرأة، ولقد اخترع الصيدليون ماء خاصا لهذه الغسلة الخاصة للمهبل بعد الجماع والاستمناء فيها، حتى تتطهر وتحصن فرجها من مضاعفات محتملة ، إذ يقال بأن فرج المرأة معرض للجراثيم أكثر من ذكر الرجل لذا عليها أن تحافظ دوما وأبدا على الطهارة بما في ذلك طهارة الفرج.

والسؤال هو هل كان الفقهاء أكثر نظرا من الأطباء، وأنه وجب على الأطباء الاستفادة من علم الفقهاء؟ كيف السبيل إلى الرد على استغراب الطبيب من وصف الفقه للمني بأنه نجس وهو يراه سائلا مغذيا؟.

The Resume = الخلاصة/ النتيجة

نستخلص من العرض أن مسألة نجاسة المنّي في مجال الطبّ غير واردة وأن يعدّ المنّي سائلا نظيفا ومعقما غير نجس فضلا عن اعتباره عنصرا مغذيا. وأن المرأة لا مني لها بل لها إفرازات شهية (كما أكد ذلك أيضا الخبراء)، ونحو ذلك الخ... / تصريح د. طارق غنصور (طبيب ورئيس مصلحة المرصد الجهوي للصحة) فاس.

ثانيا: رأي الفقه في نجاسة المنّي

ويقع الكلام فيه حول أربع مسائل:

- المسألة الأولى: نجاسة مني الإنسان.

- المسألة الثانية: نجاسة مني الحيوانات المحرم لحمها من فصيلة السباع

- المسألة الثالثة: نجاسة مني الحيوانات الحلال أكلها.

- المسألة الرابعة: مني ما لم ينص على تحليله ولا تحريمه

أمّا المسألة الأولى: فلا إشكال في نجاسة المنّي البشري سواء من رجل أو من امرأة، بل نجاسته مما قامت عليه ضرورة الإسلام ولم يخالف فيه أحد من أصحاب المالكية وتدل على ذلك صحيحة محمد بن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) قال: «سألته عن المذي يصيب الثوب؟ فقال: ينضح بالماء إن شاء وقال: في المنّي يصيب الثوب قال: إن عرفت مكانه فاغسله وإن خفي عليك فاغسله كلّ»¹. ونحو ذلك...

وفي المقابل جملة من الأخبار تقضي طهارة المنّي من بينها:

3 صحیحة زرارة قال: «سألته عن الرجل يجنب في ثوبه أيتجفف فيه من غسله؟ فقال: نعم لا بأس به إلا أن تكون النطفة فيه رطبة، فإن كانت جافة فلا بأس»².

ويضاف إلى الأخبار ذهاب جماعة من العامة إلى طهارة المنّي إما:

¹- الوسائل/ لمحمد بن الحسن الحر العاملي/ 1033-1104هـ/ 3: 423 / أبواب النجاسات ب 16 ح 1.
²- الوسائل 3/ لمحمد بن الحسن الحر العاملي/ 1033-1104هـ/ 446 / أبواب النجاسات ب 27 ح 7.

4 مطلقاً كما ذهب إليه الشافعي¹ وحيث استدل على ذلك بوجهين: أحدهما: ما رواه البيهقي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أنه قال: «لا بأس بالمنى فإنه من الإنسان بمنزلة البصاق والمخاط» وثانيهما: أن الحيوان من المنى ولا إشكال في طهارته فكيف يزيد الفرع على أصله.

5 أمّا عن المسألة الثانية: فقد حكي فيها الإجماع على نجاسة المنى من الحيوانات المحرمة التي لها نفس السائلة، ويمكن أن يستدل على ذلك ما بصحيفة محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ذكر المنى وشده وجعله أشد من البول...»². فإن الظاهر أن اللأم في كل من المنى والبول للجنس لبعد أن يكون للعهد الخارجي، فتدل حينئذ على أن طبيعي المنى أشد من طبيعي البول سواء أكانا من الإنسان أم من الحيوان، وحيث إن بول الحيوانات المحرمة التي لها نفس السائلة نجس فيحكم بنجاسة منيها لأنه أشد من بولها.

ومن ذلك يبدو أنه لا وجه للاستدلال على نجاسة المنى في هذه المسألة بالأخبار المتقدمة في المسألة الأولى، وذلك لانصرافها إلى منى الإنسان أكثر من المسألة المطروحة، وبعد أن يصيب ثوب المصلي منى غيره من الحيوانات المحرمة، وقد نقل في الجواهر عن بعضهم أن الانصراف كالعيان³، وعليه ينحصر مدرك القول بنجاسة المنى في هذه المسألة بما سلف من صحيفة محمد بن مسلم.

6 وأمّا عن المسألة الثالثة: أي نجاسة المنى من الحيوانات المحللة التي لها نفس السائلة، فلا دلالة في شيء من الأخبار على نجاسة المنى في هذه المسألة، وعليه فإن أبوال الحيوانات المحللة طاهرة فلا يكون المنى منها نجساً.

ويتعزز عندنا هذا بروايات أخرى ننتقي منها هاتين:

- رواية عمار بأن «كل ما أكل لحمه لا بأس بما يخرج منه»⁴.

- ورواية ابن بكير لاسيما في شقها الثاني ونصها «فإن كان مما يؤكل لحمه فالصلاة في وبره وبوله وشعره وروثه وألبانه وكل شيء منه جائز»⁵.

فدلت هذه الروايات بعموم لفظها على شمولها لكل ما يخرج من الحوانات المحللة¹

¹ - راجع المجلد الأول من الفقه على المذاهب الأربعة / للجزيري/ ص 13.

² - الوسائل/ لمحمد بن الحسن الحر العاملي/ 1104-1033/ 3: 424 / أبواب النجاسات ب 16 ح 2.

³ - الجواهر/ لظاهر بن سلام بن قاسم الانصاري الخوارزمي/ 5: 290.

⁴ - الوسائل/ لمحمد بن الحسن الحر العاملي/ 1104-1033/ 3: 409 / أبواب النجاسات ب 9 ح 12.

⁵ - الوسائل/ لمحمد بن الحسن الحر العاملي/ 1104-1033/ 4: 345 / أبواب لباس المصلي ب 2 ح 1، وكذا 3: 408 / أبواب النجاسات ب 9 ح 6.

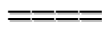
المرصد الثاني: نجاسة المني في الديانة المسيحية:

لم أعثر فيما وقفت عليه من نسخ الكتب المقدسة على ما يقطع بأن مني الرجل ومني المرأة يتطهر منه. نعم ورد ذكر النجاسات والتطهر منها في الإنجيل ولكنها محمولة على الذنوب. أي أن الذنب هو النجاسة نفسها. وأن التطهر لا يكون من النجاسة العينية ولكن من النجاسة المعنوية التي مصدرها القلب.

ومما نستشهد به من إنجيل متى متى 15-17: هذا النص: (ألا تفهمون بعد أن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج. وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر. وذلك ينجس الإنسان. لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف. هذه هي التي تنجس الإنسان. وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الإنسان).

وفي إنجيل مرقس 7-18: (أما تفهمون أن كل ما يدخل الإنسان من خارج لا يقدر أن ينجسه. لأنه لا يدخل إلى قلبه بل إلى الجوف ثم يخرج إلى الخلاء وذلك يظهر كل الأطعمة. ثم قال إن الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجس الإنسان. لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان).

وطوائف النصارى عندهم أن التطهر من خروج المني والبول والغائط إلخ غير واجب، وأن الإنسان وإن قام من فوق بطن امرأة، وتغوط ولم يمسس ماء، ولم يستجمر، وإن سال البول على ساقه وفخده، يصلي ولا شيء عليه وصلاته صحيحة تامة، بل أطم من ذلك قولهم: إن الصلاة بالجنابة، والبول، والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة، لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين، واليهود، وأقرب إلى مخالفة الأمتين...



- المرصد الثالث: نجاسة المني في الديانة اليهودية:

وخلافاً للديانة المسيحية وإن لم تتعرض شريعة اليهود للمني بالتسمية فقد نصت على تطهير الجسد والروح معا من الشهوة الجنسية وغيرها من عوارض البدن وهم بذلك يرومون خدمة مقصد روعي عندهم هو التقرب إلى الله بالتطهر البدني والروحي.

فمن حيث الحديث عن الطهارة إجمالاً يقول: كورنثوس ١: ٢٠: «لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح». ومن حيث الحديث عن الطهارة من النجاسة، تقول فيكولوسي ٢: ٢٠، ٢١: «... أميتوا... أعضاء جسديكم... من جهة العهارة، النجاسة، الشهوة

¹ - لمزيد عن المسائل الأربعة راجع كتاب: التنقيح في شرح العروة الوثقى/ لشيخ ميرزا علي الغروي- الجزء الثاني: الطهارة.

الجنسية، الاشتهاء المؤذي، والطمع الذي هو صنمية. فإنه بسبب هذه الأمور يأتي سخط الله.

ومن حيث الذكورة والأنوثة لم تميز شريعة اليهود بين الرجل والمرأة بأن أوجبت على كليهما **الهلاخا** التطهر من النجاسة في المناسبات أيضا، قبل الأعياد الكبرى مثل عيد الغفران، وفي أيام ذات أهمية مثل يوم الزواج، وفي بعض التجمعات الدينية التي يتجه إليها الرجال عليهم إن كانوا قد احتلموا في الليل. ووفقا للهلاخا؛ التطهر بالنسبة للنساء واجب مفروض قبل ممارسة الجنس... وعموما فالتطهر وفقا للهلاخا واجب قبل الصلاة وقبل الصيام وقبل الصيام وقبل الصلاة أيضا لكل من الرجل والمرأة. ومن طرف شريعة اليهود أن المرأة تغتسل من الجنابة في بركة تدعى ميكفيه؟



المرصد الرابع: موقع التيمم في الشريعة الإسلامية مقارنة بشريعة اليهود

قد يعترض معترض علينا بأن تشريع الإسلام للتيمم بدلا من الماء في أحوال الضرورة لا تنزال به عين النجاسة. وأن شريعة اليهود أفضل في باب الطهارة؟؟

والجواب عنه أن المقصد من تشريع الطهارة عموما يراد به الامتثال كما تراد به النظافة أيضا. لكن أحوال الناس تتفاوت من حيث ندرة لماء ووجوده ومن حيث العوارض المانعة من الطهارة المائية، ومن حيث تفاوتهم في درجات التنظيف. لذلك قدمت الشريعة مقصد الامتثال على مقصد نظافة العين. لأن الناس يغتسلون ويتوضؤون ولا شك انهم مختلفون في درجة تنظيف البدن. إذ لا يلزم من كل اغتسال أن المغتسل أزال كل أدران المكان المطهر. لذلك فالاعتبار بالنية أولا وأخيرا. وأن الماء القليل يجزئ المتطهر عند عدم وجود الماء الكثير وأن التيمم يجزئه عند عدم وجود الماء أصلا. فالمسألة تربوية في المقام الأول سواء مع الماء الكثير أو القليل أو مع التيمم. فالشريعة عندما شرعت أحكام الطهارة شرعتها لكل هذه الأحوال.

على هذا المقصد بنيت كثير من الأحكام الفقهية التي التمسست المعاذير والوسائل البديلة للماء كالتيمم وفرك النجاسة المغلظة إذا كانت يابسة وتجوز الصلاة ببول الصبي أو من البول في الثوب إذا جف من الماء. وذلك كثير في فقها وكله يتمحور حول مقصد الامتثال.

ومما نورده من الدرس الفقهي الإسلامي في ذلك حول التطهر من خروج المني مجموعة من الأحكام المتباينة بتباين الأحوال المستدعية لها:

- أحدها: أنه نجس كالبول فيجب غسله رطبا ويابساً من البدن والثوب وهذا قول مالك والأوزاعي والثوري وطائفة.

- وثانيها: أنه نجس يجزئ فرك يابسه وهذا قول أبي حنيفة وإسحاق ورواية عن أحمد. ثم هنا أوجه:

- قيل: يجزئ فرك يابسه ومسح رطبه من الرجل دون المرأة لأنه يعفى عن يسيره . ومني الرجل يتأتى فركه ومسحه بخلاف مني المرأة فإنه رقيق كالمذي وهذا منصوص أحمد.

- وقيل يجزئ فركه فقط منهما لذهابه بالفرك وبقاء أثره بالمسح.

- وقيل: بل الجواز مختص بالفرك من الرجل دون المرأة كما جاءت به السنة...

ورغم غياب الوسائل المخبرية فقد اجتهد الفقهاء في الفرق بين ضرر النجاسات اجتهادا عظيما.

ومما نسوقه من كتاب ابن رشد الحفيد في هذا الباب رواية عن شيوخ المالكية وغيرهم ما نصه:

(الترجيح وجوب الماء من الماء، وقد رجح الجمهور حديث أبي هريرة من جهة القياس، قالوا: وذلك أنه لما وقع الإجماع على أن مجاوزة الختاتين توجب الحد وجب أن يكون هو الموجب للغسل، وحكوا أن القياس مأخوذ عن الخلفاء الأربعة، ورجح الجمهور ذلك أيضا من حديث عائشة لإخبارها ذلك عن رسول الله، - صلى الله عليه وسلم - . خرجه مسلم.

المسألة الثانية:

اختلف العلماء في الصفة المعتبرة في كون خروج المني موجبا للطهر. فذهب مالك إلى اعتبار اللذة في ذلك. وذهب الشافعي إلى أن نفس خروجه هو الموجب للطهر سواء أخرج بلذة أو بغير لذة.

وسبب اختلافهم في ذلك هو شيان:

- أحدهما هل اسم الجنب ينطلق على الذي أجنب على الجهة غير المعتادة أم ليس ينطلق عليه؟ فمن رأى أنه إنما ينطلق على الذي أجنب على طريق العادة، لم يوجب الطهر في خروجه من غير لذة، ومن رأى أنه ينطلق على خروج المني كيفما خرج أوجب منه الطهر وإن لم يخرج مع لذة.

ت والسبب الثاني: تشبيه خروجه بغير لذة بدم الاستحاضة.

واختلافهم في خروج الدم على جهة الاستحاضة هل يوجب طهراً، أم ليس يوجبُه؟ فسندُكْرُهُ في باب الحيض وإن كان من هذا الباب. وفي المذهب في هذا الباب فرع، وهو إذا انتقل من أصل مجاريه بلذة، ثم خرج في وقت آخر بغير لذة مثل أن يخرج من المجمع بعد أن يتطهر، فقليل يعيد الطهر، وقيل لا يعيده، وذلك أن هذا النوع من الخروج صحبته اللذة في بعض نقلته، ولم تصحبه في بعض، فمن غلب حال اللذة قال: يجب الطهر، ومن غلب حال عدم اللذة قال: لا يجب عليه الطهر¹.

اختلف العلماء في دخول المسجد للجنب على ثلاثة أقوال: فقومٌ منعوا ذلك بإطلاق، وهو مذهب مالك وأصحابه؛ وقومٌ منعوا ذلك إلا لعابرٍ فيه لا مقيم، ومنهم الشافعي؛ وقومٌ أباحوا ذلك للجميع، ومنهم داود وأصحابه فيما أحسب.

وسبب اختلاف الشافعي وأهل الظاهر: هو تردد قوله - تبارك وتعالى -: {يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى} [النساء: 43] بين أن يكون في الآية مجازاً حتى يكون هنالك محذوفٌ مقدرٌ، وهو موضع الصلاة: أي لا تقربوا موضع الصلاة، ويكون عابر السبيل استثناءً من النهي عن قرب موضع الصلاة، وبين أن لا يكون هنالك محذوفٌ أصلاً، وتكون الآية على حقيقتها، ويكون عابر السبيل هو المسافر الذي عدم الماء، وهو جنبٌ

فمن رأى أن في الآية محذوفاً أجاز المرور للجنب في المسجد، ومن لم ير ذلك لم يكن عنده في الآية دليل على منع الجنب الإقامة في المسجد.

وأما من منع العبور في المسجد فلا أعلم له دليلاً إلا ظاهر ما روي عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «لا أحل المسجد لجنب، ولا حائض» وهو حديث غير ثابت عند أهل الحديث.

واختلافهم في الحائض في هذا المعنى هو اختلافهم في الجنب.

المسألة الثانية: مس الجنب المصحف

ذهب قومٌ إلى إجازته، وذهب الجمهور إلى منعه، وهم الذين منعوا أن يمسه غير متوضئ. وسبب اختلافهم هو سبب اختلافهم في منع غير المتوضئ أن يمسه. أعني قوله تعالى: {لا يمسه إلا المطهرون} [الواقعة: 79] وقد ذكرنا سبب الاختلاف في الآية فيما تقدم، وهو بعينه سبب اختلافهم في منع الحائض مسه.

¹ - بداية المجتهد/ لابن رشد الحفيد/ الناشر: دار الحديث-القاهرة.

المسألة الثالثة: قراءة القرآن للجنب

اختلف الناس في ذلك: فذهب الجمهور إلى منع ذلك، وذهب قوم إلى إباحته، والسبب في ذلك الإحتمال المتطرق إلى حديث علي أنه قال: «كان - عليه الصلاة والسلام - لا يمنع من قراءة القرآن شيء إلا الجنابة» وذلك أن قوما قالوا: إن هذا لا يوجب شيئا؛ لأنه ظن من الراوي، ومن أين يعلم أحد أن ترك القراءة كان لموضع الجنابة إلا لو أخبره بذلك؟ والجمهور رأوا أنه لم يكن علي - رضي الله عنه - ليقول هذا عن توهم ولا ظن، وإنما قاله عن تحقيق. وقوم جعلوا الحائض في هذا الاختلاف بمنزلة الجنب، وقوم فرقوا بينهما، فأجازوا للحائض القراءة القليلة استحسانا؛ لطول مقامها حائضا، وهو مذهب مالك. فهذه هي أحكام الجنابة¹.

¹ - بداية المجتهد / 1 لابن رشد الحفيد/ الناشر: دار الحديث-القاهرة.

النموذج التطبيقي الثاني: علاقة المني بالعدة

توطئة:

انفرد الإسلام عن الديانات السماوية الأخرى بما سطره في باب العدة من تعاليم وأحكام مقاصدية دقيقة يشهد له العلم الحديث. فإذا كانت الأديان السماوية الأخرى قد تعرضت لعدد النساء إلا أنها تقصر عن تفصيلها بنفس درجة تفصيل الإسلام لأحكامها وضوابطها بالزمان والمكان والعدد والأنواع، بما يجعلها عند الكشف المخبري إعجازا علميا لا يمكن أن يصدر إلا عن فاعل مختار خالق العلم والعلماء وما به أسباب العلم في الأرض وفي الإنسان.

- الشقّ التطبيقي:

1- صورة افتراضية للمختبر استعدادا لتحديد عمر فعالية المني داخل الرحم علاقة بعدة الوفاة



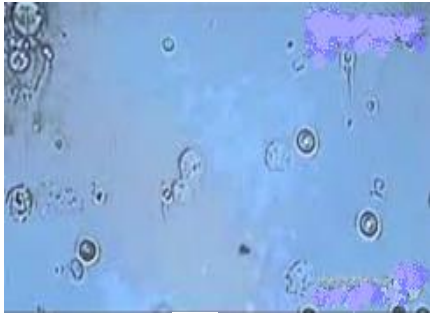
3 - المعطى الديني موضع الخبرة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا لَا يَنْرَبِّصْنَ أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) ...} البقرة: الآية 234.

3- إشكاليات الدراسة؛

وتتمحور حول السؤال عن الحكمة وراء تحديد الله تعالى لأربعة أشهر وعشرا كتقدير زمني دون ما سواه وما علاقته بمدة فعالية المني داخل الرحم.

4 - إجراء الدراسة التطبيقية:

1- مراحل رحلة المني منذ المواقعة إلى التلقيح في الرحم:



3



2



1



7



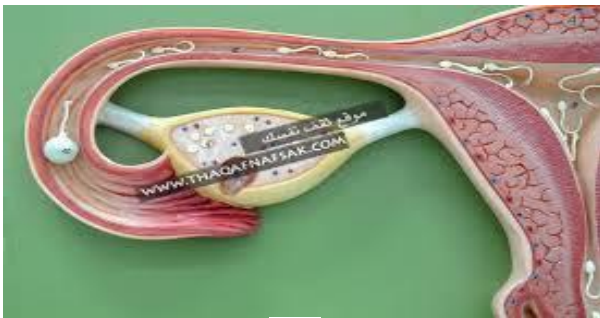
6



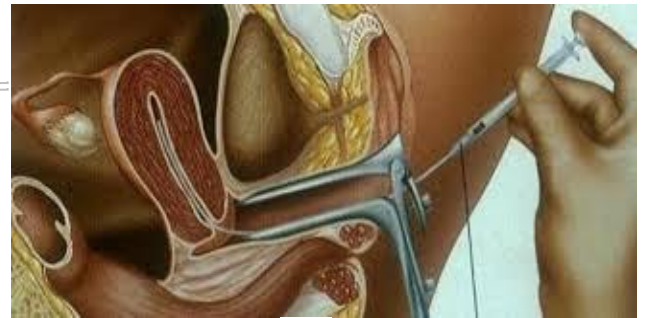
5



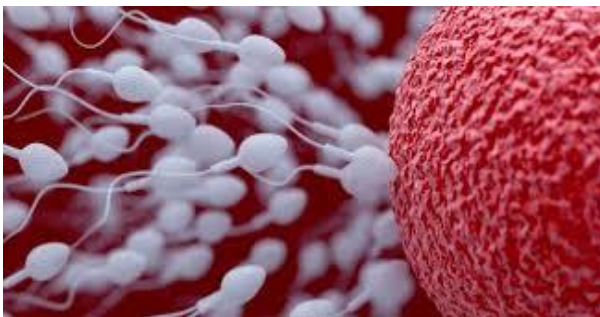
4



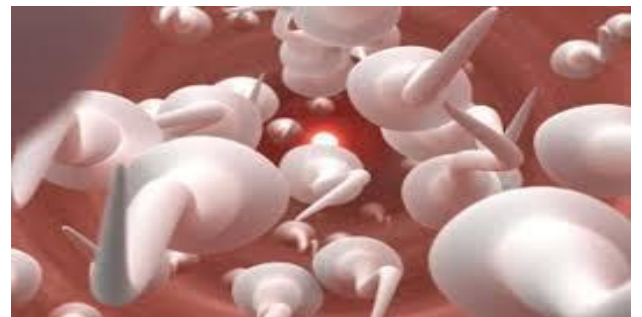
9



8



11



10



13



12

- الصورة رقم 1: مني رجل الذي أجريت عليه الدراسة، وضع للتأكد من سلامته وخلوه من الأمراض الجينية المانعة من الإنجاب
- الصورة رقم 2: مرحلة التشخيص المخبري لأعداد الحيوانات المنوية وسرعتها للتمكن من تقدير إمكانية تخلق الحمل منها -
- الصورة رقم 3: صنع الله الذي يتراءى من خلال التكبير المجهرى للعينة المشخصة من السائل المنوي
- الصورة رقم 4، 5، 6: نقل السائل بالحقن إلى داخل المهبل.
- الصورة رقم 7: شحن الحقنة: aigre de picure استعدادا لحقنها في الرحم.
- الصورة 8: لحظة حقن المنى في البويضة في جدار الرحم
- الصورة رقم 9: جولان السائل المنوي في المهبل بحثا عن المستقر (الرحم أو البويضة).
- الصورة رقم 10 و 11: تسابق الحيوانات المنوية والتفافها حول البويضة من أجل اقتحامها ومن ثم السكن بداخلها مدة معلومة قبل أن يفقد المنى فعاليته بشكل نهائي. (الحكمة من هذه المدة؟؟؟)
- الصورة رقم 12: طريقة وكيفية اختراق الحيوان المنوي للبويضة وصولا إلى المستقر ليصير علقة
- الصورة رقم 13: المضغة التي تكونت في الرحم بعد مرحلة العلقة.

===

2 - الميدان/ الأداة المستعملة (لإجراء الدراسة)؛

- نوعية الدراسة: دراسة علمية-مختبرية = Scientific-LaboratoryStudying

- المكان: مختبر بوعياذ لتحليلات الطبية (نرجس-بمدينة فاس المغربية)

- تاريخ التجربة، ما بين 25 فبراير-إلى- 18 يوليوز 2018م=1439هـ.

3- المناقشة والتحليل؛

من خلال عرض مراحل رحلة الحيوان المنوي نحو البويضة واستقراره على جدار الرحم كعلقة حتى صار مضغة، تأكد لنا من خلال تصريحات أهل الاختصاص من الأطباء أن مني الرجل يبقى نشطا في الرحم لما يزيد على أربعة أشهر وعشرا. وقد استشهد الطب الباطني والمخبري والسيكولوجي على تحديد مدة نشاطية المنى بالحالات التي تعترى المرأة منذ دخول السائل المنوي إلى رحمها . فقد أثبت الطب أن جسم المرأة يتعامل مع الحيوان المنوي الملقح كجسم غريب لمدة 130 يوما تقريبا أي أربعة أشهر وعشرا.

وقد برهن الطب على ذلك بما يصاحب دخول الحيوان المنوي في البويضة وتلقحه بها من تأثيرات على تصرفات المرأة مما يسمى بوحم الحمل وهو ازدياد رغبة المرأة في اشتهاء مطعومات معينة أو كرهها لروائح معينة وربما كان ذلك كرهه لرائحة المقلبات أو رائحة جسم زوجها أو رائحة الصابون إلخ. وهي حالات حددها الطب في الأقصى في أربعة أشهر وعشرا.

ويرتبط بهذه التأثيرات تأثير أخطر وهو أن الطب أثبت أن امرأة حاملا لو جامعها رجل آخر خلال هذه المدة التي هي أربعة أشهر وعشرا، فإنها بذلك تعرض نفسها لردود فعل غريبة وخطيرة. لماذا؟

لأن الحيوان المنوي الملقح لا زال في حالة نشاط . فإذا تزامن معه دخول سائل منوي آخر إلى مهبل المرأة فإنه يتبع ذلك ردود فعل غريبة كالحكة وفقدان المرأة التحكم في خروج البول والسوائل من مهبلها. وربما ابتل منظرها من حيث لا تشعر وأشياء أخرى من هذا القبيل .

وفي مقاربة طبية في الموضوع فقد أجريت دراسة حديثة في جامعة (University of East Anglia). حيث اكتشفت أن تأثير السائل المنوي ملحوظ بشكل واضح على الصعيدين السيكلوجي والجسدي. وقد عللوا ذلك بالضغط المتزايد بشكل متسارع على جدارات الرحم منذ دخول السائل المنوي في مهبلها وتلقح الحيوان المنوي الفائز بالبويضة. وقد رجحت الدراسة أن ذلك الضغط والتقلص في الرحم له أثر في مساعدة الحيوان المنوي على التحرك بشكل مرن وأسرع من أجل الوصول إلى اقتحام البويضة البويضة وتلقيحها.

وفضلا عن ذلك كذلك، فقد أظهرت التحليلات أن المنى إجمالا يحتوي على نوع بروتينات محدّد يساهم في تحفي ز التعبير الجيني وتغييره، وبالتالي يؤثر على إفراز هرمونات مشوشة لدي المرأة عند الجماع المتكرر وتلقي رحمها باستمرار للسائل المنوي.

4 - استنتاج

وبالنظر إلى موافقة عُمر نشاط الحيوان المنوي الملقح لمدة عدة الوفاة، نستنتج ما يلي:

أن سيكلوجية المرأة في ردة فعلها على دخول جسم حي إلى جسمها لا تختلف عن ردة فعل جسمها وسيكلوجيتها عندما تفقد زوجها الذي هو بمثابة فقدان جزء منها. وأن هذه التغيرات العرضية الطارئة على جسم المرأة لا تختلف بين الحالتين: حالة الحمل في

الأربعة أشهر الأولى زائد عشرة أيام، وحالة فقدانها لزوجها. سواء كانت تحبه أو لا تحبه. لأن الموت فاجعة على كل حال والمرأة خلقت من ضعف على كل حال.

- الأعراض السيكولوجية والبدنية التي تطرأ على المرأة في تلك الفترة.

هذا من الجانب العلمي البحت، ولكن ماذا عن المقاصد من هذا التحديد في التفسير المقاصدي الاجتهادي في الدين؟ والسؤال يرد حول الحكمة من الفرق بين مدة عدة الوفاة ومدة الطلاق البائن؟.

والجواب عن هذا الفرق بين العنتين من ناحية التفسير المقاصدي الديني أن الحكمة من تحديد الله تعالى لثلاثة أطهار (3 أشهر تقريبا) كمدة لعدة الطلاق البائن معلل في العادة السننية الكونية بأن الحمل لا يتأكد في العادة السننية إلا بعد استيفاء المرأة لثلاثة أشهر فإن انقطع الحيض فيها كلها كان ذلك أمارة مؤكدة لكونها حاملا. وأيضا لأن أعراض الحمل الأخرى من قيئ وارتخاء ودوار واشتهاء لمأكولات مخصوصة اشتهاها خاصا ، كل ذلك لا يتأكد إلا بعد استيفاء ثلاثة أشهر. وربما ظهر ذلك قبل ثلاثة أشهر. لكن احتياطا للأنساب من الاختلاط اعتمد المشرع المدة الأقصى ولم يعتمد الأدنى تحبيدا للشبه واستبعادا لها.

لكن فيما يرجع إلى عدة المتوفى عنها زوجها أضاف المشرع شهرا وعشرة أيام على مدة الطلاق البائن الذي هو ثلاثة أشهر. ولعل من تأويلات الحكمة في ذلك أن مدة الأربعة أشهر في معهود النساء هي أقصى مدة تصبر فيها المرأة العادية على المجاعة وهو ما تأكد من السنة في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم : كم تصبر المرأة فأجابتها إحدى النساء أربعة أشهر. وهو ما تجده عند من كتبوا من القدامى في العلاقات الحميمة بين الزوجين كما عند الإمام الطوخي في كتابه: (القدرة على الباه ورجوع الشيخ إلى صباه).

يبقى السؤال عن العشرة أيام ما الحكمة من إضافتها؟ والجواب عنه والله أعلم أن الشارع الحكيم أراد أن يميز حال المرأة المتوفى عنها زوجها عن حال من تغيب عنها زوجها أو هجرها زوجها في فراشها. والفرق بينهما واضح هو أن من هجرها زوجها أنه لا زال على قيد الحياة وأن أقصى الصبر عندها بالفطرة أربعة أشهر فإن لم يف زوجها بالمعاشرة (الوطء) حينئذ يحق لها إعلان ضررها ورفع أمرها إلى القضاء. لكن المتوفى عنها زوجها فضلا عن كونها محسوبة على النساء في المعهود بالفطرة إلا أنها تزيد عليهن بأمر آخر هو كونها مجروحة مكلومة ولا شك في أن استعدادها البدني والسيكولوجي للجماع سيتأخر ببضعة أيام مقارنة بالاستعداد البدني والسيكولوجي للمهجورة في الفراش. وعشرة أيام رقم فقهي يقف بين ما حكمه حكم القليل وهو ما دون عشرة أيام أي ما دون ثلث الشهر وحكم الكثير وهو ثلث الشهر الخامس.

على أن هناك علة أخرى مرتبطة بما تقدم هو أن هذه المدة كافية لتكون فاصلاً زمنياً معقول المعنى بين اعتبار أقرباء الهالك زوجته محسوبة عليهم من الناحية الاعتبارية. وهي مدة كافية لتصرف غيرتهم إن تقدم إليها رجل آخر باطلب الزواج بعد انصرام أربعة أشهر وعشراً من وفاة زوجها.

5 - اعتراض مفترض والرد عليه

وربما اعترض علينا معترض بالسؤال عن الحكمة من نسخ هذه الآية لآية الحول، والجواب عنه من قاعدة التدرج في الأحكام المبنية على معهود الناس في تقبلهم للأمور الشاقة التي تخدم مشاعرهم وأعرافهم. وبيانه أن ما كانوا عليه في بدايات نزول الأحكام القرآنية من حداثة عهد بالشرك يستوجب مراعاة أحوالهم وأعرافهم وذلك سر تشريعه تعالى اعتداد المتوفى عنها زوجها سنة كاملة. حتى إذا توطنت نفوسهم على الإسلام وتهيأ استعدادهم لتقبل المفصل من الأحكام نقل الباري الاعتداد من الأشق إلى الأخف مراعاة لحالها باعتبار حالها هو المناط الأصل لتشريع عدة المتوفى عنها زوجها. ففي آية الحول غلب الباري مصلحة مراعاة حال الجماعة على حال الفرد وهي المرأة وفي الآية الناسخة لم يغلب بل أجرى الحكم وفقاً لمناطه بما يناسب عدالة وفطرة حاله ومحله.

النموذج التجريبي الثالث: السواك؛

الشقّ النظري:

أ- المفهوم اللغوي للسواك:

السواك لغة اسم للآلة المستخدمة لتنظفة الفم، من عود أراك ونحوه، وبمعنى: الفعل وهو: الدلك أي: "الإستياك". وكلمة (س ا ك) ؛ في الإشتقاق يدل على: الإضطراب، والتحرك¹. وهو مأخوذ من تحريك العود بين الثنايا تصاعديا وتسافليا.

ب- المفهوم الاصطلاحي للسواك:

أما في الاصطلاح الفقهي فالسواك في الاصطلاح الفقهي هو استعمال عود الأراك ونحوه لتنظيف الفم. وهو نوع من الطهارة وهو مندوب إليه بحديث الرسول صلى الله عليه وعليه وسلم : (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)². والسواك بالمعنى الشرعي؛ هو: كل طاهر خشن، مزيل للقلح. والأفضل استعمال (سواك) من عود الأراك. وهو في الشرع سنة مؤكدة، ثبت بجملة من الأحاديث بصيغ متعددة وتلقته الفقهاء بالقبول وضمنوه ضمن المندوبات المؤكدة في كتبهم³.

الشقّ التطبيقي:



أ - المعطى الديني الذي عليه مدار التطبيق:

¹ - انظر لسان العرب مادة ساك ومقاييس اللغة لابن فارس وتاج العروس للزبيدي مادة ساك يسوك واستاك يستاك
² - رواه البخاري حديث رقم (847)، ومسلم حديث رقم (252). و ذكره ابن العراقي في طرح التثريب 4 / 97 للعلماء في السواك للسانم سبعة أقوال، وذكر العيني في عمدة القاري 11 / 14 ستة أقوال. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود 351 / 6.
³ - هي مختصر التعريفات التي وردت في كل من: (معجم المعاني / كتاب التلخيص الحبير باب السواك / كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود / كتاب إحكام الأحكام).

ننتقي في ذلك من أحاديث حديث عائشة رضي الله عنها بحكم قرب الاستياع من الأحوال الخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم: من ذلك نورد ما يلي:

1 - عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((السواك مطهرة للفم، مَرَضَةٌ لِلرَّبِّ))

2- وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: ((إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوِّفِيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السَّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ، فَقُلْتُ: أَخْذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أَلَيْسَ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ، فَلَيْتَنَّهُ، فَأَمَرَهُ¹

=====

¹ - رواه البخاري (4449)، واللفظ له ومسلم (2443).

ب - موازنة مخبرية بين السواك وفرشاة الأسنان



فرشاة الأسنان: (التعريف)

الفرشاة: مصطلح لاتيني (Fourchette)، لفظة تطلق على كل ما له ريشة أو أسنان حادة أو رقيقة. وعليه: تكون فرشاة الأسنان: تلك المستعملة لتنظيف الأفواه قصد إزالة ملوثات الفم أو الأسنان، بواسطة عجلة مصبنة الموضوععة عليها (the pate).

السواك: (التعريف)

قال النووي: "السواك لغة بكسر السين، ويطلق على الفعل وهو الاستياك وعلى الآلة والتي يقال لها المسواك". يقال ساك فمه فقد استاك، مشتق من ساك الشيء يسوكه والتعريف يطلق على عود أو فرشاة تدلك بها الأسنان لتذهب الصفرة وسواها.

فرشاة الأسنان: (النقائص الصحية)

- نشير الأبحاث والتجارب اليومية لاستعمالات الفرشاة إلى أن:
- 1 - الفرشاة تحد من متانة وصلابة الأسنان حيث إنها تسهم بشكل كبير في إضعاف متانة الأسنان، وقد يشعر بذلك وقت شرب ماء البارد أو ما إلى ذلك...
 - 2 - المعجون المطهر لا يستمر تأثيره أكثر من 20 دقيقة ثم يرجع الفم إلى حالته العادية
 - 3 - بينما فرشاة الأسنان فلعلها تجارية مؤذية.
 - 4 - ولكن ألياف وشعيرات الفرشاة لا تحتوي شيئا من ذلك
 - 5 - وأما شعيرات الفرشاة فلا يوجد فيها مطهرات.
 - 6 - أما شعيرات الفرشاة ومواد المنظفات السنية فمن السهل أن تغش.
 - 7 - وهكذا الخ...

السواك: (الفوائد الصحية)

- الدكتور كينيث كيوديل؛ أشار إلى أن ألياف السواك فهي أفضل من شعيرات الفرشاة وتعتبر مثالية للأسباب التالية:
- 1 - أن ألياف المسواك قوية لينة متينة غير قاسية كالألياف الفرشاة التي تخدش وتسحل أنسجة السن
 - 2 - ألياف المسواك تحتوي على مواد كيميائية ذات فائدة عظيمة للأسنان تفوق جميع المنظفات السنية سواء كانت مساحيق أو محاليل أو معاجين (فالمسواك بمفرده يقوم مقام الفرشاة والمعجون معا).
 - 3 - الألياف الظاهرة بالمسواك غير قابلة للتلوث لوجود مطهرات فيها،
 - 4 - إن ألياف السواك والمواد الموجودة فيها لا يستطيع أحد أن يحم فيها مادة مغشوشة كما المساحيق فهي مواد طبيعية،
 - 5 - ألياف المسواك دقيقة وطبيعية ورقيقة لا تؤدي أنسجة اللثة بل تزيد من تفرنها وذلك بتدليكها تدليكا لطيفا فيزداد تدفق الدم للدم لأنسجتها فترتفع مقاومتها للأمراض.
 - 6 - للأسنان وظائف مهمة، ولأمراضها أثر كبير على الصحة العامة، هنا يأتي دور السواك
 - 7 - أن السواك يحتوي على مادة تمنع النخر السني¹
 - 8 - أما باقي الباحثون الذين درسوا السواك فإنهم فضلوه على فرشاة الأسنان ذلك لأسباب عدة أهمها:
 - 9 - أن من المنتظر بعد استعمال السواك ألا يعود مستوى الجراثيم الفموية إلى حالته إلا بعد ساعتين على الأقل

¹ - أكد ذلك الدكتور كينيث كيوديل، أمام المؤتمر الثاني والخمسين للجمعية الدولية لأبحاث الأسنان في أتلانتا بأمريكا.

	<p>01 - يقوم مقام الفرشاة والمعجون في أن واحد 11 - فهو (فرشاة) بأليافه الدقيقة الجيدة والمناسبة للتنظيف، 21 - وهو (معجون) بما فيه من مواد مطهرة، وأخرى زالقة ومنظفة كيلورات السيليس والحماضات، ومواد صمغية وعطرية وغيرها. 31 - يصلح لإزالة بقايا الطعام من بين الأسنان والصفرة التي تعلق الأسنان 41 - ويزيل القلح، 51 - ويمتاز عن الفرشاة بإمكانية تحضيره بالقساوة والثخانة المناسبين، وذلك بواسطة تفريق أليافه قليلاً أو كثيراً، كما يمتاز بعدم تخريشه للثة.</p>
<p>كما أن قسماً آخر من الأطباء قد قللوا من أهمية الفرق بين السواك وفرشاة الأسنان بدعوى أنهما تؤديان نفس الدور التنظيفي للأسنان، ومن هؤلاء طبيبنا المستشار (طارق غنصور) بفاس.</p>	
<p>فرشاة الأسنان: (الفوائد الصحية)</p> <p>1 - على خلاف الفرشاة، قادرة على إزالة التكتلات الجيرية 2 - قادرة على إزالة النفحة القبيحة وإحلال نفحة طبية محلها 3 - قدرتها على تبييض الأسنان أكثر 4 - فرشاة الأسنان الأكثر رواجاً واستعمالاً (خصوصاً في زمننا هذا) 5 - وقس على ذلك...</p>	<p>السواك: (النقائص الصحية)</p> <p>1 - عدم قدرتها على إزالة محاربة كاري Quarrit على الأسنان. 2 - عدم قدرتها على منحها للغم نفحة طبية 3 - عدم قدرتها على التبييض (وإنما محافظة الأسنان على أصالتها اللونية) 4 - كما يضاف إلى ذلك كله: أن السواك أقل استعمالاً في يومنا هذا 5 - وقس على ذلك...</p>

ج - تقويم التجربة

بناء على المقارنات التي أجراها باحثون متخصصون حول الفرق بين السواك والفرشاة أمثال الدكتور عبد الرزاق كيلاني- دمشق-1996م في كتابه "الحقائق الطبية في الإسلام" وعبد الله السعيد في كتابه " صحة الفم والأسنان " - المنارة-الأردن- 1982م، والأطباء من مثل الدكتور كينيث كيوديل/ و د. علي الرغبان وزملاؤه- دار فصلت- حلب -1977 م في كتابه "السواك في ميزان الصيدلة".

وقد ترجح من خلال هذه الدراسات وأمثالها ما للسواك الطبيعي من فوائد صحية جمة مقارنة بالفرشاة ومعجون الأسنان. وليس هذا عندنا من قبيل التعاطف مع السواك ولكن لأن الطب أثبت أن ما صح من الدين متنا وورودا يزكيه العلم الحديث.

ومن غريب الصدف أن شجرة الأراك المعروفة بدوام خضرتها والتي تثبت في المناطق الحارة في عسير وجازان في السعودية وفي مصر والسودان وقرب القدس وفي اليمن وجنوب أفريقيا والهند وغيرها. وأن هذه الشجرة لها ثمر في حجم حبة الحمص يدعى "الكباث" لونه أخضر، يحمر ثم يسود عند تمام نضجه، حلو الطعم، والعجيب في الأمر أن ثمرة الأراك صالحة للأكل وتنطوي على منافع صحية عظيمة منها أنها مدرة للبول طاردة للغزات من الأمعاء وملينة تزيل انتفاخ الجهاز الهضمي ، تلکم هي شجرة الأراك التي جمعت من الفوائد ما أكده الطب الحديث ولعل أن هناك فيها فوائد أخرى خفية قد يكشف العلم الحديث عنها فيما يرتقب من الأيام.¹

¹- انظر: روائع الطب الإسلامي-ج4-للد.محمد نزار الدقر-دار المعاجم-دمشق 1994م.

النموذج التجريبي الرابع: منافع الوضوء طبياً وروحياً

- الشقّ النظري:

(أ)- المفهوم اللغوي للوضوء:

الوضوء لغة: مشتق من الوضأة والذي يدل على (النقاء، والحسن، والبهاء، والنظافة والضياء). سمي الوضوء الإسلامي بذلك؛ لأنه نور من ظلمة الذنوب ولما يضيء على الأعضاء من وضأة بغسلها¹. والوضوء بضم الواو: (اسم لفعل توضأ) وهو استعمال الماء لغسل أعضاء مخصوصة. وأما بفتحها (فإنها اسم للماء الذي يتوضأ به).

(ب)- المفهوم الاصطلاحي للوضوء:

أما في الشرع فهو: طهارة مائية تخص أعضاء معينة على صفة مخصوصة بنية التعبد، والأفعال المخصوصة هي: النية، وإيصال الماء إلى أعضاء مخصوصة. وأركانها: (النية وغسل الوجه، ثم غسل اليدين إلى المرفقين، ثم مسح الرأس أو جزء منه ثم غسل الرجلين)، وهذه الأركان بمعنى: الأسس التي لا يصح الوضوء إلا بها، وهناك أفعال أخرى مشروعة للوضوء، منها ما هو فرض عند بعض العلماء كالترتيب، أو الترتيب والموالاتة عند البعض، ومنها ما هو واجب عند البعض، كما أن للوضوء شروطاً وسنن وأحكاماً أخرى محلها كتب الفقه²

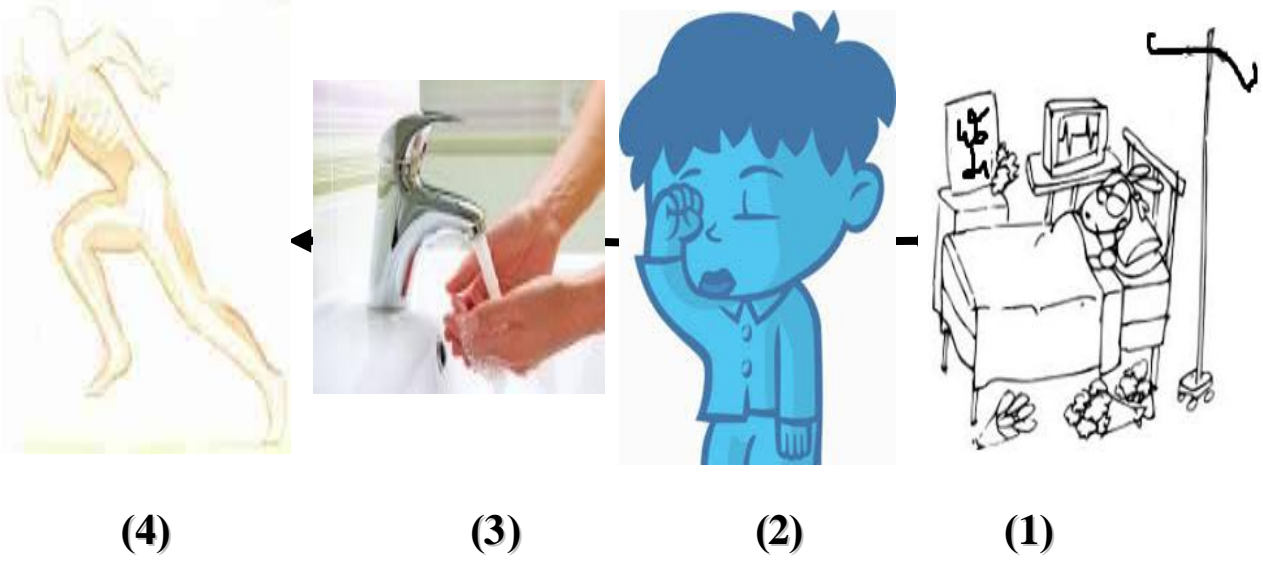
والوضوء عند علماء الفقه أول مقاصده الطهارة؛ استعداداً للوقوف بين يدي الله في الصلاة. وهو معقول المعنى بالقياس إلى ما تستوجبه الأحوال من التطهر قبل الدخول على الحاكم والمك والولي والقاضي والسلطان. والله تعالى أولى منهم جميعاً بالتطهر له قبل الدخول في رحبة عبادته. لذلك اعتبر الوضوء شرط صحة في الصلاة ما لم يكن عذر مانع. وفي الصحيحين "لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ"³.

¹- المعجم الوسيط مادة وضأ

²- انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ج 1 .

³ - أخرجه البخاري باب في الصلاة حديث رقم 6554 من طريق إسحاق بن نصر عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة

الشقّ التطبيقي:



أ - المعطيات الدينية التي عليها مدار التطبيق ومما نقتطفه من ذلك:

1 - حديث ابن لقيط قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال " أسبغ الوضوء واخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق ما لم تكن صائماً"¹.

2 - حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - ؟- قال: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟)، قالوا بلى يا رسول الله، قال إسبغ الوضوء على المكاره، ...)² رواه مسلم³.

4 - إشكاليات الدراسة:

وتتلخص في مجموعة من الأسئلة التي نفترضها متوجهة علينا ممن ننقل إليهم الدين ممن لا يعتقدونه نفترض تلك الأسئلة كما يلي:

- هل الوضوء مجرد تقليد في الدين غير معقول المعنى لا يُسأل عن الحكمة منه؟

¹ - سنن أبي داود حديث 122
² - قوله: ((إسبغ الوضوء على المكاره))، الإسبغ أو إسبغ في الوضوء هو أن يكمله المتوضئ فيأتي به واقياً تماماً غير منقوص، بحيث إنه يغسل الأعضاء كما هو مطالب في الشرع غسلاً تاماً وتدليكياً أصح، ويأتي بسنن الوضوء ومستحباته كالتخليل والمضمضة والاستنشاق وكذلك ذلك ونحو ذلك. وقوله: ((على المكاره))، مثل البرد الشديد وذلك مظنة من أن الإنسان قد يضيع شيئاً من الوضوء فيقتصر بدعوى شدة البرد. أو فترة الحر الشديد إذا كان الماء حاراً، كما يحصل في بعض الأحيان، فلربما يكون ذلك سبباً في تضييع أركان الوضوء والحيلولة دون إسباغها مع أن استيفاءه على أتم الوجه المطلوب لا يمكن الإنسان وحسب في الثواب وإنما كذلك بالنيل على فوائده البدنية مثلاً وغير ما سنكتشفه في هذا الإطار هاهنا.

³ - أخرجه مسلم، في كتاب الطهارة، باب فضل إسبغ الوضوء على المكاره، رقم الحديث: (251).

- هل الضوء كسائر أنواع النظافات كما الحال في غسل الأطراف عند الإفاقة صباحا من النوم؟ أم أن له ميزة أخرى يتجاوز بها النظافة المعهودة؟

=====

ب - إجراء الدراسة التطبيقية؛

أجرينا هذه الدراسة على مستويين:

- المستوى الأول؛ أجريناها على ثلاثة أشخاص بعد إفاقتهم من النوم صباحا

- المستوى الثاني؛ أجريناها على شخص واحد في ثلاث ة ظروف مختلفة (أي ثلاثة صباحات متتالية).

فكانت نتائج هذه الدراسات على النحو التالي:

فأما عن المستوى الأول: قدمنا لهم التعليمات الآتية:

- للأول، أنك إذا استيقظت من النوم فابق كما استيقظت دون ملامسة الماء

- للثاني، أنك إذا استيقظت من النوم اغسل وجهك وحسب

- للثالث، عليك أن تتوضأ وضوءا كاملا سابغا (مع استعمال السواك قبل الصلاة)

هذا دون أن نعلمهم مقاصد الدراسة وسببها حتى لا يتكيفوا معها أو يغيروا سلوكهم الاعتيادي- الطبيعي وبذلك لا تفرغ الدراسة من الفائدة ضدا على النتيجة المرجوة ، إذ التصرفات الطبيعية والعفوية لدى كل منهم هي ما أردنا اكتشاف آثارها ، وبهذا كانت النتائج على هذا النحو:

✓ أن الشخص الأول: الذي لم يلمس الماء بعد الإفاقة من النوم بقي نحو ساعة إلى ساعتين مرتخي البدن ثقيلًا في مشيته وحركاته وأعماله التي كان يؤديها و بادر إليها منذ الدقائق الأولى التي تلت إفاقته، وفضلا عن ذلك كانت في كلامه نفرة وشقاوة وكان في وجهه عبوسة وفي كلامه فظاظة وجفوة.

✓ الشخص الثاني: الذي اقتصر في ملامسته للماء بعد الاستفاقة على غسل الوجه فقد بدا أكثر نشاطا مما كان عليه قبل أن يستعيد كافة حيويته بعد ساعات من نهار. و الجدير بالإشارة إليه أنه بالمقارنة مع النموذج الأول كان أكثر استعدادا للابتسام

والتعامل بشيء من اللباقة في الصباح بعد غسل وجهه. وإن لا زالت تبدو عليه أعراض التعب والثقل إذ لم يغسل جميع أطرافه.

✓ **الشخص الثالث :** الذي توضع وضوءاً تاماً فيه إسباغ للأطراف العليا والسفلى فقد لاحظنا عليه، حيوية زائدة وإفاقة حقيقية من خموله.

(ج) النتائج العلمية للخبرة

ولقد عرضنا هذه الحالات على أهل الاختصاص من أطباء الأمراض الباطنية في مستشفيات فاس بالمغرب في محاولة لمعرفة السر في تباين حالات هذه النماذج التي أجرينا عليها الاختبار فأجابونا إجابات مهمة نلخصها كما يلي: فكانت النتيجة على النحو التالي:

أن سبب تباين الحالات الثلاثة التي هي محل الاختبار يرجع إلى تباين المساحة التي مسها الماء من الجسد في الصباح. ذلك أن الوجه مكان لأعضاء مهمة في الجسد فهو قريب من الدماغ ومن جهة أخرى ففيه الأنف الذي هو مصدر حاسة الشم وفيه الأذنان اللذان مصدر حاسة السمع وفيه اللسان الذي هو مصدر حاسة الذوق. كما أن الأطراف هي أدوات ووسائل للحركة لتنفيذ أوامر الدماغ.

لذلك فإن غسل هذه الأماكن بعد الإفاقة من النوم من شأنه أن ينبهها ويحفزها على استعادة نشاطها وتحررها من الخمول واستعدادها لمباشرة أعمال اليوم الطويلة والمسؤوليات التي تنتظر الإنسان.

وما يصدق على الماء هنا يصدق أيضاً بنفس المقياس على السواك لما له من علاقة وطيدة بالذوق باعتباره يلامس أماكن حساسة داخل الفم. ومن شأن ذلك تهيب المستيقظ لتناول طعامه باشتهاء ولا شك في أن الإشتهاء شرط صحي مهم من شروط الأكل.

ولا يختلف الأمر مع الاستنجاء بالماء صباحاً قبل الوضوء باعتبار أن القبل الذي هو الذكر مكنم للغريزة والمسلك الوحيد لخروج البول، وباعتبار أن الدبر هو المسلك الوحيد لخروج الغائط، وأن غسل هذه المواضع من البدن له أهميته في استعادة المستيقظ لوظائفها استعادة حقيقية بحيث تتأهل للعمل بحيوية أكبر.

- تاريخ التجربة: 14 - 17 / ماي / 2018م = 1439 هـ.

=====

د) جدلية المنفعة الروحية والبدنية للوضوء في حياة المسلم مقارنة بشريعة اليهود والمسيحيين.

1 - فما أنت ترى في شرع الإسلام ما هنالك من تناغم بين منفعة الوضوء روحياً وبدنياً في تناغم تام.

- فأما المنفعة الروحية،

فلأن ن المتوضى يتوضأ بنية استقبال معبوده المقدس من دون سائر الموجودات. والتعود على ذلك خمس مرات في اليوم من شأنه ولا شك أن يربي في المتوضى فيه سلوك النظام وال ضبط ومراجعتة لأعماله الخيرة والسيئة واستحضاره رجاء رحمة الله والخوف من عقابه وعظمتة. ولا يخفى ما في هذا التعود من صنع شخصية سوية مؤمنة تربط أعمالها بأسبابها الحقيقية ومقاصدها الجليلة التي تسعد بها الروح بإنجازها على النحو المطلوب شرعاً.

- وأما المنفعة البدنية

فهو ما أفادتنا به نتائج الطب من أن الوضوء يعمل على تجديد وظائف الجسد وتحفيزها وتهيبئ المتوضى لمباشرة أعماله ومسؤولياته بكل نشاط ورضى واقتناع دون زجر أو خمول أو تدمر.

2 - ومن باب المقارنة بين شريعة الإسلام في هذا الباب وبين شريعة اليهود

نسجل أن الشريعة اليهودية اليوم تعفي المتوضى من غسل الأرجل وذلك بعلّة أن هذا العفو ناسخ لتشريع غسل القدمين . وبعلّة أن التشريع القديم كان سائغاً لأن الناس كانوا يمشون حفاة وأما اليوم فهم ينتعلون أحذيتهم ونعالهم ولا حاجة لغسل الأرجل بسبب ذلك.

وفي حال انعدام الماء فالشريعة اليهودية متفقة مع الإسلام في الترخيص للمتوضى بالطهارة الترايبية كما هو حال التيمم في الإسلام. ومن باب التنبيه أن الشريعة اليهودية تشبه الشريعة الإسلامية في إلزام المصلي بالتطهر للصلاة وهي أيضاً عندهم الطهارة الصغرى التي تشبه الوضوء في الإسلام على ما ذكر.

كذلك الأمر في التطهر من الجنابة إذ تلزم الشريعة اليهودية اليهود بالغسل من الجنابة وهو ما يسمى عندهم بالغطس في بركة من الماء كما قدمناه في المبحث السابق.

===

النموذج التجريبي الخامس: منافع الغسل من الجنابة دينيا وطبيا

ومما يتصل بالنموذج السابق الغسل من الجنابة. والغرض من إدراجها هاهنا هو الكشف عن المنافع الروحية والبدنية التي ينطوي عليها تشريع الغسل من الجنابة. لكن وجب قبل ذلك التعريف بالجنابة لغة واصطلاحا.

- الشق النظري:

(أ)- المفهوم اللغوي للجنابة:

الجنابة: هي إنزال المني أو التقاء الختانين، سميت به لكونها سببا لتجنب الصلاة شرعا، والجناب الغنى¹. **والجنابة:** هي خُرُوج المَنِيِّ وَالْجَنب: يَسْتَوِي فِيهِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى وَالْوَّاحِدَ وَالتَّنْبِيَةَ وَالْجَمْعَ لِأَنَّهُ عَلَى صِيغَةِ الْمَصْدَرِ كَالنَّكَرِ وَالنَّذْرَ بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ وَالْإِنْذَارَ². **وَالْجَنَابَةُ** مَعْرِفَةٌ يُقَالُ مِنْهَا أَجْنَبَ بِالْأَلْفِ وَجَنَبَ وَزَانَ قَرَبًا، فَهُوَ جُنُبٌ وَيُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْمُفْرَدِ وَالتَّنْبِيَةَ وَالْجَمْعَ وَرُبَّمَا أُطْلِقَ عَلَى عَلِيٍّ قِيلَ أَجْنَابٌ وَجُنُبُونَ وَنِسَاءٌ جُنُبَاتٌ وَرَجُلٌ جُنُبٌ بَعِيدٌ³.

(ب)- المفهوم الاصطلاحي للجنابة:

أما في الاصطلاح الفهني فالجنابة أمر معنوي يقوم بالبدن، يمنع صحة الصلاة حيث لا مرخص⁴. وفي عرف الشرع: تطلق على إنزال الماء، والتقاء الختانين، أو ما يترتب على ذلك. وسميت الجنابة بذلك لكونها سببا لتجنب الصلاة في حكم الشرع⁵. وكل ما يوجب الغسل يصبح تبعا لاجتهادات المجتهدين عدا المقطوع به كالتقاء الختانين⁶.

¹ - التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ص: 131).

² - الكليات / لأيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي/ المحقق: عدنان درويش/ (ص: 355).

³ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير / لآحمد بن محمد بن علي الفيمي ثم الحموي ابو العباس/ الناشر المكتبة العلمية بيروت (ج1/ 110).

⁴ - انظر: شرح ميارة الفاسي على تحفة ابن عاصم ج1.

⁵ - القاموس الفقهي ص: 68 للدكتور سعدي أبو حبيب الناشر: دار الفكر. دمشق - سورية الطبعة: الثانية 1408

⁶ - الفرق بين الضاد والطاء المؤلف: تقّي الدين أبو بكر عبد الله بن علي بن محمد الشيباني الموصلي ثم الدمشقي الشافعي (ت ٧٩٧هـ) المحقق: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن إهداء: سيف بن أحمد الغرير الناشر: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - مادة ج - ن - ب

- الشقّ التطبيقي:

1 - عنوان الدراسة: علاقة غسل الجنابة بتجدد الطاقة في البدن



2- المعطيات الدينية التي عليها مدار النص

ومما ننقيه من ذلك :

أ - حديث معاذ بن فضالة بسنده عن الحسن البصري عن أبي هريرة عن النبي ؟ قال: إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل تابعه عمرو بن مرزوق عن شعبة مثله، وقال موسى حدثنا أبان قال: حدثنا قتادة أخبرنا الحسن مثله¹.

ب - وفي رواية أخرى: عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ؟ قال إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها² فقد وجب الغسل تابعه عمرو بن مرزوق عن شعبة مثله وقال موسى حدثنا أبان قال حدثنا قتادة أخبرنا الحسن مثله.

¹ - إذن وكما يقول الفقهاء: انه إذا دخل الذكر في فرج المرأة وجب الغسلُ على الزوج وعلى الزوجة، سواء أكمل الرجل الجماع أو توقف عنه في بدايته، سواء أنزل الرجل في نهاية الجماع أم لم ينزل (وقع له إكسال، أي أنه حاول أن يكمل الجماع حتى يحصل له الإشباع الجنسي ويقذف ماءه في رحم المرأة فلم يستطع).

² - أخرجه النسائي (192)، وأحمد (10754)

لقد فسر المحدثون قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم جهدها) بفتح الجيم والهاء يقال جهد وأجهد أي بلغ المشقة ، بأن معناه كدها بحركته أو بلغ جهده في العمل بها ولمسلم من طريق شعبة عن قتادة "ثم اجتهد" ورواه أبو داود من طريق شعبة وهشام معا عن قتادة بلفظ " وألزق الختان بالختان " بدل قوله ثم جهدها وهذا يدل على أن الجهد هنا كناية عن معالجة الإيلاج ورواه البيهقي من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة مختصرا ولفظه إذا التقى الختانان فقد وجب

3- إشكاليات الدراسة؛

تروم الإشكالية الكشف عن المنافع المادية والروحية التي ينطوي عليها الغسل من الجنابة. وبعرض هذه المسألة على نتائج البحث التجريبي سنرى مدى تناغو المنفعة الروحية والمنفعة المادية في هذا الحكم الشرعي.

4 - أجراء الدراسة التطبيقية؛

بعد الاستقراء والتتبع والمعاناة بالعين المجردة قبل استجواب الأطباء عن هذه المسألة خرجنا بالملاحظتين الآتيتين:

- أن الغسل مبعث على الطاقة والحيوية في الجسم إذا تم بعد الجماع (وذلك بالنسبة للرجل والمرأة معا).

- وأن الغسل مطهر لمهبل المرأة ومانع من الآثار الجانبية التي تعقب الجماع بدون غسل. كالفطريات والحكة والرائحة الكريهة.

- كما أن الإجهاد الذي يعقب الجماع وما يترتب عليه من التعرق يجعل المجمع في حالة خمول وإحساس كبير بالكسل وأن الغسل أثبت أن ذلك الإجهاد تعقبه حيوية.

5- الأدوات المستعملة في الدراسة

وفي سبيل الكشف عن مزيد من منافع الغسل من الجنابة توجهنا إلى الدكتور طارق الغنصور العامل بمستشفى الغساني بفاس، والذي أفادنا بالحقائق الآتية:

الغسل وهذا مطابق للفظ الترجمة فكأن المصنف أشار إلى هذه الرواية كعادته في التبويب (ص 471): بلفظ إحدى روايات حديث الباب،

وروي أيضا بهذا اللفظ من حديث عائشة أخرجه الشافعي من طريق سعيد بن المسيب عنها وفي إسناده علي بن زيد وهو ضعيف وابن ماجه من طريق القاسم بن محمد عنها ورجاله ثقات ورواه مسلم من طريق أبي موسى الأشعري عنها بلفظ ومس الختان الختان والمراد بالمس والالتقاء المحاذاة ويدل عليه رواية الترمذي بلفظ " إذا جاوز " وليس المراد بالمس حقيقته ؛ لأنه لا يتصور عند غيبة الحشفة ولو حصل المس قبل الإيلاج لم يجب الغسل بالإجماع قال النووي :معنى الحديث أن إيجاب الغسل لا يتوقف على الإنزال وتعقب بأنه يحتمل أن يراد بالجهد الإنزال ؛ لأنه هو الغاية في الأمر فلا يكون فيه دليل والجواب أن التصريح بعدم التوقف على الإنزال قد ورد في بعض طرق الحديث المذكور فانتفى الاحتمال ففي رواية مسلم من طريق مطر الوراق عن الحسن في آخر هذا الحديث " وإن لم ينزل " ووقع ذلك في رواية قتادة أيضا رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه عن عفان قال حدثنا همام وأبان قال حدثنا قتادة به وزاد في آخره " أنزل أو لم ينزل " وكذا رواه الدارقطني وصححه من طريق علي بن سهل عن عفان ، وكذا ذكرها أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن قتادة. /// التوثيق؟؟؟؟

1- تأكيده على أهمية الغسل من الجنابة باعتبار أن الجماع ينتج عنه تعرق سام يغلق مسام البشرة عند كل من الرجل والمرأة. وأن التأخر عن الغسل من شأنه أن تكون له عواقب على أداء وظائف الجسم ابتداء من الأطراف وانتهاء بكل الأعضاء.

2- تأكيده على أن الماء لا ينبغي أن يكون شديد السخونة ولا شديد البرودة وأنه يجب أن يكون متناسباً مع حرارة الجسم حسب الفصل لإغن كان فصل الشتاء والربيع فلا بأس بأن يكون دافئاً مائلاً إلى شيء من السخونة وإذا كان الفصل حاراً كالصيف والخريف فلا بأس أن يكون مائلاً إلى شيء من البرودة.

3- تأكيده على ضرورة تنظيف القشرة الميتة من الجسم وإزالتها بخرقه أو حجر مطهر في سبيل أن تنفتح مسام البشرة.

4- تأكيده على ضرورة رش الماء البارد على الوجه بعد انتهاء عملية الغسل الكبرى .

6- مقارنة بين منتهيات الطب ومقاصد الدين

وبيان ذلك بالاستنتاجات الآتية:

- أن الآثار المنفعية للوضوء الأصغر لا تختلف عن الآثار المنفعية للوضوء الأكبر بحسب الحالات المستوجبة لكل منهما. وأن الوضوء الأصغر داخل بالأصل في الوضوء الأكبر وفقاً للقاعدة الفقهية المعمول بها¹.

- أن الوضوء الأكبر مما يشترك فيه الدين الإسلامي مع الدين اليهودي المعروف عند اليهود بالغطس الأكبر. وأن الاغتسال عند اليهود واجب عندهم في عدة مناسبات كعيد الغفران وفي أيام ذات أهمية مثل يوم الزواج بالنسبة للزوجين. والتطهر بعد الاحتلام خلال الليل.

¹ - استدلت بها الفقهاء في مسائل عدة من بينها مسألة: (من اغتسل الغسل الواجب أجزاءه عن الوضوء؛ لأن الأصغر يندرج في الأكبر). في مسألة (من كان له ض من الإبل يجب أن يخرج عنها شاة في الزكاة، فإن أخرج عنها بغيراً بدل الشاة أجزاءه على الصحيح؛ لأن الأصغر يندرج في الأكبر، وقيل: لا يجزئ). في مسألة (من لزمته حدود كالخمر والسرقة، ثم لزمه ما يأتي على النفس، كالزنا مع الإحصان، فإن ما دون النفس من الحدود يندرج في النفس من اندراج الأصغر في الأكبر). في مسألة (من شفع الإقامة غلطاً، قيل: تجزئه، لأنه أتى بالمطلوب وزيادة، فهو من اندراج الأصغر في الأكبر، والمشهور عدم الإجزاء). في مسألة (من ذبح ففقطع الرأس أجزاءه على الصحيح ولو تعمد الذابح ذلك، وما روي عن مالك أنها لا تؤكل، فهو على وجه الاستحباب). في مسألة (من أخرج زكاة الفطر بالمد الأكبر، وهو مدّ هشام بن إسماعيل بن المغيرة، عامل عبد الملك بن مروان على المدينة، وقدره مدان بمدّ النبي -صلى الله عليه وسلم -، وقيل: مدّاً وثلاثين، وكان أهل المدينة اتفقوا على أن مدّ هشام موضوع للنفقات الموسعة كنفقات الزوجات، أجزاءه، بناء على أن الأصغر يندرج في الأكبر، وقيل لمالك: أترضى بالمدّ الأكبر؟ قال: لا، بل بمدّه -صلى الله عليه وسلم -، فإن أراد خيراً فعلى جدة، وذلك من مالك سداً لذريعة تغيير المقادير الشرعية). الغرياني ص 57 - 59.

كما اعتبرت الهالاخا التطهر قبل مباشرة الجنس فرضا على الرجل والمرأة معا أماعن المرأة ، كما فرضت على المرأة التطهر طيلة الأسبوع الذي يسبق زواجها بدعوى أنها مقبلة على الدخول إلى الحياة. وأن عليها الاستحمام (الغطس) بعد تطهرها من العادة الشهرية تهيئاً لمعاودة ممارسة الجنس مع زوجها. ويتصل بذلك إلزامها بالغطس بعد تطهرها من دم النفاس.

وأما عن شكل الغسل في اليهودية: فهو أشبه بالطهارة الكبرى (عندنا) والمعروف عندهم بالغطس في بركة ماء من مصادر طبيعية وتواصيف محددة. وتوصيف ذلك أن تغطس المتطهرة أو المتطهر في الميكفي أو في مصدر المياه الطبيعي عدة سبع مرات وينبغي أن يتغطس بلا أي نوع من الحوائل بينه وبين المياه، بما في ذلك الملابس وحتى المكياج وصباغة بالحناء أو ما شابهه الأظافر عند المرأة

ومن حيث الماء المغطوس فيه تفرض الهالاخا أن يكون نقيا. وفي الكتاب المقدس في إطار التحذيرات من مصادر النجس في سفر اللاويين الإصحاح الـ 11، حيث جاء فيه:

"إِلَّا الْعَيْنَ وَالْبُرَّ، مُجْتَمَعِي الْمَاءِ، تُكَوْنَانِ طَاهِرَتَيْنِ"

وقد أفتى زعماء الدين اليهودية على مر العصور بتأسيس "ميكفاؤوت" أي برك تطهر دينية. ويتم ملء الجزء الأكبر من تلك البرك بمياه الأمطار التي تجمع في سقوف المبنى، كما يتم دمجها في أيامنا بالقليل من المياه من الشبكة الوطنية للتمكن من تبديل المياه بشكل اعتيادي لأجل ضمان نظافتها. كما يجب أن يحتوي الميكفي على كمية محددة من المياه هي 40 "سيأة" أو 332 ليتر على الأقل كذا ينبغي أن تقود إليه عدة درجات سلمية ليكون التغطس تدريجيا.

=====

وهذه بعض الصور لمختلف الميكفاؤوت عبر العصور¹

¹ - الصور من ويكيبيديا.



من بركة طهارة الأثرية إلى البركة العصرية في متسادا.

- استنتاج:

نستنتج مما تقدم ما يلي:

- أن المنفعة المادية المحسوسة الملموسة في واقع الإنسان تكشف عن نفسها بلا خلاف. وأن ما دعا إليه الإسلام من نظافة البدن سواء في الوضوء الأصغر أو الأكبر مبني على ما اقتضته الفطرة من أن في الطهارة دواء وراحة للبدن.

- ومن جانب الروح يتأكد لنا أن المتطهر يعود نفسه على سلوك احترام من هو أولى باحترامه وهو من أنعم عليه بالإيجاد والخلق والرزق والعافية وبكل مباح الحياة وهو الله عز وجل. فإذا كان واجبا عرفا وقانونا على من يطرق باب الحاكم أو الملك أو القاضي أن يظهر جسمه وثيابه. فإن الله أولى من كل هؤلاء بالتطهر له. ولا خلاف في الآثار النفسية الني يخلفها التطهر من الدنس بحيث يحس الإنسان مع نفسه بأنه طاهر حقا حتى في روحه. وأخيرا فإن التطهر يضع حاجزا بين المتطهر وبين شياطين الجن والإنس. أضف إلى ذلك ما أكدته الطب من أن المواظبة على التطهر تقي من الأمراض المزمنة (مثل أمراض الجن)¹؟

- أن هناك تناغما بين المنفعة الروحية والنفسية والمنفعة المادية. ومن شأن هذا التناغم أن يمنح للمسلم سعادة مختلفة عن سعادة المسيحيين الذي لا يأنهون بالغسل من الجنابة بأن اعتبروا الغسل إنما غسل القلوب وليس غسل البدن. وحتى اليهود الذين يشبهوننا في

¹ - حيث وبناء على حكاية حكي عن رجل الذي كان يتردد المسجد دونما أي طهارة مسبقة أو غسل من جنابة كان يقع به ودون أن يمنعه ذلك من دخول المسجد والمكث فيه طويلا، فإذا به يوما يجنّ عليه ودون أن يتمكن أحد من شفائه. فكيف لك على أن تفسر لنا ذلك؟!

وجوب الغسل. فإن سعادتهم ناقصة باعتبار أن غطسهم لا ينص على التنظيف التام بفرك الجسد وأنه ماء يغسل فيه عدد من الناس وهذه ليست نظافة حقيقية. وان ذلك يمجه الطبع البشري.

===

النموذج التطبيقي السادس: منافع الصلاة طيباً وروحياً

● توطئة:

الصلاة لغة الدعاء يقال: صلى له إذا دعا. وهي ركن مشترك بين الأديان السماوية كلها إلا أنها تختلف بالكيفيات. فالكل يصلي والكل يدعو والكل يتضرع ولكن الكيفيات تختلف. وآخر كيفية هي كيفية الصلاة الإسلامية التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: (صلوا كما رأيتموني أصلي)¹.

وإذا كان الدين الإسلامي قد كشف عن بعض أسباب تشريع الصلاة بقوله تعالى: (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)²، إلا أنك عند البحث عن عن فوائدها الصحية تجدها منطوية على العجب العجاب. وهو ما تروم هذه الدراسة المخبرية الكشف عنه.

● الشقّ التطبيقي:

1- موضوع الدراسة: الصلّاة والرّياضة



2 المعطيات الدينية التي عليها مدار الدراسة

أ - حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: " إن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله عز وجل بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد".

ب - وحديث محمد بن سليمان الأنباري أن عبد الملك بن عمرو حدثهم عن داود بن قيس قال حدثني سعد بن إسحق حدثني أبو ثمامة الحناط أن كعب بن عجرة أدركه وهو يريد المسجد أدرك أحدهما صاحبه قال فوجدني وأنا مشبك بيدي فنهاني عن ذلك وقال

¹ - أخرجه البخاري وغيره في حديث لمالك بن الحويرث وقد سقط لفظه بتمامه في أول " باب الأذان " (213)

² - العنكبوت : 45

إن رسول الله ؟ قال : "إذا توضع أحدهم فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبكن يديه فإنه في صلاة"¹.

(3)- المنطلق العلمي الذي عليه مدار الدراسة:

وهو عندي ذلك التقرير العلمي الذي ينص على "فائدة المشي ل 30 دقيقة على الأقل يومياً باعتباره مهماً جداً لصحة جسم الإنسان، كما أن المشي من أهم الرياضات وأسهلها، قد تبعد عن الممارس الكثير من المشاكل الصحية"². كما أن تقريراً مماثلاً أشار إلى أن " المشي يحارب الأنفلونزا والزكام والرشح فالأشخاص الذين يعتادون

¹ - في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له نزله [1] من الجنة كلما غدا أو راح / رواه البخاري «662» ومسلم «467». «وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقتضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة / مسلم حديث 666 وروى مسلم عن أبي بن كعب قال: كان رجلاً لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه وكان لا تحطئه صلاة قال: فقيل له، أو قلت له: لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء [4] قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد جمع لك الله لك ذلك كله مسلم 663 وروى أبو داود عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة حديث: 479

² - دراسة بواسطة: ريم عايش - آخر تحديث: ٠١:٠٧، ١٣ فبراير ٢٠١٧ ذات صلة فوائد المشي يومياً لمدة نصف ساعة: القائلة بأن {رياضة المشي تعدّ من أسهل أنواع الرياضة من حيث عدم الحاجة لتوفر الإمكانيات المادية، أو توفر الوقت الكبير فالمشي مدّة نصف ساعة فقط يقدم للجسم العديد من الفوائد الصحية التي سنتعرف عليها في هذا المقال. فوائد المشي مدّة ثلاثين دقيقة يحارب أمراض الجهاز التنفسي كالإنفلونزا والزكام والرشح كما يحدّ من الإصابة بنزلات البرد. يساعد على تحريك العضلات وتنشيطها. يخلص الجسم من الإحساس بالتوتر والقلق، ومنح الرياضي الشعور بالاسترخاء، وهدوء الأعصاب بسبب عملية الشهييق والزيفير التي يقوم بها أثناء المشي. يساعد المشي المنتظم في الحصول على جسم رشيق،

وذلك لأنّ المشي بانتظام يشدّ عضلات البطن، ويحرق الدهون المحيطة بمنطقة الوسط. يقوي عضلات الفخذين، والأرداف كما يشد عضلات المؤخرة. يساعد المشي تحت أشعة الشمس في تعزيز فيتامين د. يحدّ من الإصابة بأمراض تصلب الشرايين، ومرض القلب والأوعية الدموية. يعمل المشي مع سماع الأنغام الموسيقية على علاج حالات الاكتئاب، كما يتخلص من الطاقة السلبية التي تسيطر على الشخص؛ لأنّ الموسيقى تزيد إفراز هرمونات السعادة. يحارب مرض سرطان الثدي لدى السيدات. ينشط الدورة الدموية التي لها الأثر الكبير في تعزيز تقوية العظام والحفاظ على التوازن، وتغذية أنسجة الدماغ. نصائح للاستفادة من المشي إبقاء الرأس مرفوعاً والنظر لعدّة خطوات للأمام. تجنب شدّ الفك السفلي، مع جعل عضلات الوجه منبسطة. عدم حني الكتفين إلى الأمام، بل إبقائها للخلف دون شدّ. الحرص على إبقاء الصدر مرفوعاً، والظهر مستقيماً. شدّ عضلات البطن والمؤخرة إلى الداخل. الحرص على المرونة في مفصل الركبة، حيث يتمّ تحريك الفخذ والساق سوياً. الحرص على ثني أصابع اليد للدخول مع عدم الضغط على اليد وتشكيل قبضة كاملة. تجنب تدلي اليدين بل جعل الذراع على شكل زاوية قائمة من المرفق. تحريك اليدين إلى الأمام والخلف مع عدم تأرجحهما أمام الجسم. المحافظة على شرب الماء قبل وأثناء المشي. ارتداء الملابس المريحة التي يسهل الحركة والمشى بها، والمصنوعة من القطن لأنها تمتص العرق. استعمال الأحذية الخاصة بالمشي حيث يكون كعب الحذاء عريضاً، ونعله مرناً. ملاحظة: ينصح بممارسة رياضة المشي يومياً والالتزام بها مدّة أكثر من أسبوعين حتّى تصبح عادة يصعب الابتعاد عنها. شارك المقالة فيسبوك تويتر جوجل+ 234 مشاهدة مواضيع ذات صلة بـ : فوائد المشي لمدة 30 دقيقة MyRelated فوائد رياضة المشي لشد الجسم فوائد المشي قبل النوم فوائد رياضة المشي للبطن فوائد المشي للقلب تمارين لإنقاص الوزن عشرة كيلو في أسبوع أفضل وقت للمشي لحرق الدهون عدد السرعات الحرارية التي يحرقها المشي فوائد المشي للكرش فوائد المشي يومياً لمدة { . إقرأ المزيد على موضوع كوم.

المشي لمدة 30 دقيقة يوميًا هم أقل عرضة للإصابة بنزلات البرد...¹ ونحو ذلك من التقارير ذات الصلة...

3- إشكالية الدراسة

تروم الدراسة الجواب عن الأسئلة الآتية؟

ما هو النفع المادي البدني والسيكولوجي الذي يجنيه المؤمن بتردداته (frequentation) اليومية على المسجد على حياته كما على صحته (فضلا عن العوائد الروحية)؟

- ما وجه التكامل بين النفع الروحي والنفع المادي الذي يجنيه المصلي في نظر الطب من خلال ترده على المسجد خمس مرات في اليوم؟

تلكم هي الفرضيات التي سنعمل في هذه الدراسة على التماس الأجوبة لها بحيث تشهد فيها نتائج الدراسة الطبية لمنطوق القرآن والأحاديث ذات التعلق .

4- أدوات إجراء الدراسة الميدانية

- احتجنا لإجراء هذه الدراسة إلى عقد دراسة تتمحور حول مسجد عبد الله بن مسعود بحي ليراك بفاس وعلى ثلاثة منازل داخل الحي الذي يوجد في المسجد.

- احتجنا إلى عداد د (لحساب عدد الخطوات المقطوعة) وهي ساعة – كرونوغرامية (لحساب عدد الدقائق المقطوعة) /

- احتجنا إلى خيط ميثري لحساب عدد الأمتار المقطوعة مشيا / (يخط لنا المسافات المطلوبة تخطيطها) ...

¹ - أولًا: يحارب المشي الانفلونزا والزكام والرشح، فالأشخاص الذين يعتادون المشي لمدة 30 دقيقة يوميًا هم أقل عرضة للإصابة بنزلات البرد. ثانيًا: كلما مشيت، ازدادت رشاقة منطقة الخصر. فالمواظبة على المشي يعمل على شد عضلات البطن وحرق الكثير من الدهون في هذه المنطقة.

ثالثًا: تساعد رياضة المشي على تحريك عضلات الجسم بأكملها وتغذية خلايا وأنسجة المخ. رابعًا: يحد المشي من الشعور بالتوتر والقلق، وذلك لأن عملية الشهيق والزفير تساهم إلى حد كبير في الاسترخاء وتهدئة العضلات والأعصاب والتخفيف من كل ضغط نفسي. خامسًا: يساعد المشي على شد عضلات المؤخرة وتقوية عضلات الأرداف والفخذين سادسًا: إذا كان يمتلكك شعور بالحزن أو الاكتئاب، فإن ممارسة رياضة المشي على أنغام الموسيقى هي العلاج الأمثل لك.

سابعًا: يساهم في تعزيز فيتامين D في الدم مما يقلل من خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية . راجع (من موقع كل العربصحةأخبار وتقارير تعرفوا على فوائد المشي لمدة 30 دقيقة يوميًا). وقد نُشر: 27-07-2016 12:09:20.

- تاريخ الانجاز: 08 /يونيو / 2018م = 1439هـ = 24 / رمضان / 1439هـ.

5- أجراء الدراسة التطبيقية؛

أحصينا ما يلي:

المرحلة الأولى أحصينا:

- المسافة الفاصلة بين أقرب منزل إلى مسجد عبد الله بن مسعود الكائن بحي ليراك بفاس

- المسافة الفاصلة بين أوسط منزل وبين مسجد عبد الله بن مسعود

- المسافة الفاصلة بين أبعد منزل في الحي عن مسجد عبد الله بن مسعود

- المرحلة الثانية: أحصينا ما يلي:

- و عدد الخطوات، عدد الأمتار، وعدد الدقائق التي تفصل بين المنزل المعني والمسجد المعني كذلك.

كل ذلك هذا لمعرفة مدى مردودية عدد الخطوات على صحة بالنظر إلى تفاوت أحوال المصلين الثلاثة قريبا وتوسطا وبعدا من المسجد. فكانت النتيجة على النحو الآتي:

1 - عن المسافة الفاصلة بين أقرب منزل وبين المسجد ليراك كان:

a. عدد الخطوات بينه وبين المسجد 97 خطوة

b. عدد الأمتار المخطوة 32.3 مترا

c. في غضون 1دقيقة و75 ثانية (00:01:75).

2 - عن المسافة الفاصلة بين أوسط منزل وبين مسجد ليراك كان:

a. عدد الخطوات المخطوة 456 خطوة

b. عدد الأمتار المخطوة 152 مترا

c. في غضون 4دقيقة و56 ثانية (00:04:56).

3 - عن المسافة الفاصلة بين أبعد منزل وبين مسجد ليراك كان:

a. عدد الخطوات بينه وبين المسجد 933 خطوة

b. عدد الأمتار المخطوة 311 مترا

c. في غضون 6 دقيقة و37 ثانية (00:06:37).

5 - التحليل العلمي

تبين لنا من خلال هذه النماذج الثلاثة ما يلي:

- بحساب مسافة النموذج الثالث الأبعد نجد أن الـ :

← 00:06:37 الدقائق المخطوة فقط في الذهاب (إلى المسجد)

← ونفسها فقط في الإياب (إلى المنزل)

يتحصل مجموعها في:

← $00:06:37 + 00:06:37 = 00:12:74$ دقيقة (في الذهاب الأول
-لصلاة الفجر فقط سبيل المثال)

وبما أن هناك خمس صلوات في النهار، وبالتالي 5 زهابات-إيابات من وإلى ومن
المسجد في نهار واحد، فلو ضربنا هذا العدد في 5 لأتانا هذه:

← $00:12:74 \times 5 = 01:03:07$ ساعة

مع العلم على أن المدة المطلوبة -على الأقل- في النهار هي 30 دقيقة فإذا به الآن
ساعة، ثلاث دقيقة، وسبعة ثواني (إن ضعف المطلوب).

- بحساب مسافة النموذج الثاني (أي مسافة أوسط منزل عن المسجد)، لوجدنا المسافة
الفاصلة بينهما على هذا النحو:

← 00:04:56 الدقائق المخطوة فقط في الذهاب (إلى المسجد)

← ونفسها فقط في الإياب (إلى المنزل)

وعليه يكون المجموع

← $00:04:56 + 00:04:56 = 00:09:12$ دقيقة (في الذهاب الأول-
-لصلاة الفجر فقط)

وبما أن هناك خمس صلوات في النهار، وبالتالي 5 ذهابت/إيابت إلى/ومن المسجد في نهار واحد، فلو ضربنا هذا العدد في 5 لكانت النتيجة التالية:

$$\leftarrow 00:04:56 \text{ دقيقة} \times 00:04:56 \text{ دقيقة} = 00:45:06 \text{ دقيقة}$$

مع العلم دائما بأن المدة المطلوبة -على الأقل- في النهار هي 30 دقيقة فإذا به الآن خمس وأربعين دقيقة، وست ثواني (إذن زيادة على المطلوب).

- وبحساب مسافة النموذج الأول (أي مسافة أقرب منزل إلى المسجد)، وجدنا المسافة الفاصلة هكذا:

$$\leftarrow 00:01:75 \text{ دقيقة المخطوة فقط في الذهاب (إلى المسجد)}$$

$$\leftarrow \text{ونفسها فقط في الإياب (إلى المنزل)}$$

وعليه يكون المجموع:

$$\leftarrow 00:01:75 + 00:01:75 = 00:03:05 \text{ دقيقة (في الذهاب الأول الأول لأداء صلاة الفجر فقط)}$$

وبما أن هناك خمس صلوات في النهار، وبالتالي 5 ذهابت/إيابت إلى/ومن المسجد في نهار واحد، فلو ضربنا هذا العدد في 5 لأتانا ما يلي:

$$\leftarrow 00:03:05 \text{ دقيقة} \times 00:03:05 \text{ دقيقة} = 00:17:05 \text{ دقيقة}$$

مع العلم دائما بأن المدة المطلوبة -على الأقل- في النهار هي 30 دقيقة

وهي مدة أقل من المعدل المطلوب علميا أن يمشيه الإنسان يوميا.

6- فرضيات الحل لسد النقص الحاصل للنموذج الأول

لا إشكال في الفائدة النفعية التي يجنيها النموذج الثالث والثاني من تردهما على المسجد خمس مرات في اليوم ذهابا وإيابا، لكن الإشكال مع النموذج الأول القريب جدا إلى المسجد. ولتدارك نقص مدة المشي عنده يوميا نفترض الفرضيات الآتية :

1- إما تحويل مشيه للمسجد إلى المشي السريع يوميًا لمدة 10 دقائق فقط ضمن دقائقه الـ(17:05) التي يخطها هذا الأخير في المجموع . وهذا اعتمادا على إفادة الطب العضوي بأن المشي السريع لمدة 10 دقيقة يوميا تحد من السكري والسمنة والاكتئاب¹

2-أو تكملة ما تبقى عليه من مدة المشي بعد الصلاة وهي تكملة 30 دقيقة. قبل أن يدخل داره

3-أو بما أن الصلاة حركة ورياضة (وذلك على حسب ما سنكتشفها لاحقا) ففي الحركات الرياضية التي تنقصه فقد تغنيه تلك عما تبقى له من دين المشي كان عليه أن يخطوه في نهاره.

7- الخلاصة/ النتيجة = The Resume

بناء على ما تقدم نستنتج ما يلي:

أن إكثار الخطى إلى المساجد فضلا عن كونه مطلبا دينيا إلا أن له فضلا عن ذلك فوائد بدنية وسيكولوجية.² الأمر الذي يؤكد لنا ويلزمنا به التقارير العلمية . وأنه بقدر ما تكثر مدة المشي ومسافته بقدر ما يعظم أجر الآخرة ومنفعة الدنيا بما يجعل أمور الحس شاهدة على أمور الروح.

¹- وذلك بناء على ما أوصت بها منظمة الصحة في بريطانيا {بأن على الأشخاص في منتصف العمر المشي السريع لمدة 10 دقائق يوميا، للحد من ارتفاع ضغط الدم والسكري وزيادة الوزن والاكتئاب والقلق، ومشاكل العضلات والعظام}...

²- دون أن يعني ذلك منع أو تحريم الوسائل الأخرى.

النموذج التطبيقي السادس: منافع الرياضة الروحية في الصلاة دينيا وطبيا

Spiritual Sport Concept

المطلب الأول: الرياضة الروحية في التشريع الإسلامي وتقويم منافعه الصحية

الشقّ النظري:

1- تعريف الرياضة الروحية

الرياضة الروحية في معناها العام المنتظم للروحانيات كلها هي استجابة حركية متكررة منتظمة من الإنسان الممارس لعبادة نحو مقدس مخصوص يخلو إليه ويخلص في الركون إليه والاتجاء إليه في سبيل جلب سعادة روحية عارمة من تلك الممارسة.

لكن هذه السعادة تختلف في مقاصدها وتفاصيل الوسيلة إليها من دين لآخر. وسنتناول هذه الرياضة من وجهة الدين الإسلامي والأديان الأخرى.

- فهي في الشرع الإسلامي ما زاد على الحد الأدنى من الواجبات الدينية وهو ما يطلق عليه الفقه اسم النوافل والتطوعات العباداتية ركعات النوافل.

- وهي في العبادات الإفريقية الروحانية الزائدة على المعهود تسمى: يُرُو-غُونُغُرُو =

Jeirô-gongrô =

- وهي في رياضة بعض الأقوام في آسيا تسمى رياضة اليوكا. رياضة اليوغا =

Yoga Sport

2 - الرياضة الروحية من خلال صلاة النوافل الإسلامية:



3- المعطى الإسلامي الذي عليه مدار الدراسة / الرياضة الروحية

ننتقي من ذلك ما يلي:

- حديث عائشة -رضي الله عنها- "أَنَّ النَّبِيَّ -؟- كَانَ يُفُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَنْفَطَرَ قَدَمَاهُ"¹. وحديث "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -؟- إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ وَ..."²

- قول النبي :؟ "أفضل الصلاة طول القنوت، وأفضل الأعمال طول القيام"³. ولا شك أن من وراء ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في كثرة الصلاة منافع روحية سيكولوجية لا يزال العلم الحديث لم يتوصل إلى كثير من أسرارها.

4 - الدليل الديني على منافع الإكثار من الصلاة

لا شك أن هذه المنفعة خفية على الناس حتى الذين دخلوا في الإسلام بحكم ما يعترى المصلي من التكاسل عن الصلاة والناس في ذلك متفاوتون. وكل ما كان الناس يعلمونه عن فوائد الصلاة المادية إنما يعرفونه من المنقول من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لبلال الحبشي: (أرخنا بها يا بلال)⁴ وهو نفس ما نفهمه عن الفوائد المعادية بعد الموت من المنقول بطريق الإيمان والتسليم. وهو كثير في ترغيباته عليه السلام في صلاة النوافل من غير تحديد القدر كل بحسب طاقته ، ففي صحيح مسلم: عن ربيعة بن كعب: أنه سأل النبي ؟ مرافقته في الجنة، فقال ؟: فأعني على نفسك بكثرة

¹- راجع: صحيح البخاري ص: 4837 / ورياض الصالحين / 74/58/2.

²- رياض الصالحين/ للنووي/ نشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع/ دمشق-بيروت/ تحقيق: ماهر ياسين الفحل/ الطبعة الاولى 1428هـ.

³- هنا نتساءل فيما إن كان إطالة القيام والركوع والسجود مستحبة في جميع النوافل الليلية والنهارية بلا تفریق؟ أم أن الإطالة في الحديثين لا يقصد منها إلا صلاة الليل وحدها لا غير؟

فحديث: أفضل الصلاة طول القنوت قد رواه أحمد ومسلم من حديث جابر -رضي الله عنه. وهو دليل من استحباب تطويل القيام على كثرة الركوع والسجود، ومن العلماء من استحباب كثرة الركوع والسجود على تطويل القيام، ومنهم من فصل فاستحب تطويل القيام بالليل دون النهار فيستحب فيه الإكثار من الركوع والسجود، قال النووي رحمه الله: وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب أحدها: أن تطويل السجود وتكثير الركوع والسجود أفضل، حكاه الترمذي والبعوي عن جماعة، وممن قال بتفضيل تطويل السجود ابن عمر -رضي الله عنهما -

والمذهب الثاني مذهب الشافعي رضي الله عنه وجماعة أن تطويل القيام أفضل، لحديث جابر في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الصلاة طول القنوت - والمراد بالقنوت القيام، ولأن ذكر القيام القراءة، وذكر السجود التسبيح، والقراءة أفضل، لأن المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يطول القيام أكثر من تطويل السجود، والمذهب الثالث أنهما سواء، وتوقف أحمد بن حنبل -رضي الله عنه - في المسألة ولم يفض فيها بشيء، وقال إسحاق بن راهويه أما في النهار فتكثير الركوع والسجود أفضل، وأما في الليل فتطويل القيام إلا أن يكون للرجل جزء بالليل يأتي عليه فتكثير الركوع والسجود أفضل، لأنه يقرأ جزءه ويربح كثرة الركوع والسجود، وقال الترمذي إنما قال إسحاق هذا لأنهم صغوا صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل بطول القيام ولم يوصف من تطويله بالنهار ما وصف بالليل. انتهى./// التوثيق من كتب السنن؟؟

السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة¹. وقبل هذا وبعده فقد نص القرآن على الحكمة من الصلاة وهو قوله تعالى: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)².

وهي عند المحصلة منافع مادية وسيكولوجية لا نعرفها من العلم بل من النقل والإيمان بالمنقول.

5 - الدليل العلمي على الفوائد السيكولوجية والبدنية للإكثار من الصلاة

لقد تأكد علميا بعد فحص عينات ممن أجرينا عليهم التجربة من المصلين البسطاء في كوت ديفوار ما يلي:

أن العينة المبحوثة واضبوا يوميا لمدة شهر يوميا على صلاة أكثر من عشر كعات من النوافل فضلا عن الصلاة المفروضة، وأنهم كانوا يقرأون بقصار السور من قبيل الإخلاص والمعوذتين والعصر والضحي بعد الفاتحة وكانوا يكتفون عند السجود والركوع بالتسبيح ثلاثا في كل منهما، وقد لاحظنا ما يلي:

- أن كثرة الحركات التي قام بها المصلون كان يعقبها تنفس زائد وتعرق وإجهاد،

- وأنه كلما قام المصلي بعد التشهد لأداء نافلة أخرى يشعر بتجدد قوته والتغلب على تعبته السابق.

- إقرار المستجوبين بأنهم يشعرون بالطمأنينة النفسية بعد الانتهاء من الصلاة.

- لاحظنا أنهم يجمعون على أنهم صاروا يتغلبون على كسلهم كلما تقدمت بهم الأيام في التجربة.

- لاحظنا أنهم بعد فراغهم من الصلاة يبدو عليهم كأنهم أنهتوا من إنجاز عمل كبير مهم وهم في ذلك لا يخفون فرحتهم بإنهائهم تلك الصلوات.

- لاحظنا أن العينة يعتبرون أنفسهم أفضل حالا من غيرهم في غير كبرياء ممن سماهم الله بالصالحين في محكم كتابه.

¹ - وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث القدسي: إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه... /// التوثيق؟؟ من كتب السنن وبهذا يعلم أن الإكثار من النوافل في غير أوقات النهي عن الصلاة مرغوب فيه من غير تحديد وأن ترك المزيد منها حجة أنها غير واردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بدورها أيضا فهما صحيحا.

² - العنكبوت/ الآية: 45

6 - استنتاج عام

وبهذا الذي قدمناه يتأكد لك ما هناك من ازدواجية بين المنفعة الروحية والبدنية التي يحصلها المسلم المواظب على فروضه كما على نوافله وأنه بقدر ما تزيد طاعاته بقدر ما تزيد فوائده البدنية والروحية.

7 - تاريخ التجربة: 2018/06/01 الموافق لليلة 16/رمضان/1438هـ - .

8 - فرضيات التجربة بأبعاد جديدة:

- وهو كيف يمكن تأليف قلوب البسطاء لتعويدهم على نمط من العبادات الزائدة في سبيل توطين أنفسهم عليها بالعدد والتوقيت والكيفية؟

- كيف السبيل إلى إقناع الإنسان البسيط بأن الصلاة رياضة روحية مدرة للنفعة الجسماني والسيكولوجي؟

من هو المؤهل لذلك العمل وكيف يمكن الصبر عليه؟ هل لا بد من تمويل مادي نؤلف به قلوب البسطاء على طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين؟

سؤال نوجهه إلى القيميين على شؤون الدعوة في دولة السعودية بحكم ما لديهم من الإمكانيات المادية والعلمية بقدر ما نوجهه إلى القيميين على الشأن الديني في الكويت ديفوار.

المطلب الثاني: الرياضة الروحية في ديانة الجَيْرُو-غُونُغْرُو = Jeirô-gongrô الإفريقية
الوثنية وتقويم منافعها الصحية

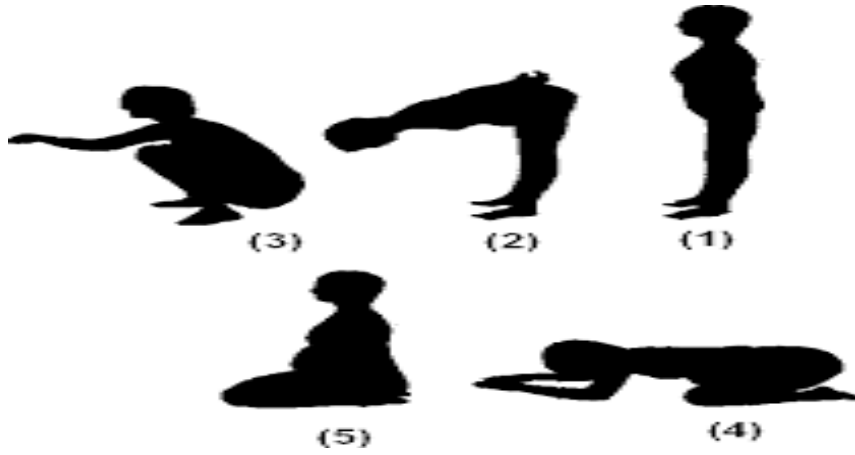
أولاً: الشقّ النظري:

1 - مفهوم الجيرو كونغورو لغة واصطلاحاً:

الجَيْرُو-غُونُغْرُو = ([أ-ب-ج-د-هـ-و-ز-ح-ط-ي-ك-ل-م-ن-س-ع-ف-ق-ك-ج-ب-أ]) = Jeirô-gongrô: مفهوم رياضي
مركب من كلمتين جَيْرُو = Jeirô من جهة، و غُونُغْرُو = Gongrô من جهة ثانية.
وهي مصطلح فرافي- إيدي من أصل ينكا- بجنوب السودان، والذي يعني (الرفع
والخفض).

أما على المستوى الاصطلاحي للكلمة فهو رياضة روحية الغرض منها تخليص
الجسد من ثقل الحياة وهمومها والهروب به إلى الأمان الروحي والطمأنينة القلبية من
ثقل ذنوب مقترفة ومن الخوف من النفس ومن الآخر.

ثانياً: الشقّ التطبيقي:



1 - المعطيات التي عليها مدار التجربة رياضيا وروحيا

وهي ذات بعدين: بعد ديني وبعد بدني

فأما المعطى الديني فهو أشبه بهروب المنخرط في صلوات الكونغورو من عالم
الحس إلى عالم الروح.


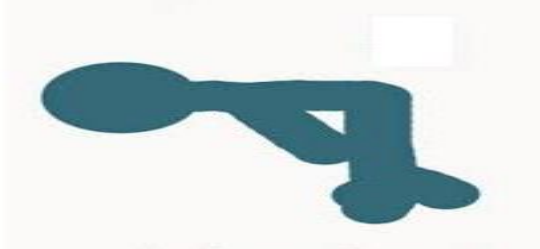

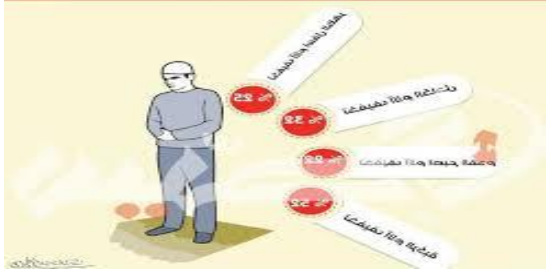



a. وأما المعطى البدني الرياض فلأن صلوات جَيْرُو-غُونغُرُو عبارة عن حركات ارتشاحية جسمانية غير اعتيادية تعتمد على تنميطها في أنساق متتالية متباينة تحرك كافة مفاصل البدن وتجعل كل أعضاء البدن تقوم بمجهود زائد على الحركات الاعتيادية.

1 - إشكاليات الدراسة؛

وقد تمثأت في معرفة فيما إن كان لرياضة جَيْرُو-غُونغُرُو القدرة على لعب دور في مجال الـ فيتنس = Fitness بالأخص، وفي مجال الرياضات بشكل عام أم لا.

لمعرفة الكثير عن رياضة جَيْرُو-غُونغُرُو عمليا، انظر في:

2 - أجراء الدراسة التطبيقية؛

حركة رقم 2	حركة رقم 1
 	 
<p>في إطار حركة الركوع هذه تؤدي الحركة بطريقة امتدادية لكافة أعضاء الجسد كأن لو كنا نريد كسر الظهر وقطع الفصام الخلفي، ذلك من شدة المبالغة في المَدَّ قصد تحسيس الفصام بمدى المَدَّ في غضون دقائق معدودة ونحن على هذه الحركة أو التموقع الانحنائي =</p> <p>Position حركة رقم 4</p>	<p>في إطار حركة القيام هذه تؤدي جميع الحركات اليد فيما لو كنا (نكبر) من جهة، أو كنا (نأخذ اليدين على الصدر) من جهة أخرى، وذلك بالترار والعودة إليها مرارا</p> <p>حركة رقم 3</p>
 	

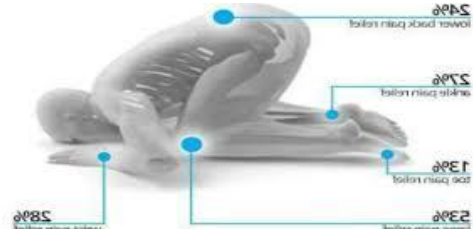
في إطار حركة النزول هذه تؤدي الحركة على شاكلة النزول على الركبتين (ودونما اليدين قبل الركبة) وإثر مباشرتهما الأرض نعود إلى القيام مجددا وبالفور، ومن ثم تكرر هذه الحركة مرات قبل اللجوء إلى النزول للسجود

في إطار حركة الوقوف هذه بعد الركوع تؤدي كأن لو كنا نريد إعادة شيء إلى سابق عهده كان قد اعوج، وذلك عبر المد، الامتطاء نحو الأعلى حتى يتيقن من استواء واستقامة العضلات والمفاصل على إثر ركوع شديد

حركة رقم 6



حركة رقم 5



في إطار حركة الجلوس هذه تؤدي الحركة على شاكلة عدة أهمها؛ الجلوس على رجلين موقوفين، الجلوس على رجل موقوف والآخر مفروش والمجلوس عليه، الجلوس على رجلين مفروشتين، كذا الجلوس بين/وسط رجلين

في إطار حركة السجود هذه، تؤدي على شاكلة السجود الحقيقي ذلك بملاصقة الركبتين الأرض، ووافق ذلك الامتداد الكسري للظهر ومعهما أيضا بسط اليدين إلى أقصى البسط لأقصى الحدود في الجزر والمد مع مشاركة

مفروشتين وتكرر هذه الحركات مرات وفي غضون دقائق قياسية - كما لو نحن في تشهد مطول-قبل أن تبدل بغية تمكين مفاصل الرجلين من الجزر الامتداد وليونة العريكة
Soulless and Tenders=

الرأس بانحناءة جد منخفضة مع ملامسة الأرض، والثبات على هذه الحركة لدقائق معدودة وقبل الرفع منها

حركة رقم 9

حركة رقم 8

حركة رقم 7



في هذا المستوى الرياضي هناك اختيار بين؛
*إعادة نفس الحركات مرة أو مرات عديدة قبل الانتقال إلى الحركة الموالية أي الحركة الـ 8.

*أو الاكتفاء بهذا الحد لتعب بدأنا نشعر به أو غيرها-
فالانتقال أو المواصلة أصلا بالحركات الـ 8 ومن ثم الـ 9 التابعين لهذه.

في إطار حركة المربع هذه تمرّ الحركة في مستويين؛ مستوى تمرير الفخ دين برفعها ووضعها مرات عدة هذا اللمس بها الأرض، وفي هذا المستوى أي بعد أن لمس الأرض - عددا من ال مرات يحبس نفسه عليها دقائق قياسية قبل أن يفرغ أو يخرج من الجوّ الروحاني Meditation Temperament=(أي يفعل كأن لو كان في جوّ روحاني يدعو الله ويديه على وجهه)، وذلك في غضون مدة ممتدة حتى ينهي على ذلك فعالية رياضته جيرو-غونغرو.

في إطار حركة العنق هذه، فإنها تؤدي على شاكلة من كان يريد تأدية السلام عليكم يمينا والسلام عليكم يسارا، لكنها ه نا بأبلغ الطرق، أي باستدارة العنق الى أقصى حدود الامتداد يمينا يحبس عليها لدقائق ، وبعدها تدويره إلى أقصى حدود امتداده يسارا وحبسه عليه مجددا، قبل أن يدار بالعنق إلى كافة الاتجاهات حتى يشعر بأن العنق قد حصل هو أيضا على نصيبه من لينة العريكة ومدّ حباله وعصباته

4- المناقشة والتحليل؛

نلاحظ أنه يتمّ الدخول في رياضة جَيْرُو-غُونغُرُو بجوّ روعي من دون نية الصلاة لا برسم الفريضة أو لا النافلة، ذلك على خلاف رياضة ركعات النوافل كما قدمناه.

كما أنها تختلف مع رياضة ركعات النوافل إذ تؤدي صلاة الكونغورو بحركات متجاوزة أحيانا ومتساهلة أحيانا في الشكل والعدد. فيتحصل من ذلك ما يلي:

5- الخلاصة/ النتيجة = The Resume

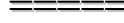
نستنتج أن جَيْرُو-غُونغُرُو أو رياضة جَيْرُو-غُونغُرُو [١] مقارنة بالصلاة الإسلامية ما يلي:

- أن جيرو كونغورو قريبة من حيث منفعتها المادية من طقوس الصلاة الإسلامية
- لكنها أيضا أقرب إلى كونها رياضة إجهادية حقيقية .

لكن على الرغم من منافع هذه الرياضة على البدن من حيث ما تمنحه له من الرشاقة والحيوية إلا أن كل الناس لا يطيقون القيام بها من شيوخ ونساء وحوامل وذوي العاهات وذلك بسبب مبالغتها في التركيز والتأمل. وهذا هو السر في قوله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج)¹ ، وقوله صلى الله عليه وسلم: "الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه"²

¹ - الحج : 78

² - صحيح البخاري كتاب الإيمان باب الدين يسر



المطلب الثالث: الرياضة الروحية في الصلاة البوذية وتقويم منافعها الصحية والنفسية

أولاً: الشقّ النظري:

1- مفهوم اليوغا = TheYoga:

مفهوم اليوغا ذو ارتباط وثيق بالعقيدة البوذية التي حصلت بتقدّيس البوذيين بوذا تقدّيساً عظيماً، حتى كتبوا المصنّفات الكثيرة عن سيرته وأعماله وأفكاره . وهو دين مئات الملايين اليوم في آسيا الجنوبية في الصين والهند خصوصاً وغيرها من الشعوب الآسيوية وقد انقسمت البوذية إلى قسمين:

1 - البوذية القديمة: وتسمى الجنوبية، لانتشارها في بورما وتايلاند وسيلان، وهي في الحقيقة تؤله بوذا وتعبدّه، وزعيمها هو (اللاما) ومقره بلاد التبت، ويعتقد أتباعه أن الإله يحل فيه، وتتميز بالرهبانية الشديدة.

2 - البوذية الجديدة: وتسمى الشمالية لانتشارها في اليابان وكوريا والصين وتتميز بالفلسفة والتعمق وتعدد الآلهة، ففي الصين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة وثلاثون، واليابانيون يعتقدون أن إمبراطورهم من نسل الآلهة.

أما حقيقة اليوغا كمارسة طقوسية فمبني على الرياضات والخلوات والمجاهدات والخيالات. وغالبا ما يعتنق البوذيون في الغابات والواحات ويمارسون أنواعاً من الرياضات البدنية الشاقة والمعروفة بـ(اليوغا)¹.

فبهذا وغيره يكون المفهوم جزءاً لا يتجزأ عن مفهوم نظرية الرياضة الروحية.

¹ - انظر ((الديانات والعقائد)) (333/4)، و((ذيل الملل والنحل)) (15- 18)، و((الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة)) (ص86- 88)

ثانيا: الشقّ التطبيقي:



1 - المعطيات التي عليها مدار التجربة

2 وهي معطيان:

- معطى روحي وهو المعتقد الراسخ في أتباع هذه الديانة. وكافة ما يدخل في ذلك من تقديس المعتقد والثقة بأنه مصدر الخير والشر والسعادة والشقاء والنور والظلمة والثواب والعقاب.

- معطى رياضي نفعي: وهو مستفاد من واقع هذه الممارسة الروحية التي شيّدوا لها ميادين أشبه بميادين الرياضة البدنية التقليدية تتسع لأعداد هائلة من المعتنقين والممارسين.

2 إشكاليات الدراسة؛

ومدارها على التساؤل عن مدى النفع الروحي والبدني الذي يمكن أن تقدمه هذه الديانة للإنسان الذي يعتنقها.

3 إجراء الدراسة التطبيقية؛

تقتضي طبيعة الدراسة تقسيمها إلى قسمين:

1 - القسم الأول: طريقة أداء رياضة اليوغا ومبادئه:

تقوم طريقة أداء طقوس اليوكا من حيث الإجمال على مبادئ معرفة يمكن حصرها فيما يلي:

a. الاحتشاد والتركيز = Concentration

b. خلق جو يرفع المعنوية الروحانية = Meditation

c. الارتخاء وتليين العريكة = Tenderness (Souplesse)

أما عن طريقة أدائها وحركاتها (فخطية ورسومية) انظر الصور الآتية؛

- تفريغ الضمير من كل مشاكل الحياة



- الجلوس مربعا (وعلى الزربية أو الرمال)



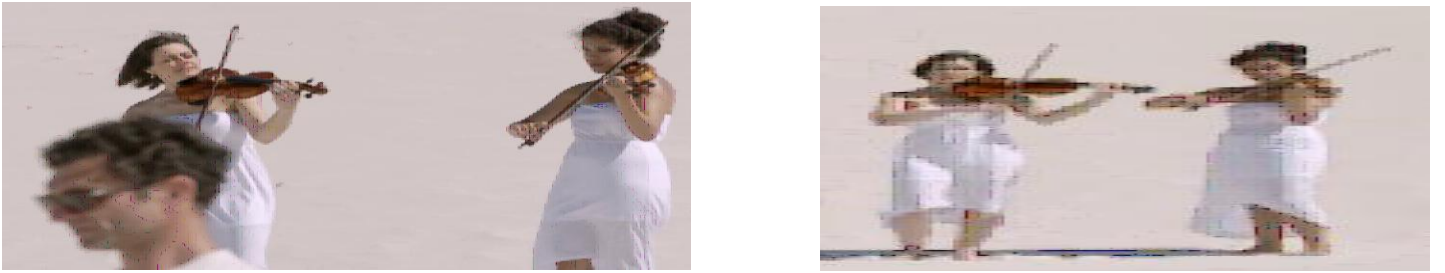
- وضع اليدين على الصدر إلى الوجه (والعينين مقلتين)



- مدّ وجزر الجسم والأطراف



إرفاق هه الحركات بالأنغام الهادئة (التي تهدأ النفوس والضمير)



2- القسم الثاني: فوائد اليوغا الصحية:

يدعي كثير من الباحثين المختصين أن ممارسة تمارين اليوغا لها فوائد عديدة على من يمارسها بانتظام. فاليوغا تساعد الإنسان على استرخاء الجسد والنفوس وتحدّ من التوتر اليومي وتخفف من القلق الذي يشعر به المرء، فهي باختصار تحقق الانسجام بين الجسم والعقل والنفوس، وهي رياضة لا تحتاج إلى معدات ويمكن ممارستها في أيّ زمان ومكان وتناسب مختلف الأعمار، وإليك باختصار الفوائد المدعاة لليوگا.

A- الأمن الداخلي = Interior Peace

d. معرفة الذات = Self-Knowledge

e. التمكين من السيطرة على الذات = Self-Maitres (Maitriser le soi)

f. التخلص من الضغوط¹ = Free Pressing

g. فوائد جسدية² = Body Advantages

¹- من اهم فوائد اليوغا أنها تساعد على التخلص من الضغوط التي نشعر بها يومياً من خلال تفريغ ذهننا من أي أفكار لبعض الوقت والتركيز على وضعية جسمنا وطريقة تنفسنا. سنلاحظ أن آثار الضغوط العصبية والعقلية التي نعانيها تتلاشى تدريجياً حتى بعد نهاية جلسة اليوغا.

²- لا شك أن لممارسة تمارين اليوغا فوائد جسدية وصحية عدة نذكر منها:

h. فوائد عقلية ونفسية¹ = Mental/ Moral Advantages

i. وهكذا...

3 - المناقشة والتحليل؛

بهذا الذي قدمناه يتبين أن اليوجا جزء من منظومة رياضية لها خاصيتان:

1 **الخاصية الروحية؛** لأنها تتطلب الدخول فيها بجو ديني-روحي من جهة، أو تمثيل الحركات الشعائرية الدينية (كما هو الشأن في جيروغُنغرو وركعات النوافل...) من جهة ثانية

2 **الخاصية البدنية أو الجسمانية؛** بتأدية حركات تمكّن الجسم من التحرك والتنفس (Movement & Transportation).

وبهذه المزوجة بين ترويض النفس وترويض الجسد تدخل اليوگا في خانة الديانات الروحية. ويجعلها تقترب إلى حد ما من الممارسة العبادية الإسلامية. الأمر الذي لا

-أن اليوگا تخفف من آلام العضلات الناتجة عن الشد العضلي.
-تساعد على عملية طرد السموم من مختلف مناطق وعضلات الجسم حتى من تلك التي لا نستخدمها في الحياة اليومية. فعملية طرد السموم تساهم في زيادة النشاط وتؤخر الشيخوخة وتطيل من العمر.
-تزيد من مرونة كل أنحاء الجسم ومن وقوة وليونة المفاصل والأربطة والأوتار.
-تعمل على تقوية الطاقة الجنسية.
-تخفف من ضغط الدم وتقلل من عدد نبضات القلب.
-تشدّ الجسم وتمنع الترهل ويمكن ملاحظة هذه النتيجة بعد فترة من ممارسة اليوگا.
-تحسّن من كفاءة عملية التنفس بحيث تقلل من عدد الأنفاس التي نأخذها في الدقيقة.
-تساعد على انقاص الوزن من خلال الجمع بين نظام غذائي صحي وممارسة اليوگا مع التمرينات الرياضية الخفيفة. هذا وقد كشف باحثون عن أن ممارسة رياضة اليوگا تساعد على خفض الوزن أكثر من الحمية الغذائية الصارمة. وقد تبين من خلال دراسة أجريت على عدد من النساء أن ممارسة رياضة اليوگا، التي تتخللها فترات تأمل واسترخاء، تخفّف حدة التوتر عند الشخص وتصد شهيته لتناول المأكولات التي تحتوي على سعرات حرارية عالية أو دهنية أو سكرية.
-تساهم في تناسق عضلات الجسم ويمكن بالتالي تفادي التضخيم الزائد لها والناتج عن تمرينات رفع الأثقال.
-أثبتت الأبحاث الطبية أن اليوگا تقضي على آلام الظهر. /// التوثيق؟؟؟؟؟؟؟؟
-تم الكشف عن فوائد اليوگا في التخفيف من فقر الدم الناتج عن نقص الحديد في الجسم إذ ترفع مستوى الهيموغلوبين في الجسم، مما يؤدي إلى رفع مستوى الحديد في الدم وبالتالي منع فقر الدم.
-تخفف تمارين اليوگا آلام الطمث وأعراض ما قبل الطمث التي تزداد مع زيادة حدة التوتر.
-تعالج اليوگا ظاهرة الأرق والنوم المتقطع حيث أن ممارسة اليوگا مرات معدودة على مدار الأسبوع تجعلك قادراً على اكتساب قدر أكبر من الاسترخاء والراحة أثناء النوم.
1- تعزز اليوگا القدرة العقلية وتزيد من الوعي الجسماني العقلي، فهي تعمل على زيادة التركيز وتحسّن عمل الذاكرة، وقد أثبتت دراسات حديثة أن اليوگا تساعد على الوقاية من الزهايمر. كما تساعد على زيادة تقبّل الذات وتقلل من العدوانية، وتقلل من التوتر والاكتئاب. وتؤدي في النهاية إلى راحة البال والإقبال على الحياة بسعادة وطمأنينة. أخيراً، لليوگا ميزة يمكن وصفها بالقابلية للإدمان، فما أن تبدأ ممارستها تجد نفسك منساقاً وراءها ولا تستطيع أن تتوقف عن أداء تمريناتها. وتعتبر اليوگا من الأنشطة القابلة للممارسة الجماعية داخل أو خارج المنزل بحيث يمكن للأسرة أن تجتمع لممارستها في الساحة الخلفية للمنزل أو حتى داخل البيت.

يتوفر في كثير من عبادات كما المسيحية واليهودية والوثنية ، كما هو الشأن لرياضة: (الفيتنس، جيناستي، فضلا من رياضة العداء) و ما شابهه الخ...

4 الفرضية الختامية (بأفاق وأبعاد جديدة)؛

وخلصتها أن نتساءل عن الفرق بين نفع اليوكا ونفع حركات الصلاة الإسلامية؟

- هل يسوغ في المنطق العقلي الحديث عن نفع روحي وبدني حقيقي لليوغا علما بأن الممارس لا يعتقد في إله يعتبره المثل الأعلى الذي إليه مرجع الخلائق خلقا وإماتة وإثابة وعقابا؟

- هل إيمان الصلاة عن خوف من الرقيب؟ هو نفس إيمان اليوكا التي ينتفي عند الممارس الخوف من أي رقيب؟

- هل يستوي الناس في قدرتهم تحمل رياضة اليوكا القاسية إلى حد ما؟ أليس الإسلام عندما فرض الصلاة راعى أحوال الناس في أدائها وأن جانب الإيمان له الحاكمية على النفع الذي يجنيه الضعيف بصلاة قليلة وحركات قليلة بقدر ما يجنيه القوي بصلاة كثيرة وحركات كثيرة؟

- أليست الفطرة دالة على نفع حركات الامتثال العباداتية يكون لها وقع في النفس مع عبادة من يستحق العبادة والخوف ممن يستحق الخوف منه ورجاء المغفرة والثواب ممن يستحق أن ترجى منه؟ قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)

المطلب الرابع: الرياضة الروحية في الدينين اليهودي والمسيحي وتقويم منافعها الصحية والنفسية

1- خصائص الصلاتين اليهودية والمسيحية



شعار الصلاة المسيحية



شعار الصلاة اليهودية

بالمقارنة بين طبيعة الصلوات الإسلامية والصلوات اليهودية والمسيحية نلاحظ أن الصلاة الإسلامية أكثر حركية ورياضية من الصلاتين اليهودية والمسيحية.

فالصلاة في اليهودية: عبارة عن التضرع إلى الإله، وقراءات في الكتاب المقدس، ولمس للجدار المقدس، والاستماع لخطبة الرهبان، إضافة إلى بعض حركات بسيطة من قبيل (طأطة الرأس عدة مرات، والسجود على ساكلتهم)

والصلاة المسيحية: في مجملها عبارة عن جلوس واستماع لخطبة الرهبان، ونشيد وترنيمات، ووقوف وجلوس بين الفينة والأخرى¹ (بطريقة طوعية شخصية لا تخضع لناموس عباداتي قدساني المصدر).

¹ - المسيحي والصلاة؛ يحنُّنا الإنجيل المقدس على الصلاة "في كل حين وبلا انقطاع" باعتبارها جزءاً هاماً من إيماننا المسيحي، فيها نعبّر عن شكرنا لله ونعلن ثقنتنا به ونجدد ولائنا له ومنه نطلب احتياجاتنا الروحية والزمنية. فالصلاة تعني اللقاء مع الرب والتحدُّث إليه عالمين ومتأكدين أنه يصغي إلى طلباتنا. ومن المهم جداً أن تكون كلمات صلواتنا صادرة من قلب تَطَهَّر بدم يسوع المسيح باعترافنا له بها لأنه مكتوب في سفر المزامير 66: 18.

المسيحي وقراءة كلمة الله الكتاب المقدس؛ كما نتحدث مع الله في الصلاة فإن الله أيضاً يرغب في أن يتحدث معنا، وذلك من خلال الكلمة التي أرسلها لنا. وقد أمرنا الله بدراسة هذه الكلمة (رسالة كولوسي 3: 16)، لأن لنا في كلمة الله غذاء لأرواحنا وهي نافعة لنا في نواحي حياتنا كلها كما سبق وذكرنا أعلاه في رسالة تيموثاوس الثانية 3: 16 - 17.

وهو خلاف للحركات الإسلامية التي قننها الشرع بالعدد والزمان والمكان وشرط
فيها الطهر بمقاييس مخصوصة.

نخلص إلى أن الصلاتين المسيحية واليهودية صلوات روحانية قلبية أكثر مما هي
حركات رياضية تعبدية.

2 - مكان المتابعة والملاحظة: كنيسة سان فرانسوا بفاس (وسط المدينة).

3 - زمان وتاريخه: 04 / 22 (أبريل) / 2018م = 1439هـ

4- مظاهر من طقوس الصلاتين اليهودية والمسيحية

طقوس الصلاة اليهودية طقوس الصلاة المسيحية



5 - استنتاج

- لا حركات ذات بال مؤثرة على جسم الإنسان في صلواتهم (حتى يصح معها الوصف بأنها رياضة تعبدية)

- إن كان هناك شئ فيهما يصح وصفه بالرياضة التعبدية فهو الترانيم والأناشيد العباداتية. وبعض الرقصات الخفيفة التي لا تكرر في اليوم الواحد خلافا للصلاة المكتوبة في الإسلام.

نخلص إلى أن الصلاة الإسلامية بتكررها خمس مرات في اليوم بأعداد مخصوصة وأوقات مخصوصة لها من المنافع الصحية والمنافع الروحانية ما يجعلها وسيلة ترويضية للجسد والروح. وقد تبين بالملاحظة والتجريب أن المواظبين على صلواتهم في أوقاتها يعيشون عمرا أطول وحياة أهنأ لا تؤثر عليهم ضغوط الحياة وجوهم متهللة على الدوام. وحتى موتهم تكون فيه نغمة روحانية مشعة على المكان ووضاءة يرسلها الله تعالى على وجه الميت قبل موته يمنحه الله قوة الثبات عند الموت اللهم ثبتنا عند الموت وعند السؤال وهونه علينا يا أرحم الراحمين.

النموذج التطبيقي السابع: المنافع الروحية والبدنية لنظام الزكاة في الإسلام

- الشق النظري:

1 - تعريف الزكاة شرعا:

الزكاة شرعا هي تطهير مال مسلم حلال استوفى النصاب بإعطاء قسط منه لمستحقه من الأصناف الثمانية . ومن حكمة الله تعالى في تشريع الزكاة أن استعار تعالى اللفظ من معهود العرب وهي التطهير للبدن وللنفس وللشهادة على الآخرين وهو المدلول عليه بقوله تعالى: **؟ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ؟ [التوبة: 103].

- الشق التطبيقي:



2- المعطى الديني الذي عليه مدار التجربة المخبرية

نقتطف من ذلك:

- قوله تعالى **وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ ؟ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (39)** {سورة الروم.

- وقوله الله تعالى: **{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ 39}** سبأ.

- وقوله تعالى: **«إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفْهُ لَكُمْ...»¹**

- وقوله **؟: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ؟ قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعة الله)**² رواه مسلم.

¹ - سورة التغابن، الآية: 17.

² - أخرجه مسلم في صحيحه، الصفحة او الرقم: 2588.

4 - إشكاليات الدراسة؛

انطلاقاً من النصوص المؤطرة لركن الزكاة الشرعية في الإسلام نتساءل عن الوجه الذي يصح معه القول بأن تزكية المال على الوجه المشروع تنميه وتزيد فيه؟

- ما هي تجليات هذا النمو على المستوى الواقعي النفعي المادي؟

- ما هي تجليات هذا النفع المادي في رحوح المزكي لأمواله؟

4- إجراء الدراسة التطبيقية؛

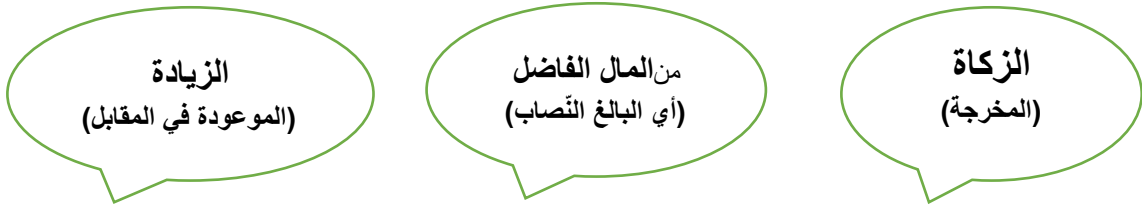
النموذج العملي: نصاب الزكاة من فران-سيفا¹ Fcfa =

رياضية يقال أن: - = + x (+)

5 - التحليل:

هو أنه إذا كان: (- في + = +)

فاعلم مسبقاً على أن لكل رمز من هذه الرموز الثلاثة [أي الناقص (-)، الزائد (+)، والزايد الأخير (+)] دلالة أو تفسيراً يتأكد معه بالفعل أن الزكاة دئمي الأموال الأمر الذي يتماشى ومع مضمون النصوص الكريمة وذلك على النحو التالي:



دلالات الرموز: - = في + = (+)

وعليه فإن: إخراج 5سيفا من 200سيفا (Fcfa) فإنها تعطينا هذه:

$$- 5 + 200 = 195 \text{ (أي } +195 \text{) Fcfa .}$$

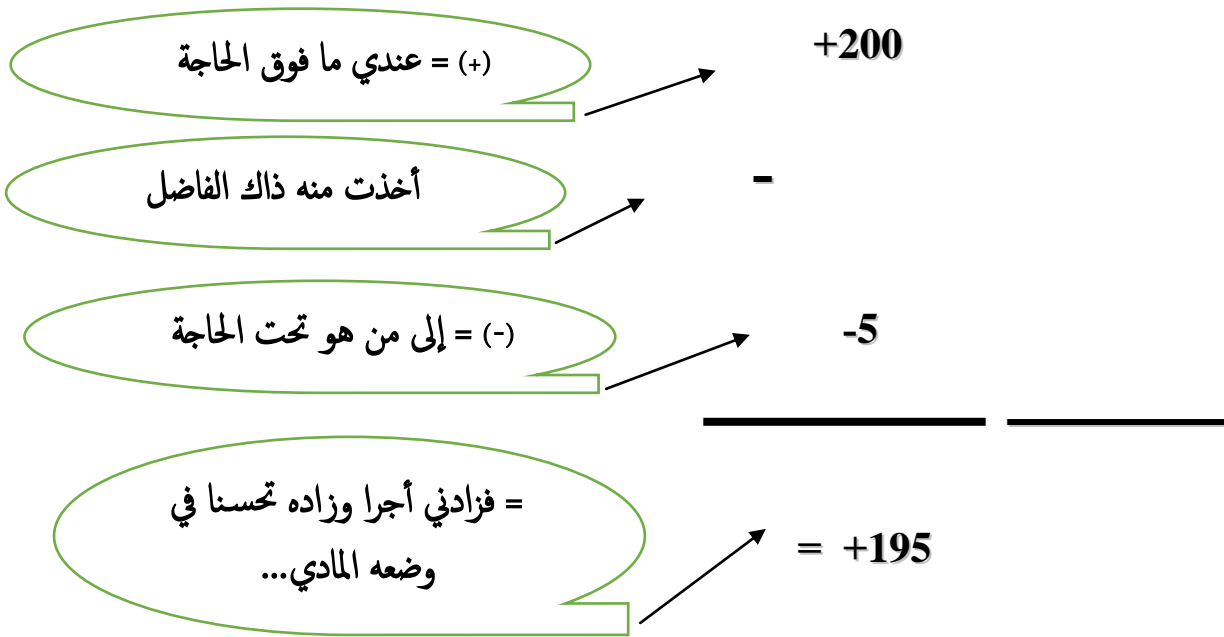
ولفهم هذا أكثر انظر:

¹ - ه هي النقود المستعملة في الكوت ديفوار وفي باقي بلدان غرب أفريقيا (حالياً وريثما أن يدخل في حيز التنفيذ النقود المنتظرة).

القاعدة التي تقول: أنه ولكي نحصل على + في النتيجة يجب أن يكون (الناقص هو الأقل عددا والزائد هو الأكبر عددا (الذي منه خرج الأقل) لكي نحصل في المقابل على النتيجة +).

أي كي نحصل على (- 5 + 200 المساوي + 195) كان يجب أن يكون 5 هو الأقل و200 هو الأكبر فنحصل على +195.

وهو الأمر الذي يتمشى ومع النماء الموعودة في الآيات القرآنية الكريمة على إثر إخراج الزكاة من المال المستوفي شروط النصاب، ذلك أن :



6- المناقشة والتحليل؛

بديهي شرعا أن الزكاة لا تجب إلا من عنده ما فوق الحاجة، ولا تعطى إلا لمن هو تحت الحاجة، فينتج أن المال المأخوذ من المال الفوق الحاجة (أي البالغ النصاب) ومنحه لمن هو في دائرة الحاجة (أي تحت خط الفقر)، فإن المال المأخوذ من المال الفاضل عندي إلى هو تحت خط الفقر ، يفضي حتما لو اعتمد قانونا مطردا في القطر الإسلامي إلى نوع من التوازن الاقتصادي بحيث يتأهل الفقراء نوعا من التأهل لتصبح عندهم قدرة شرائية للتعامل مع بضائع الأغنياء شراء وكراء واستئجارا وتلك دورة اقتصادية لا شك في أنها ستتمي أموال الأغنياء التي تمت تركيتها ومُنح الفاضل منها للفقراء والمساكين.

ثم إن المحسن الذي يزكي ماله سينعكس ذلك على ذريته وفي قصة الخضر مع الغلامين دليل على ذلك.

✓ أثبتت التجربة والملاحظة أن من ينفق ويقاسم الغير ما عنده يُنفق ، يرفع الله درجته ويمنحه غنى على غنى.

✓ حصوله على رضى الناس، ومحبتهم، وتعاطفهم معه (مقابل إحسانه إليهم)، وفي ذلكم قيمة إضافية إلى ما بقي عند المزكي من المال بعد التزكية.

✓ السعادة الروحية التي يستشعرها المزكي عند تزكيته ماله وهو يرى السعادة في عيون المحتاجين المستفيدين من الزكاة.. يرى رضاهم عليه يرى دعاءهم له بالخير يرى استعدادهم للتعاون معه فيما يقبل عليه من أعمال التجارة والتنمية. وهذا طبع بشري فطري في بني الإنسان. وتلك كلها قيمة إضافية على ما بقي عند المزكي من وراء الزكاة. ذلكم هو عيبين النماء بمعناه الروحي الإنساني الخلاق.

7 - الخلاصة/ النتيجة = The Resume

نخلص من هذا إلى أن الله تعالى ورسوله كانا صادقين فيما وعدا به المزكي من تنمية ماله والزيادة فيه. فها أنت ترى أن شروط الزيادة المادية متوفرة بما يتحصل من تطبيق الزكاة من التوازن الاقتصادي وتأهل الفقراء للمساهمة في الاقتصاد العام في القطر الإسلامي المخصوص.

وبالمقابل فلا خلاف في أن ما يتحقق للمزكي من سعادة روحية ومن محبة الفقراء له يعتبر أيضا نوعا من زيادة معنوية في ثروة الأغنياء وتلك تزكية روحية ومادية متناغمة متوازنة لا تجدها الفطرة البشرية. (...خذ من أموالهم صدقة تزكيهم وتطهرهم وتزكيهم بها...) ¹.

المطلب الأول: زكاة الحبوب والماشية تجليات نفعها المادي والروحي

الشق التطبيقي:



1 المعطيات الدينية التي عليها مدار التجربة المخبرية

2 نلخص من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ } الأنعام / 141 .

- ما رواه البخاري (1483) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (فِيمَا سَقَتْ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثْرِيَّ الْعُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ).

. أما عن وجوب زكاة الأنعام في القرآن ،قوله تعالى: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }سورة الأنعام.

وفي السنة المطهرة: فقوله : «ما من رجل تكون له إبل أو بقر أو غنم لا يؤدي حقها، إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه، تطؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها، كلما جازت أхраها، ردت عليه أولها حتى يقضى بين الناس » ، رواه البخاري في صحيحه.

- وكذلك تجب الزكاة في الحبوب والثمار بإجماع العلماء .

2 - إشكاليات الدراسة؛

بالنظر إلى الإنسان الإفريقي البسيط وما يمكن أن يطرحه من الأسئلة وأنت تقدم له هذه الأحكام التفصيلية على أنها شرع من عند الرحمان. عليك أن تستحضر الأسئلة

الافتراضية التي يمكن أن يوجهها لك وكيف تتحرى عن الأجوبة المناسبة. ومما نفترضه من الأسئلة:

- لماذا الزكاة بالكيل في الحبوب المقتاتة والتمر دون غيرها من الفواكه والخضر المتفكه بها؟
- لماذا الزكاة في الماشية بالرؤوس والأعمار والعدد ولا تكون بالوزن وبأي معيار آخر؟
- لماذا حسابان زمن الأداء بالسنة القمرية وليس بالشمسية؟
- ولماذا وجبت الزكاة في الشياه والضأن والأنعام دون بقية الحيوانات (كالخيل والبغال والحمير والدجاج)؟
- هل مبنى الوجوب على ما تستسيغه الطباع من أكل لحوم بعضها؟ وهل مبنى عدم الوجوب على عدم استساغة أكل لحوم بعضها الآخر؟
- أم أن المبنى في التي لم تجب فيها الزكاة على أنها وسائل للنقل والحرب والحرث والحرب وأمور الفلاحة وغيرها؟
- أم أن هناك معنى آخر من معاني المنع في منطوق قوله تعالى: (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)؟

هي أسئلة تفرض تحديا حقيقيا على الداعية وجب منطوقا وشرعا تحضير الأجوبة المناسبة لها في إطار قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).¹

3- منافع الزكاة ومقاصديتها دينيا ومخبريا

بناء على طبيعة، وإشكاليات الموضوع المطروحة، فلقد أجرينا دراسة تحقيقاتية (Investigation) بخصوص الموضوع استعنا فيها بعدة وسائل ومناهج في سبيل الخلوص إلى أجوبة علمية مقنعة للإنسان الإفريقي البسيط نعرضها كما يلي:

ومما نلخصه من ذلك :

أولا من المنقول:

منها: وقوع الإجماع على وجوب الزكاة في الحبوب والثمار. وعنه يقول ابن قدامة رحمه الله: "أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الصَّدَقَةَ وَاجِبَةٌ فِي الْحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالنَّمْرِ، وَالزَّبِيبِ. قَالَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ"².

¹ - سورة النحل، آية 125.

² - انظر: "المغني" (294/2).

ومنها: مقدار نصاب الزكاة في الحبوب والثمار؛ والدليل على ذلك ما رواه مسلم (979) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ)، فدل على اعتبار التوسيق، وهو معيار من معايير الكيل. أما الادخار، فلأن النعمة لا تكتمل إلا فيما يدخر، وذلك لأن نفعه باقٍ لمدة أطول.

ومنها: وجوب الزكاة في الأنعام أو النعم، والتي هي واجبة في المواشي من النعم، وحيث يخص وجوب زكاة فيها ثلاثة أجناس فقط وهي: (الإبل والبقر والغنم) الضأن والماعز). والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا...} ¹ سورة الأنعام. وقوله تعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} ² الآية. ونحو ذلك...
ومنها: أيضا أن الذين يؤتى لهم هذا الحق أصناف وهم كالتالي:

- الفقراء وهم من لا تكفيه مؤونته سنة والمساكين وهم من لا يجد قوت يومه
 - من يعملون على جباية الزكاة وتوزيعه من العاملين عليها الذين يشقون في تحصيلها من الآفاق ويضعون الدواوين والدفاتر لإحصاء الممتلكات.
 - العبد أو الأمة الذي يشتري نفسه من سيده فيعان ويعطى من الزكاة لتحرير رقبته من سيده.
 - المدين المعسر الذي لا يستطيع سداد دينه سواء كان الدين لمصلحة عامة وعمل الخير للناس أو لمصلحته الخاصة.
 - المجاهدون في سبيل الله، وهم الذين يقاتلون دفاعاً عن دينهم وأوطانهم ويدخل فيه كل عمل فيه نشر للإسلام وإعزاز لكلمة الله.
 - المؤلفون قلوبهم، وهم الكفار الذين أسلموا حديثاً أو من يرجى إسلامه من الكفار، وهذا الصنف لا يعطى من قبل الأفراد وإنما هي وظيفة ولي أمر المسلمين والمؤسسات الخيرية التي تقدر المصلحة في ذلك.
 - المسافر الغريب الذي انقطعت به السبل واحتاج للمال حتى ولو كان يملك في بلده مالا كثيراً. وقد جمع القرآن هذه الأصناف كلها بقوله : {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ} ³
- ثانياً: من المعقول:**

ويقودنا إلى عرض الواقع القديم على الواقع العصري

وبيان ذلك أن الواقع القديم الذي كان فيه أغلب الناس يعيشون في البوادي وعلى نمط الزراعة وتربية الماشية. وكان سهلاً عليهم إخراج الزكاة من تلك الأعيان وأن يعطوها للمستحق الذي يقاسمهم نفس نمط العيش. أما اليوم فمع تطور اساليب الحياة وغلبة التجارة

¹ - السورة، الانعام، الآية 136.

² - السورة الحج، الآية: 28.

³ - السورة التوبة، الآية: 60.

على نمط العيش وحاجة الناس إلى النقد صارت الضرورة تفرض تقدير تلك الزكاة بالمال وتعبيرها بالمال.

فمع تبعية الدول الإفريقية للغرب الرأسمالي وسيرها في ركابه أصبح المواطن داخل المدن بحاجة إلى المال .. إلى النقود. وأن الفلاح أو الشركة الزراعية لو أراد إخراج الزكاة من عين الحبوب أو عين الماشية لا يجد من يعطيها إياه على هذا النحو لصعوبة حيازته وتصريفه في الزمان والمكان.

ومن العوائق أيضا أنه في الماضي كان إخراج الزكاة يعتمد على ضمائر الناس، لكن اليوم ومع تغول الرأسمالية وظهور شركات فلاحية وصناعية وخدمائية وتجارية عملاقة، حلت الضريبة محل الزكاة ولم يعد للفقراء الجراة على طلب الزكاة من الأغنياء الميسورين. هؤلاء الأغنياء الذين يحسبون أن الضريبة ناسخة للزكاة بالمعنى العصري للعطاء الاستحقاقى عن المال.

ففي غياب إطار قانوني في الدول الإسلامية الإفريقية السمرء من شأنه فرض أداء الزكاة على ذوي النصاب بالقهر القانوني، يتقاعس الأغنياء عن أداء هذا الحق لمستحقيه. وهو ما يدعونا إلى قرع ناقوس الخطر في أذان المسؤولين لتذكيرهم بأن المكوس (الضرائب) مثلما هي حق بالشرع للدولة فالزكاة أيضا هي حق لله تعالى شرعا وأخلاقا. ولا أدل على هذه المعادلة الخرقاء من أنني لم أتلق ولو فلسا واحدا ولا حبة قمح واحدة ممن استجوبناهم من أغنياء المسلمين في بلاد كوت ديفوار وبلاد المغرب. - والحاصل مما تقدم يدعونا الفضول المعرفي والمقاصدي إلى المجاهرة بوجوب وضع الدول الإسلامية في القارة السمرء وضع جدول تنظيمي دقيق من نظامين: نظام الضريبة ونظام الزكاة. يخضع لها بموجبهما الأغنياء المالكون للنصاب في المال والمواشي والزروع والتجارات. وبهذا تجمع الجهة المخولة بين الحسنين: بين مراعاة حق الدولة ومراعاة حق حق الله الذي هو للمستحقين من الأصناف الثمانية المذكورة في القرآن.

4 - نوعية الدراسة: (تتبع واستقراء) = Investigation Studying

5 - مدة البحث والتحقيقات؛ من 12 - إلى 22 / يوليو / 2018م = 1439هـ.

6 - المناقشة والتحليل؛

ومما تجدر مناقشته مما يدل على عدالة ومقاصدية وفعالية الزكاة المفروضة قدرا ونصابا ما يلي:

- أن حصر النصاب في الحبوب في خمسة أوسق مبني على ما اعتادت الأسرة العادية أن تتعيش به على امتداد سنة كاملة من الحبوب والتمر وهو تسعة أعشار الوسق. بينما العشر الباقي يعطى لمستحقيه. وهو فيما سفته السماء ولم يبذل فيه الفلاح جهدا ولا مالا في سقيه.

- لكن إذا كان مما يسقى بطريق النضح فلا خلاف في أن فيه جهدا يبذله الفلاح في ذلك لذلك راعى الشرع هذه الحالة بأن أو جب عليه نصف العشر فقط. وهو المدلول عليه بجديث عبد الله بن عمر عن الرسول صلى الله عليه أنه قال: (فِيمَا سَقَّتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَنَرِيًّا الْعُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ)¹.

- أما عن الحكمة في ذلك فما أشار إليه ابن عثيمين رحمه الله بقوله: "على أنها كثرة الإنفاق في الذي يسقى بمؤونة، وقلة الإنفاق في الذي يسقى بلا مؤونة، فراعى الشارع هذه المؤونة، والنفقة، وخفف على ما يسقى بمؤونة"².

وأحسب أن ابن عثيمين لم ينتبه في هذا التعليل إلى أنه في زماننا صار فيه مزارعون كبار يسقون بالنضح ويهدرون الفرشاة المائية للبلاد ويجنون أموالاً طائلة وهم في ذلك الغنى الفاحش أشبه بدول صغيرة. فهل يؤخذ من هؤلاء نصف العشر أم أن المصلحة قاضية بأن تضاعف الزكاة عليهم ضعفين وهو أخذ الخمس منهم لا العشر ولا نصف العشر.

- أما عن مقدار نصاب الحبوب بالكيلو جرام فقد حاولنا إجراء دراسة مقاصدية ومقارنتية (بين الوزن الشرعي والوزن العصري) بخصوصه للخروج بما مفاده أن نصاب الحبوب في العصر الحالي هو هكذا.

أي أن الأصل في نصاب زكاة الحبوب هو أنها لا تكون إلا بالكيل لأنها من الموزونات والمكيلات، فضلا عن أن الزكاة لا تجب في الحبوب حتى تبلغ خمسة أوسق؛ للحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي

? قال: "ليس فيما دون خمسة أوسق من تمر ولا حب صدقة"³، والحديث رواه البخاري أيضاً. وهذا النصاب حكاها ابن المنذر إجماعاً.

والوسق ستون صاعاً، والصاع أربعة أمداد، والمد يساوي وزناً 560 جراماً، والصاع 2240 جراماً من البر الجيد -تقريباً، فالنصاب بالكيلو جرام إذن: يساوي تقريباً 672 كيلو جراماً من البر الجيد.

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، الصفحة/الرقم 1483.

² - راجع: "الشرح الممتع" (77/6).

³ - أخرجه مسلم في صحيحه ولفظه:

2310 - وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ بُكَيْرِ النَّاقِدِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ سَأَلْتُ عَمْرُو بْنَ يَحْيَى بْنِ عُمَارَةَ فَأَخْبَرَنِي عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " لَيْسَ فِيْمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ وَلَا فِيْمَا دُونَ خَمْسِ دُوْدٍ صَدَقَةٌ وَلَا فِيْمَا دُونَ خَمْسِ أَوْاقٍ صَدَقَةٌ " .

2311 - وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحِ بْنِ الْمُهَاجِرِ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، ح وَحَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، كِلَاهُمَا عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرُو بْنِ يَحْيَى، بِهَذَا الْإِسْنَادِ . مِثْلُهُ .

2312 - وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو، بْنُ يَحْيَى بْنِ عُمَارَةَ عَنْ أَبِيهِ، يَحْيَى بْنِ عُمَارَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ . وَأَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَفِّهِ بِخَمْسِ أَصَابِعِهِ ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ .

بينما تلك المتعلقة بزكاة الأنعام فإنها لم تجب إلا في المواشي من النعم، خصوصاً: الإبل والبقر (وتشمل الجواميس)، والغنم (وتشمل الضأن والماعز)¹. وقد حدّد الشرع شروطاً في إخراجها وذلك على النحو الآتي: منها أن تبلغ النصاب وأن يحول عليها الحول (والحكمة في ذلك أن يتكامل نماء المال) وأن تكون سائمة وليست معلوفة (عند الجمهور خلافاً للمالكية).

زكاة الإبل وهي على النحو التالي:

التدرج الترتيب فيه	عدد الإبل	
الخروج	من	إلى
لا شيء فيها	1	4
شاة واحدة	5	9
شأتان	10	14
3شياه	15	19
4شياه	20	24
بنت مخاض (هي أنثى الإبل أتمت سنة واحدة ودخلت في الثانية، سميت بذلك لأن أمها لحقت بالمخاض وهي الحوامل الثانية).	25	35
بنت لبون (أنثى الإبل التي أتمت سنتين ودخلت في الثالثة، سميت بذلك لأن أمها تكون وضعت غيرها في الغالب وصارت ذات لبن).	36	45
حقة (أنثى الإبل التي أتمت ثلاث سنين ودخلت الرابعة، سميت حقة لأنها استحققت أن يطرقها الفحل)	46	60
جذعة (أنثى الإبل التي أتمت أربع سنين ودخلت في الخامسة)	61	75
بنتا لبون	76	90
حقتان	91	120
ثلاث بنات لبون	121	129
حقة + بنتا لبون	130	139
حقتان + بنتا لبون	140	149
ثلاث حقاق	150	159
أربع بنات لبون	160	169
ثلاث بنات لبون + حقة	170	179
بنتا لبون + حقتان	180	189
ثلاث حقاق + بنت لبون	190	199
أربع حقاق أو خمس بنات لبون	200	209

ثم في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة.

2.

¹- انظر مادة: ن ع م في لسان العرب لابن منظور ومقاييس اللغة لابن فارس
²- باب في زكاة بهيمة الأنعام -كتاب الزكاة -صالح بن فوزان الفوزان | طريق الإسلام نسخة محفوظة 08 مارس 2014 على موقع واي باك مشين.

2- أما عن نصاب البقر ومقدار الزكاة الواجبة فيه:

فهو على النحو التالي:

التدرج الواجب فيه	حد البقر	
	من	إلى
الخروج	1	29
لا شيء فيها	30	39
تبيع (ما أتم من البقر سنة ودخل في الثانية، ذكراً كان أو أنثى)	40	59
مسنة (أنثى البقر التي أتمت سنتين ودخلت في الثالثة)	60	69
تبيعان أو تبيعتان	70	79
مسنة + تبيع أو تبيعة	80	89
مسنان	90	99
ثلاث أتبعه	100	109
مسنة + تبيعان أو تبيعتان	110	119
مسنان + تبيعان أو تبيعتان	120	129
ثلاث مسنات أو أربعة أتبعه	وهكذا ما زاد عن ذلك في كل ثلاثين تبيع أو تبيعة، وفي كل أربعين مسنة.	

والجواميس صنف من أصناف البقر يضمها مالؤها إلى ما عنده من البقر ويخرج بنفس المقدار¹.

¹ - باب في زكاة بهيمة الأنعام - كتاب الزكاة - صالح بن فوزان الفوزان | طريق الإسلام نسخة محفوظة 08 مارس 2014 على موقع واي باك مشين.

3- أما عن نصاب الغنم ومقدار الزكاة الواجبة فيه:

فهو على النحو التالي:

حد النثم	التدرج الواجب فيه
1 - 39	لا شيء فيها
40 - 120	شاة واحدة (أنثى الغنم لا تقل عن سنة)
121 - 200	شأتان
201 - 399	ثلاث شياه
400 - 499	أربع شياه
500 - 599	خمس شياه

الخلاصة/ النتيجة = The Resume

نستخلص من العرض أهم النقاط التالية:

- أن الناظر مخبريا وافتراضيا إلى التقادير الشرعية المقررة في المسائل المزكاة سيقف على ما هنالك من معادلة عجيبة متوازنة بين القدر الواجب فيه النصاب والقدر الواجب بالزكاة. وهو أمر مطرد في الحبوب والثمار وفي المواشي والأموال معا.
- وبافتراض أن ربع سكان القطر الإسلامي تجب الزكاة في أموالهم،
- وبافتراض ما قد يكون بينهم من تفاوت في الغنى
- وبافتراض أن ثلاثة أرباع السكان الفقراء متفاوتون أيضا في فقرهم
- وبافتراض أن الزكاة الواجبة قد وصلت فعليا إلى أصحابها المستحقين بحسب درجات استحقاقهم
- وبافتراض أن ذلك سيتكرر بوتيرة سليمة في ذلك القطر
- ومع مراعاة القدرة الشرائية المتحصلة للفقراء بسبب تلك الزكاة عاما بعد عام،
- يتحصل من ذلك كله أن القطر لا شك سيسجل نموا اقتصاديا متزايدا في التجارات والخدمات والفلاحة والصناعات وفي التعليم، يوازيه نمو آخر نفترضه في العلاقات الاجتماعية بين المالكين والفقراء والمعدمين¹.

¹ - انظر كتاب (الزكاة في الاسلام في ضوء الكتاب والسنة للدكتور سعيد بن وهف القحطاني مركز الإرشاد والدعوة بالقصب 1421هـ) وانظر كذا الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 228/8 وه تفسيره لقوله تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها)

النموذج التطبيقي الثامن: المنافع الروحية والبدنية لفريضة الصوم في الإسلام

المرصد الأول: المنافع الروحية والبدنية للصوم في الإسلام

- الشق النظري:

1 - الصوم لغة واصطلاحاً:

يعتبر الصوم في كافة الأديان فريضة من الفرائض إلا أنه يختلف بالكيفية من دين لآخر، وهو في اللغة هو الإمساك مطلقاً سواء عن الأكل، أو عن الشرب، أو عن الكلام، أو عن غيرها الشهوات، أو عن الأعمال السيئة حتى. وفي الاصطلاح فيعرف بأنه الامتناع عن الأكل والشراب وكل ما يعدّ من المفطرات، من وطء وغيره من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

- الشقّ التطبيقي: وعنوان دراسته:

المنافع الروحية والبدنية للصوم في الإسلام

1 - المعطيات الدينية التي عليها مدار الدراسة المخبرية

ومما نقتطفه من ذلك:

أ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ صُمْ يَوْمًا وَلَكَ أَجْرٌ مَا بَقِيَ قَالَ إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ صُمْ يَوْمَيْنِ وَلَكَ أَجْرٌ مَا بَقِيَ قَالَ إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَكَ أَجْرٌ مَا بَقِيَ قَالَ إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ صُمْ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ وَلَكَ أَجْرٌ مَا بَقِيَ قَالَ إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ صُمْ أَفْضَلَ الصِّيَامِ عِنْدَ اللَّهِ صَوْمَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا¹

1 - أخرجه أبو عروبة الحرّاني في "جزئه" (رقم: 45)، والعقيلي في "الضعفاء" (92/2)، والطبراني في "المعجم الكبير" (رقم: 1190 - قطعة من المفقود)، و"المعجم الأوسط" (174/8 - رقم: 8312) - واللفظ له - ، وأبو نعيم في "الطب النبوي" (رقم: 113)، من طريق محمد بن سليمان بن أبي داود [تحرف اسمه عند العقيلي إلى: محمد بن سليم]، حدّثنا زهير بن محمد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا." وجاء لفظه عند أبي عروبة والعقيلي: "اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تصحوا." واقتصر أبو نعيم على عبارة: "صوموا تصحوا." قال الطبراني: "لم يرو هذا الحديث عن سهيل - بهذا اللفظ - إلا زهير بن محمد."

أقول: هذا حديث منكر؛ لأجل زهير بن محمد وهو: التميمي، أبو المنذر، الخراساني، فرواية أهل الشام عنه فيها مناكير - كما قال الإمام أحمد والبخاري وأبو حاتم - ، وقال ابن عدي: "ولعل الشاميين حيث رَووا عنه أخطئوا

ب - وقوله ؟: " صُومُوا تَصِحُّوا " الحديث¹.

2 إشكاليات الدراسة؛

وترمي الإشكالية إلى النظر في المنافع الروحية والبدنية لنظام الصوم (Fast Regime) في مقارنة بين الصوم في الإسلام والصوم في الديانات الأخرى وسنسلك في ذلك مسلكن: عملي وصوري

*المستوى العملي وهو عبر المعادلات الآتية:

- الأكل زيادة عن حد الشبع يساوي البدانة

الجوع بالإفراط في التقشف والزهد يساوي النحافة

فينتج أن نصف الأكل + نصف الجوع يساوي الرشاقة

وتجريب ذلك مخبرياً بتقسيم وجبات الأكل على شهر رمضان كله ينتج لنا:

أن نصف الأكل + نصف الجوع يساوي الصوم ذاته (والذي يتمثل في توزيع وجبة الفطور ووجبة السحور على 9 ساعات متتالية من أصل 24 ساعة متتالية فيها 15 ساعة صوم عن المأكول والمشرب والمنكح: فينتج مخبرياً:

عليه؛ فإنه إذا حدثت عنه أهل العراق فرَوَّايَتُهُمْ عنه شبهة المستقيمة، وأَرْجُو أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَالرَّوَايَةُ عَنْهُ هُنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ الْحَرَّانِيِّ.

والحديثُ ضَعْفٌ إِسْنَادُهُ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي " تَخْرِيجِ الْإِحْيَاءِ " (87/3)، أَمَّا قَوْلُ الْحَافِظِ الْمَنْذَرِيِّ فِي " التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ " (49/2 - 50، رقم: 1450) - عَقِبَ الْحَدِيثِ - " رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرَوَّاهُ تَقَاتٌ "، أَقُولُ: هَذَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يَعْنِي خُلُوهُ مِنَ الْعَلَلِ - كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ الْمُصْطَلَحِ -، فَالْمَنْذَرِيُّ تَحَقَّقَ مِنْ شَرْطٍ وَاحِدٍ مِنْ شُرُوطِ الصَّحَّةِ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ مِنْ بَقِيَّةِ الشُّرُوطِ، وَهِيَ: الْإِتِّصَالُ، وَعَدَمُ الشَّدُوذِ وَالْعَلَّةِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ اشْتَمَلَ عَلَى عِلَّةٍ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا الْمَنْذَرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

وللحديث شاهدان ضعيفان جداً، يزداد بهما وهناً على وهن:

الأول: أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي " الْكَامِلِ " (57/7) قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْفُرَشِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَجَاءِ السَّنْدِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ النَّيْسَابُورِيُّ، حَدَّثَنَا نَهْشَلُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، [قَالَ:] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " سَافِرُوا تَصِحُّوا، وَصُومُوا تَصِحُّوا، وَاعْزُوا تَعْمَمُوا ". أَقُولُ: هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ جِدًّا؛ فَنَهْشَلُ بْنُ سَعِيدٍ مَتْرُوكٌ، بَلْ كَذَبَهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، وَالْإِسْنَادُ مَعَ ذَلِكَ مَنْقُطٌ؛ فَالضَّحَّاكُ - وَهُوَ: ابْنُ مِرْاحِمٍ - لَمْ يَسْمَعْ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ شَيْئاً.

الثاني: أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِيٍّ - أَيْضاً - فِي " الْكَامِلِ " (357/2) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُوحِ بْنِ نَصْرِ، حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ؛ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " صُومُوا تَصِحُّوا. "

أقول: هَذَا إِسْنَادٌ كَسَابِقُهُ ضَعِيفٌ جِدًّا؛ فَحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ: ابْنُ ضَمِيرَةَ الْحَمِيرِيِّ، نَسَبَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ إِلَى الْكَذِبِ، وَقَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ: " مَتْرُوكٌ الْحَدِيثِ "، وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ: " لَيْسَ بِثِقَةٍ، وَلَا مَأْمُونٌ "، وَقَالَ مَرَّةً: " كَذَّابٌ، لَيْسَ بِشَيْءٍ "، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: " مَنكُرُ الْحَدِيثِ "، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: " مَتْرُوكٌ الْحَدِيثِ، كَذَّابٌ "، وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: " لَيْسَ بِشَيْءٍ، أَضْرَبَ عَلَى حَدِيثِهِ "، وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: " ضَعِيفٌ، مَنكُرُ الْحَدِيثِ، وَضَعْفُهُ بَيْنَ عَلَى حَدِيثِهِ "، وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: " يَرْوِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ بِنسخةٍ موضوعةٍ. "

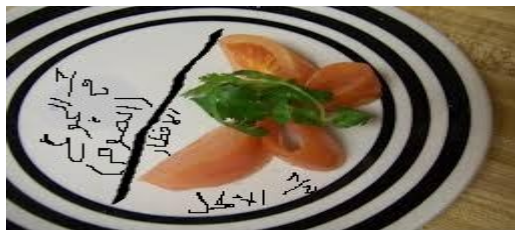
- أن الصوم يساوي الرشاقة ومن ثم العافية في البدن ومن ثم القدرة على العمل في المجتمع والقدرة على إتيان الواجبات الدينية خير إتيان.

وللموازنة بين الأكل المفرط وبين الجوع المفرط نعرض الصور الآتية:

الأكل و الجوع



الصحن المملوء بالطعام الصحن الفارغ من الطعام



الحالة الثالثة:



وهو أنه لما كانت كمية الطعام الم تناولة مقدرة بحسب الحد الأدنى مما يحتاجه الجسم أنتج الرشاقة والعافية

3 المناقشة والتحليل؛

نستنتج من عرض هذه الحالات الثلاث في علاقة الإنسان بالمأكل والمشرب ما يلي:

- أن الإفراط في الأكل ينتج بدانة وأمراضا وخمولا وتقاعسا عن العمل وهذرا للمصالح الاجتماعية وضغطا على المستشفيات بكثرة مرضى البدانة.
- أن الإفراط في الزهد في الأكل والتقشف ينتج وهنا للجسم وضعفا حادا ومواطنا ضعيفا وتلك حالة أهل التصوف المغالي الذين يموتون هلاكا قبل الأوان. وقد نبه القرآن بالوعيد على من يجورون على أنفسهم في كثير من الايات من ذلك قوله تعالى: (ولا تقتلوا انفسكم)¹ وقوله: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)²
- أن التوسط في المأكل والمشرب سواء في زمن شهر الصيام أو في غير زمن شهر الصيام ينتج جسما رشيقا متوازنا سليما معافى. وقديما قيل: العقل السليم في الجسم السليم.

والذي يقف على الأحاديث الواردة في باب الأطعمة والأشربة والتوسط المطلوب في ذلك بالقرآن وبالحديث يقف على عظمة هذا الدين الإسلامي دين الوسطية بامتياز³. ومن الأدلة الواقعية المؤكدة على هذا الذي ذكرناه انسجاما مع تقرير الدين الإسلامي في تقنيته المطعم والمشرب للمسلم، أن الصالحين من عباده المنتظمين لتعاليمه صوما وصلاة وغيرها تجدهم أصحاء أجساما وأطول أعمارا وأنفعهم لأهلهم ولأنفسهم. فهم بذلك منسجمون مع الفطرة التي تقضي بأن أفضل الأشياء أوساطها لا إفراط ولا تقريط.

¹ - سورة النساء، الآية: 29.

² - سورة الحديد، الآية: 27.

³ - قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ الأعراف (31) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلا لا يُقْمَنُ صلبه فإن كان لا محالة فثلاث لطعاه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه)

الراوي : المقدم بن معدي كرب | المحدث : محمد جار الله الصعدي | المصدر : النوافح العطرة | الصفحة أو الرقم : 323 | خلاصة حكم المحدث : حسن | التخريج : أخرجه الترمذي (2380)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (6769)، وابن ماجه (3349)، وأحمد (17186) واللفظ له

واعذروني أن أستشهد في هذا المقام بحالة أستاذي الشخصي بالكوت ديفوار الذي دأب على الانتظام للشريعة بصيامه من كل شهر أياما كم هو رشيق في جسمه معافى في بدنه. حتى صار مضرب الأمثال إنه أستاذي وحببي محمد جاكيتي، بالكوت ديفوار بمدينة بواكي وبحي عذاكرو. والذي بسبب انتظامه للتعاليم الإسلامية في مأكله ومشربه وتنظيم أيام صومه لم تهجم عليه الأمراض على الرغم من تقدم سنه ولم يزعج يوما طبيبا أو مستشفى بشكواه من علة ما. فاللهم ارزقه حسن الخاتمة وأقدرنا على اقتفاء سيرته ومسلكه. آمين.

4 - الفرضية الختامية (بأفاق وأبعاد جديدة)؛

وهذا يقودنا إلى التساؤل عن أولئك المسلمين الذين يصومون ويصلون ولكنهم بدينون لأنهم يسرفون في المأكل ويحاولون إنقاص البدانة بالمانيكيناج Mannequinage لعلها تكون أبدانهم رشيقة¹؟

- ترى أي فائدة لهذه الرياضة التي ليس لها من مبرر ما دام صاحبها متماديا في عدم الانتظام لتعاليم الإسلام؟ بأي وجه يصح تجويزها لمن يقول بالتجويز؟ وبأي وجه يصح القول بحرمتها بالنسبة للذين يقولون بالتحريم؟

ذاكم هو سؤال الامتثال وسؤال سوء الامتثال لتعليم الدين الحنيف تعلقا بالصيام وتعلقا بتنظيم المأكل والمشرب في الحياة.

¹ - حتى يكون التشجيع على ترشيق الأبدان بما فيه طاعة للخالق بدل كونها على ما فيه معصية للخالق، هذا وبغض النظر عن كون هذا العمل جائزا أم لا؟

وحيث يجدر الذكر بأنه لم يكن الصيام موجودا فقط في اليهودية والمسيحية والإسلام؛ بل كان موجودا في سائر الأمم السابقة، عبر الزمان والمكان. بل إن كلمة الصيام قد استقرت في التيونونية العتيقة (اللغة القديمة للشعوب الألمانية، والإسكندنافية، والإنجليزية)، وفي اللاتينية، واليونانية، كما احتل الصيام مكانة بارزة عند فارس، والهند، حتى قيل: "إن الصيام عُرِفَ ديني عالمي (د. أحمد غنيم: فلسفة الصيام "في الديانة اليهودية، والنصرانية، وفي الإسلام"، ص:6).

المرصد الثاني: سؤال عن المنافع الروحية والبدنية في الصوم النصراني:

- الشقّ النظري:

خلافا لما انتهينا إليه في طريقة الصوم الإسلامي وفوائده وآثاره وخصائصه مما يتحصل معه توازن روحي وبدني، رأينا أن الصوم في الديانة المسيحية هو: الإمساك عن كثرة الأكل بقلّة الأكل، مع اشراك الصائم الغير فيما يمتلكه من طعام وشراب وخيرات أخرى (دوما وخلال فترة الصوم) تحديداً.

1 المعطى الديني الذي عليه مدار الدراسة:

وهذا هو المدلول عليه بالقرآن وهو قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)¹ وأما عن الأدلة عن ذلك في نصوص الكتاب المقدس فقد وردت الإشارة إلى ذلك في نصوص التوراة، ومن ذلك: "شقّ ثيابه وجعل مسحاً على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت" (الملوك الأول 21: 27). وأيضاً: "ارتعدوا ولا تُخطئوا، تكلموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا" (مزمور 4: 4) ونحو ذلك ...

الشقّ التطبيقي:

عنوان الدراسة المخبرية: صوم شهر الفصح (أي الـ40 يوماً قبل عيد الفصح = Paque)² / تقويم منافعه النفسية والبدنية

1- موارد هذا الأصل في الإنجيل والتوراة

من غرائب الصدف أن تأكد لدينا أن صوم الـ40 يوماً في المسيحية مأخوذ عن صوم موسى عليه السلام لتلك الأربعين يوماً والذي كان من أموره الخاصة كنبى لكن الكنيسة النصرانية نقلته عن التوراة وألزمت به أتباعها وسمي الصيام الأربعيني³.

وهذا ما نستفيده من نسخ العهد الجديد التي ليس فيها وصية تطلب هذا الصيام من المكلفين على جهة التعبد. وإنما تجد ذلك في تفاسير الإنجيل مما يعطي لهذا الصيام في الديانة المسيحية صفة التطوع والاختيار. يلجأ إليه الصائم عند الحاجة. ويقترن عندهم

¹ - سورة البقرة آية 183.

² - سورة البقرة آية 183.

³ - د. أحمد غنيم: فلسفة الصيام في الديانة اليهودية، والنصرانية، وفي الإسلام. /ص:14.

هذا الصوم بالصلاة والتذلل والتضرع والأنكسار بين يدي الله ، وليس في الكتاب المقدس -عند أهلهم- يحظر التنادي إلى يوم صوم وصلاة في كنيسة من الكنائس ولأجل حاجة ما¹.

غير أن فريقا من النصارى يرى "أن المسيح عليه السلام لم يفرض عليهم صيامًا إلا الصوم الكبير (صوم يوم الكفارة)"². لذلك لا يصومونه لا جبراً ولا اختياراً.

والمتصفح لسيرة المسيح عليه السلام من خلال الأناجيل يبدو له أنه أراد للصائمين عدم إظهار صومهم للآخرين؛ حتى لا يصبحوا مرأين به، كما كان يفعل اليهود آنذاك، وبما أن الصوم عبادة نسكية وتوجه إلى الله تعالى نجد أن المسيح عليه السلام يحث أتباعه على الصوم، ويمدحه³.

2 إشكاليات الدراسة:

ومدارها على التساؤل عن النفع النفسي والبدني والاجتماعي المرتقب من الصوم الاربعيني سواء بصيغته الأصلية كما في التوراة أو في صيغته الكنسية كما في شروح الإنجيل؟

والحكم على ذلك لن يتأتى إلا هذا. بعد الكشف عن كيفية صوم النصارى لصومهم الأربعيني هذا؟ وهو ما سنقف عليه في النقطة الموالية.

3 - أجراء الدراسة التطبيقية / كيفية صيام النصارى

والجواب عن هذا الفضول المعرفي أن النصارى ليسوا على مذهب واحد في طريقة هذا الصيام . فهناك المتفق عليه وهناك المختلف فيه

أ - فأما المتفق عليه بينهم

- العزم على صوم النهار بعد الاستيقاظ ولا يلزم أن يكون مع الفجر.

a. عدم الشتم أو السب طيلته

b. عدم النفاق والكذب طيلته

c. عدم ارتكاب فاحشة الزنى والمعاصي طيلة يوم الصوم ولكن يسمح فيه ببعض الأكل والشرب مع الامتناع بثأنا عن المعاصي.

¹- راجع: [اللاويين 16: 29]، [صموئيل الثاني 12: 16، 20]، [إشعياء 58: 3 - 5]، [يونان 3: 5].

²- السابق لعيد الفصح (أ. عبد الرزاق رحيم صلال: العبادات في الأديان السماوية، ص: 182).

³- انظر: [متى 6: 16 - 18]، وأيضاً: [معجم اللاهوت الكتابي / ص: 488].

d. لا يرون بأسًا بالاتصال الجنسي بين الزوجين فهذا لا شأن له بالصيام ولا يفسده من قريب أو من بعيد

ب - وأما المختلف عليه بينهم فيمكن تفصيله كما يلي:

1 - الصيام في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية:

تتفق الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية مع نظيرتها الكاثوليكية في الصوم الكبير باعتباره أهم وأعم أنواع الصيام ومدته خمسون يومًا أو خمسة وخمسون يومًا ولديهم طريقة فلكية لضبط وقته من عام إلى عام، حيث إن النسيء يحول دون وضع تاريخ ثابت وينبغي أن يبدأ بيوم الإثنين.

* ولها أصوام أخرى أهمها:

(أ) - صوم الأربعين يومًا (الذي أشرنا له في العنوان)؛ ويصومون قبلها أسبوعًا سموه أسبوع الاستعداد وبعده أسبوعًا آخر سموه أسبوع الآلام.

(ب) - صوم الميلاد؛ ومدته أربعون يومًا من 25 من نوفمبر إلى 6 من يناير.

(ج) - صوم العنصرة (الرسل)؛ وتمارسه الكنيسة منذ عصر الرسل ليس له عدد محدد من الأيام، ويترك أمره بيوم "أحد العنصرة". فإذا زادت أيام الصوم، وإذا تأخر انقضت وتنتهي تقريبًا في 11 أيلول.

(د) - صوم العذراء؛ ومدته خمسون يومًا.

(هـ) - صوم نينوى؛ ومدته ثلاثة أيام، ويعتقدون أن يونس عليه السلام قد بدأ هذا الصيام ببطن الحوت (يونان 1: 17).

(و) - وللكنيسة صيامات أخرى متفاوتة بين يوم واحد وثلاثة أيام: ويُسمى صيام البراموت (الاستعداد) (القس شنودة يوحنا: الصوم في كنيسةنا القبطية الأرثوذكسية، [ص: 25]، ط 1963م، مطبعة الإسكندرية).

2- الصيام في الكنيسة الكاثوليكية:

"ويبدأ عندهم في منتصف الليل إلى نصف النهار، ويلتزم به مَنْ بلغ السابعة من العمر، وينتهي بالستين للرجال، والخمسين للنساء. والصيام اللازم في الكاثوليكية: هو الصيام الكبير، ويمتنعون عن أكل اللحم والألبان والبيض (البيض، والجبن، والحليب، والزبد) يومي الأربعاء والجمعة، لكنهم يلتزمون -اليوم-صيام يوم واحد"¹.

"وقد أعطت الكنيسة الكاثوليكية السلطة لرجال كنيسةها بإعفاء من رغب من أتباعها من الواجبات الدينية ومنها الصيام، مما مكنها من فرض أصوام متفاوتة بجانب فرائض

¹ - (د. علي الخطيب: الصيام من البداية حتى الإسلام، [ص: 151]، ط 1، 1980م، المكتبة العصرية - بيروت).

أخرى على المتهمين بجرائم متفاوتة، يمارسونها عدة سنوات لا شهورًا وأيامًا، وهكذا بقي في قانون الكنيسة العالمي (الكاثوليكي) الصيام في جميع أيام الأحد ويوم القديس (مرفس) وأسبوع الفصح وأيام الطلبات (البركات) وجميع أيام السبت والجمعة"¹.

3- الصيام في الكنيسة البروتستانتية:

خلافًا للطائفتين: الكاثوليكية والأرثوذكسية التي اعتبرت مجمل تلك الصيامات المذكورة واجبات عينية مؤقتة بالزمان عملت الطائفة البروتستانتية على ترك الاختتراك الكنيسة البروتستانتية مسألة الصوم الشخصي الذي يقرر فيه الصائم لنفسه الصوم، وكيفية، ووفق رغبته الشخصية النابعة عن إحساسه الذاتي، فإذا ما صام وأفطر يحلّ له أكل ما يشتهي من المأكولات، فهو عندهم مستحب وليس بواجب. وتختلف الكنيسة البروتستانتية عن الأرثوذكسية القبطية؛ بأن الأولى تنكر الصيام والثانية تتمسك به"².

4- صيام طائفتي الأرمن والقبط:

إنّ أشدّ أنواع الصيام عند النصارى هو عند الأرمن والقبط: إذ يصومون الأربعاء والجمعة من كل أسبوع إلا ما وقع منها بين الفصح والصعود، ويصومون عشرة أسابيع من كل سنة، وهي:

✓ بعد الأحد الأول من عيد الثالوث

✓ بعد عيد التجلي

✓ بعد عيد الصليب في أيلول

✓ بعد الأحد الثالث عشر من عيد الثالوث

✓ بعد الواحد والعشرين من عيد الثالوث

✓ الصوم السابق لعيد الميلاد

✓ صوم الميلاد

✓ صوم المر

¹ - (د. علي الخطيب: الصيام من البداية حتى الإسلام، [ص: 152]، وأيضًا: أغناطيوس فرزلي: التعليم المسيحي الأرثوذكسي، [ص: 84]، د. ت. مطبعة أناتولي - الإسكندرية).
² - (د. علي الخطيب: الصيام من البداية حتى الإسلام، / ص: 161-162).

✓ صوم الفصح¹.

4 المناقشة والتحليل؛

نخلص مما تقدم أن الصوم في المسيحية إمساك عن المعصية لا عن مطلق الأكل وإنما عن بعض المأكولات. والأغرب من هذا استغرابهم من صوم المسلمين الذي يعتبرونه رياء من كونه صياما شخصيا (أي بين الإنسان والرب) الذي يُصام دون أن يُعلم أحد بذلك (أي بأننا صائمون)، إذ لا يلزم عندهم أن تحدد للصوم فترة زمنية ملزمة وإلا كان رياء².

5 الفرضية الختامية (بأفاق وأبعاد جديدة)؛

بناء على ما قدمناه من تباين طرق النصارى في الصيام وبناء على ما رأيناه من أن الصيام عندهم هو إمساك عن بعض المأكولات المخصصة فقط،

وبناء على تباين مدة الصيام بين الأرثوذكس والكاثوليك. نتساءل عن أي نفع مادي وروحي يمثله هذا الصيام؟

أي منفعة يمكن الحديث عنها مع هذا التباين والاختلاف في الزمان والطرائق؟ وهل الصوم بمعناه الحقيقي إلا الأمساك التام عن شهوتي البطن والفرج مدة كافية لردع البدن عن الشهوات وجعل الصائم يشعر بجوع الفقير؟

ذلكم هو الصوم الإسلامي الذي جمع بين مزية الصحة البدنية والصحة النفسية والقوة الروحية. أنى للسموم أن تخرج من الجسم إذا لم يكن الصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. أنى للسموم أن تخرج من الجسم إذا لم يغير الصائم من عاداته الغذائية في رمضان بأن يبقى على وجبتين خفيفتين تقيمان صلبه وتذكرانه بنعمة خالقه عليه وحق الله وحق العباد عليه؟

تلكم هي الأسئلة الإنكارية التي لم نطرحها هنا عبثا ولكن الطب الحديث هو من أكد عليها بما اشتهر في قنوات الإعلام والكتب العلمية بما لا يدعو إلى توثيقه.

=====

¹ - (بطرس البستاني: دائرة المعارف، ج 11، ص:70).

² - هذا بناء على ما أشرنا له سلفا بأنه الإمساك عن المعصية وبعض المأكولات...

النموذج التطبيقي التاسع: المنفعة الروحية والبدنية للحج بين الإسلام والأديان الأخرى

- الشقّ النظري:

1- توطئة:

بديهى أن الحج بمعناه المقدس من حيث هو قصد جماعي إلى التعبد موجود في كل الأديان السماوية. ولا شك في أن ما من شيء فرضه الله تعالى وبلغنا من غير تحريف، فهو لمنفعة العباد لا خلاف فيه. لكن تفاوت طرق الحج بين الديانات الثلاثة، وتحريف الكتابيين لهذا الركن عندهم يدعو إلى جملة تساؤلات عن الجدوى عن المنافع البدنية والروحية النفسية التي تنطوي عليها طقوس الحج في كل هذه الديانات وهو ما سنقف عليه في النقط المقبلة.

2- إشكاليات الدراسة؛

تروم الإشكالية الجواب عن السؤال حول منافع الحج وعن الحج الحقيقي بمعناه المقاصدي؟ وعن تجليات المصلحة في تلك المناسك في كل الديانات؟ أي منها أجدى وأنفع؟

===

الشقّ التطبيقي: الحجّ بعدسة الطب



1 - إجراء الدراسة التطبيقية؛

المتأمل لمناسك الحج التي هي عبارة عن مساطر وطقوس مرسومة تمارسها جماعة من المسلمين من كل أقطار العالم في نفس المكان ونفس الزمان، سيقف من الناحية المعيارية العملية على أن الحج أشبه بعبادة طبية مضافة إلى الطب التقليدي النفسي

والبدني الشخصي. فهذا استطباب جماعي جامع ينعقد كل عام في عيادة جامعة هي عيادة الرحمان في الأماكن المقدسة.

The additive Médecine : الطبّ المضاف

La Médecine Ajouté

ففي عيادة الرحمان تنضاف ثلاثة أنواع من التطبيب علاوة على الطب التقليدي المعروف نفسيا وبدنيا وجراحيا، إنه طب التهذيب السلوكي وطب إعادة توازن الروح وطب إحياء نبض القلب.¹

وانسجاما مع إشكالية الموضوع ستكون معالجتنا للجانب المتعلق بالطب الروحاني **La Médecine Spirituelle/ The Spiritual Medicine**

فالطبّ الروحي : هو الطبّ المتخصص في معالجة الجوانب الدينيّة والعقائديّة في الإنسان، وهو تخصص يكون فيه الطبيب مطالبا بتحويل العقيدة الفاسدة في المريض العليل السقيم *chez son passion* إلى العقيدة الصحيحة، ومن إيمان ناقص إلى إيمان مستوفي لشروط الإيمان ، ومن قلة اليقين بعالم الغيب إلى قوة اليقين، ومن تقوى التقليد إلى تقوى الاعتقاد عن إجماله النظر والتفكر والاجتهاد، ومن عدم الاكتراث إلى التنبيه والتربص ومن التساهل والخمول في الشعائر والسلوك إلى ممارستها بالمعيار والمقدار والاحتساب وحضور الضمير والحواس، فكأنه يرى أمور الآخرة التي أخبر عنها الشرع ماثلة أمامه كأنه يراها رأي العين. وذلكم دأب الصحابة الذين قال فيهم الله تعالى: (والذين إذا تليت عليهم آياتنا زادتهم إيمانا)². وقال: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكِ هَدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)³

فقد كانوا رضوان الله عليهم متهبين من الآيات القرآنية عند سماعها بحيث تقشعر لها أبدانهم وترجف قلوبهم ذلكم هو الإيمان. ذلكم هو الطب الروحاني تلکم هي عيادة الرحمان.

وقد وضع الطبيب الروحاني الذي هو الحج : أمام رواد عيادته عدة إمكانيات سنذكر من بينها هاهنا ما يلي:

¹ - والمتعلقة بدراسة فشفاء - غير ما قرصاني - ألما متعلقة بالقلب بما في ذلك ألما من نوع: الحب، الشغف، الحزن، وفقدان القريب وما جرى مجراه...

² - سورة الانفال، الآية 02.

³ - سورة الزمر أية 23.

أ - تنظيم رحلات روحانية علاجية تتيح للفرد زمنا أطول لمخالطة أقوام من مختلف بقاع الأرض من مختلف الألوان والأجناس والألسن ذكرانا وإناثا وكبارا وصغارا وضعافا وأقوياء: وما أكثر رحلات الحج التي يكون فيها السقيم مخفورا برفقة السليم يسدده ويرفع معنوياته ويعرفه قدر تلك الأماكن المقدسة وما من شك فيما لتلك الرحلة البعيدة من آثار علاجية على النفس. ذلكم أمر يشترك فيه حجيج المسلمين مع حجيج النصارى في قصص متشابهة وأحوال متشابهة. وغن اختلفت الكيفيات والمناسك.

ب - وبذلك استعادة عافية الروح وتوجهها وسعادتها بالوقوف أمام البيت العتيق بمكة والمبيت بمنى والوقوف بعرفة والسعي بين الصفا والمروة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقبور الصحابة بالبيعة. ومن شأن ذلك أن يقف معه الحاج سقيم الروح المثخنة بالذنوب وقفة تأمل عميقة تختزل الزمان وصولا إلى زمن الرسول عليه السلام ويختزل المسافة بين الموت والحياة ليتصور مقامه مع احبة رسول الله في جنة الرضوان. وهكذا الخ¹...

2 - المناقشة والتحليل؛

فها أنت ترى أن هذه النظرية تدور حول ما لركن الحج من أهمية في استعادة الإنسان لنفسه السليمة من نفسه المريضة المثقلة بالذنوب وعذابات الضمير والشقاء بطلب ما لم يقدره له الله في علم الغيب.

فما أكثر الآيات القرآنية التي قرعت ناقوس التنبيه في أذن الإنسان بأن أسوأ الأمراض التي تصيبه فإنما هي من قلبه ونفسه الدفينة غير المسددة بالشرع. نذكر من ذلك:

قوله تعالى: "أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا" ??? النور؟.

قوله تعالى: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا" ??? البقرة؟.

قوله تعالى: "فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ" ??? المائدة؟.

قوله تعالى: "إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّةً؟ وَلَا يَدِينُهُمْ" ??? الأنفال؟.

قوله تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ" ??? التوبة؟.

¹ - راجع المزيد عن أصل الفكرة في كتاب: المنظومات الجدد / ص 56 / 2016م / ل. دوسو هارونا. هذا وإن لم يكن على نفس المضمون أو الأحرف.

قوله تعالى: "وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا?? الأحزاب?.

قوله تعالى: "لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ?? الأحزاب?.

قوله تعالى: "رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ"??? محمد?.

قوله تعالى: "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ"??? محمد?.

قوله تعالى: "وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ?ذَا مَثَلًا"?? المدثر?.

قوله تعالى: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ"??? البقرة?.

وقوله تعالى: "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ"? آل عمران?.

ولا يخفى ما قد يكون لهذه الزيارة الطويلة البعيدة المختلفة من فوائد على إعادة هيكلة دواخل الإنسان وترميم نفسه واجتثاث كل المنغصات التي تؤرقه وتقض مضجعه. إنه علاج فعال لأصعب الأمراض التي تفتك بالإنسان.

ومن جانب آخر أريد التنبيه على أن الطب النفسي الحديث مهما أجهد نفسه في التحري عن أسباب الأمراض النفسية والعصبية التي تصيب الإنسان فلن يكون في مستوى هذه العيادة الربانية التي تعمل على تجديد جذري لشخص الإنسان بإعادته إلى فطرته التي فطره الله عليها. خلافا للطب الحديث الذي يتخبط في البحث عن الأسباب في غياب استحضار مسبب الأسباب. وما أكثر الحالات النفسية التي فشل الطب النفسي الحديث في علاجها. فكثيرون هم من أدمنوا المسكنات حتى آخر أعمارهم من غير أن يشفوا.

فالطبيب النفساني لا يستطيع أن يجبر المريض على تغيير مذهبه ولا عقيدته. فإن وفق إلى أن يعترف له المريض ببعض ذنبه فهل يربط الاعتراف بالمنظومة الدينية ككل؟ هذا هو السؤال. لكن مع الحج تجد نفسك تستعيد زمانا فطريا كان الناس فيه متجردين من كل شئ إلا إيمانهم ومحبتهم للناس والله. ذلكم هو شرط نوال الدنيا. فبالحج والصلاة والصوم والزكاة والشهادتين تلتمس الدنيا. وأنت في الحج تشعر وكأنك تعيش زمان الرسول صلى الله عليه وسلم. تحس أنك بجانبه بقربه بعطفه. أليس ذلك كله جديرا بأن يحيي النفوس المريضة ويزيل الهموم الكثيرة التي طالما خباها الإنسان في نفسه لسنوات؟

المبحث الثالث: أصول وأركان العقيدة المسيحية واليهودية عرضاً على المصالح والمفاسد

نتغى من هذا المبحث النظر في أركان اليهودية والمسيحية بغرض بيان ما قد يكون لها من الآثار النفعية على المعتقد في اليهودية أو المسيحية على البديل مقارنة بما سبق ان بيناه عن الآثار النفعية لبعض النماذج التشريعية من الإسلام. وذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: عرض أصول وأركان المسيحية واليهودية / الشق النظري

وإليك عصارة بالمتفق عليه في كلتا الديانتين وقد تعمدنا في هذا الجدول عرض الديانين في خانين متقابلتين في سبيل تقريب الفروق بينهما للقارئ.

<p>أركان العقيدة اليهودية (עקריו"ג)= Thirteen Principles, Elements of The Jewish Faith</p>	<p>أصول وأركان المسيحية Thirteen Principles, Elements of The Christian Faith</p>
<p>أركان العقيدة اليهودية الثلاثة عشر، بموجب تعريف الحاخام موسى بن ميمون¹ والذي سنأتي عليها لاحقاً، أما عنها اختصاراً فهي: 1- وجود الخالق 2- وحدانيته</p>	<p>1) الإيمان بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله بعهديه القديم والجديد (الإنجيل) دون سواه من الكتب، أوحى الله بتدوينه لأنبيائه ورسله وهو المرجع الوحيد والمصدر الأكيد لعقائد الإيمان المسيحي، ولسلوك المؤمن</p>

¹ - موسى بن ميمون: هو موسى بن ميمون بن عبد الله القرطبي (30 مارس 1135 - ديسمبر 1204م) يرمز له في العبرية بـ " رميم" أي (ربي موشيه بن ميمون). واشتهر عند العرب بالرئيس موسى.
- ولد في قرطبة ببلاد الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي، ومن هناك انتقلت عائلته إلى شمالي إفريقيا وإلى فلسطين، واستقرت في مصر آخر الأمر، وهناك عاش حتى وفاته.
- عمل في مصر نقيباً للطائفة اليهودية، وطبيباً لبلط الوزير الفاضل أو السلطان صلاح الدين الأيوبي وكذلك استنطبه ولده الملك الفضل علي.
- كان أوجد زمانه في صناعة الطب ومتفنن في العلوم وله معرفة جيدة بعلم الفلسفة يوجد معبد باسمه في العباسية بالقاهرة.
- أهم مؤلفاته: 1- مشناه تواراة. 2- دلالة الحائرين. 3- اختصار الكتب السنة عشر لجالينوس. 4- البواسير وعلاجها.

بالمسيح. يقول الوحي على فم بولس الرسول في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس 3: 16 - 17.

(2) - الإيمان بالله الواحد المثلث الأقانيم (الأب والابن والروح القدس)، إنجيل متى (28: 19).

(3) - الإيمان بأن يسوع المسيح هو كلمة الله... (إنجيل يوحنا 1: 1)، وابن الله (إنجيل يوحنا 11: 27)، وصورة الله (رسالة كورنثوس الثانية 4: 4)، ورسم جوهره (الرسالة إلى العبرانيين 1: 3).

(4) - الإيمان بفداء المسيح للعالم: آلامه وموته مصلوباً وقيامته من الموت (إنجيل متى 20: 28)، و (رسالة أفسس 1: 7).

(5) - الإيمان بأن الرب يسوع سيعود

- 3- عدم تجسده
- 4- وجوده منذ الأزل
- 5- وجوب عبادته هو فقط
- 6- كل كلام الأنبياء حق
- 7- موسى كليم الله وهو سيد الأنبياء
- 8- نزول التوراة من السماء
- 9- وحدانية التوراة وخلودها
- 10- الله عليم بأعمال الناس
- 11- الجزاء والعقاب
- 12- مجيء الماشيخ المخلص
- 13- البعث والنشور (وهي فكرة متأخرة في المعتقدات اليهودية).

ولتذكر تلك الأسس اعتمد البعض على قولها عقب الصلاة التي تؤدي في الصباح "شحريرت"، بشكل مختصر ويبدأ كل واحد منها بكلمة "أنا أو من"¹. كما هو لدى موسى بن ميمون²

1- المصدر: "الفكر العقدي اليهودي"، الدكتور سامي الإمام استاذ الديانة اليهودية/ بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.

2- موسى بن ميمون: عن الأصول الثلاثة عشر: التي جعلها أركان للإيمان اليهودية:

- 1- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن الخالق، تبارك اسمه، هو الموجد والمدير لكل المخلوقات. وهو وحده الصانع لكل شيء فيما مضى وفي الوقت الحالي وفيما سيأتي.
- 2- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن الخالق، تبارك اسمه، واحد لا يشبهه في وحدانيته شيء بأية حال، وهو وحده إلهنا كان منذ الأزل، وهو كائن وسيكون إلى الأبد.
- 3- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن الخالق، تبارك اسمه، ليس جسماً، ولا تحده حدود الجسم، ولا شبيه له على الإطلاق.
- 4- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن الخالق، تبارك اسمه، هو الأول والآخر.
- 5- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن الخالق، تبارك اسمه، وهو وحده الجدير بالعبادة غيره.
- 6- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن كل كلام الأنبياء حق.
- 7- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن نبوة سيدنا موسى عليه السلام كانت حقاً، وأنه كان أباً للأنبياء، من جاء منهم قبله، ومن جاء بعده.
- 8- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن كل التوراة الموجودة الآن بأيدينا هي التي لسيدنا موسى عليه السلام.
- 9- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن كل هذه التوراة غير قابلة للتغيير، وأنه لن تكون شريعة أخرى سواها من قبل الخالق، تبارك اسمه.
- 10- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن الخالق، تبارك اسمه، عالم بكل أعمال بني آدم وأفكارهم، لقوله: ((هو الذي صور قلوبهم جميعاً وهو المدرك لكل أعمالهم)).
- 11- أنا أو من إيماناً كاملاً بأن الخالق، تبارك اسمه، يجزي الحافظتين لوصاياه، ويعاقب المخالفين لها.
- 12- أنا أو من إيماناً كاملاً بمجيء المسيح، ومهما تأخر فإنني أنتظره كل يوم.
- 13- أنا أو من إيماناً كاملاً بقيامة الموتى، في الوقت الذي تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق، تبارك اسمه، وتعالى ذكره الآن وإلى أبد الأبد.

إلى أرضنا ثانية في آخر الأيام لبيدين
العالم، (أعمال الرسل 1: 11، 9)
رؤيا يوحنا 22: 12).

6 - الإيمان بأن الإنسان يتطهر من
خطاياهم ويتبرر أمام الله وينال الحياة
الأبدية بالإيمان بالرب يسوع المسيح
رباً وفادياً ومخلصاً، (ومية 5: 1).

المطلب الثاني: تقويم ما يمكن أن يكون من آثار نفعية نفسيا وبدنيا في أصول الدينين المسيحي واليهودي عرضا على أصول الدين الإسلامي

لا ريب في أن للعقيدة التي يحملها الإنسان أثرا في توجيه سلوكه وتصرفاته، وأن أي انحراف في هذه العقيدة، يبدو واضحا في حياة الإنسان العملية والخلقية، ومن ثم يؤثر ذلك بشكل ملموس على الحياة المجتمعية؛ ذلك أنه لا يمكن الفصل بين المجتمع وأفراده، لذا سنعمل على تبیین العوائد البراغماتية للعقيدة على سلوك أفراد المجتمع وفقا لهذه الضوابط الآتية:

تنص أسفار العهد القديم والعهد الجديد معا على أنه لكي نعيش حياة البرّ والقداسة وحياة السلم والطمأنينة... تُعلّمنا عقيدة أبناء إسرائيل وغيرها:

أن نحب بعضنا بعضاً ونحب حتى من يعادينا، (رسالة بطرس الأولى 1: 22، إنجيل متى 5: 44)

أن نسعى للخير ومساعدة الغير بالرحمة، (إنجيل لوقا 6: 33، ورومية 15: 2) أن نسامح من يسيء إلينا، (إنجيل متى 6: 14).

II. وأن من المهم جداً في الحياة المسيحية أن يكون لي علاقة روحية مع جماعة من المؤمنين الحقيقيين، حيث نُشجع بعضنا البعض على النمو الروحي و.... إذ من الصعب أن يعيش الإنسان وحيداً. اسمع ما يقوله سليمان الحكيم في سفر الجامعة 4: 9 و10.

II. كما تعلمنا هذه العقيدة النشوء على التآزر والتعاون الأمر الذي لا يخفى على أعين في المجتمعات المسيحية أكثر من أي دين أو مجتمع آخر.

II. **ومن جهة أخرى ، هو أننا لو أعدنا النظر في صفات العدوان والإفساد والتخريب والتضليل التي اشتهر بها اليهود خلال مراحل تاريخهم الطويل فستجد علي أن تخلّص اليهود من ذلك كان بفضل عقيدتهم التي تحضهم دوماً على نبذ البغي والظلم، فعقيدتهم ونصوصهم المقدسة في التوراة والتلمود تجعل من اليهودي إنساناً مُتميّزاً ذو صفات خاصة لا يصل إليها غيره من الناس...**

II. هذا كلها بفضل العقيدة التي تهب صاحبها عزة النفس، ومن كانت هذه عقيدته كذلك فلن تجده يستكين أو يستعبد لغير الله تعالى.

IV. علاوة عن ذلك، هو أن رجل العقيدة -سواء في ديانات السماوية الأخرى كما في الإسلام تحديدا- رجل نشيط عامل منتج، لا يتكاسل ولا يتواكل، حريص على الوقت، لعلمه أن الله سائله عن عمره وعمله، فهو يعبد ربه بإتقانه عمله كما يعبد ربه بالصلاة والصيام، لقوله سبحانه: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}.

IV. وأن رجل العقيدة عنده إيثار وتضحية وشجاعة، لا يخاف من بذل الروح والمال؛ إذ يرى أن ذلك كله عبادة، وغير المعتقد يعتبر نفقة الأموال في سبيله-لمنصرة العباد- ضياعا للمال، والجهاد بالمال خسارة وبالنفس إلقاء في التهلكة

IV. لذا فإن استقرار العقيدة في النفوس تعني جعل الفرد مستعدا لتلقى وتنفيذ الشرائع والأعمال، ولذلك نجد القرآن دائما يربط بين العقيدة والتشريع في كل آياته، وعلى سبيل المثال لا الحصر: يقول تعالى في مسائل التحريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فعندما يعمر العقيدة الضمائر والقلوب، صلح الظاهر والباطن حتى كأن على كل إنسان شرطيا يراقبه لإيمانهم بقوله تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} ونحو ذلك من الآيات، فهذا الضمير فيما لو طبق على فطرته لخفف على الدولة أعباء نفقات الشرطي (إذ إنه ضمير لا يعتمد على المراقبة الخارجية، بل هو نفسه مراقبة داخلية وحراسة مستمرة)

IV. وإن فقدان هذه العقيدة وانفلات المرء منها يعني الارتكاس في حماة الشهوات البهيمية التي لا يضبطها ضابط، والضعف في عقله وقوته باستمرار أمام نزواته وأهوائه؛ لأنه ليس له ركن شديد يأوي إليه.

II. وعليه فإن العقيدة تعني توازن الإنسان بين عقله وروحه وجسمه، فتجعله إنسانا سويا، والعقلية/الفلسفة المادية التي تلغي أهمية الروح في الإنسان تجعل المرء نصف إنسان، ومن هنا يحصل القلق والاضطراب والحيرة والتمزق النفسي...

IX. ذلك أن العقيدة الحقيقية تبذر جذور الرحمة، الشفقة، التوازن، الاستقامة، والتآخي والتعاون الخ... في الفرد والمجتمع أكثر من القوانين الأخرى

IX. الأمر الذي قد يجعل من مجتمع العقيدة مجتمع اقويا متماسكا يشد أفراده على أيدي بعضهم بعضا كأنهم بنيان مرصوص، آمالهم وآلامهم واحدة؛ لأنها نابعة من عقيدتهم، وكلهم يسعون لتحقيق العدل والمحبة والأخوة، ليعيش كل فرد في هذا المجتمع آمنا على دينه وروحه وعقله وماله وعرضه، ولكل فرد في مجتمع العقيدة حق العمل، وإلا

فالدولة توفر الضروريات للعاجزين عن العمل وللذين لا يجدون ما يكفيهم.

IX. وعصارة هذا أن ما تقدم من تأثير العقيدة في سلوك الفرد هو كذلك تأثير للعقيدة في المجتمع، لأن الأفراد هم لبنات المجتمع، فصلاحهم صلاحه وفسادهم فسادهم، وكل جهد لتربية الفرد الصالح على العقيدة، هو جهد أصيل لتكوين المجتمع الصالح، لما يوجد من علاقة وثيقة بين الفرد والمجتمع. إذ ليس من السهل أن تؤثر عقيدة ما في الفرد دون أن ينعكس ذلك إيجاباً على المجتمع ولو على المدى البعيد؛ ولذلك كان صلاح المجتمع بعد تطهير العقيدة من الشوائب الدخيلة عليها معتمداً على تطهيره مما شأنه من أعمال يقوم بها أفرادها مناقضة للعقيدة¹.

فذاك كله إن دلّ على شيء فإنما على الآثار العملية الواقعية التي تخلفها العقيدة سواء المسيحية، اليهودية أو الإسلامية على العباد والبلاد سواء بسواء.

المطلب الثالث: الموازنة والتقويم

أخذاً بالصحيح غير المحرف في الدينين اليهودي والنصراني مقارنة بأصول الدين الإسلامي ننتهي إلى أن الآثار العملية للاعتقاد الصحيح لا بد أن تنعكس إيجاباً على الأفراد والمجتمع بلاخلاف. على أساس هذا المشترك العقدي ميز الإسلام الكتابيين عن غيرهم من الأمم فجوز لنا التزوج من محصناتهم وأكل طعامهم الذي لم يحرم علينا ومجاورتهم ومعاهدتهم في السلم والحرب وإعطاء أهل الذمة منهم نفس الحقوق التي للمسلمين وتمتعهم بحرية إتيان تعاليم دينهم في معابدهم وكنائسهم دون إضرار.

ومما نؤصل له من القرآن في ذلك قوله تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)² وقال: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)³ وقال: (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب حل لكم)⁴.

ودأباً على هذا التأصيل القرآني للعلاقة بين المسلمين والكتابيين مضى الرسول صلى الله عليه وسلم يعاهدهم كما تؤكد الوثيقة النبوية⁵ ويجاورهم ويؤلف قلوبهم. وعلى هذا

¹ - لمزيد انظر كتاب (الإيمان والحياة) للقرضاوي ص 201 - ص 324. وكتاب (الإيمان وآثاره) لذكريا يوسف ص 10-45. وفي مواطن أخرى داخل كتابيهم. كذا داخل كتب دينية أخرى...

² - سورة العنكبوت، الآية: 46.

³ - سورة المائدة، الآية: 05.

⁴ - سورة المائدة، الآية: 05.

⁵ - انظر الوثيقة النبوية للدكتور محمد حميد الله ط. لبنان 1982م

مضى من جاؤوا بعده من الخلفاء الراشدين وكفاك من ذلك الوثيقة العمرية التي عاهد عليها يهود ومسيحيي القدس عندما فتحها عام 19 هـ¹

وعلى فرض أن لو ظلت العقيدة اليهودية والمسيحية غير محرفة، فإنها لا تختلف في آثارها العملية على الفرد والمجتمع وهذا هو السر في أن الله تعالى أمر المسلمين بأن يراعوا هذا الأمر في تعاملهم مع الرهبان والقسيسين . وفي معرض مدح القرآن لمن أخلصوا في العبادة من النصارى تمييزا لهم عن اليهود الذين حرفوا دينهم قوله تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى؟ ذَلِكِ بَيِّنٌ مِّنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)²

وبناء على هذا المشترك العقدي مع افتراض العمل به وافتراض الانحراف عنه نخلص إلى النتائج الآتية:

أ - أن لكل عقيدة يحملها الفرد و يبين بها سواء في الأمة المسيحية أو اليهودية أو النصرانية فإن أثرها بلا شك سينعكس إيجابا أو سلبا على صحته النفسية والبدنية معا بلاخلاف. فإن صدر عن عقيدة سليمة موافقة للفطرة ولعقيدة الأديان الثلاثة في أصلاتها أنتج فردا صالحا ومن ثم أمة صالحة مقارنة بالأمم الوثنية. وإن صدر عن عقيدة محرفة متأولة أنتج فردا فاسدا مفسدا في البلاد ظالما للعباد. وهذا بقدر ما ينطبق على النصارى واليهود في تحريفهم لعقيدتهم ينطبق أيضا على من أولوا من المسلمين عقيدتهم تأويلا سقيما أجازوا به لأنفسهم قطع رقاب بريئة وأخذ حقوق الآخرين بلا موجب شرعي ولا فطري معقول.

ب - فإذا كانت طائفة من اليهود قد حرفوا عقيدتهم واعتبروا أنفسهم شعب الله المختار، وإذا كان النصارى قد حرفوا عقيدتهم بأن يسوع ابن الله وأنه ضحى بنفسه ليخلص البشرية من الآلام، وأن الكل في واحد والواحد في الكل: الأب والإبن وروح القدس، فإن طوائف كثيرة من المسلمين عبر التاريخ نصبوا أيضا أنفسهم في الأرض آلهة بأن كفروا الناس في غير محل التكفير وهم الخوارج الذين كفروا مرتكب الكبيرة ما دون الشرك، بينما انحرف المعتزلة بأن جعلوه في المنزلة بين المنزلتين. وفي مقابل ذلك أنزل المجسمة الله من عليائه وقداسته بأن أجازوا عليه التقلب في الجهات والحلول في الأماكن. وتلك منهم استعادة للوثنية القديمة التي جسدت الله في الأصنام.

¹- انظر الوثيقة العمرية وشروحها في كتاب: "أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم آخر الجزء الأول وبداية الجزء الثاني

²- سورة المائدة آية 82.

ورب معترض علينا في هذا بأن الإنسان له ضمير يسدده وأن الناس يختلفون في ذلك بحسب استحضارهم أو عدم استحضارهم للضمير البشري دونما حاجة إلى الدين؟

والجواب عنه أن الضمير الذي لا يسدده شرع ولاسلطان قائم على الشرع يطبقه في الناس وجوده كعدمه. فانظر إلى حالة العرب قبل الإسلام وما كانوا عليه من الفوضى والافتتال والنهب والسلب وانتهاك الأعراض. لك أن تتصور الصحة النفسية لهؤلاء لك أن تتصور الحالة المادية التي لا يمكن لأحدهم أن يطمئن عليها. إذ عاشوا في خوف دائم كل خائف من الآخر لا ثقة لا أمان لا سعادة. وما قالوه من شعر في الغزل إنما هو هروب من الواقع المرير الذي كانوا يرزحون فيه. وقلما وجدت في أشعارهم شعر القيم اللهم إلا عند بعض الحكماء من قبيل زهير بن أبي سلمى وشعر الصعاليك.

نعم كانت لهم عقيدة وهي أصنامهم التي عبدوها وكان لمكة مكانة خاصة في قلوبهم ولكن أصنامهم لم تكن لتمنعهم من الفوضى والإفساد في الأرض.

ج - وانظر إلى بقية الإمبراطوريات قبل الإسلام من قبيل الإمبراطوريات الفارسية والهندية والصينية والرومانية واليونانية وبلاد ما وراء النهر. إذ على الرغم من هيمنة سلطان الملك والنظام على تلك الإمبراطوريات فقد ضرب الظلم والفوضى أطنايه في أممهم. لسان حالهم يقول: البقاء للأقوى. وكفاك دليلا على ظلم الناس بعضهم لبعض في غياب عقيدة إلهية موجهة ما حدث بين اليونان والطروديين من الآلام مما كتبتة أقلام الغرب عن تاريخهم القديم بأنهار من الدماء.

د - وانظر إلى حالة أمم اليهود والنصارى بعدما حرفوا عقيدتهم كيف عانوا من الاقتتال وتبادل الألم والاضهاد والاعتقالات والانسائس. وهم بهذا التحريف كأنهم عادوا من جديد إلى الوثنية البائدة. حتى خيم الشرك والوثنية عليهما بعدما كانوا منعمين في عقيدة صافية. وقد حكى القرآن أطوارا من هذا الانفراط من الملتين من قبيل قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَهُنَّ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبة آية 30-31.

هـ - وما قيل عن هؤلاء يقال نظيره اليوم عن عبدة الأبقار من الهندوس وعبدة الكواكب وعبدة النيران من البوذيين وغيرهم من الوثنيين في مختلف بقاع عالم. أتراهم سعداء اليوم فيما عليه من الديانة؟ أليست هذه الأمراض والأوبئة التي تضرب العالم بسبب انتحائهم أديانا لا تحترم قانون الطبيعة. فقد أكلوا الفئران والكلاب والأفاعي والقطط في الصين وسمحوا لأنفسهم بأن تتزوج المرأة كما في جبال التبت بثلاثة رجال وكلما جاءها

النتيجة:

1- فينتج عن هذا أن العقيدة اليهودية والمسيحية على حالهما من التحريف لا يمكن أن يكون لهما من المردود الصحي البدني والنفسي والمنفعي المادي ما تتحقق به سعادة الإنسان.

3 - أن العقيدة التي لم تتبعها شريعة تفصييلة ضابطة لتصرفات الإنسان منظمة لعلاقته بربه وعلاقته بنفسه وغيره تظل دون تحقيق إنسية الإنسان.

4 - أن الجفاف الذي تعرفه التوراة والإنجيل في التشريعات العملية جنح بالرهبان في كل زمان إلى أن يتألولوهما وأن يغيروا فيهما بإضافة تشريعات بشرية . وبذلك جاءت كافة نسخ العهد القديم والجديد مشوهة لا تعكس شمولية وعدالة رسالة السماء بالقدر الذي يعكسه القرآن والسنة، بما انبنى عليهما من تشريعات اجتهادية هي جماع سعادة الإنسان في الحال والمآل.



المبحث الثالث: الدينيات التطبيقية وتنزيلها على نظام الحياة

والغرض عندي من هذا المبحث النظر في نظم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية القائمة إلاي أي حد يمكن تطويع الصالح من هذه النظم لأحكام الشريعة وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الدينيات التطبيقية وتنزيلها في السياسة البيضاء = *Politique Blanche*¹

- أولاً: مفهوم السياسة البيضاء

السياسة البيضاء في عرف الباحثين في الدينيات التطبيقية هي نهج الحاكم لقطر ما حكامه أخلاقية في نظم حكمه وتطبيقها بصرامة في إدارته².

وبعبارة أخرى فإن السياسة البيضاء عبارة عن السياسة الشرعية، القائمة على أسس العدل، والصدق، والوفاء، والأمانة...، أو قل هي السياسات المتمثلة في القيم الإنسانية الفاضلة، والأخلاقيات الكريمة، والأدبيات السامية، والسلوكيات المتميزة، وفي المعاملات الحسنة.

ولتنزيل ذلك على الواقع يجب اعتماد المبادئ والقيم الآتية، والتي من أهمها:

- سياسة الكرم وحسن الشرائع³ = *Politique de Caractère & de la Générosité* surtout (قصد ضمان قاعدة شعبية تكون وسيلة إلى كسب ود الشعب عن وعي أو لا وعي. وهي أشبه بتأليف القلوب مع الكفار مع أنها مع المسلمين).

- سياسة الدماغ والعين المقدم بين في صحن بقلب صاف⁴ & *Politique du cerveau* d'œil prester dans une assiette de Cœur blanc وذلك من أجل التمكن في إنجاز البرنامج السياسية المبرمجة، أو تحقيق الوعود السياسية المقطوعة مع الشعب وقت التنصيب).

¹ - أصل الفكرة من: المنظومات الجدبية ص 09 / لـ دوسو هارون / سنة النشر 2016م.

² - La Politique Blanche ; est « un concept optant pour une politique de sagesse & morale dans la gouvernance des peuples & la gestion des Affaires... ».

³ - مثل إنجازه للشعب بعض المشاريع الاجتماعية الهامة بماله وأجرته الخاصة أو ما شابه ذلك...

⁴ - سياسة الدماغ: هي سياسة الخبرة والحذافة. وسياسة العين: هي النظر في الأفق وفي الأمد البعيد وفق مشروع مدروسة بحذافيرها. وسياسة القلب الصافي: هي أن يكون هذين الأخيرتين مقادتين أو مقدمتان بقلب صاف (أي بنية حسنة وفي إطار مصلحة عامة -دونما الشخصية-، أو بعبارة آخر أن تقاد هذا النوع من السياسة في إطار هدف مشروع وأخلاقي محمود) الخ...

• سياسة الحرب الصافية¹ Politique de la bonne guerre ou de la bonne cause

وذلك من أجل (قصد جنبي ثمرات السياسة المخططة "أي المصلحة المتوقعة من تفعيل السياسة")

- ثانياً: أهداف السياسة البيضاء:

- والغرض منها السعي إلى تحقيق الأهداف السياسية بطريقة مشرفة ومحمودة للظفر بالسعادتين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة. إذ نجاح الخلافة والعمارة في الأرض التي نحن عليها تكمن في البحث عنهما معا ودون أحدهما على حساب الآخر²

- عدم إبعاد السياسة عن الدين ولا الدين عن السياسة، لأن بعد أحدهما عن الآخر يفتح الباب للنوازع البشرية المحضة مما يؤثر على العدالة الاجتماعية وعلى تساوي الحظوظ بين المواطنين. ومن ثم يكون ذلك مدعاة إلى المساس بأمن المجتمع وجعل المجتمع تحت تهديد المظلوم الذي أهدرت حقوقه بسياسة غير دينية وغير أخلاقية.

ثالثاً: نماذج واقعية عن السياسة البيضاء في تاريخ الإسلام:

1 - نموذج ملك حبشة في زمن الرسالة الذي اشتهر بسياسته العادلة، حتى قال فيه الناصحون لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أذاه كفار قريش قبيل الهجرة الأولى: إن في الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد.³

2 - نموذج عدالة عمر بن الخطاب = La Justice

3 - نموذج حسن حكمة عمر بن عبد العزيز = Bonne Gouvernance

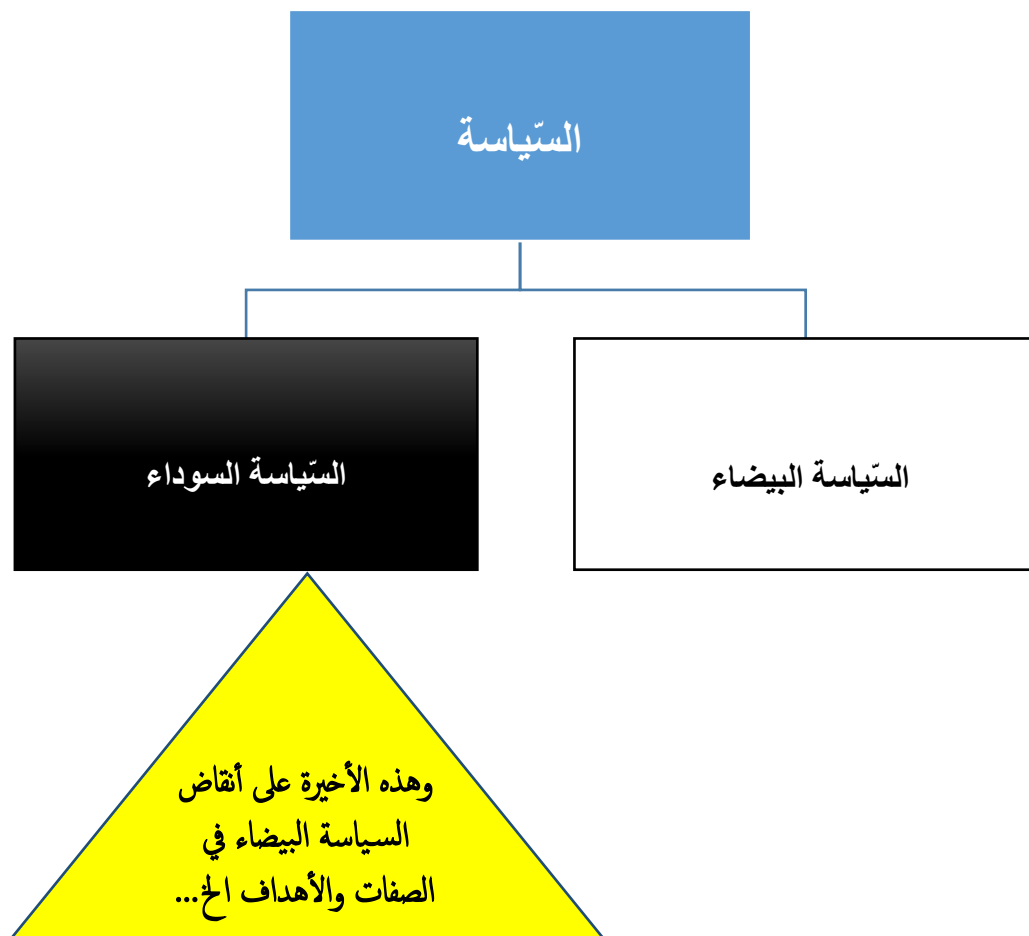
4 - وقس على ذلك...

ويقابل السياسة البيضاء السياسية السوداء كما في الرسم:

¹ - هي تلك التي لو فعل وطبق لوجدتها الأساس عليه أو الطرف المقابل سياسة مدهشة أي على أنها سياسة لو أتيح له لفعل هو يمثلها لما لا وأنها - وإن كان أحياناً فيه ما فيه لصعوبة قبولها أحياناً كذلك من الطرف الآخر - سياسة مدروسة بالحذاقة والحكمة وبالحنكة والمهنية، وأنها في النهاية - ليس شراً ولا مضراً بمصلحة الآخر - وإنما تبحث عن مصدر فخر واعتزاز لصالح شعبه وبلاده أكثر من غيره أو ما هو منحنى ذلك المنحى...

² - لقوله تعالى: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا... (77) القصص.

³ - وقد ورد أحاديث عن ذات الصلة منها ما ذكره ابن إسحاق أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه لما رأى المشركين يؤذونهم ولا يستطيع أن يكفهم عنهم إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً. فكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم... (ص: /227 باب هجرة الحبشة).



* الخلاصة والفرضيات:

*تنطلق مبادئ السياسة البيضاء: من انطلاق السياسي من تعاليم الدين في تعامله مع العباد في الأحكام السلطانية عموماً وهي جميع الولايات التي هي الهياكل التي عليها عماد الدولة وهي:

- الإمامة العظمى وما تتطلبه من شروط العلم والدين والورع والرجاحة والشجاعة والقوة والحكمة. وما تتطلبه من التماس وسائل تجييش الجيوش وسد الثغور والتأهب الدائم للذود عن الوطن.

- وولاية الحسبة وما تتطلبه من اختيار رجال صادقين من أولي البأس والصرامة لتنفيذ شرع الله في البلاد وهي اليوم أشبه بوزارة الداخلية وما يدخل تحتها من السلطات الإدارية والشرطة والقوات المساعدة ورجال الطوارئ والدرك.

- ولاية القضاء وما تتطلبه من استجماع القضاة لشروط النزاهة والعلم والفتنة والشجاعة والثبات على الحق وعدم المحاببات والاستقلالية في توقيع الأحكام عن أي سلطة سوى سلطة الله تعالى.

- ولاية المال وما تتطلبه من تأسيس هياكل متينة لمنظومة مالية متوازنة قوية عادلة تستمد عدالتها وتفصيلها من قواعد الشريعة ومن الأخلاق.

- المطلب الثاني: الدينيات التطبيقية وتنزيلها في الاقتصاد = القيمي *Morale Economy*

أولاً: تعريف الاقتصاد الأخلاقي

يطلق هذا المفهوم في نظرية (الدينيات التطبيقية) على الاقتصاد الذي يستمد مرجعيته من الأخلاق والشمائل. وتطبيق ذلك على أخلاقنا الإسلامية من شأنه أن يثمر اقتصاداً يأخذ بعين الاعتبار مصالح الناس مسلمين وذميين. وإنما ربطنا الأخلاق الاقتصادية بالدين الإسلامي حتى نحترز عن ادعاءات الأخلاق في قواميس كثير من الأمم غير الإسلامية التي تدعي الأخلاقية فيما تشرعه من قوانين. ولكي نبرهن بأن تلك الأخلاق المدعاة لا تتجاوز حدود الكون.

القطر وأن العدالة الاقتصادية التي تشرعها الدول الغربية مثلاً تأخذ بعين الاعتبار إنسان القطر لا إنسان الكون. وتجدد الإشارة إلى أن نظرية الاقتصاد الخلقى جزء منضوي تحت خانة النظام الاقتصادي المسمى {طائصرو-إيطو} = *the Tônrô-éto Economic System*.

ثانياً: الاقتصاد الأخلاقي في الفكر الرأسمالي الغربي

على الرغم من التشابه "النظري" بين ما يعنيه الخلق في الدين الإسلامي وما يعنيه في المجتمعات الرأسمالية إلا أنه كثيراً ما يثار التساؤل حول المكاسب والأضرار الناجمة عن الالتزام بالأخلاق في إدارة الاقتصاد، ليمرّز فرع يعرف بـ"الاقتصاد الأخلاقي" يحاول الوصول لصيغة توافق بين ما هو اقتصادي وما هو أخلاقي.

وتشير دراسة لـ"هارفارد" إلى أنه يصعب في كثير من الأحيان تحديد ما هو الأخلاقي في الاقتصاد، ومن ذلك على سبيل المثال قضية التحكم في الإيجارات، فهذا الأمر ساهم في جعل السويد -وهي إحدى أعلى الدول في مستوى الدخل الفردي في العالم- أقل معاناة من مشكلة الإيجارات المتضخمة، حيث يقل النمو في الإيجارات فيها عن 25% فحسب من النمو في الإيجارات الأمريكية.

وعلى الرغم من أن هذا يبدو عادلاً، لمساهمة في توفير أحد الاحتياجات الرئيسية للسويديين، وهي السكن، إلا أنه في الجانب المقابل يبدو ظالماً لملاك الأراضي والعقارات، لأنه يحد من مكاسبهم في السويد بنسبة تتعدى 40%.

بل ويتسبب في خلق أزمة في العرض من المنازل في ظل تدني العوائد عليها "نسبيًا" مقارنة باستثمارات أخرى، بما يجعل الإقبال على الاستثمار فيها ضعيفًا تطبيقًا لنظرية الفرصة الاستثمارية البديلة التي تجعل المستثمرين ينصرفون عنها.

هل الحد الأدنى أخلاقي؟

ويتشابه الحد الأدنى من الأجور مع قضية فرض قيود على الإيجارات، حيث تشير دراسة لجامعة "شيكاجو" الأمريكية إلى أن رفع الحد الأدنى من الأجور في الولايات المتحدة من 12 دولارا إلى 15 دولارا، وهي تبدو "قضية عادلة"، سيتسبب في إبطاء الاقتصاد بنسبة 0.5-1.3%.

وعلى الرغم من إسهام رفع الأجور في رواج نسبي لدى الطبقة الأفقر التي تحصل على الأجور الدنيا، إلا أنه سوف يتسبب أيضًا في "موجة ارتفاعات" للأجور، حيث سترتفع كافة الأجور في الطبقات الأعلى بنسب متفاوتة بما يترك تأثيرا على نتائج الشركات الصغيرة والمتوسطة بشكل خاص، حيث ستراجع نسبة نموها بنسبة 2% في المتوسط.

وبناء على ذلك يبدو الحل الأخلاقي الصحيح هو ربط مستويات الربحية التي تحققها كل مؤسسة بدخول العاملين فيها، وكلما زادت نسبة الأرباح التي تحققها زادت الأجور بالتوازي، ويحقق هذا مبدأ المساواة بمفهوم أعم ونظرة أوسع.

فهذا يحقق للعمالة ربطًا مباشرًا بالربحية بما يجعلها تعمل بجد أكبر، والأهم أنه يحقق أحد أهم مبادئ اقتصاد السوق بترد العمالة الجيدة للسينة، فمع ارتفاع الأجور في الشركات الناجحة ستجذب العمالة إليها بصورة أكبر، ولن تجد الشركات الأقل سوى العمالة الأقل بطبيعة الحال، لتضطر -هي والعمال الأقل مهارة- إلى تحسين الأداء وإلا ستخرج من السوق.

وفي ذلك تصبح المساواة غير أخلاقية لأنها تساوي بين من يعمل ومن لا يعمل، ولكن العدالة تصبح أكثر أخلاقية، وإن كان على أي مجتمع ضمان الاحتياجات الأساسية لكافة مواطنيه، ولا سيما هؤلاء الذين لا يستطيعون المساهمة في الإنتاج لسبب أو لآخر.

الاستثمار والأخلاق

وفيما يتعلق بالأخلاق أيضًا فكثيرًا ما يثار الحديث حول عدم وجود رابط بين الاستثمار والأخلاق، حيث تُعتبر الثانية معوقًا لاستثمار ناجح في رأي البعض، وهو ما

تنفيه تجربة "صناديق الاستثمار الأخلاقي" التي انتشرت مؤخرًا، ويقصد بها الاستثمار في مجالات مفيدة مثل الطاقة النظيفة والزراعة الحيوية على سبيل المثال.

وهناك تجارب ناجحة للغاية في هذا الصدد أبرزها صندوق "بينجانا" الأسترالي للاستثمار الذي حقق عائدات 41% على استثماراته في عام 2018، كما حقق صندوق "بيتا شير" 31% لتبلغ نسب عائدات صناديق الاستثمار الأخلاقي ما يماثل الكثير من الشركات العالمية الكبيرة.

وبشكل عام تبلغ متوسط الاستثمارات في الصناديق الاستثمارية الأخلاقية أكثر بنسبة 8% من نظيرتها العامة بما يؤكد نظرية أنه يمكن الإقدام على استثمارات مفيدة تفيد الصالح العام، مع تحقيق الأعمال نفسها لنتائج ممتازة وينفي انفصال الأخلاق الضروي عن الاستثمار.

غير أنه يلاحظ أن تلك الصناديق تزدهر بصورة أكبر في الدول المتقدمة، حيث تفوق العائدات في الأخيرة نظيرتها في الدول النامية بنسبة 18% بما يعكس صعوبة الاستثمار الأخلاقي في تلك الدول بسبب ضعف العائدات بما يجعلها استثمارًا غير مرحب به.

الأخلاق والمعاملات المالية والتجارية

وُرجع دراسة لجامعة "ألينوي" ذلك إلى ما تشهده الدول النامية من درجات عالية من الفساد تجعل من الصعب وجود مثل هذا الاستثمار الأخلاقي بشكل مستقر، حيث تحتل الدول النامية المراكز المائة الأخيرة بالكامل من مؤشر الشفافية بما يوحي في الظل بفساد يفوق كثيرًا مستوياته في الدول المتقدمة.

والشاهد أن هناك إدراكًا متناميًا لأهمية الاستثمار الأخلاقي، حيث يوضح استطلاع لـ "مورجان ستانلي" عن توجه الشباب للاستثمار في الشركات التي تركز على أهداف بيئية أو تنموية بدرجة أكبر عن هم أكبر منهم سنًا، إذ بلغت نسبة هؤلاء المستعدين للاستثمار في تلك الشركات بين المستثمرين في عمر 18-35 ضعف النسبة بين من هم أكبر من ذلك سنًا.

وكثيرًا ما تثير مسألة تقاطع الاقتصاد والأخلاق جدلًا عنيفًا بين المفكرين الاقتصاديين، ومن ذلك ما طرحه "مليتون فريدمان" أحد أهم داعمي المدرسة الليبرالية الاقتصادية الجديدة، حيث يرى أن حصول الناس على دعم بنسبة 10% في إنتاج الخبز يعني في الواقع تراجعًا لكفاءة الإنتاج للقطاع ككل.

فالقِطاع المدعوم يوفر سلعه بمقابل زهيد، بما يدفع بقية القطاع بالكامل للعمل بكفاءة أقل والسعي لخفض التكلفة على حساب الجودة ليستطيع المنافسة، بما يُخفض كفاءة القطاع بأكمله، على الرغم من تحقيقه لهدف اجتماعي بصيانة الطبقات المُعدمة.

أما عن تأثير تمتع الأعمال بالأخلاق، فتشير دراسة لجامعة "جورج تاون" إلى أن هؤلاء التجار المعروفين بالأمانة والقدرة على الإيفاء بتعهداتهم المالية ترتفع نسبة نموهم بـ 7-12% عن هؤلاء غير المعروفين بتلك الصفات، كما تزيد فرص بقائهم في السوق بنسبة 43% عن نقضائهم.

بل تشير الدراسة إلى أن صفات "غير ملموسة" مثل تقدير مدى المصادقية في المعلومات التي يوفرها المتجر على سبيل المثال تشكل العنصر رقم "1" في نمو متاجر بيع الأجهزة المُعمرة في العديد من الدول، بما يوحي بأهمية وفاعلية الأخلاق بالنسبة لتلك الأعمال.

وعلى الرغم من أن الأخلاق تبقى جدلية في الاقتصاد، ويتحدث عنها البعض بشكل "نفعي" لكنها هامة وأساسية وإن كانت خارج حسابات البعض فيما يتعلق بالاستثمار والتجارة¹.

ثالثاً: الاقتصاد الأخلاقي في المنظومة الإسلامية

لا بد من الإشارة هنا إلى أن هناك أزمة معرفية تميز هذه الحقبة التاريخية في تطور الدراسات والبحوث الاقتصادية الإسلامية، لعل أحد أسباب هذه الأزمة هو تمييع قضية الأخلاق وفهمها الفهم الذي لا يتناول إلا المعنى المقصود منها في دلالة العبارة، دون الغوص في النظام والأحكام القيمية والاعتبارات المعيارية² التي يمكن أن تتولد من هذه الأخلاق.

فقد وجد الاقتصاديون الإسلاميون أنفسهم أمام اقتصاد ناجز بشقيه الرأسمالي والاشتراكي ووجدوا أن هذين النظامين يحملان قيماً تختلف عن قيم المجتمع الإسلامي لكونهما نتاج ثقافة تختلف عن ثقافة هذا المجتمع، ومع ذلك فقد حافظوا على المؤسسات والهيكل التي أنتجت هذه الأنظمة ولكن بعد تحويلها من شكلها التصادمي مع قيم المجتمع إلى شكل توافقي عن طريق ما سمي "بالأسلمة" التي تناولت الشكل الظاهر دون الوصول إلى العمق.

¹ - الموسوعة الأمريكية : دراسة لهارفرد دراسة لألينيوي مجلة: بعنوان (أرقام) 30 - 11 - 2019

² - DURKHEIM Émile, « Jugements de valeur et jugements de réalité », in Morale et philosophie..., op. cit., p. 119

إذن فالمشكلة تكمن في التبعية الفكرية الغربية التي أوحى لنا أن الشكل المؤسساتي الذي أفرزته الأنظمة الغربية هو قدر محتوم وعلينا أن نفكر ضمن هذا الإطار المؤسساتي من أجل إيجاد ملامح لنظامنا الاقتصادي الإسلامي. فلو تأملنا في جل ما يكتب تحت عناوين الاقتصاد الإسلامي سنلاحظ أن أغلبية الاقتصاديين الإسلاميين يبرزون ذاتية الاقتصاد الإسلامي من خلال نقدهم للنظامين الاقتصاديين الرأسمالي والاشتراكي مؤكدين أن النظام الإسلامي يحوي إيجابيات كلا النظامين ولا توجد فيه سلبياتهم في الوقت الذي أثبتت التطبيقات العملية للنظام الاشتراكي عدم فعالية هذا النظام و لم يعد يرجى أي أثر للمقارنة معه، وكذلك النظام الرأسمالي الذي تطور تطوراً فائقاً في العقد الأخير لدرجة أنه لم يعد لرأسمالية ادم سميث أي أثر على أرض الواقع.

ومع ذلك فإن الاقتصاديين الإسلاميين مازالوا ينتقدون هذا الشكل من النظام الرأسمالي متجاهلين أن المفكرين الاقتصاديين الغربيين قد أشبعوا النظام الرأسمالي نقداً وساهموا في تطويره لدرجة أصبحت معظم كتابات الاقتصاديين الإسلاميين غير صحيحة من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الاقتصاديين الإسلاميين لم يلتفتوا بالدرجة الكافية حتى الآن لمتابعة كل التطورات الفكرية للنظام الرأسمالي في تطوير نموذجهم الإسلامي.

لقد دأب المفكرون الاقتصاديون الإسلاميون عند محاولة نمذجة النظرية الاقتصادية في الإسلام الاستفادة من الأدوات التحليلية التي قدمها النيوكلاسيك والكنزين مثل تابع الانتاج والاستهلاك والاستثمار معتقدين إن هذه الأدوات حيادية وأنهم يستطيعون الاستفادة منها في بناء ما أطلقوا عليه اسم توابع الإنتاج والاستهلاك والاستثمار الإسلاميين ولكنهم تجاهلوا أن هذه الأدوات التحليلية التي أنتجت من اعتماد مفهوم الرشاد الاقتصادي و العقلانية الاقتصادية النابعين من نظام قيمي مختلف كانوا قد وجهوا له الكثير من الانتقادات ومازالوا يعتبرونه المميز الأساسي للفرق بين النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي فمفهومهم للرشاد الاقتصادي يختلف بشكل رئيس عن المفهوم الغربي ومع ذلك فإنهم يأخذون الأدوات التحليلية التي نتجت عن هذا المفهوم في محاولة أسلمة لها تناولت الشكل دون الوصول إلى الجوهر، يمكننا الاستدلال على ذلك و على سبيل المثال وليس الحصر من خلال كتابات كل من الدكتور يوسف الزامل والدكتور عبد المنعم عفر¹.

¹ - الدكتور محمد صديق عميد كلية الاقتصاد والإدارة في جامعة سليمان الدولية بتركيا ورئيس الجمعية الدولية للإغاثة والتنمية في فرنسا. قدم هذه الورقة في المؤتمر الدولي الثالث لمركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق المنعقد في بروكسيل - بلجيكا في 14-15 مارس 2015.

ولزيادة هذا الموضوع بيانا لا بد من إعطاء صورة عامة عن التطبيق العملي للأخلاق الاقتصادية في البلاد الإسلامية في وقتنا الحالي:

رابعاً: الاقتصاد الأخلاقي في الفكر الاقتصادي الغربي:

على مدى قرن ونصف، ظل الفكر الاقتصادي يفصل بين ثلاثة أسئلة، حاول أن يقدم إجابة عن كل منها بمعزل عن الأسئلة الأخرى - السؤال الأول: يخص طباع وأمزجة الأفراد والدوافع التي تتحكم بسلوكهم وهذا بدوره قاد للحديث عن مفهوم الرشاد الاقتصادي. السؤال الثاني: يخص أنماط التنسيق بين هذه الدوافع مع الأفراد الآخرين، السؤال الثالث يخص مكانة القيم والأخلاق والاعتبارات المعيارية والقيمية عند قيام هذا التنسيق.

لقد اعتمد النموذج النيوكلاسيكي في بناء أطروحته على مفهوم الرشاد الاقتصادي، الذي يفترض أن الإنسان كائن عقلائي يسعى دائماً لتعظيم منافعه الشخصية وبهذا قدم الإجابة عن السؤال الأول، عن طريق طرحه لنظرية القرارات واعتقد منظرو هذا الفكر أيضاً أن آلية التنسيق تتم عن طريق السوق وبواسطة الأسعار، وبهذا قدموا الإجابة عن السؤال الثاني بطرحهم لنظرية التوازن العام غير أن السؤال الثالث الذي يخص مكانة الأخلاق والاعتبارات القيمية والمعيارية قد بقي خارج دائرة النقاش وبقيت النظرية الاقتصادية فترة طويلة غير قادرة على تصور المشروع إلا بالطريقة نفسها التي تنظر فيها إلى الفرد.

إلا أنه مع النصف الأول من عام 1989 كانت نظرية التوازن العام قد بلغت أوجها، ولاحظ أروو أن نظرية التوازن العام قاصرة عن إعطاء شرح مفصل عن كيفية عمل السوق، فقد أوضح أن هناك دعامتين أساسيتين في النظرية الاقتصادية: الدعامة الأولى: هي دعامة صلبة تؤكد أن الفرد عقلائي يبحث عن تعظيم منفعة الشخصية ضمن القيود المفروضة عليه. أما الدعامة الثانية: فهي دعامة هشة لا تصمد أمام النقد تفترض أن آلية التنسيق تتم عن طريق السوق ولكن حتى يستطيع أن يعمل السوق بشكل صحيح فإن الأمر يستلزم الأخذ بعين الاعتبار نظام القيم والأخلاق والقانون فهو يتحدث مثلاً عن الثقة باعتبارها الزيت الرئيسي والمحرك لكل الأنشطة الرأسمالية فيؤكد على أنه يتوجب أن يكون هناك سلطة تضبط قواعد السوق وتوجهه، هذه السلطة يمكن أن تكون باطنية.

ومن هذا القبيل نظام القيم أو نظام مفروض كالقانون، أو مقبول ومتوافق عليها اجتماعياً كالعرف في الوقت نفسه فإن الفكر الرأسمالي تطور تطوراً ملحوظاً مع المدرسة الفرنسية، واستطاع لأول مرة في عام 1989 ومع ظهور العدد 40 من

المجلة الاقتصادية التي تحمل عنوان **Economie des Conventions** نشرت فيه عدة مقالات لعلماء اقتصاد واجتماع وفلسفة أعادوا الاعتبار إلى الأخلاق والأحكام القيمية وإدراجهما في التحليل الاقتصادي فأحدث ذلك ثورة حقيقة في النموذج النيو كلاسيكي وبدأ منظرو هذا التيار بالحديث عن نموذج اقتصادي جديد تماماً في قطيعة شبه كاملة مع النموذج الاقتصادي الليبرالي الحديث.

لقد برهنت هذه النظرية على أن إدخال الأحكام القيمية بمعنى ما هو صحيح وما هو خطأ في التحليل الاقتصادي سوف تغير المفاهيم الأساسية في علم الاقتصاد. وكانت هذه هي المحاولة الأولى للإجابة عن التساؤلات الثلاثة الأنفة الذكر. وفي نفس الوقت فقد أكدوا أن دراسة السلوك الإنساني هو اشكال بحد ذاته فهو لا يخضع لقانون طبيعي قابل للتفسير والتعليل وإنما يخضع إلى مجموعة من الأنماط الاتفاقية.

فليس بصحيح أن التوازن في السوق على سبيل المثال يتم عن طريق الأسعار كما يعتقد منظرو الفكر الليبرالي وكما يعتقد أيضاً منظرو الفكر الاسلامي وإنما التوازن يتم عن طريق نظام خاص من القواعد تحدد لنا ما هو مسموح وما هو مرغوب وما هو ممنوع وما هو محرم وما هو إجباري.

لقد أحدثت هذه النظرية ثورة علمية حقيقية في داخل النظرية النيو كلاسيكية وذلك أولاً: بتغيير الوحدة المدروسة الخاضعة للتحليل، ففي الماضي كنا ندرس السلع والخدمات واليوم أصبحنا ندرس العقود، فالسوق أصبح مجموعة من العقود بين جانبين وكنا في الماضي نتحدث عن السعر كآلية في تحديد التوازن والآن نتحدث عن القواعد والقانون كآلية في التحديد، وفي الماضي كنا نهتم بالتوازن بين العرض والطلب والآن نهتم باستخدام أفضل استراتيجيات ممكنة اخذين بعين الاعتبار الاستراتيجيات الممكنة للآخرين.

المبحث الرابع: الدينيات التطبيقية وأنسية الإنسان في النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي

قال الكاتب والصحافي الأمريكي جون بيلامي فوستر مرّةً عن الرأسمالية: "ها نحن بعد أقلّ من عقدين على بداية القرن الحادي والعشرين، ويبدو لنا أن الرأسمالية قد فشلت كنظام اجتماعي، فالعالم غارق في الركود الاقتصادي، وأعظم معدلات اللامساواة في تاريخ البشرية، وكلّ ذلك مصحوباً بالبطالة الهائلة والبطالة المقنّعة وبالأعمال غير المستقرّة، وبالفقر والجوع والحياة المهذورة، وقد وصلنا إلى ما يسمّونه في هذه المرحلة "دوامة الموت".

ومن باب التقويم فقد لخص بيلامي فوستر فقط بعضاً من نتائج النظام الرأسمالي وآثاره السلبية على الإنسان. فبالإضافة إلى ظهور الطبقة، وتوسيع الشروخ بين الأغنياء والفقراء، واستغلال العمّال من أجل الربح، وارتفاع مستويات البطالة، تطرّق باحثون وعلماء وفلاسفة كثر عبر العالم إلى التأثيرات الناتجة عن هذا النظام، والتي مسّت حياة الإنسان الاجتماعية والنفسية، وأدخلته في دوامة الإنتاج والاستهلاك، وسلبته حقوقه وسعادته.

الرأسمالية/ عندما يبيع الإنسان حياته من أجل الخبز

يشتكي كثيرون من العمل الكثير المُلقى على عاتقهم في المؤسسات التي يشتغلون فيها، حيث يقبلُ البعض العملَ لساعاتٍ إضافية بدون تعويض، خوفاً من التعرّض للطرد، أو خشية اتهامهم بأنهم لا يقومون بعملهم على أكمل وجه، إن هم طالبوا بحقهم في التعويض. ويشتكي آخرون من ساعات العمل الطويلة التي لا تدع لهم مجالاً للراحة وقضاء الوقت مع عائلاتهم، بل وحتى لقضاء أغراضهم الضرورية.

لوحة للفنان أدولف فون مينتسل تصوّر العمل في المصانع خلال القرن التاسع عشر
(Wikipedia)

"إننا في نهاية المطاف نعمل من أجل أن يدفعوا لنا أجوراً نعيش بها حتى نظلّ قادرين على الاستمرار في العمل فقط"، تقول سحر، مهندسة معلومات، مضيئة: "أحياناً يراودني شعورٌ أنني لم أستمتع بحياتي كما يجب، إنني أركض منذ زمنٍ طويل وراء ذلك الراتب الذي يختفي قبل نهاية الشهر، ولم أفعل بسبب هذا أيّ شيء يسعدني بالفعل".

سحر ليست الوحيدة التي تشتكي من طبيعة العمل كما هو في ظلّ النظام الرأسمالي، فهذا الأخير أساسه أسبقية العمل على الاستثمار في العلاقات الاجتماعية والإنسانية أو الإبداع في مجالات أخرى. كثيرٌ من الموظّفين اليوم لا يشعرون بالأمان في وظائفهم، ولا يمتلكون أيّ مزايا، ويشغلون ساعاتٍ إضافية غير مدفوعة الأجر، بل إنهم يشعرون بالتهديد بفقدان وظائفهم في أيّ وقت، وبكلّ ما يمكن أن يترتب عن ذلك من عدم القدرة على التمتع بمستوى معيشي لائق.

وقد يصل الضغط الذي يعاني منه الموظفون في العمل أو خوفهم من فقدان الوظيفة إلى مستويات كبيرة. ففي اليابان مثلاً ظهر ما يُسمّى بالـ "كاروشي" Karoshi وتعني "الموت من العمل" وهي ظاهرة الموت المفاجئ أو الانتحار بسبب العمل لفترات طويلة تحت ضغوط كبيرة.

في كتابه الشهير "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"، تطرّق عالم الاجتماع ماكس فيبر إلى ظاهرة العمل في المجتمع الحديث معتبراً تشبّهت الناس بعملهم ووظائفهم نتيجة لتفكك المعنى القديم للأخلاق التقليدية. ويشرح فيبر فكرته قائلاً: "في هذا العالم الذي لا يمكن استيعابه كلياً، وحيث لا وجود لقيم مشتركة على المستوى العالمي، فإن معظم الناس تشبّهوا بوظائفهم أو مهنتهم، وتعاملوا مع العمل على أنه ديانة أو غاية مطلقة في حد ذاتها، لذا إذا كانت الأخلاق أو الروح الحديثة لها أساس مطلق ونهائي، فهو هذا العمل". /

وفي هذا الاتجاه يقول ميكانيكي يعمل بمضخة بخار، لويس هاين 1920 "كنتُ أعرّض لاستغلالٍ بشع في عملي السابق كصحافي، أعملُ كثيراً ولساعاتٍ طويلة. وأصبح العمل خارج ساعاتِ الدوام شيئاً طبيعياً واعتيادياً. الجميع كان يشتكي من هذا الاستغلال، لكن، لا أحد تجرأ على فتح فمه، لأنهم، طبعاً، يخافون فقدان وظائفهم، ولأنهم كانوا يُذكّرون دائماً أن هناك أشخاصاً مستعدين ليحلّوا محلّهم. أحياناً لم أكنُ أجد الوقت حتى لتناول غدائي أو دفع فواتيري، ومع ذلك لم يكن يجري تقدير عملي. بعد سنتين، شُخصتُ بالاكْتئاب"، يحكي نجيب (30 عاماً) لـ TRT عربي.

كثيراً ما يتحوّل مكان العمل في ظلّ النظام الرأسمالي إلى ساحة حرب تستهلك الموظّفين، وتسرق منهم حياتهم، ما يجعلهم في كثيرٍ من الأحيان عرضةً للاكتئاب أو الإصابة بأمراض نفسية أخرى. بل حتى الذين لا يعملون أو الذين يعانون من الفقر قد يصابون بالاكْتئاب بسبب النظام نفسه. يعزّز هذا الطرح الكاتب والفيلسوف البريطاني مارك فيشر الذي ربط بين الاكْتئاب والرأسمالية في مقاله المعنون بـ "لا نصلح لأي شيء".

عمال داخل مصنع خلال القرن التاسع عشر (Getty Images)

ويشرح فيشر: "يقوم النظام الرأسمالي على تحميل المسؤولية للأفراد وإقناعهم بأن فقرهم، أو قلة الفرص، أو البطالة هي خطأهم وخطأهم وحدهم، وبذلك يلوم الأفراد أنفسهم بدلاً من لوم الهياكل الاجتماعية.. إنه وجه آخر للاكتئاب جاء من قناعة زُرعت في دواخلنا مفادها أننا جميعاً مسؤولون عن بؤسنا، وبالتالي فإننا نستحقه".

بدوره، لم يُغفل إميل دوركايم في حديثه عن المجتمعات المعاصرة دور الرأسمالية في تعاسة الأفراد. ففي كتابه "الانتحار" الذي صدر عام 1897، لاحظ عالم الاجتماع الفرنسي أن المجتمعات المعاصرة كلما انتعش اقتصادها، ازداد أفرادها تعاسةً، وعزا هذا التناقض إلى النظام الرأسمالي الذي تبنته دول الغرب، "فهذا النظام بتشجيعه اللامشروط للمبادرة الحرة وفتحه المجال أمام الجميع للارتقاء الطبقي يُحمّل المواطنين كامل المسؤولية إن هم فشلوا في حياتهم ومشاريعهم".

عمالة الأطفال في ظل النظام الرأسمالي (Getty Images) وآثارها السلبية على المجتمع والقيم

في يناير من العام 2020، قدرت منظمة الصحة العالمية عدد المصابين بالاكئاب عبر العالم بأكثر من 300 مليون شخص من جميع الأعمار، 800 ألف منهم يموتون جرّاء الانتحار. وقالت المنظمة إن من عانوا من أحداث حياتية صعبة، وأهمها البطالة والصدمات النفسية، هم الأكثر تعرّضاً للاكتئاب.

النساء.. الحلقة الأضعف والأكثر تضرراً

اعتمدت الرأسمالية منذ بداياتها على استغلال الحلقات الأضعف من المجتمع، فارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالاستعباد والعنصرية والتمييز على أساس الجنس. ومع بداية الثورة الصناعية، تعرّضت الطبقة البروليتارية لأبشع استغلال من طرف البورجوازية المالكة لوسائل الإنتاج. كان الهدف من ذلك الإبقاء على كلفة الإنتاج منخفضة، وبالتالي ضمان هامش ربح أكبر.

وإذا كانت الطبقة الكادحة قد تعرّضت لأبشع استغلال مع صعود النظام الرأسمالي (ضعف الأجور، كثرة ساعات العمل...)، فإن هذه الطبقة نفسها كانت تخضع لتقسيمات طبقية، فالنساء والأطفال داخل هذه الطبقة أقلّ شأناً من الرجال، بل لم يكن من حقّ النساء الحصول على أجورهنّ لقاء عملهنّ، وكانت تُعطى أجورهنّ لأزواجهنّ بدلاً عنهنّ.

النساء العاملات خلال القرن التاسع عشر (Getty Images)

في كتابها " كاليبان والساحرة"، تطرقت الكاتبة والأستاذة الجامعية الإيطالية سيلفيا فيديريتشي إلى تاريخ إخضاع النساء واستغلال المستعمرات واستعباد السود والسكان الأصليين كوسائل لتكريس وتقوية النظام الرأسمالي. وفي هذا السياق، تقول فيديريتشي: " أصبح النظام الرأسمالي مع الثورة الصناعية في حاجة إلى مزيد من العمال، فبدأ بتشغيل النساء والأطفال أيضاً، لأنهم أرخص ثمناً من الرجال، وإذا كان العامل في السابق يبيع وقته وقوة عمله الخاصة، فقد أصبح يبيع زوجته وأطفاله أيضاً. لقد كانت للنظام الرأسمالي آثار وحشية ومهينة للنساء".

وفي كثيرٍ من بلدان العالم اليوم، لا تحصل النساء على أجور لقاء العمل المنزلي. تفسّر فيديريتشي هذا بكون النظام الرأسمالي يدفع مقابل الإنتاج، "لذلك فعمل النساء داخل البيت هو عمل بلا قيمة، لأنه عمل غير منتج".

تقويم المالية الرأسمالية في ضوء النظام المالي الإسلامي

يتحصل من هذه الدراسة المستفيضة مقارنة بالمالية الإسلامية،

أن المرأة في الإسلام لها استقلالية مالية ولها خصوصية احتفاظها باسمها العائلي بعد الزواج ولها على الرجل حق الإنفاق ما لم تتزوج سواء كانت زوجة أو بنتاً أو أما أو قريبة بحسب تراتبية القرابة. وفيما يرجع للإنسان في تقدير الإسلام أنه ذلك الكائن الذي لا يعيش ليأكل بل يأكل ليعيش. ينظر إليه على أنه يبتغي الآخرة بالدنيا. فكل عمل الإنسان مرتبط بالنية التي هي الباعث عليه مرتبط بقاعدة الثواب والعقاب والرقابة الإلهية. وفيما يرجع للامتلاك فإنه خلافاً للجشع الرأسمالي فإن المنظومة الاقتصادية الإسلامية التي هي استحقاقات الزكاة والصدقات والكفارات من شأن ذلك أن يخلق توازناً نفسياً بقدر التوازن الاقتصادي الذي تؤكد عليه المرجعية المالية الإسلامية.

وأخيراً فإن تمبيع الرأسمالية للأخلاق بالسماح للمرأة أن تكون حرة في جسدها وما أنتجه ذلك من البغي والفساد حول المرأة إلى بضاعة و سلبها شخصيتها وكرامتها. وإنه من نعم الله علينا أننا لا زلنا نحافظ على روابطنا العائلية خلافاً للغرب الذين يلغون بالشيوخ من آبائهم في دور العجزة خلافاً للغرب الذين يشرعون اليوم قوانين للمثليين وللإجهاض وغيرها.

المبحث الخامس: الدينيات التطبيقية وتنزيلها على التربية والتعليم بين الدين الإسلامي والأديان السماوية // النظرية الإيظولُدنية

(1) أولاً: التعريف بمصطلح؛ الإيظولُدنية (Éto-lôdôny) مصطلح فراين إيديّة -اللغة القارية الموحدة لكافة القوميات والشعوب الأفريقية - وهي عبارة عن منظومة فكرية تربوية ذات نموذج ثنائي (أي المزدوج)، ذلك بالمعنى التقريبي.

(2) ثانياً: استراتيجية النظرية:

مدار النظرية حول ضرورة الأخذ بالوحي الرباني (النقل أو الرواية) من جهة، وبالاستعانة بالملكة البشرية الموهوبة (العقل أو المنطق) من جهة ثانية الجمع بينهما في سبيل إعطاء نموذج تربوي-تعليمي والمسمى في هذه النظرية: الإيظولُدنية. وذلك عبر المقصدين الآتيين:

(أ)- أن أيّ تربية على أساس التخلي عن الجانب الدّيني-الرّوحي (أي جانب التربية الروحية) محكوم عليها بالفشل (ذلك أن المادة لا تنتج إلا المادة!)، وعليه؛ فإن التربية على أساس المادة لن تنتج إلا ما قد تراه في تربية الغرب.

(ب)- أنه وإن كان للعقل مساحة من إدراك الخير والشر إلا أنه بالعقل وحده لا يمكن أن ننشئ منظومة تربوية سليمة عادلة تخدم الإنسان في الحال والمآل. لأن العقل محكوم عليه أحياناً بالعجز، بالقصور، بضعف التعامل مع الأمارات، وحتى بللجهل أحياناً، لذلك كان لا بد من معضد متناهي في الكمال والإدراك للمصالح والمفاسد لتسيّد العقل وتكميل نقصه وهو الشرع.

(ج)- تعميم التربية والتعليم على الذكر والأنثى وعدم جعله أحادي الجانب بأن لا يقتصر على العلوم الدينية فقط بل وجب أن يتعلم الإنسان المسلم كل العلوم. لأن تلك العلوم هي من فعل الله وكتاب الله المنظور عليه أن يدرك عظمة الحالق في قوانين العلوم. وبذلك يتحقق مقصد الخشية الأمثل الذي عبر عنه القرآن بقوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)

تقويم

يتحصل مما تقدم أنه بالجمع بين استحضار رقابة الله ومبادئ الشريعة في التربية والتعليم وبين التماس وسائل الإبداع العلمي بالاجتهاد العقلي تنتج منظومة تربوية تأخذ

بالاعتبار ماهية الإنسان من حيث هو مستخلف من لدن الله في الكون. وبهذا يتحقق مقصد الاستخلاف الذي وعد به تعالى خلقه في سورة النور وهو قوله: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)¹ . ولن يتم هذا الاستخلاف إلا بشروطه التربوية السليمة وهي:

أولاً: بناء الفرد وتكوينه كشخصية متكاملة (سواء على المستوى النمو الجسمي، العقلي، الروحي، الأخلاقي، والاجتماعي...)

ثانياً: التنمية العلمية، وذلك بالعمل دوماً على اكتشاف المواهب والقدرات، وتنميتها، وتعليم الناشئة العلوم المناسبة والمفيدة له وللأمة وللمجتمع جمعاً بين مقاصد الدنيا ومقاصد الآخرة.

ثالثاً: بناء الأمة وتقوية معنوياتها بما يشعرها بقيمتها وبكونها الأمة الوسط الشاهدة على الأمم . ولا يتم فعل الأمة الإسلامية النموذجية في الغير إلا بأن تكون في الداخل أمة متناصرة، متناصرة، ومجاهدة في ربها حق الجهاد... وقد ذكر الباحثون أهدافاً تفصيلية كثيرة، وهي مندرجة تحت هذه الأهداف الثلاثة، إما خادمة للشخصية الإنسانية بجوانبها المختلفة، أو خادمة للنمو العلمي، أو خادمة للأمة بآثارها، فتلكم الأهداف الرامية في النموذج التربوية-التعليمية أساساً للنظرية الإيديولوجية (الإيديولوجية) ²

¹ - سورة النور الآية 55.

² - لمزيد راجع: النظرية العالمية الثالثة لبناء مجتمع جديد، ص: 60 / سنة النشر: 2013م لـ(دوسو هارونا).

المبحث السادس: الدينيات التطبيقية وتنزيلها في السنة الزمكانية عرضا على المصالح والمفاسد:

المطلب الأول: السنة الزمكانية تعريفا وتقديما:

أولا: التعريف بالسنة الزمكانية:

والغرض من هذا المبحث هو الكشف عن المناهج الكفيلة بجعل الدين جذابا
محبوبا ومنطلقا لثقافة كونية هادفة فيما يصح الاصطلاح عليه بالسنة الزمكانية أو
مفهوم وينا = **Woİnan Concept Sunna Contemporary**

ولا شك في أن الانطلاق من هذا المبدأ في الثقافة، سيجعل من السنة الزمكانية
المنشودة امتدادا لسنة الوحي المكتوبة. ذلك أن المكتوبة المحفوظة عن نبينا صلى الله
عليه وسلم لم تأت عبثا وليست أمورا محنظة رهينة الكتب بل هي قابلة لتكون منطلقا
للحوار بين الأديان في أصول العلوم والسلوك والقيم.

ثانيا: شروط نجاح (السنة الزمكانية من مفهوم وينا = ٢٨٧٢٤):

فهذا التصور (Concept) ينبغي أن تبدأ تجلياته وفعله انطلاقا من:

- تحسين المظهر الخارجي للإنسان المسلم : في طريقة "الملبس، والمأكل، والمشرب،
والمعاملة والسلوك..." والترويج له بما يجعله خصيصة من خصائص المجتمع المسلم.
وهكذا في هندسة العمران وغيرها من مظاهر الحياة المادية الظاهرة.

- الترويج لهذه الهندسات المعمارية ولهذه الملابس الإسلامية العصرية عبر قنوات
الإشهار في العالم أجمع¹

- أن يكون اللباس محتشما (vêtement a descente)

- أن يكون اللباس متماشيا مع القيم الأخلاقية وجوهر الدين (في وسطيته)

- أن يكون اللباس جذابا (غير فاتن ولا جد متحفظ وإنما مما يجذب الغير للباسه لدى
رؤيتها. تلك إذن خصيصة نفقدها في صناعتنا كمسلمين لا نستطيع أن نروج لثقافتنا في
العالم على شاكلة الغرب والصين واليابان.

¹ - المبادئ والمعايير التي لا تعني الإغراق في العصرية والوسطية أو التخلي فالابتعاد عن الأصالة والقيم (وإنما
الوسطية المتحفظة) ...

المطلب الثاني: السنة الزمكانية نحو جاذبية حوار أديان مثمر

بديهى أن القرآن دعا إلى محاورة الكتّابيين وغيرهم بالتي هي أحسن وبديهى أن النبي والخلفاء الراشون مضوا على نهج القرآن في محاورة ومعاملة الآخر، لكننا اليوم بحاجة إلى التماس أساليب جديدة تتماشى والعصر في سبيل تحقيق إقناع حوارى مقاصدى مع الآخر. وهو أمر ليس بالهين يتطلب تجندا وإرادة سياسية ودينية لتحقيقه. وفي هذا الصدد يقول وزير الأوقاف المصري:

" انطلقت المبادرة الأولى إلى الحوار الدينى في الأساس من الإسلام، والقرآن الكريم يقول في ذلك موجها الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم متضمنا المبادرة إلى الحوار الدينى: قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون.

فهذه الدعوة القرآنية دعوة صريحة إلى الحوار الدينى بين طرفين: الجانب الإسلامى، وجانب أهل الكتاب من المسيحيين واليهود، وهناك قضية يدور الحوار حولها وهي القضية المحورية في الدين أساساً، وهي قضية الألوهية.

ولا يكتفى القرآن الكريم بمجرد المبادرة، بل يرسم أيضا أسلوب الحوار، فالحوار سيؤدى إلى مناقشات ومجادلات ولكنها ينبغي أن تلتزم بأدب الحوار، ومن هنا يقول القرآن في ذلك: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن.

كما جعل القرآن الجدل بالحسنى أحد المناهج التي يتحتم على الدعاة إلى الإسلام اتباعها، لا مع أهل الكتاب فقط، بل مع كل الناس: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.

الاعتراف بالآخر:

يمتاز موقف الإسلام في أي حوار مع الأديان الأخرى بميزة كبرى لا تتوافر لغيره من الأديان وهي إيمانه بكل الديانات السماوية، السابقة، وهذه الميزة تجعله متحررا من العقد والحساسيات والنفور الذي قد يشعر به الآخرون في مثل هذه الأحوال.

ومن أجل أن يكون هناك حوار مثمر وتعاون وثيق بين الجماعات البشرية أيا كانت انتماءاتها، دعا القرآن الكريم إلى ضرورة تعرف كل جانب إلى الجانب الآخر وتفهم مواقفه على قاعدة من المساواة التامة، وهذا ما تعبر عنه الآية الكريمة: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا.

وهذه الآية تبرز المعنى الإنساني العام لطبيعة الإسلام، فنحن نتعرف إلى الآخر من خلال تعرفنا إلى أنفسنا، الأمر الذي يؤكد وحدة الإنسانية، وهي تلك الوحدة التي مصدرها الله، وقد أكد الإسلام هذه الوحدة مؤكداً لا يقبل التأويل حين اعتبر أن الإساءة إلى أي فرد من أفراد الإنسانية تعد إساءة إلى الإنسانية كلها، وفي المقابل يعد تقديم الخير إلى فرد واحد من أفراد الإنسانية بمثابة تقديم الخير إلى الإنسانية كلها، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة: من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيها فكأنما أحيها جميعاً.

وقد أكد القرآن الكريم أيضاً العلاقة الوثيقة التي تربط بين المسلمين والمسيحيين في قوله تعالى: (ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون).

وقد شعر المسلمون منذ البداية بهذه القرابة الروحية، ومن هنا كان تعاطف المسلمين مع روم الشرق المسيحيين، كما يقص علينا القرآن الكريم، فقد حزن المسلمون حزناً شديداً عندما انهزم الروم المسيحيون أمام الفرس الوثنيين آنذاك.

وواستهم آيات من الوحي القرآني متنبئة بأن الروم سينتصرون على الفرس في معركة قادمة، وقد حدث هذا النصر كما تنبأ بذلك القرآن الكريم في سورة من سوره تحمل اسم الروم.

وأول من أجرى حواراً مع المسيحيين في الإسلام كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أجرى حواراً في مسجده بالمدينة المنورة مع وفد من نصارى نجران بقيادة أسقفهم أبي الحارث، وكان حواراً اتسم بأقصى درجات التسامح، فعندما دخل هذا الوفد إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ أعضاؤه لأنفسهم ركناً في المسجد وبدأوا في أداء صلواتهم، وقد استغفر ذلك بعض الصحابة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: اتركوهم حتى ينتهوا من صلواتهم، وبعد انتهاء الصلاة جرى حوار هادئ بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين هذا الوفد، فقد شرح لهم النبي الإسلام وما يشتمل عليه من تعاليم، ومن جانبه شرح الوفد ما تشتمل عليه المسيحية من تعاليم، وكان هذا الحوار نموذجاً يحتذى ودرساً في التسامح للأجيال التالية.

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن الإسلام لم يقر فقط مبدأ الحوار بل دعا إليه، كما وضع الشروط الكفيلة بإنجاح أي حوار على المستوى الديني الذي هو أعقد أنواع الحوارات على الإطلاق، لأنه لا يمس أمور الحياة الدنيوية العادية التي يمكن التساهل فيها، وإنما يمس أمور العقيدة الدينية المترسخة في النفوس والمتغلغلة في الأعماق، فهي بطبيعتها أمور حساسة.

ومع ذلك لم تفلح محاولات الحوار الديني في الوصول إلى نتائج وليس معنى ذلك أن تكون هناك قطيعة مع الآخرين، فليحتفظ كل بمعتقده: لكم دينكم ولي دين، ولكن طريق التعاون والتفاهم والحوار حول ما يجمع الإنسانية يظل طريقاً مفتوحاً.

فلنترك ما يستحيل الاتفاق عليه، ولنتجه إلى ما يمكن الاجتماع عليه بدءاً من التعارف وتفهم كل فريق لوجهة نظر الفريق الآخر في احترام متبادل من أجل الالتقاء على مبادئ للتعاون المثمر لما فيه خير الإنسانية.

- والسؤال المطروح الآن هو: ما القضايا التي يمكن أن تكون مجالاً للحوار مع أتباع الأديان الأخرى؟

إن الإجابة عن هذا السؤال يمكن تلخيصها بالإشارة إلى محورين أساسيين يشكلان بصفة رئيسية مجالات الحوار الديني الممكنة.

- أولهما: الحوار حول العقائد التي تشتمل عليها الأديان،

- وثانيهما: الحوار حول ما تشتمل عليه الأديان من قيم إنسانية.

لقد أشرنا إلى أن القرآن الكريم طرح أهم قضايا الدين موضوعاً للحوار، ونعني بذلك قضية وحدة الألوهية، ومع ذلك لم يلجأ إلى أسلوب التخويف أو الإرغام لفرض وجهة النظر الإسلامية، بل أكد في وضوح لا لبس فيه حرية الاعتقاد: لا إكراه في الدين.

فإذا لم يقتنع الطرف الآخر بما يلقي إليه من أدلة وبراهين فهذا شأنه، ولا سبيل لأحد عليه.

ولكن ليس معنى ذلك أن الأبواب قد سدت، وأن المنافذ قد أغلقت وأنا وصلنا إلى مرحلة اليأس من احتمال إجراء حوار مثمر بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى، فهناك مجال آخر للحوار يمكن أن يصل فيه الطرفان إلى نتائج إيجابية وهو مجال الحوار حول ما تشتمل عليه الأديان من قيم إنسانية.¹

لقد كان وزير الأوقاف المصري مصيباً في الفقرات الأخيرة من هذا المقال لما اعترف بصعوبة الحوار مع المسيحيين واليهود خصوصاً. وهاهو ذا كريستوف شتراك الباحث الألماني الكبير يعتبر أوروبا المسيحية حالة استثنائية باعتبار الإلحاد قد ضرب أطنابه في البلا وهذا نص كلامه على هامش المؤتمر الألماني للحوار الديني:

مؤتمر "أديان من أجل السلام" بألمانيا.. حوار حول دور النساء والشباب

¹ - انظر مجلة المنهاج 27 ذو القعدة 1443 هـ ، 26 يونيو 2022 م الرابط: <https://www.alkhaleej.ae/>

"غالبًا ما يُنظر إلى الأديان كمصدر للنزاعات. غير أن منظمة "أديان من أجل السلام" تعمل على تغيير ذلك وعلى تحفيز الشباب والنساء للمشاركة بشكل أوسع في الحوار حول قضايا تتجاوز موضوع الإيمان.

(Deutschl and Ring for Peace Ceremony (2019)

"الحوار هو المفتاح لحل المشاكل" يقول الكيني فيلبرت أغانيو، مجيبًا على سؤال حول نشاطه في مجال حوار الأديان. وأغانيو (35 عاما) المستشار في مجال الاتصال الرقمي هو من الجيل الشاب المشارك في مؤتمر المنظمة المدنية "أديان من أجل السلام Religions for Peace" في مدينة لينداو بولاية بايرن جنوب ألمانيا. وتقول المنظمة إنها عابرة للأديان وهي الأكبر من نوعها في العالم، وتراهن على الشباب إلى جانب خبرة كبار السن في مجال حوار الأديان.

مختارات غالبية الألمان "لا تؤمن" بدور الدين في تحقيق العدالة

الأديان من أجل السلام - دور المرأة في الدين والدبلوماسية

مسجد وكنيسة وكنيس تحت سقف واحد... برلين تبني "بيت الواحد"

عزة كرم..مصرية على رأس هرم أكبر مؤسسة لحوار الأديان

وقد عقد مؤتمر لينداو في الفترة ما بين الرابع والسابع من شهر تشرين الأول/ أكتوبر 2021، لمدة أربعة أيام تحت شعار "العقيدة والدبلوماسية - حوار الأجيال". ولدى مناقشة أي محور وموضوع كان دائما أحد المحاضرين من الشباب. وأغانيو أدار حلقة حوار حول مشاريع تعاونية في مجال الصحة.

ومن الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا شاركت الشابة نيكول هاينريش (25 عاما) وكانت من المتحدثين الرئيسيين في افتتاح المؤتمر. وفي اليوم الثاني للمؤتمر انضمت أغنيس أبوم من نيروبي إلى مناظرة رئيسة مجلس الكنائس العالمي، ولدى تقديمها قيل إنها أول امرأة في هذا المنصب وأول أفريقية تعنليه.

جيل مفعم بالطاقة والحيوية:

ومن نماذج اعتراف الغرب بمشاركة الشباب بمن فيهم الشباب فهذه إيرمغارد ماريا فيلنر، نائبة رئيس القسم الثقافي في وزارة الخارجية الألمانية، تقر "أن الأمر يتعلق بمشاركة الشباب في إدارة المنظمات. الجيل الشاب مفعم بالطاقة". وتابعت موجهة كلامها للمنظمات الأخرى، هكذا مثلما تعلمت منظمة "أديان من أجل السلام" دمج

النساء، ينبغي عليكم أنتم أن تتعلموا "دمج الشباب". وكان حضور المرأة ومشاركتها بارزا في حوار الأديان.

وفي بعض المناقشات كان واضحا أن نسبة الشباب خارج أوروبا كانت أكبر فيما يتعلق بتحمل المسؤوليات في سن أصغر، مقارنة بالشباب في أوروبا. فأغانيو مثلا تحدث عن كيفية مشاركته عام 2016 لأول مرة في اجتماع لرجال دين كبار، في العاصمة النيجيرية أبوجا. ومنذ ذلك الحين بدأ يشعر بمدى أهمية التسامح وتعليمه للآخرين. وزار مسجدا مع مسلمين وكنيسة مع مسيحيين ومعهدا مع الهندوس في أوغندا، ويقول "من كل واحد يتعلم المرء شيئا ما".

فيلبرت أغانيو لدى مشاركته في مؤتمر حوار الأديان في لينداو الألمانية

فيلبرت أغانيو عرف مبكرا مدى أهمية التسامح وتعليمه للآخرين وكان من المشاركين النشطين في مؤتمر "أديان من أجل السلام" في لينداو

مسجد وكنيسة ومعبد

وفي نيروبي ومن خلال منظمة "أديان من أجل السلام" يتحاور أغانيو ويتبادل الرأي مع مسيحيين من طوائف أخرى ومع مسلمين ومع أتباع ديانات ومعتقدات أخرى، ليس حول الدين فقط وإنما حول التحديات السياسية أيضا، ويقول "نحن كشباب كيني نتأثر بنفس القدر". وفي المشاريع التنافسية الأخيرة كان الأمر يتعلق بمواجهة جائحة كورونا. حيث حاولوا مواجهة الأخطار المتزايدة نتيجة المعلومات الخاطئة والأخبار الكاذبة المتعلقة بالجائحة. ويقول إن الدين خلال ذلك "لم يلعب في الحقيقة أي دور".

وأصغر المشاركين في مؤتمر لينداو، كانت الأندونيسية البوذية حيسلين ميتا (24 عاما). وقد لفتت النظر إلى مجتمعها البوذي من خلال شبكة حوار تعود لمنظمة "أديان من أجل السلام". وتقول عن مشاركتها في المؤتمر مع شباب وكبار في السن "كل لديه قصة ليرويها. ويمكننا التعلم من كل واحد. سيان سواء أكان شابا أو كبيرا في السن، كل واحد يمكن أن يقول للآخر شيئا ما".

تحقيق ما هو أكثر من مجرد الحوار

وتقول ميتا، إن الحوار مهم، "لكن يجب أن ننجز ما هو أبعد وأكثر من الحوار. هناك حاجة لعمل محدد". وتشير إلى مشاريع مثل مخيم لقضاء العطل متاح لكل الشباب بغض النظر عن انتمائهم الديني، وعن مشاريع اجتماعية أخرى.

وسواء بالنسبة لأغانيو أو ميتا، أو المشاركين الآخرين في المؤتمر من آسيا وأفريقيا، فإن الاعتقاد الديني والحوار حوله أمر بديهي، لكن الأمر في ألمانيا مختلف تماما. حيث أجرت المنظمة قبل المؤتمر استطلاعا للرأي قال 33 بالمائة من المشاركين فيه إن الدين مهم أو مهم جدا بالنسبة إليهم، في حين قال 61 بالمائة إن الدين غير مهم أو غير مهم أبدأ بالنسبة إليهم.

جيسلين ميتا الشابة الاندونيسية البوذية شاركت في مؤتمر أديان من أجل السلام في لينداو

جيسلين ميتا ترى أنه يجب أن ننجز ما هو أبعد وأكثر من الحوار

أوروبا حالة استثنائية!

وقد تمت مناقشة هذا الموضوع في مؤتمر لينداو أيضا، وفي النهاية كان الأمر يتعلق بالجيل الشاب. عزة كرم، الأمين العام لمنظمة "أديان من أجل السلام" أوضحت بأن تخلي أوروبا عن الدين والعلمانية والإلحاد فيها، هو حالة استثنائية مقارنة بأجزاء أخرى من العالم، "حيث أن الدين جزء من حياة الفرد والمجتمع".

الحاخام دافيد روزن، عارض هذا الطرح حول الدين والإيمان في أوروبا، وأوضح بأنه إذا نظرنا إلى الالتزام القوي لدى الجيل الشاب بمسألة حماية البيئة والحفاظ على الخليفة والتجارة العادلة والمواد الغذائية النظيفة غير الملوثة، فنرى أنها شكل من أشكال "الروحانية" التي ربما لم تدركها المجتمعات الدينية الراسخة هنا.

وقد اكتمل عقد المؤتمر بمشاركة محاضرة كاثوليكية شابة (22 عاما) من أوغندا شاركت عبر الفيديو، وهي فانيسا ناكاتي، الناشطة في حركة "أيام الجمعة من أجل المستقبل" لحماية البيئة وهي معروفة في بلدها مثلما الناشطة غربتا تونبرغ في السويد¹.

¹ - كريستوف شتراك/ مجلة : made for minds dw الرابط <https://www.google.com/search>

المبحث السابع: تقنين العقوبة بين الشريعة والقانون:

المطلب الأول: تأخر تقنين العقوبة في قوانين الغرب وذرائعها إلى المفسدة:

لم تكن القوانين الوضعية الغربية تعرف قاعدة: "لا جريمة ولا عقاب إلا بنص" إلا في أواخر القرن الثامن عشر؛ وذلك في أعقاب الثورة الفرنسية، أما قبل ذلك فكان القضاة يتحكمون في تحديد الجرائم وتعيين عقوبتها، فيعتبرون الفعل جريمة ولو لم يكن ثمة نص على تجريمه، ويعاقبون عليه بأية عقوبة شاءوا ولو لم يكن منصوصاً عليها. وكان المجربون من البشر يثمنون هذه النظرية العقابية، فيرون أنها تراعي ظروف الجاني، حيث يتفاوت مرتكبو الجرائم حسب حالاتهم النفسية، وظروفهم الاجتماعية، مما يتبعه تفاوت الخطورة الإجرامية من مجرم إلى آخر، مما يستوجب ترك الاختيار للقاضي ليحكم بالحكم الملائم لكل حالة على حدة، حسب الخطورة الإجرامية لكل واحد منهم.

احتاج العالم الغربي آلاف السنين ، والكثير من الدماء التي أهدرت، ليكتشف أن هذه السلطة المطلقة للقضاة مفسدة مطلقة، فاستيقظ العالم يعد سُبُبات طويلة على سلبات هذه النظرية، التي لا يوجد معها آلية تمنع القضاة من الظلم والتعسف والتشهي، والحكم حسب الأهواء. لم ينتبه العالم إلى هذه السلبات إلا بعد أن تجاوز القضاة الحدود، وصار الهوى قانون العصر¹.

وكان ذلك في أواخر القرن الثامن عشر، حينما نادى (بكاريا) صاحب كتاب (في الجرائم والعقوبات) حيث نادى بتقييد يد القضاة المطلقة، فجعل القاضي منفذا لا مشرعا، ونقل التشريع إلى هيئة أخرى بعيدا عنه، وكان هذا بداية تطبيق مبدأ : لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص. فأصبح القاضي ينفذ العقوبات المنصوص عليها، وقد تميزت العقوبات المنصوص عليها بعد هذا الوقت بالنظرية التجريدية، أي أن يُنص على العقوبة دون نظر إلى الجاني ولا إلى ظروفه، ولا إلى ملابسات وقوع الجريمة.

فُعُينت الجرائم تعييناً دقيقاً، وجعل لكل جريمة عقوبة محددة ليس للقاضي أن يزيد فيها أو ينقص منها، فكانت مهمة القاضي منحصرة في أن يحكم بالعقوبة إذا تبين له أن المتهم مدان، وأن يحكم بالبراءة إذا لم تثبت التهمة .

سلبات التنقيص ومرة أخرى ينتبه العالم بعد تجربة ليست طويلة بحسابات أزمة تطور النظم القضائية، لكنها قطعاً طويلة في حق من اكتنوا بسلبات هذه النظرية ممن حوكموا على أساسها، وذهبت حياتهم وأعمارهم نتيجة هذا التطبيق. فقد كشفت التجربة

¹ - الظاهرة الإجرامية "دراسة في علم الإجرام والعقاب"، جلال ثروت، ص194.

أن المجرمين ليسوا سواءً، وإن تساوت الجريمة، فهناك السارق الذي يسرق؛ لأنه فقير يحتاج إلى الطعام والشراب، وهناك القاتل الذي يقتل دفاعاً عن عرضه، وهناك القاتل المأجور، وهناك القاتل الموتور، وغير ذلك. وقد وجد من يجلس على منصة القضاء يده مغلولة عن تحقيق العدالة في ظل هذه القوانين التي لا تفرق بين مجرم وآخر، أو بين معتد وآخر. فقد وجد مثلاً المحلفون الذين يجلسون على منصة القضاء الفرنسي أنهم لا يمكنهم تحقيق الرحمة، أو العدالة أحياناً إلا إذا برأوا المجرم من التهمة المنسوبة إليه مع أنه قام بهذه الجريمة فعلاً؛ درءاً لتوقيع العقوبة المقررة عليه، والتي لا يستحقها في نظرهم نظراً لظروفه النفسية والاجتماعية وقت تنفيذ الجريمة، والتي لا يملكون تخفيفها.

عودة إلى النظام القديم وهنا تتفتق أذهان المجرمين من البشر على وضع نظام جديد، يجعل للعقوبة حدين: حدًّا أقصى، وحدًّا أدنى، يملك القاضي توقيع أيتهما على المعتدي حسب الظروف المحيطة بالجريمة. كما ترك للقاضي الجمع بين العقوبتين أو اختيار واحدة منهما، أو التدرج بين الحدين.

وعلى الجانب الآخر، فقد اكتشف المجرمون من البشر أن عددًا كبيراً من المجرمين يمكنهم التقلت من العقوبة، من خلال التقايف بين النصوص القانونية، فيضطر القاضي إلى تبرئة المجرم الذي يقطع بإجرامه بسبب أن النصوص القانونية لم تجرم الوضع الذي نفذ فيه جريمته. وإزاء هذا التلاعب بالقوانين، عاد المجرمون ليعطوا صلاحية للقضاة على المعاقبة بدون نص سابق على الجريمة المنظورة ترميماً لهذه السلبات التي اكتشفوها. فحول التشريع الألماني الصادر في سنة 1935 للقاضي إذا عرض عليه فعل يمس المجتمع الألماني دون أن يكون قد ورد فيه نص جنائي خاص أن يعتبر هذا الفعل جريمة ويوقع على مرتكبه عقوبة. وأعطى القانون الإيطالي للقاضي في بعض الأحوال تعديل تنفيذ العقوبة من حيث مدتها وأسلوبها. أما القانون الدانمركي، فقد أباح العقاب على أي فعل يمكن قياسه على فعل آخر محرم.¹

¹ - التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (1/159)

المطلب الثاني: سبقية الشريعة إلى تقنين العقوبة وكونها عادلة موافقة للفطرة

أما الشريعة الإسلامية، فقد قدمت نظاماً محكماً، يجمع ميزات كل هذه الأنظمة، ويتفادى سلبياتها، يمكن إجماله في النقاط التالية :

1- في الجرائم الخطيرة التي يتأثر بها أمن المجتمع ونظامه تأثراً شديداً تتشدد الشريعة في تطبيق قاعدة (لا جريمة إلا بنص) فتدقق في تحديد الجريمة وتعيين العقوبة، وهذا يشمل (جرائم الحدود، وجرائم القصاص والدية). وفي الجرائم الأقل خطورة – وهي جرائم التعازير بصفة عامة – تتساهل الشريعة في تطبيق القاعدة من ناحية العقوبة، فتجعل لجرائم التعازير كلها مجموعة من العقوبات، وتترك للقاضي أن يختار من بينها العقوبة الملائمة. وفي جرائم التعازير المقررة للمصلحة العامة تتساهل الشريعة في تطبيق القاعدة من ناحية الجريمة، وتكتفي بوضع نصوص شديدة العمومية، يدخل تحتها أي فعل يمس المصلحة العامة والنظام العام. نظام محكم

2- والفرق بين الشريعة والأنظمة الوضعية هنا، هو أن الشريعة تطبق القاعدة بثلاث طرق؛ لكل نوع من الجرائم طريقة خاصة تلائم وتلائم مصلحة الجماعة والأفراد. أما القوانين الوضعية فتطبق القاعدة بطريقة واحدة على كل الجرائم، ففي أول الأمر طبقت الطريقة الأولى – التي خصصتها الشريعة للجرائم الخطيرة – على كل الجرائم التي يعاقب عليه القانون، فكان التعميم في التطبيق سبباً في تخرج المحلفين والقضاة من الحكم بعقوبة شديدة في جريمة غير خطيرة وفي تبرئة كثير من القضايا. ثم عدلت القوانين الوضعية عن هذه الطريقة، وأخذت بطريقة الشريعة الثانية مع تضيق سلطة القاضي في اختيار العقوبة وتحديدها. ولكنها طبقت هذه الطريقة أيضاً بصفة عامة، فكان من نتيجة هذا التعميم أن كثر وقوع الجرائم الخطيرة، وصارت تزيد عاماً بعد عام؛ لأن القضاة يعاقبون عليها بعقوبات بسيطة، مستعملين سلطتهم في اختيار العقوبة وتقديرها. وهذه الطريقة هي المتبعة الآن في معظم القوانين الوضعية، إلا أن بعض القوانين الوضعية كالقانون الألماني والقانون الدانمركي أخذت أيضاً بطريقة الشريعة الثالثة في بعض الجرائم؛ فكانها تطبق الطريقتين الشرعيتين الثانية والثالثة¹.

3- من حيث الجريمة: تراعي الشريعة، عندما تحدد الجريمة، أن يكون النص عاماً، ومرناً إلى حد كبير، بحيث ينطوي تحته كل ما يمكن تصوره من حالات، ولا يخرج عن حكمه أية حالة، كما في قوله تعالى: { وَلَا تَجَسَّسُوا } [الحجرات: 12] وقوله تعالى: { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } [البقرة: 275] ، وقوله تعالى: { لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ } [الأنفال: 27]، وقوله تعالى: { وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ } [الشعراء: 181] ،

¹ - التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي (160 /1)

فجاء النهي عامًا عن (التجسس، والربا والخيانة) وجاء الأمر عامًا ب(بتوفية الكيل) ثم تضيق الشريعة من دائرة هذا التعميم إلى حد ما في جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية. وفي التعزير المقرر للمصلحة العامة يصل التعميم والمرونة إلى حد تحريم الفعل بوصفه لا بذاته، بحيث لا يمكن معرفة ما إذا كان الفعل جريمة أو غير جريمة إلا بعد أن يقع.

4- من حيث العقوبة: القاعدة العامة في الشريعة هي أن ينص على عقوبة الجريمة بحيث تتعين العقوبة تعينا لا شك فيه، وبحيث لا يكون للقاضي أن يخلق عقوبة من عنده. وقد فرقت الشريعة بين الجرائم التي تمس أمن الجماعة ونظامها مساساً شديداً، وبين غيرها من الجرائم، والقسم الأول هو جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية، والقسم الثاني هو جرائم التعازير بأنواعها المختلفة. ففي جرائم القسم الأول لكل جريمة عقوبة أو عقوبات معينة، لا خيار للقاضي في توقيعها. أما في القسم الثاني فقد عينت الشريعة مجموعة من العقوبات لجرائم التعازير بأنواعها، وتركت للقاضي أن يختار العقوبة الملائمة أو أكثر من عقوبة، كما تركت له أن يقدر العقوبة من بين الحد الأعلى والحد الأدنى للعقوبة إذا كانت ذات حدين، وأن يوقف تنفيذ العقوبة أو يمضيها طبقاً لما يراه ملائماً لحال المجرم ولظروف الجريمة.

أما القوانين الوضعية فتحدد لكل جريمة عقوبة واحدة هي في الغالب ذات حدين، أو تحدد لكل جريمة عقوبتين كالتاهما ذات حدين، وتترك للقاضي أن يوقع العقوبتين أو عقوبة واحدة، وأن يقدر العقوبة من بين الحد الأدنى والأعلى للعقوبة، وله أن يوقف تنفيذ العقوبة بشروط معينة وله أن يمضيها، وفي كثير من الجرائم تشترط القوانين الوضعية أن لا تنزل العقوبة عن حد معين كما أنها تمنع إيقاف تنفيذ العقوبة، والغالب أن يكون ذلك في الجرائم الخطيرة.

وظاهر من هذا أن سلطة القاضي في القوانين الوضعية أضيق بكثير من سلطة القاضي في الشريعة، فالقاضي الذي يطبق القانون الوضعي مقيد بتطبيق العقوبة التي حددها القانون إذا كانت عقوبة واحدة، ولا يستطيع أن يختار إلا بين عقوبتين إذا أعطي حق الاختيار، وليس له في كثير من الأحوال أن ينزل بالعقوبة عن حد معين، وليس له أن يوقف التنفيذ في كثير من الجرائم، وهو بالتالي لا يملك السلطان الكافي الذي يساعده على معالجة المجرم والإجرام علاجاً يتفق مع المصلحة العامة.

ألا يعلم من خلق وقد رأى الكثير من كبار العلماء أن علاج هذه الحالة لا يتأتى إلا إذا أمكن القاضي من اختيار العقوبة نوعاً ومقداراً، وهذا يتأتى إلا إذا كان له أن يطبق مجموعة من العقوبات. وهذا الذي ينادي به علماء القانون أخيراً، هو نفس ما تأخذ به

الشرية... لكن بعد أن ذاقت البشرية ويلات التجارب البشرية المراهقة، وصدق الله
القائل: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الملك: 14]، والقائل: { فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } [النساء: 59]

المبحث الثامن: عدالة التشريع الجنائي الإسلامي والرد على من وصفوه بالقسوة

- **المطلب الأول: فهم عدالة التشريع الجنائي مشروط بوضعها في المنظومة التشريعية ككل:**

بالاستقراء تأكد للمسلم غير المسلم المطلع على تشريعات الإسلام أن هذا الدين منظومة متكاملة للإصلاح، ورؤية متكاملة للكون والحياة والدنيا والآخرة، والحدود جزء من هذه المنظومة، ووسيلة من وسائل فاعليتها، تسبقها في هذه الرؤية الإصلاحية مقدمات كثيرة وأركان متعددة، ثم يأتي تطبيق الحدود كمرحلة أخيرة؛ ليتم هيكل هذه المنظومة، فليست الحدود إذن المقدمة، ولا الغالبة على الرؤية الإسلامية للإصلاح. ولقد جاء الأمر بوجوب تطبيق الشريعة الإسلامية والعمل بها، وإنفاذها في الأمة فرداً وجماعة، لإعطاء الحقوق لأهلها، ونصوص الشريعة التي جاءت بذلك كثيرة جداً؛ منها قول الله عز وجل: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [يوسف:40]، ومن ذلك قول الله عز وجل: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:65]، ومن ذلك قول الله عز وجل: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء:59]، ومن ذلك قول الله عز وجل: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:50].

على نفس المنوال جرت السنة المشرفة بلزوم جادة الحق والصواب، بتفصيل ما جاء مجملاً في القرآن وألزمت المسلمين. ففي حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة:31] قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه»¹ فدل ذلك على أن اتباع غير شريعة الإسلام معناه اتخاذ غير الله عز وجل معبوداً وإلهاً، ودل على وجوب التزام شريعة الإسلام وإنفاذها، وتطبيقها على الفرد والجماعة، فإن المسلمين إذا التزموا بذلك سيكون خيراً لهم في دينهم ودنياهم.

¹ - (1) أخرجه الترمذي (3095).

المطلب الثاني: دعاوى المشككين والمتهمين للتشريع الجنائي الإسلامي بالقسوة والرد عليهم إجمالاً

ومع ما يكشف عنه التشريع الجنائي الإسلامي من العدالة وروم المصلحة يدعي بعض المشككين أن التشريع الجنائي في الإسلام ينطوي على وحشية وهمجية وقسوة، تهدر كرامة الإنسان، ومن ثم فهو، في ظنهم، اعتداء على حقوق الإنسان، ومخالفة للمعايير التي تنادي بها المنظمات الدولية للحفاظ على الإنسان وحقوقه.

وهم بذلك غافلون عن حقيقة هامة؛ هي أن الذي شرع هذه الحدود هو الله سبحانه وتعالى خالق البشرية، وهو أدري بما يصلحهم وما يصلح لهم، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟

والناس في الزمن الحاضر، وفي كل زمن، ينظرون نظرةً جزئيةً إلى مصلحة خاصة أو مصلحة عامة في فترة زمنية محدودة، ولو أنهم نظروا إلى مصلحة الفرد على المدى الطويل، وعلى مستوى المجتمع كله، أو على مستوى الجماعات والأمم لغيروا، ولكن الإنسان بطبيعة تكوينه قاصرٌ عن أن يُحيط بكل الزوايا التي تفيد المجتمع والفرد، وخالقُ البشر هو وحده الذي يحيط بكل ذلك، وهو المنزه عن كل نقص أو قصور، كما أنه المنزه عن أن يكون له غرض خاص أو مصلحة خاصة.

وبمقارنة التشريع الجنائي الإسلامي بالتشريعات الجنائية الوضعية ستجد أن المجرم في المجتمعات التي لا تطبق شرع الله ينال عقوباتٍ أقسى مما يناله في ظل الحدود الإسلامية؛ إذ إن المجتمع يقف أمام المعتدي محاولاً أن يمنعه من جريمته؛ وبالتالي فإن المجرم يستخدم نكاهه، ويستخدم القوة في صورة أقسى ضد المجتمع، فينال المجرم من صراعه مع المجتمع أضعاف العقوبة الإلهية، ويلاقي المجتمع الذي لم يسر على منهج الله تعالى ألواناً من المتاعب الجسمية والنفسية، إلى جانب أعداد من الضحايا، وفقدان الأمن والاطمئنان.

ولقد أثار أعداء الإسلام كثيراً من الشبهات حول الحدود الشرعية، التي هي في الأصل زواجر لا جوابر أي أن المراد بها زجر المجتمع عن المغامرة بارتكاب الجرائم جرائم الحدود خصوصاً. لكن هؤلاء المشككون لا يلتفتون إلى هذه القاعدة في شبههم التي وجهوها للقانون الجنائي الإسلامي. فمن تلك الشبه:

المطلب الثالث: شبهات المشككين والرد عليها تفصيلاً

الشبهة الأولى: قالوا: إن إقامة الحدود فيه ضرب من القسوة التي تتنافى مع الإنسانية الرحيمة، التي تسائر المدنية الحديثة والحضارة الراقية.

أولاً: أن العقوبة ليست مكافأة على عمل مبرور، وإنما هي جزاء مقرر على ارتكاب جريمة، يقصد به الإيلام والردع، وإذا لم تكن العقوبة مؤلمة فليس لتطبيقها أي أثر في الزجر والردع، حتى تأديب الرجل ولده؛ لا بد أن يكون فيه شيء من الإيلام والقسوة، ليتأتى تأديبه وإصلاحه.

ولا شك أن الإنسان يتمنى ألا توجد في المجتمع جريمة أبداً؛ حتى لا توجد عقوبات أصلاً؛ بحيث يفهم كل فرد ما له فيقتصر عليه، وما عليه فيؤديه عن طواعية واختيار، ولكن هذا حلم لا يمكن أن يتحقق، ورغبة خيالية تصطدم بالواقع المعاش، فهناك نفوس جاهلة حمقاء لا تلتزم بما لها وما عليها، ونفوس شريرة ظالمة قد تأصل فيها الإجرام والإفساد، وسعت للإضرار بالآخرين وبخسهم حقوقهم.

والحياة لا يمكن أن تستقيم وتنتظم إلا بالالتزام، واحترام حقوق الآخرين، وعدم المضارة بهم، فمن خرج عن هذا الالتزام، وسعى للإضرار بنفسه وبغيره، كان رده واجباً عقلاً وشرعاً، ولا ردع إلا بقسوة وإيلام، واسم العقوبة مشتق من العقاب، ولا يكون العقاب عقاباً إذا كان موسوماً بالرخاوة والضعف.

فعنصر القسوة، إذاً، يمثل الركن الأساسي لمعنى العقوبة، فلو فقدت القسوة فقدت معها العقوبة بدون شك.

وإن الذي يحدد هذه الدرجة هو تصور مدى خطورة الجريمة التي استلزمها؛ أي أن القسوة يجب أن تكون ملائمة للجريمة، فتزيد بزيادة خطورتها وشدة أثارها، وتنقص بنقص ذلك.

فإذا كان في الناس من يصف العقوبات الشرعية بقسوة زائدة على مقتضى هذه القاعدة، التي لا خلاف فيها؛ فسبب ذلك أنهم يخطئون في تقويم خطورة الجرائم التي رتبت عليها هذه العقوبات، دون أن يعتبروا في ذلك نظرة المشرع لها وتقويمه لخطورتها، والحكمة في تغليظ العقوبات الشرعية التي توصف بالوحشية والهمجية، من قتل القاتل، ورجم الزاني، وقطع السارق، وغيرها من العقوبات المقدرة ظاهرة جلية، فإن هذه الجرائم هي أمهات المفساد، وكل واحدة منها تتضمن اعتداءً على واحدة أو أكثر

من المصالح الخمس الكبرى، والتي أجمعت الشرائع والعقلاء في كل زمان على وجوب حفظها وصيانتها؛ لأنها لا يمكن أن تستقيم الحياة بدونها.

ثانياً: أن هؤلاء الطاعنين في هذه العقوبات قد اعتبروا مصلحة المجرم، ونسوا مصلحة المجتمع، وأشفقوا على الجاني وأهملوا الضحية، واستكثروا العقوبة وغفلوا عن قسوة الجريمة، ولو أنهم قرنوا العقوبة بالجريمة، ولاحظوا الاثنتين معاً؛ لخرجوا موقنين بالعدالة في العقوبات الشرعية، ومساواتها لجرائمها.

فإذا استحضرنا مثلاً فعل السارق وهو يسير في جنح الظلام متخفياً، ينقب الجدار، ويكسر القفل، ويُسهر السلاح، ويروّع الأمنين، هاتكاً حرمة البيوت، وعازماً على قتل من يقاومه، وكثيراً ما تقع جريمة القتل كوسيلة يتذرع بها السارق إلى إتمام سرقة، أو الفرار من تبعاتها فيقتل من غير تمييز.

وإذا تصورنا حالة النساء والأطفال في البيت وهم يستيقظون ويفتحون أعينهم على وجه السارق المرعب الشرس، وهو شاهر سلاحه يهدد من يواجهه. وتصورنا ما يحدثه فعل السارق من قلق عند الناس جميعاً، وتعطيل لحركتهم، وبث للرعب في نفوسهم، وإذهاب لطاقتهم في حماية أموالهم، وتأمينها بالمغاليق والأقفال؛ لأن السارق يبغى المال، وهو موجود عندهم جميعاً، فهم معرضون لإجرامه دون تمييز.

وهكذا الشأن في بقية العقوبات، علينا أن نستحضر جرائمها، وما فيها من أخطار وأضرار، وظلم واعتداء، حتى نستيقن أن الله تعالى قد شرع لكل جريمة ما يناسبها، وجعل الجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد.

ثالثاً: أن الله تعالى أراد للناس أن يعيشوا آمنين مطمئنين، ولن يتيسر لهم ذلك إلا ببتير الفاسدين وقطع دابرهم، وهذه سنة الله في خلقه؛ فإن الإنسان إذا كان فيه عضو فاسد، لا علاج له إلا بقطعه كله أو بعضه، فلا مناص من الإقدام على ذلك.

ولكنها قسوة هي عين الحكمة والرحمة والمصلحة، وبخاصة إذا قيست بما يترتب على تركها من هلاك وتلف، وما ينشأ عنها من آلام وأوجاع تفوق مصلحة بقائها، والمجتمع هو الجسم كله، وما الفرد الفاسد إلا عضو من أعضائه.

رابعاً: أن الإسلام قبل أن يستأصل هؤلاء المجرمين، ويقرر عليهم العقوبات الرادعة؛ قد أعذر إليهم، حيث قدم لهم من وسائل التربية والوقاية ما كان يكفي لإبعادهم عن الجريمة التي اقترفوها؛ لو كانت لهم قلوب تعقل، أو نفوس ترحم.

ثم إنه لا يطبقها أبدًا حتى يضمن أن الفرد الذي ارتكب الجريمة قد ارتكبها دون مسوِّغ ولا شبهة اضطرار، فوقوعه فيها بعد كل هذا دليل على فسادِه وشدوذه، واستحقاقه للعقوبات الرادعة المؤلمة.

كما أنها تكفل أفرادها بفتح أبواب العمل الكريم لمن يستطيعه، وتمكين كل قادر من أن يعمل بمقدار طاقته، وتهيئة الفرص المتساوية للجميع.

وبذلك يمنع الإسلام الدوافع المعقولة للسرقة، فإن وقعت بعد ذلك فإنه يتحقق من ثبوتها، وانتفاء موانعها، وعدم وجود شبهة تسقطها، كأن يرتكبها بدافع الحاجة والاضطرار¹.

وهكذا شأن الإسلام في بقية العقوبات، يعمل على وقاية المجتمع أولاً من دوافع الجريمة، ثم يدرأ الحدود بالشبهات زيادة في الاحتياط.

خامساً: أن الغاية الكبرى من هذه العقوبات هو التخويف والردع الذي يمنع وقوعها ابتداءً، ولا يُحوِّج إلى اللجوء إليها إلا في أضيق الحدود، فإن هؤلاء الذين يشنعون بهذه العقوبات يتصورون، خطأً، أنها كالعقوبات الوضعية، ستطبق كل يوم، وعلى أعداد غفيرة من الناس، فيتصورون، في المجتمع الإسلامي، مجزرة هائلة؛ هذا يُجلد، وهذا يُقطع، وهذا يُرجم.

ولكن الواقع أن هذه العقوبات الرادعة لا تكاد تُنفذ إلا في نطاق محدود، وعلى أعداد يسيرة غارقة في الفساد، ومتأصلة في الشر والإفساد، وفي إيذاء الأمة، وزعزعة أمنها واستقرارها.

لقد أعلنت الشريعة الإسلامية أن الحدود تُدرأ بالشبهات، وهي قاعدة فقهية كبرى، أجمع على الأخذ بها جماهير الأئمة والفقهاء. ومعنى القاعدة: أن أي احتمال لعدم تكامل شروط إقامة الحد يطوف بالمتهم، أو بالظرف الذي تمت فيه الجريمة، يُسقط الحد ويلغي ثبوته، وعلى الحاكم أن يستعيض عنه بما يراه من أنواع العقوبات التعزيرية الأخرى.

وإننا لنتأمل فنجد أن هذه الاحتمالات كثيرة متنوعة لا تكاد تنتهي؛ وننظر فنجد لها التطبيقات الكثيرة والمختلفة في عهد الصحابة والتابعين، كما نجد لها التطبيقات المتنوعة في تخرجات الفقهاء وفتاواهم².

¹ - دحض الشبهات التي تثار حول العقوبات الشرعية، مجلة البيان (العدد:193).

² - طريق العودة إلى الإسلام، محمد البوطي.

الشبهة الثانية: أن العقوبات الشرعية تهمل شخصية المجرم وتأثير البيئة فيه: فهي لا تتفق مع النظرية الحديثة في تحليل نفسية المجرم، وأنه مريض النفس، منحرف المزاج، متأثر بما حوله؛ بل هو ضحية من ضحايا المجتمع، والذي يُعدّ مشتركاً معه، لسبب أو لآخر، فيما أقدم عليه، فكان من العدالة أن يتقاسم معه المسؤولية، وأن يعمل على علاجه لا عقابه.¹

دحض هذه الشبهة:

الوجه الأول: أن الظروف المحيطة بالفرد ذات أثر بعيد في تكوينه، والعقد النفسية والأمراض العصبية تدفع أحياناً إلى الجريمة، ولكن الإنسان مع ذلك ليس كائنًا سلبيًا بحثًا بإزاء هذه الظروف.

إن عيب المحللين النفسيين أنهم، بطبيعة علمهم، ينظرون إلى الطاقة المحركة في الإنسان، وإلى الغرائز الكامنة في ذاته، والتي تدفعه إلى إشباعها والاستجابة لها، ولكنهم لا ينظرون إلى الطاقة الضابطة له، وإلى قدراته العقلية التي كان من المفترض أن تعقله عن الإقدام على ارتكاب الجريمة، والاستجابة المطلقة لهذه الغرائز الدافعة.

إنهم، كما قال محمد قطب، ينظرون إلى الطاقة المحركة، إلى (الدينامو)، ولا ينظرون إلى الطاقة الضابطة، إلى (الفرامل)، مع أنها جزء أصيل من كيان النفس البشرية غير مفروض عليها من الخارج.

إن الطاقة التي تجعل الطفل يضبط إفرزاته فلا يتبول في فراشه بعد سنّ معينة، حتى لو لم يدر به أحد؛ لهي ذاتها، أو شبيهة بها، الطاقة التي تضبط انفعالاته وتصرفاته، فلا ينساق دائماً وراء الشهوة الجامحة، أو وراء النزوة الطارئة.

ولأجل هذا أسقط الإسلام الحدود والقصاص عن الصبيان والمجانين، فلا تقام إلا على من كان بالغًا عاقلًا.

فما دام المجرم بالغًا عاقلًا مختارًا فإن أحواله النفسية وبيئته وثقافته لا تصلح مسوِّغًا لارتكاب الجرائم، والاعتداء على الآخرين.

كما أن هذه الأمور عائمة لا تقوم على أساس متين، ولا يضبطها ضابط معين، ولا حدود تنتهي إليها؛ مما يؤدي إلى إفلات المجرمين من العقاب الرادع، ومن ثم كثرة الجرائم، وانتشار الفوضى، وزعزعة الأمن والاستقرار.

¹ - دحض الشبهات التي تثار حول العقوبات الشرعية، مجلة البيان (العدد: 193).

الوجه الثاني: أن الشريعة الإسلامية إذ ترسم أحكامها لمعاقبة الجانحين والمجرمين، لا تنطلق في ذلك من حصر المسؤولية فيهم، وتحميلهم وحدهم عاقبة ما أقدموا عليه؛ بل هي تجعل المجتمع مسئولاً في بعض الحالات عن هذه الجرائم التي ارتكبوها، وقاعدة درء الحدود بالشبهات أبلغ تجسيد لهذه الحقيقة، وأوضح برهان عليها.

الوجه الثالث: أن رغبة المعترضين في جعل العقاب كالعلاج للمريض متحققة في العقوبات الشرعية، التي هي مبنية على أساس الرحمة بالمجرم والمجتمع.

ولكن هؤلاء فاتهم أن العلاج لا يُشترط فيه أن يكون لذيذاً تشتهيهِ النفس، فقد يكون كريهاً مُراً، وقد يتضمن إسالة الدماء وقطع الأعضاء، وهو في جميع هذه الصور يبقى علاجاً موصوفاً بالرحمة في حق المريض، خالياً من الانتقام منه.

كما فات هؤلاء أن العقوبات شرعت لوقاية المجتمع وتطهيره من جرائم الأمراض، والأعضاء الفاسدة التي سرت فيها الأمراض المزمنة والمعدية، وغفلوا أو نسوا أن التغاضي عن هذه الأعضاء الفاسدة، والتسامح معها، رغبة في صلاحها وصحتها، سينتج عنه تفاقم المرض واستفحاله، وانتشاره في سائر الجسم، فلم يستصح العضو ولم يسلم الجسم.

وهذا هو الشأن في العقوبات، فقد شرعت لتكون علاجاً لمن لا يجدي معهم علاج الوعظ والتذكير والإنذار.

إن الشرع الإسلامي ليس متلهفاً على إقامة الحدود، من رجم وجلد وقطع، وليست هذه غايته، ولا وكده الأساسي، وإنما هي وسيلة ولبنة في رؤيته المتكاملة للإصلاح، وبرنامجه الرباني لإدارة الحياة، وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

إن كل عقوبة لا بد أن يكون فيها مظهر قسوة أيًا كانت، حتى ضرب الرجل لولده تهنئياً وتأديباً له فيه نوع من القسوة؛ لأن العقوبة إن لم تشتمل على القسوة فأثر لها في الزجر والردع، كما قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقسُ أحياناً على من يرحم

ثم إن الفعل الذي دعا إلى تلك القسوة المزعومة هو أمر أشد منها قسوة، ولو تركنا العقوبة القاسية بزعمهم لوقعنا في أمر أقسى من العقوبة.

ومثل القسوة التي تشتمل عليها الحدود كمثل الطبيب الذي يستأصل من جسم أخيه الإنسان جزءاً من أجزائه أو عضواً من أعضائه، أليس في ذلك قسوة؟! وهل يستطيع أن يمارس هذا العمل إلا قلب قوي؟! ولكنها قسوة هي الرحمة بعينها، خاصة إذا قيست بما

يترتب على تركها وبقاء العضو المريض، ونار الألم تتوهج وتستشري وتزايد في جسم المريض.

نحن لا ننكر أن هذه العقوبة من الشدة بمكان، لكن رأيت كيف أحاطها الشرع الإسلامي بما يجعلها وقائية ردعية أكثر منها عقوبة حقيقية؟ فقد تطلب لإثبات الزنا أربعة شهود عدول، يقرون أنهم رأوا الفعل رأي العين في تفصيل لا نستطيع الخوض فيه؛ مما يجعل إثباته أمرًا صعبًا، وزاد على هذا بأن أحدًا لو اتهم اثنين بوقوع هذه الجريمة منهما، طالبتة الحكومة بإحضار أربعة شهود عدول، فإن عجز عن إحضارهم عُذ قاذفًا وُجِد ثمانين جلدة، وقد أوصى الشارع الرحيم بقبول أوهى المعاذير في دفع هذه التهمة؛ ميرًا منه سبحانه وتعالى للعفو عنا لا تعذيبها.

ولا بد لنا من التنويه هنا بحال الشهود؛ فإن القضاء الإسلامي لا يقبل، وبخاصة في الحدود، شهادة شهود يجمعهم المتقاضون من هنا وهناك؛ بل يشترط فيهم أن يكونوا من أهل العدالة، وفي حادثة الشهادة الآتية بيان لما يجب أن يكون عليه الشاهد في الإسلام من الصفات، وبما كان عليه هذا الأمر عند أسلافنا الأولين من الخطورة.

عن سعيد بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال: كان بين أبياتنا رويجل مخدج ضعيف، فلم يرع إلا وهو على أمة من إماء الدار يخبث بها، فرفع شأنه سعد بن عبادة رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اجلدوه ضرب مائة سوط»، قالوا: يا نبي الله، هو أضعف من ذلك، لو ضربناه مائة سوط مات، فقال صلى الله عليه وسلم: «فخذوا له عثكالاً فيه مائة شمراخ، فاضربوه ضربة واحدة»¹.

الشبهة الثالثة: قالوا: إن إقامة الحد تقتضي إزهاقًا للأرواح وتقطيعًا للأطراف، وبذلك تفقد البشرية كثيرًا من الطاقات والقوى، وينتشر فيها المشوهون والمقطعون الذين كانوا يسهمون في الإنتاج والعمل.

الجواب: إن اسم العقوبة مشتق من العقاب، ولا يكون العقاب عقابًا إذا كان موسومًا بالرخاوة والضعف؛ بل يكون لعبًا أو عبثًا أو شيئًا قريبًا من هذا، فالقسوة لا بد أن تتمثل في العقوبة؛ حتى يصح تسميتها بهذا الاسم.

إن القتل وتقطيع الأطراف في الحدود إنما يكون في حالات ضيقة محصورة، وهو إزهاق لنفوس شريرة لا تعمل ولا تنتج؛ بل إنها تعطل العمل والإنتاج، وتضيع على العاملين المنتجين ثمرات أعمالهم وإنتاجهم.

¹ - أخرجه أحمد (21985).

ثم إن إزهاق روح واحدة أو قطع طرف واحد في الحدود يؤدي إلى حفظ مئات الأرواح وآلاف الأطراف سليمة ظاهرة عاملة منتجة، ثم إننا لا نلاحظ المشوّهين يكثرون في البلاد التي تقيم الحدود؛ بل يكونون فيها أقل منهم في غيرها؛ بل الأمر بالعكس من ذلك تمامًا؛ فإن الحدود إذا لم تُقم على المجرمين المعتدين كثر المشوّهون والمعاقون من جراء اعتداءات المجرمين الذين يجدون متنفسًا وسندًا عند من ينظر إليهم نظرة العطف والرحمة والحنان، وبذلك تضيع حقوق المعتدى عليهم، وتهدر كرامتهم، وليس بعد ذلك للمجرمين حدٌ ينتهون إليه.

المجتمع الذي لا تطبق فيه الحدود الشرعية مجتمع محكوم عليه بالضياع، وأفراده إما عصاة متمردون على أوامر ربهم، أو خائنون لا يأمرن بخير، ولا ينهون عن منكر؛ ومجتمع من هذين العنصرين لا يرجى له فلاح، ولا يتحقق له احترام.

ويتصف المجتمع الذي تقام فيه الحدود بالعفة في القول، والأمانة في المعاملة، واستنكار الفاحشة، والبعد عنها، والرغبة في الاستمتاع بما أحل الله، واجتناب ما حرم الله.

والمجتمع الذي تقام به الحدود الشرعية بمثابة واحة وارفة الظلال، آمنة الحياة، رغيدة العيش، متألّفة، متأخية، بينما نجد البلد الذي لا تقام فيه الحدود على عكس هذا المجتمع تمامًا.

الشبهة الرابعة: إن في إقامة الحدود سلبًا لحق الحياة، وهو حقٌ مقدّس لا يجوز لأحد أن يسلبه، فكيف يسوغ لحاكم أن يسلب محكومًا حقّ الحياة؟!!

دحض الشبهة: إن الله سبحانه وتعالى الذي شرع الحدود في الشريعة الإلهية أرحم بعباده وبالناس جميعًا من أنفسهم، وهو أدري وأعلم بما يصلحهم وينفعهم، ويحقق الأمن والخير لهم.

إن العقوبات البديلة عن الحدود الشرعية في القوانين الوضعية لم تحقق الهدف المطلوب، فانتشرت ظاهرة الجريمة، وكثر المجرمون، وتفننوا في ابتكار عجائب الإجرام وألوانه بما لا يكاد يصدق به عقل.

إن الشارع الحكيم الذي منح حقّ الحياة وقُدّسه، وجعل الدماء والأموال والأعراض محرّمة بين الناس - هو الذي أكّد ذلك التقديس والاحترام بإقامة الحدود، والمحدود الذي استحق الرجم أو القتل هو الذي جنى على نفسه لأنه لم يحترم حق غيره، وعلى نفسها جنت براقش، ولو أنه احترم حق الحياة في غيره لحفظ له حق الحياة في نفسه، وقد قرر

الله تعالى في كتبه السابقة وفي القرآن الكريم: { أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا... } الآية [المائدة:32].

فالمعتدي على حق الحياة في غيره يُعدُّ معتديًا على حق الحياة في نفسه.

ولقد أخطأ دعاة حقوق الإنسان حينما رأوا أن تطبيق العقوبة الشرعية، بشروطها وضوابطها وموازينها العادلة، يتنافى مع حقوق الإنسان، كما أخطأوا في محاولة الرأفة بشخص معين لذاته، وليس هو في الواقع أهلاً للرأفة، وأي نفع في مراعاة المصلحة الشخصية وإهدار مصلحة الجماعة، والاعتداء على المصلحة العامة؛ وما يؤدي إليه من فقدان الأمن والاستقرار، وانتشار ظاهرة القلق والخوف، وعدم الاطمئنان على الحياة، وحق الجماعة المقدس في حفظ العقائد، والأعراض والأنفس، والعقول والأموال من أي اعتداء عليها؟!!

ومن ثمَّ فالعقوبات الشرعية أدوات فعالة للقضاء على الجريمة والمجرمين، ونشر الأمن والاستقرار في المجتمع، والواقع الأليم مُر في أرقى دول العالم تحضرًا؛ كأمریکا وبريطانيا؛ حيث تزداد نسبة الإجرام، وقد قال سبحانه وتعالى: { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155) } [الأنعام:155]¹

الشبهة الخامسة: قالوا: إن إقامة الحدود تفهقرُ بالإنسانية الراقية، وانتكاس بها، ورجعة إلى عهود الظلام الدامس والقرون الوسطى.

دحض هذه الشبهة:

1- أن العاقل المنصف لا يزن الأحكام والتشريعات بالزمان الذي صدرت فيه أو نُقلت منه، ولكن الميزان الذي تُقَوَّم به هو مدى صلاحيتها، وتحقيقها للغاية المبتغاة منها، وعليه؛ فليس كل قديم مردودًا، ولا كل جديد مقبولًا، ولا كل ما نشأ في البادية فاسدًا، ولا كل ما نشأ في الحضر صالحًا.

2- أن مصدر هذا التشريع ليس بقعة من بقاع الأرض، ولا اجتهادًا بشريًا قاصرًا، وإنما هو شريعة الله التي أنزلها هدى ورحمة للعالمين؛ عربهم وعجمهم، باديبهم وحاضرهم، أولهم وآخرهم، { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء:107]، { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } [سبأ:28]، { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف:158].

¹ - ادعاء وحشية التشريع الجنائي في الإسلام، موقع: بيان الإسلام.

3- أن تعلق هؤلاء بالجديد ونبذهم للقديم ليس مبنياً على منطق عقلي سليم، وإنما هو استجابة لوهم من الأوهام النفسية التي تتعلق بالجديد، أيًا كان نوعه؛ ظناً منها بأنه لا يزال يحتفظ بذخره ومكنون خيراته، وتعاف القديم، مهما كان نوعه أيضاً؛ لتبرمها به، وتوهمها بأن الزمن قد استحلب خيراته، وقضى على فوائده، وأن العقل البشري لا بد أن يكون قد تجاوزه إلى ما هو أجدى وأنفع.

4- أن هذه الشبهة جاءت من قياس العقوبات الشرعية على العقوبات الوضعية التي تتطور مع الزمن، ويحصل فيها التغيير والتبديل بين الحين والحين، تلافياً لما فيها من الأخطاء، وتحقيقاً لما هو أجدى وأكمل.

وما دامت القوانين تُلغى أو تُعدل فلم لا نعمل مثل ذلك في العقوبات الشرعية؟ وهذه نظرة خاطئة إلى الشريعة الإسلامية.

5- أن تحقيق هذه العقوبات الشرعية للأمن، وحماتها لمصالح الناس، ومكافحتها للجرائم، على مدى القرون الماضية التي طبقت فيها، مع اختلاف البيئات والثقافات والأجناس - دليل على أنها تشريع من حكيم خبير، وأنه لا يمكن أن يقوم غيرها مقامها، ولا أن يحقق الثمرة التي تتحقق من خلالها¹.

أيهما أفسى: قطع يد السارق، وتركه بعد ذلك يتمتع بحريته، ويعيش بين أهله وولده، أم حبسه على هذا الوجه الذي يسلبه حريته وكرامته وإنسانيته؟! فضلاً عن أن وضعه في السجن، تنفيذاً للعقوبة السالبة للحرية طوال المدة المحكوم بها، محروماً من حريته، بعيداً عن أهله وذويه، يكون كالحوان الذي يوضع في قفص، أو كالميت في قبره².

إن هؤلاء يركزون النظر على شدة العقوبة، ويتناسون فظاعة الجريمة، وآثارها الخطيرة على المجتمع؛ إنهم يتباكون على يد سارق أقيم تقطع، ولا تهمهم جريمة السرقة، ومضاعفاتها الخطيرة، فكم من جرائم ارتكبت في سبيل السرقة! وكم من جرائم اعتداء على الأشخاص وإحداث عاهات جسام وقعت على الأبرياء بسبب السرقة، وكم من أموال اغتصبت، وثروات سلبت، وناس تشرذوا بسبب السطو على أموالهم، ومصدر رزقهم! كل ذلك لم يخطر ببال المشفقين على أيد قليلة تقطع في سبيل أمن المجموع واستقراره.

1 - دحض الشبهات التي تثار حول العقوبات الشرعية، مجلة البيان (العدد:193).

2 - التشريع الجنائي الإسلامي، ص655.

كما أن الجرائم الخطيرة لا يفلح في صدها ومقاومة أخطارها إلا عقوبات شديدة فعالة، والعقاب الناجع هو الذي ينتصر على الجريمة، وليس ذلك الذي تنتصر عليه الجريمة.

يقول الشيخ الغزالي: «إن الجراءة على الحدود التي شرع الله لعباده جزء من تملق المدنية العصرية، وقوانينها المحدثّة، وأوروبا لن تطرب لكلام أجمل في أذنيها نغمًا من انسلاخ المسلمين عن دينهم، عقيدة وشريعة، ثم إن أمر العقيدة والشريعة سواء.

والعقل المدخول الذي يريد منا أن نتأول نصوص الفقه التشريعي، في الحدود والقصاص والمعاملات، سوف يطلب منا غدًا أن نتأول كذلك نصوص الإسلام الأخرى في الصلاة والزكاة والحج، فليست هذه أولى من تلك بوقف التنفيذ؛ بل إذا سرنا على منطق التعطيل فإن العبادات ستسبق المعاملات إلى أودية الفناء».

المبحث التاسع: وجه العدالة في نماذج من أحكام الشرع الإسلامي مقارنة بنظائرها في الشرائع الأخرى:

- المطلب الأول: وجه العدالة في أحكام الزنى والقذف ووسائل إثباتهما قضاء في الشريعة :

يعد الزنى والقذف به من أقدم الفواحش في العالم. إذ ما خلت أمة من ارتكابها لهذه الفاحشة وجعلها عرفاً قائماً في البلاد. لكن من هذه الأمم من جاءت الشرائع بتحريم الزنى والمعاقبة عليه. لكن تفاوتت أحكام هذه الشرائع تفاوتاً شديداً بالنظر إلى تفاوت السياقات التاريخية التي نزلت فيها هذه الشرائع وبالنظر إلى ما عرفته شريعة اليهود والنصارى من التحريف. وكذلك تفاوتت البيئات والشروط المسطرية التي اعتبرها الشرع أساساً للحكم في هاتين الفاحشتين. وقبل الخوض في مقارنة هذه الأسس والمساطر والأحكام في الشرع الإسلامي بنظيرتها في الشرع اليهودي والنصراني لا بد من التوطئة لذلك بعرض منتخبات مما عليه مدار الدراسة في الشرع الإسلامي.

المسلك الأول: المعطيات التي عليها مدار الدراسة في قدر العقوبة ووسائل الإثبات

ننتخب من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: (وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) النساء/15.

- وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور/4.

- وقوله تعالى: (لَوْ لَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ) النور/13.

- وكذلك ما رواه مسلم (1498) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ وَجَدْتُ مَعَ امْرَأَتِي رَجُلًا أَوْ مَهْلُهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ؟ قَالَ: (نَعَمْ)".

المسلك الثاني: إشكالية الدراسة:

وخلصتها في السؤال الإنكاري الذي نفترضه من الإنسان البسيط ومن أي متنتع طاعن في الدين، وهو: لماذا غلظ الله تعالى في بيئته إثبات جرائم الأعراس؟

أليس حريا أن يخفف في البيئة من أجل التسريع باجتثاث هذه الظاهرة من المجتمع كما فعل في جرائم الدماء؟

قبل الجواب عن هذا السؤال المقاصدي لا بد من مقارنة نصوص القرآن بنصوص العهد القديم والعهد الجديد في هذا الباب حتى يتسنى لنا تكوين فكرة عن الفروق الجوهرية بين العقوبتين ووسائل إثباتهما في كل هذه الديانات.

المسلك الثالث: مقاصدية وعدالة الشريعة الإسلامية في وسائل إثبات جرائم الأعراض

والجواب عنه:

أن الشريعة الإسلامية اشترطت أربعة رجال من الشهود لإثبات الزنا عاينوا نفس الفعل الواقع من الفاعل على المفعول به في نفس الزمان ونفس المكان أو بالإقرار، أو بظهور الحمل مع انتفاء الشبهة وانتفاء دعوى الغصب والإكراه على الراجح.

والدليل على اشتراط أربعة شهود—وكما سبق—: قوله تعالى: (وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) النساء/ 15، وقوله: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور/ 4 ، وقوله: (لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ) النور/13.

وكذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ وَجَدْتُ مَعَ امْرَأَتِي رَجُلًا أَوْ مَهْلَةً حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ؟ قَالَ: (نَعَمْ) أخرجه المسلم في صحيحه.

ولا يخفى أن تغليظ المشرع في بيئة الأعراض بأربعة شهود عدول ينطوي على مقصد إنساني عادل عظيم هو مراعاة ضعف البشرية في المتهم. لعله يتوب فيتوب الله عليه. فيكفي أن يتلأ أحد الشهود في شهادته لإسقاط الدعوى وتبرئة ساحة المتهم. ويكفيه أن يتلأ المقر بإقراره الرابع لتسقط عنه التهمة.

وقد يتساءل الإنسان البسيط عن وسائل الإثبات في جرائم الدماء لماذا شاهدان فقط لماذا إقراران فقط خلافا لجرائم الأعراض التي يشترط فيها القضاء الإسلامي أربعة شهود؟

والجواب عنه أن جريمة الزنى على الرغم مما تنطوي عليه من فحش لا تقتطع حقا هو للآخر بالقهر والاستغلاب إذ الأصل في الزنى تراضي الزانيين عليه وإخفاؤه عن

الغير. بخلاف القتل والجرح فهو تعد على الآخر ومن شأنه أن يؤدي إلى عموم الفوضى واحتكار الغالب للثروة على حساب المغلوب في مجتمع يسوده قانون الغالب والمغلوب.

أما عن القذف وإن كان تعديا على الآخر فإنما هو تعد بالقول لا يصل درجة أخذ ملك الغير. لذلك راعي المشرع في جرائم الأعراض الخصوصية البشرية الضعيفة، وما جبل عليه الإنسان من مراعاة نفسه ورجوعه إلى صواب الفطرة بعد استتالة في البغي والغي والفساد.

المسلك الرابع: تقويم مسطرة الإثبات في الشريعة اليهودية والنصرانية

أولا: موارد هذه الجريمة وعقوبتها في الكتاب المقدس

* أما في الديانات الإسرائيلية ، فقد أنكرت التوراة فاحشة الزنى في كثير من الآيات نقتطف من ذلك ما يلي:

1 كورنثوس 7: 8-9 {وَلَكِنْ أَقُولُ لِعَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلرَّامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا. 9 وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَضْبُطُوا أَنْفُسَهُمْ، فَلْيَتَزَوَّجُوا. لِأَنَّ التَّزَوُّجَ أَصْلَحَ مِنَ التَّحْرِقِ}.

1 كورنثوس 7: 37 {وَأَمَّا مَنْ أَقَامَ رَاسِحًا فِي قَلْبِهِ، وَلَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ، بَلْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى إِرَادَتِهِ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى هَذَا فِي قَلْبِهِ أَنْ يَحْفَظَ عَذْرَاءَهُ، فَحَسَنًا يَفْعَلُ}.

1 كورنثوس 10: 13 {لَمْ تُصِْبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلَّا بَشْرِيَّةٌ. وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمِينٌ، الَّذِي لَا يَدْعُكُمْ تُجْرِبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا}.

رؤيا 14: 4 {هُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لِأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ. هُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْخُرُوفَ حَيْثُمَا ذَهَبَ. هُؤُلَاءِ انشُرُوا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بَاكُورَةَ اللَّهِ وَاللَّخُرُوفِ}.

1 تسالونيكي 4: 3 {لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللَّهِ: قَدَّاسْتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزُّنَا}.

العبرانيين 13: 4 {لِيَكُنِ الزَّوْاجُ مُكْرَمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْمُضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ. وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالزُّنَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللَّهُ}.

1 كورنثوس 6: 15 {أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَفَأَخَذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا!}

الأمثال 31: 10 {امْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ مَنْ يَجِدُهَا؟ لِأَنَّ تَمَنَّاها يَفُوقُ اللَّالِي}.

2 بطرس 2: 9 {يَعْلَمُ الرَّبُّ أَنْ يُنْقِذَ الْأَتْقِيَاءَ مِنَ التَّجْرِبَةِ، وَيَحْفَظَ الْأَتْمَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ مُعَاقِبِينَ}.

يعقوب 1: 12 {طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَى يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ}.

العبرانيين 2: 18 {لَأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجْرَبًا يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجْرَبِينَ}.

العبرانيين 4: 15-16 {لَأَنَّ لَيْسَ لَنَا رَيْسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْتِي لِضَعْفَاتِنَا، بَلْ مُجْرَبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيئَةٍ. 16 فَلَنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النُّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ}.

ثانيا: تقويم مسطرة تنزيل عقوبة الزنى في الديانة اليهودية بالقياس إلى تنزيلها في الإسلام

جدير بالتنبيه عليه هنا أن تفاسير التلموذ تؤكد على أن المحصن والمحصنة إذا أتيا فاحشة الزنى يتوجب في حقهما الرجم حتى الموت بشهادة شاهدين. مثلما ثبت بحديث النبي صلى الله عليه وسلم إيقاع الرجم على المذنب بالإقرار.

نعم كان اليهود يعتمدون الشهادة في إثبات جريمة الزنى لكن كانوا يكيلون بمكيالين: بحيث إذا زنى فيهم الشريف تركوه وإذا زنى فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد، وخوفا من هذا التعسف جاء يهوديان في خصومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيانه. قالوا: امضوا إلى محمد لعلكم تجدون عنده أهون وأسهل مما عندكم، فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم سألهما عما في كتابهم، فقالوا: إن عندنا في التوراة أن نسخم وجوههما ونرسلهما على حمار مقلوبين ونطوف بهما ونشهر.

فقال: هذا حكمها؟ قالوا: بلى، فقال شاب حاذق: لا والله أخبروا رسول الله عن الحقيقة، والله إن فيها الرجم، فلما جيء بالتوراة أخذ الفارئ يقرأ من موضع آخر ووضع يده على نص الرجم، وقرأ ما قبله وما بعده، فقال عبد الله بن سلام: ارفع يدك؛ فرفع يده فإذا فيها نص الرجم، فقال: سبحان الله! ما الذي حملكم على هذا؟ قالوا: لقد فشا الزنا في بني إسرائيل -النساء جميلات، والرجال متوفرو الشهوة، والاختلاط موجود- وكثر القتل فيهم بسبب ذلك عند الرجم، فقالوا: لو استمر الرجم على ذلك لقتل أشرف بني إسرائيل، فهلم نجتمع على رأي نطبقه على الصغير والكبير، على الشريف والوضيع، فاتفق رأيهم أنهم يسخمون وجوههم، أي: يسودونها بالفحم، ويركبونهم على دابة، ووجوهما إلى قفاها، ويطوفون بهما في الطرقات معلنين أن هؤلاء زناة، ثم حكم صلى الله عليه وسلم بالرجم.

وهل حكم بالرجم على ما يوجد في التوراة لأهل التوراة، أو حكم بالرجم على ما في كتاب الله؟ قال تعالى: {فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [المائدة:48].

كذلك قضية العسيف والرجل اللذين أتيا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقضيتهم في الموطأ مطولة فقال الرجل: (إن ابني كان عسيفاً عند هذا فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لأفضين بينكما بكتاب الله)، ثم قضى بينهما أن على ولده -أي: العسيف- جلد مائة لأنه أعزب، ولم يكن أحسن، فقال: (الوليدة والغنم رد، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغديا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها)¹.

وبالمقارنة بين التشريعين الإسلامي واليهودي من حيث التنزيل ومن حيث المقاصد،

نسجل ما يلي:

- أن اشتراط أربعة شهداء، أو الإقرار الذي لا يرجع عنه صاحبه في إثبات الزنا، لا يستفاد منه أن الله سبحانه وتعالى لم/لا يرد تطبيق هذه الحدود، ذلك أن الله سبحانه وتعالى شرط هذه الشروط في الزنا خاصة، سترًا على العباد، وتغليظًا على المدعي؛ لأن شهادته قد يترتب عليها قتل، وعار دائم، قال ابن رشد في المقدمات الممهدة: (وأما وجوب حد الزنى بالبينة، فلا اختلاف بين أحد من أهل العلم أن الحد لا يقام بأقل من أربعة شهداء رجال عدول على معاينة الفعل، كالمروء في المكحلة، والأصل في ذلك قول الله عز وجل: وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ {النساء: 15}، وقوله: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ {النور: 4}،

وقد حكي عن قوم أنهم أجازوا في الزنا شهادة ثلاثة رجال وامرأتين، وذلك خلاف للقرآن، وقد قيل في اختصاص الشهادة في الزنا بأربعة شهداء من بين سائر الأشياء غير ما وجه، منه: أن القاذف لا ضرورة به إلى القذف، فغلظ عليه في ذلك بزيادة عدد الشهود؛ ليتعذر عليه غالبًا، فيجد، فيكون ذلك ردعًا له عن معاودة القذف، ودفعًا للمضرة عن المقذوف، ومنه: أن الإنسان مأمور بالستر على نفسه، وعلى غيره، فلما لم يكن على الشهود بالزنا القيام بشهادتهم، فقاموا بذلك من غير أن تجب عليهم، وتركوا ما أمروا به من الستر، غلظ عليهم في ذلك؛ سترًا من الله على عباده، وهذا أحسن ما قيل في هذا، وقد قيل: إنما احتج في الزنا إلى أربعة شهداء؛ لأنه بمنزلة فعلين؛ لأن الزنا منه ومنها، منه الفعل، ومنها التمكين، فاحتاج كل فعل إلى شاهدين، وهذا فيه نظر.

¹ - فتح الباري شرح صحيح البخاري « كتاب الحدود » باب الاعتراف بالزنا.

ثم إن ثبوت الزنا بشهادة الشهود اعتبر أمرًا متعذرًا؛ ذلك أنه من الصعب أن يوجد أربعة يشهدون وقوع إيلاج الفرج في الفرج.

ولربما -أو بكل تأكيد- هذا ما أراد الإجابة عنه ابن تيمية بقوله: " ولم يثبت الزنا بطريق الشهادة من فجر الإسلام إلى وقته، وإنما ثبت بطريق الإقرار؛ لأن الشهادة صعبة..."¹.

ثم تابع ذلك قائلًا: " فلو قالوا: رأيناها عليها متجردين، فإن ذلك لا يقبل حتى لو قالوا: نشهد بأنه قد كان منها كما يكون الرجل من امرأته، فإنها لا تكفي الشهادة، بل لا بد أن يقولوا: نشهد أن ذكره في فرجها، وهذا صعب جدا، مثلما قال الرجل الذي شهد عليه في عهد عمر: لو كنت بين أفخادنا لم تشهد هذه الشهادة، وأظن هذا لا يمكن، ولكن لا أدري هل يمكن بالوسائل الحديثة أم لا كالتصوير؟ الظاهر أنه لا يمكن أيضاً؛ لأن الذي تدركه الصورة تدركه العين، فإذا لم تدركه العين لم تدركه الصورة، ولهذا يقول شيخ الإسلام: إنه لم يثبت الزنا عن طريق الشهادة من عهد النبي ؟ إلى عهده، وإذا لم يثبت من هذا الوقت إلى ذاك الوقت، فكذلك لا نعلم أنه ثبت بطريق الشهادة إلى يومنا هذا؛ لأنه صعب جدا.

فلو شهد الأربعة بأنهم رأوه كما يكون الرجل على امرأته، فإنه لا يحد للزنا، ولكن هل نقول: إن هذه تهمة قوية بشهادة هؤلاء الشهود العدول، فيعزر؟ نعم، فإذا لم يثبت الزنا الذي يثبت به الحد الشرعي، فإنه يعزر لأجل التهمة " انتهى"².

المسلك الرابع: الفرضية الختامية (بأفاق وأبعاد جديدة)؛

إذا كان الإثبات أقرب إلى الاستحالة بشهادة الشهود كما قدمناه في جريمة الزنى، فهل نقول بالاعتماد على الوسائل الحديثة كالبينة (مثل آلة التصوير لتصوير الحادثة لعرضها على القضاء؟

أم نأخذ بمقصد الشرع من تغليظ البينة فلا نأخذ بشهادة الدوات الحديثة على هذه الجريمة؟

¹- راجع: الشرح الممتع (257/14).
²- الشرح الممتع " (271/14).

المبحث العاشر: الدِّينيات التَّطْبِيقية في عالم ما بعد الموت/ ظاهرة الموت والحقائق العلمية المرتبطة بها في الكتب السماوية عرضاً على منطق العقل

وإنما أخرجنا هذا المبحث العقدي عن المباحث ذات الطابع الشرعي العملي لسبب وجيه هو إشارة منا إلى أن الأعمال في القانون الإسلامي لها جزاء في عالم ما بعد الموت.

المطلب الأول: سؤال الموت والروح في الكتاب المقدس في ضوء المنطق العقلي

يقول الكتاب المقدس: عن الموت: إنه نتيجة الخطيئة؛ "لأنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ" رومية 6: 23. فالعالم كله يخضع للموت لأن الجميع قد أخطأوا؛ "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّما بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رومية 5: 12)

- في سفر التكوين 2: 17 حذر الله آدم أن عقوبة العصيان هي الموت - "مَوْتًا تَمُوتُ". وعندما عصا آدم الله إختبر الموت الروحي فوراً، مما جعله يختبئ "مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ إِلَهِهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ" (تكوين 3: 8). "وقد إختبر آدم الموت الجسدي بعد ذلك" تكوين 5: 5. و"المسيح أيضاً إختبر الموت الجسدي على الصليب" متى 27: 50.

إلا أن " الإختلاف هو أن آدم مات بسبب خطيته، أما يسوع الذي لم يرتكب خطية أبداً، فقد إختار أن يموت بدلاً عن الخطاة" عبرانيين 2: 9. "ثم أظهر المسيح سلطانه على الموت بقيامته من الأموات في اليوم الثالث" متى 28؛ رؤيا 1: 18. إن الموت هو عدو مهزوم بفضل المسيح. "أَيَّنْ شَوْكُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيَّنْ غَلْبَتُكَ يَا هَاوِيَّةُ؟" (كورنثوس الأولى 15: 55؛ هوشع 13: 14).

فبالنسبة لغير المؤمنين، فإن الموت هو نهاية الفرصة المتاحة لقبول نعمة الله للخلاص. "وَضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ" (عبرانيين 9: 27). أما بالنسبة للمؤمنين فالموت يأخذنا إلى حضرة المسيح: "نَنْعَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنُ عِنْدَ الرَّبِّ." (كورنثوس الثانية 5: 8؛ فيلبي 1: 23). إن الوعد بقيامة المؤمنين من الموت هو حقيقي جداً لدرجة أن يقال عن الموت أنه "رقاد" (كورنثوس الأولى 15: 51؛ تسالونيكي الأولى 5: 10). ونحن نتطلع إلى ذلك الوقت حين "الْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ" (رؤيا

4: 21

ب) التعريف الاصطلاحي: يعني مصطلح **كُوْلُكُو = Koo-lôko** (العلم الذي يدرس القضايا المتعلقة بالموت وينكب على تحليلها تحليلًا عمليًا وواقعيًا، منطلقًا بدراساتها من النصوص المقدسة مرورًا من التفسير السديدة ومنتها بالدراسات الميدانية¹ أو البراغمية المقربة للصورة.

ج) ما هي اهتمامات نظرية كولوكو تعلقًا بالحياة والروح؟

تتعلق نظرية **كُوْلُكُو = Koo-lôko** في دراستها من الإشارات الأولى التي تدل على قرب الموت خاصة في الأحوال المرضية المفضية حتمًا إلى الموت، إلى حدود البعث من القبور:

تنظر النظرية في:

- مسببات الموت (المبكرة هل له علاقة بتنمط العيش وطبيعة السلوك الروحي سلبًا أو إيجابًا؟
- النظر أدبيات العمر الطويل كالتصوف والرهبنة الصادقة (من روحانيات، سلوكيات، ومطعمات...)
- تجميع كافة الإشارات الدالة على علاقة الروح بما بعد الموت
- **النظر في الأجل** للوصول يوما الحتم والأجل المسبب، وعرضه على العلم. وعلاقة الأجلين بعلم الله الأزلي السابق.
- النظر في أنماط عيش الناس وسلوكهم الروحي تعلقًا بما بعد الموت وهل طول الأعمار له علاقة علميًا بسعادة الدار الأولى والدار الآخرة أم الدار الأولى فقط؟

المسلك الثاني: السؤال عن الحياة البرزخية وحياة القبر وجدلية الجزاء والعقاب عرضا على الإمكان العقلي:

أولاً: مفهوم القبر لغة واصطلاحاً:

- أ - **القبر في اللغة:** القبر في لسان العرب هو المدفن ويجمع على قبور ، والمقبر المصدر. والمقبرة بفتح الباء وضمها: موضع القبور. قال سيبويه: المقبرة ليس على الفعل ولكنه اسم. وقال الليث: أو المقبر أيضا موضع القبر ومنه اشتقاق نسبة المقبري إلى القبر. وقال **الجوهري:** المقبرة، والمقبرة واحدة المقابر، ومن الشعر أنشد عبد الله بن ثعلبة الحنفي:

¹ - بزيارات القبور، بتفتيش القبور، بقراءة طرق الموت، وتفكيك الإشارات والدلالات وجه الموتى وأمورا كهذه...

أزور وأعتاد القبور ولا أرى // سوى رمس أعجار عليه ركود

لكل أناس مقبر بفنائه—م// فهم ينقصون والقبور تزيد

وتوسع ابن الأعرابي في بيان معاني القبر بقوله: القبيرة تصغير القبرة، وهي رأس القنفذ. قال: والقبرة أيضا طرف الأنف، تصغيره قبيرة. والقبر: عنب أبيض فيه طول وعناقيد متوسطة، ويزبب. والقبر، والقبرة، والقنبر، والقنبرة، والقنبراء: طائر يشبه الحمرة. قال الجوهري: القبرة واحدة القبر، وهو ضرب من الطير، قال طرفة وكان يصطاد هذا الطير في صباه:

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري * قد ذهب الصياد عنك فابشري
لا بد من أخذك يوما فاصبري

ب - القبر في الاصطلاح

تكاد تتواطأ التعريفات الاصطلاحية على تفسير الموت بأنه حالة تأتي على أنقاض الحياة، وعليه فإن معاجم اللغة العربية تُعرّف كل واحد منهما بأنه نقيض الآخر، وفي تعريف الموت تقول: " الموت والموتان ضد الحيا"¹. تأمل معي تعريف صاحب اللسان لما يعنيه الحي تمييزا له عما يعنيه الميت:

يقول ابن منظور: ا لحي كل متكلم ناطق، والحي من النبات ما كان طريا يهتز"². فإذا كانت الحياة الإنسانية تتحقق بنفخ الروح في جسد الجنين في رحم أمّه، فإن الموت: "يعني انقطاع الروح بالبدن، ومفارقة لها، والحيلولة دونه، وتبديل للحال، وانتقال من دار إلى دار"³.

عن الموت والحياة طرح الإنسان عبر التاريخ أسئلة طالما أفضت مضاجعهم فمنهم من أجاب بنظرية فلسفية أنكر فيها البعث والحساب كما كحال السمنية والبراهمانية والسوفسطائية والأريسطية والداروينية والشيوعية والوضعية والبراكماتية الحديثة، ومنهم من أجاب إجابات أقرب إلى الفطرة كما حال ما جاء في الشهنامة للإفروديسي الفارسي والإلياذة لهوميروس وكما كتبه الأديان والتواريخ عن أمم في الهند والصين وعن الفراعنة القدامى.

¹ - لسان العرب: (547/3).

² - لسان العرب: (773/1).

³ - التذكرة للقرطبي: 4.

إلا أن هذه الإجابات التي جسدت في الكتب أو في طقوس مخصوصة لم تضع يدها على الحقيقة الكامنة في علاقة الموتى بالحياة البرزخية وحياة البعث بعد الموت. وهو ما تكفلت به الرسائل السماوية التي وصلتنا والتي تكاد تجمع على الإيمان بالروح والبعث والنشور والجنة والنار ووسوسة الشيطان الخ .

لكن بالنظر إلى السياق التاريخي وبالنظر إلى ما تعرض له العهد القديم والجديد من التحريف والتغيير وكثرة ترجمات الكتاب المقدس كل ذلك أثر على تكوين صورة سليمة واضحة عن الحياة البرزخية وحياة الآخرة عموماً. بل حتى من المسلمين من أنكر عذاب القبر كالفلاسفة والظاهرية. وهو ما سيتكشف لنا من خلال جولتنا في الكتب السماوية على السواء بما فيها القرآن الكريم.

المسلك الثالث: الحياة البرزخية في الإنجيل/ عرضاً على الإمكان العقلي

لقد حكى يسوع قصة مشهورة جداً في الإنجيل عن رجل غني وعن إيعازر، إذ وقف أليعازر الغني على باب قصر الغني وهو فقير معدم به قروح تلحسها الكلاب. وجاء في القصة أن الغني مات ودفن ثم مات أليعازر وحملته إلى حضن إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فنظر الغني وقال يا أبتى إبراهيم أرسل لي لعازر لكي يبيل طرف أصبعه ويبرد لساني لأني معذب، فقال له إبراهيم اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك ، فأنت تتعذب وهو يتعذى . فقد عرف كل منهما مباشرة بعد الموت قبل يوم الحساب مكانه في دار الآخرة .

وهذا نص الرواية من إنجيل لوقا:

{ كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الْأَرْجُوَانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهاً. 20 وَكَانَ مَسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طَرَحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوباً بِالْقُرُوحِ، 21 وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفَتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ، بَلْ كَانَتْ الْكِلَابُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ فُرُوحَهُ. 22 فَمَاتَ الْمَسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضاً وَدُفِنَ، 23 فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْهَوَايَةِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، 24 فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبِيلَ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبْرِدَ لِسَانِي، لِأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللَّهْيَبِ. 25 فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي، اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذَلِكَ لِعَازَرُ الْبَلَايَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. 26

وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ فَذْ أَنْتَبَتْ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هَهُنَا إِلَيْكُمْ لَا يَقْدِرُونَ، وَلَا الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا. 27 فَقَالَ: أَسْأَلُكَ إِذَا، يَا أبتِ، أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي، 28 لِأَنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ، حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْلَا يَأْتُوا هُمْ أَيْضاً إِلَى

وسؤال الملكين والجنة والنار والميزان والصراف والحوض ونشر صحائف الأعمال إلخ.

لكنهم في تناولهم ذلك لم يعنوا بالإنسان البسيط كيف يمكن أن نقنعه بتلك الغيبيات وبالمنافع الروحية وتلمادية الكامنة فيها. وهو ما يطرح عندنا في إفريقيا تحدي إقناع البسطاء بحقيقة انتفاع الموتى بالدعوات والصدقات التي يبعث بها الأحياء إليهم

- فكيف نفسر عمليا أو واقعا انتفاع الموتى بدعاء وصدقة الأحياء من عالم الدنيا؟

- كيف تضيئ ظلمة القبر؟

- كيف تمضي الأرواح أزمانا متطاولة تتردد ذهابا وجيئة بين عالم القبور وعالم البرزخ؟

- كيف الجمع بين قصص خرق فيها تعالى العادة في الحياة الدنيا مع أنبيائه كما حال عيسى عليه السلام مع إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وحال إبراهيم مع الطيور الأربعة وبين إقناع الناس بسؤال الملكين وعذاب القبر؟¹

وقد أعجبني تعليل مقاصدي جميل عند ابن القيم في "مدارج السالكين" عن قصة قصة إبراهيم عليه السلام مع الطير نقتطف منه ما يلي:

"إنما هو أمر آخر.. له مذاق آخر.. إنه أمر الشوق الروحي، إلى ملابسة السر الإلهي، في أثناء وقوعه العملي". اهـ. قال ابن القيم رحمه الله في (مدارج السالكين): "إن إبراهيم طلب الانتقال من الإيمان بالعلم بإحياء الله الموتى إلى رؤية تحقيقه عياناً فطلب بعد حصول العلم الذهني تحقيق الوجود الخارجي فإن ذلك أبلغ في طمأنينة القلب". اهـ. فأبراهيم عليه السلام لم يشك يوماً في وجود ربه تعالى أو قدرته على إحياء الموتى وحاشاه أن يكون كذلك فهو الحليم الأواه المنيب؛ قال صلى الله عليه وسلم: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: {رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي}» (رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

والمعنى كما قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: "لو كان شاكاً لكنا نحن أحق به، ونحن لا نشك، فأبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام". اهـ. ولو كان في هذا خطأ لعاتبه الله تعالى كما عاتب آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة، ولكن الله سبحانه أراد أن يطمئن قلب خليفه فأمره أن

¹ - قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطُمِّنْ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۗ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260) { البقرة.

يحضر أربعة أنواع من الطيور وقد اختلف المفسرون في أنواع هذه الطيور ولا فائدة من تعيينها.. وأمره سبحانه أن يقطع هذه الطيور إربًا إربًا ثم يخلطها مع بعضها ويقسمها ويجعل على كل جبل جزء منها. ثم بعد ذلك ينادي على كل طير باسمه يأتيه من فوره.. وتركب الخلق أمام إبراهيم عليه السلام ليرى بأمر عينه هذه المعجزة الإلهية.. ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين. وللعلم فهناك ثلاث مراتب هي: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فعلم اليقين يكون بالسمع، وعين اليقين يكون بالبصر، وحق اليقين يكون بالحواس أو بالقلب. قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (التبيان في أقسام القرآن): "المرتبة الثانية: عين اليقين... هي التي سألتها إبراهيم الخليل ربه أن يريه كيف يحيي الموت ليحصل له مع علم اليقين عين اليقين. فكان سؤاله زيادة لنفسه وطمأنينة لقلبه، فيسكن القلب عند المعاينة، ويطمئن لقطع المسافة التي بين الحبر والعيان¹.

وعلى هذه المسافة أطلق النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الشك حيث قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» ومعاذ الله أن يكون هناك شك ولا من إبراهيم وإنما هو عين بعد علم، وشهود بعد خبر، ومعاينة بعد سماع". ويستمر رحمه الله في تفسير هذه المرتبة ثم يقول: "وقد ضرب بعض العلماء للمراتب الثلاثة مثلا فقال: إذ قال لك من تجزم بصدقه: عندي عسل أريد أن أطعمك منه فصدفته كان ذلك علم يقين، فإذا أحضره بين يديك صار ذلك عين اليقين، فإذا ذقته صار ذلك حق اليقين". اهـ. وبهذه المعجزة الإلهية ترقى إبراهيم عليه السلام من علم اليقين إلى عين اليقين كما ذكرنا واطمأن قلبه ورضي بالله ربه وكان أمة قانتًا لله حنيفًا، أبو الأنبياء وإمام المسلمين².

د - المدخل إلى إقناع البسطاء بأمور الأموات في الآخرة انطلاقًا من إيمانهم بأساطير الأحياء:

وأحسب أن المدخل إلى إقناع البسطاء بأمور الآخرة وما يحدث فيها للموتى، أن ننطلق في ذلك من مسلمة عندهم هي إيمانهم بالأساطير القديمة. فيلزم من باب أولى وأحرى أن نقدم لهم قصص القرآن على نحو أنه قصص من عالم الأحياء حفظه لنا التاريخ.

يبقى علينا في المرحلة الثانية أن نلزمهم بأن إيمانهم بقصص القرآن ذي المصدر الإلهي يلزم منه إيمانهم بقصص الآخرة أيضا.

¹ - انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم من مدارج السالكين

² - تفسير القرطبي للآية 260 من سورة البقرة

و على هذا النحو يكون المدخل مع بسطائنا في أفريقيا تأليف قلوبهم بقصص الأحياء.
فما أجمله من إيناس لهم وتمهيد للإيمان ليدخل في قلوبهم. وأنت تذكر لهم المقاصد
النفعية الروحية الحية التي تنطوي عليها هذه القصص تؤهلهم عمليا لتقبل قصص
الأموات. وأن الموت ما هو إلا قنطرة بين حياتين حياة أولى وحياة ثانية.

- من ذلك قصة الخضر مع موسى عليه السلام في قوله تعالى: (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ
لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ؟ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ؟ ذَلِكِ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ
عَلَيْهِ صَبْرًا 82... } سورة الكهف

قصة طريفة تطرح سؤالاً قيميا رائعا كيف رد الخضر على الشر بالخير. إذ استطعم
هو وموسى أهل القرية فلم يطعموهما، ومع ذلك أقام الجدار المتهدم على أطراف البلدة
فرفعه الخضر بمعجزة له بيده ومسحة فاستقامَ وافقاً. كان سمكُ هذا الجدارِ ثلاثين ذراعاً
بذراع ذلك الزمان وطولهُ على وجه الأرضِ خمسمائة ذراع وعرضهُ خمسين ذراعاً .

فاستغرب موسى وقال: "عجباً أتجازي هؤلاء القوم الذين أساءوا اللقاء بهذا الإحسان،
لو شئت لأخذت على فلكك هذا أجراً منهم نسدُ به حاجاتنا"، فقال الخضرُ وقد تيقن أن
موسى عليه السلام لن يستطيع بعد الآن صبراً فقال: "هذا فراقٌ بيني وبينك"، فأخذ
موسى بثيابه وقال: "لا أفارقكُ حتى تخبرني بم أباح لك فعل ما فعلت"،

فلما التمس موسى ذلك منه أخذ في البيان والتفصيل وقال: "سأبين لك ما لم تستطع
عليه صبراً، فبدأ حكاية الأمر عليه بدءاً من قضية السفينة... مروراً بقضية الغلام
المقتول... ووصولاً إلى قضية الجدار فقال (وأما الأمرُ الثالث والذي هو الجدارُ - لبّ
قضيتنا- فكان لغلامين يتيمين في المدينة حُكي أن أحدهما اسمه أصرمُ والآخر صريم
واسمُ أبيهما كاشح وأمهما دهنًا، وكان تحت الجدار كنزٌ لهما عبارةٌ عن لوحٍ ذهبي ومالٍ
كثيرٍ من ذهبٍ وفضةٍ تركه لهما والدهمُ الصالحُ الذي كان يؤدّي الأمانات والودائع إلى
أهلها وقد حُفظا بصلاح أبيهما.

وفي الحديث النبوي: "إن الله يحفظ الرجل الصالح في ذريته" ولما كان الجدارُ
مشرفاً على السقوط ولو سقط لضاع ذلك الكنزُ، أراد الله إبقاءه على اليتيمين رعاية
لحقهما وحق صلاح والدهما فأمر الله الخضر بإقامة ذلك الجدار ليحفظ الكنز الذي
سيكون من نصيب اليتيمين عندما يكبران، وكان اليتيمان جاهلين بأن لهما كنزاً إلا أن
الوصيَّ عليهما كان عالماً به.

فبالنظر إلى مؤشرات القصة والحديث النبوي الشريف نستخلص من قوله تعالى: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} من الآية تثبت لنا السبب الكامن وراء إعانة الخضر (ع) لهما والذي اعتبر درسا للأباء على اعتبار صلاحهم خيرا لذريتهم. وعلى انتفاع الأبناء بصلاح الآباء.

يقول ابن كثير في تفسيرها {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن ووردت السنة به. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر لهما صلاح، وتقدم أنه كان الأب السابع. [فالله أعلم] انتهى بلفظه ج6ص185.

وقال البغوي رحمه الله: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} قيل: كان اسمه "كاسح" وكان من الأتقياء. قال ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما. وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء.

قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده [وولد ولده] (6) وعترته وعشيرته

واهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم . قال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي انتهى بلفظه ج 5ص196. وقال السعدي رحمه الله في تعدادة لفوائد الآيات ومنها: أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه، وفي ذريته. اهـ بلفظه. وقال الطبري رحمه الله ج 18ص90 عن قوله: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} يقول: فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتها وشدتها، ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذي أقمته رحمة من ربك بهما، يقول: فعلت فعل هذا بالجدار، رحمة من ربك لليتيمين.

وكان ابن عباس يقول في ذلك ما حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: ثنا أبو أسامة، عن مسعر، عن عبد الملك بن ميسرة، عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس، في قوله {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} قال: حفظا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح. اهـ بلفظه.

وقال القاسمي رحمه الله في تفسيره محاسن التأويل وفي الآية إشارة إلى إرشاد الآباء، الذي يخشون ترك ذرية ضعاف، بالتقوى في سائر شؤونهم حتى تحفظ أبنائهم وتغاث بالعناية منه تعالى، ويكون في إشعارها تهديد بضياح أولادهم إن فقدوا تقوى الله تعالى، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع. وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف، كما في آية: { وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ

كَانَ لهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا { [الكهف : 82] ، إلى آخرها ، فإن الغلامين حُفِظَا ، ببركة صلاح أبيهما ، في أنفسهما ومالهما . اهـ بلفظه .

وقال ابن القيم في حاشيته على أبي داود ج 6 / ص 55:

وفيه بقاء عار الآباء في الأقباب لقوله بنت عدو الله فدل على أن لهذا الوصف تأثيرا في المنع وإلا لم يذكره مع كونها مسلمة وعليه بقاء أثر صلاح الآباء في الأقباب لقوله تعالى وكان أبوهما صالحا . اهـ بلفظه .

وقال شيخ الإسلام في أسباب رفع العقوبة ص 47 سابعا: قال الله -تعالى- في قصة الغلامين اليتيمين: { وكان أبوهما صالحا } فانتفعا بصلاح أبيهما، وليس من سعيهما . اهـ بلفظه .

وكنتيجة: أنه إذا جاز وبل إذا أمكن ملامسة إحسان إنسانيت على إنسان حي (كما تثبت ذلك قصة الغلامين)، فكيف لا يعقل بأن ينتفع إنسان ميت -بدوره- من إحسان إنسان حي خصوصا أن نوى ذلك الإحسان، الدعاء، أو الصدقة لصالح الميت، فضلا من أن يكون المتصدق ذاته ابن المتوفى!

فهذا إن دلّ على شيء إنما على مصداقية حديث أبي هريرة عن النبي "أنه قال: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"¹، وكذلك ما رواه مسلم بسنده عن جرير بن عبد الله، قال: قال رسول الله (من سنّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجرهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء)².

¹ - أنظر: صحيح مسلم 5: 73 باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت من كتاب الهبات . ومعنى الحديث أي انه " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". الشاهد قوله: صدقة جارية يعني بعد الموت تبقى له هذه الصدقة يحبس أرضا تؤجر وتصرف أجزتها في الفقراء والمساكين، في الجهاد، في تعمیر المساجد، في مساواة الأقارب إلى غير هذا . وهذا معنى صدقة جارية، يعني الأصل موجود وثماره تمشي، سواء الثمرة دراهم أو حبوب أو ثمار أو غير هذا مما يدره العقار المسبل.

أو علم ينتفع به هذا فيه فضل العلم وأن المعنى الإنسان إذا مات وخلف كتبًا أو تلاميذا قد انتفعوا به بقي له الأجر مستمرا في التلاميذ وتلاميذ التلاميذ الذين تعلموا، والكتب التي ألفها وفي المحاضرات والندوات التي أقامها وانتفع بها الناس يبقى له أجر.

أو ولد صالح يدعو له كذلك يلحقه دعاء أولاده، كما قال تعالى: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [الحشر: 10] فالدعاء ينفع من الأولاد وغيرهم، لكن الولد الصالح له مزية وخصوصية إذا دعا لوالده بإحسانه إليه وذكر الصالح؛ لأنه أقرب إلى الإجابة، فالوالد الصالح أقرب إلى الإجابة من الولد الفاجر.

² - صحيح مسلم 8: 61 باب ((من سنّ سنة حسنة أو سيئة من كتاب العلم)).

فإنك تجد من خلال هذين الحديثين المرويين في صحيح مسلم انتفاع الميت بدعاء ولده الصالح، وأيضاً انتفاعه بعمل من يعمل بسنته الحسنة من بعده. ولعله يمكن استفادة أو انتفاع الميت بدعاء الأحياء وعملهم له من قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)) (الحشر: 10) ... إذ لو لم يكن انتفاع السابقين بدعاء التابعين مفيداً لهم فما معنى نقله سبحانه هذا الدعاء عنهم؟!

وأيضاً هناك جملة من الروايات التي يستفاد منها انتفاع الأموات بعمل الأحياء، نذكر منها:

(1) - ما أخرجه مسلم عن عائشة: أنّ رسول الله قال: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) (صحيح مسلم 3: 155، باب قضاء الصيام عن الميت).

(2) - وأخرج أيضاً عن ابن عباس، قال: جاء رجل إلى النبي قال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضي عنها، قال: (نعم، فدين الله أحق أن يقضى). (المصدر السابق).

(3) - وعن النسائي في السنن: روى سعد بن عباد، أنه قال لرسول الله: إن أمي ماتت وعليها نذر فيجزى عنها أن أعتق عنها؟ قال: (أعتق عن أمك) (سنن النسائي 6: 253 باب فضل الصدقة على الميت).

كما أن هناك روايات أخرى كثيرة تجدها في الأبواب المشار إليها في المصادر المذكورة أعلاه وغيرها.

مما يدفعنا إلى القول بوجود اتفاق بين المسلمين في هذه المسألة. حيث وبالنسبة لمصادر الحديث عن الإمامية مثلاً، فقد حفلت بالكثير من الروايات الدالة على انتفاع الميت بعمل الحي، ويمكنكم مراجعتها في (الكافي للكليني 3: 227/ باب زيارة القبور وأنظروا انتفاع الميت بالزيارة والدعاء له) وأيضاً (من لا يحضره الفقيه/ للشيخ الصدوق 1: 183) ولاحظوا الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في انتفاع الميت بالصلاة والصوم والقربات التي تهدي إليه.

وأما بالنسبة إلى الاستئجار في النيابة عن الميت، فهو جائز، وقد تناولته الرسائل العملية للفقهاء في أبواب خاصة ويمكنكم مراجعة المواضع الفقهية للفقهاء الأحياء لتأخذوا الأحكام عنها، وهكذا الخ...

هـ - الفرضيات بأبعاد جديدة:

- وهو كيف نبني على الأمور المسلم بها عند البسطاء ما تحار فيه عقولهم؟
- كيف نجتهد بجعل القصص القرآنية طريقا ومطية إلى إقناع البسطاء بأمر الغيب؟
- ما السبيل إلى ترسيخ فكرة هامة في عقولهم: وهي أن ما لا يقدر البشر على فعله هناك فاعل مختار فعله وأنه قادر على أن يفعل أمورا أخرى في عالم الغيب مما لم نره؟
- كيف نجعل من تسليمهم بأن هذه البحار والجبال لها صانع حكيم ونؤسس عليها أن ما أخبر عنه هو أمور ممكنات داخلية تحت طوقه كما أن هذه الجبال والبحار ممكنات له أيضا؟ فما يلزمنا من إيماننا بأن العالم المتحقق من صنعه يلزمنا أيضا بإيماننا بما أخبرنا به من أمور الآخرة؟



المطلب الرابع: سؤال البعث بعد الموت وافتراض وسائل الإقناع علميا به للبسطاء المسلك الأول: مفهوم البعث والقيامة في اللغة والاصطلاح

- تعتبر قضايا القيامة والبعث من الموت موضوعات مشتركة في أغلب الديانات والمعتقدات، وهو ما تجده مثلا في إيمان البراهمانية والبوذية والهندوسية والبوذية إذ يؤمنون باستمرار وجود الإنسان بعد الموت.
- * أما عن تعريف المصطلح لغة: فقه ورد كلمة البعث في اللغة على معان عدة منها: الإرسال، الإثارة، أو الإحياء. الشيء الذي نجده في الكتب اللغوية عدّة من بينها؛ لسان العرب: حيث ورد فيها على وجهين:
- أحدهما: الإرسال، كقوله تعالى: {ثم بعثنا من بعدهم موسى}؛ معناه أرسلنا. والبعث: إثارة برك أو قاعد، تقول: بعثت البعير فانبعث أي أثرته فنار.
- ثانيها: الإحياء، وهو الإحياء من الله للموتى؛ ومنه قوله تعالى: {ثم بعثناكم من بعد موتكم}؛ أي أحييناكم. وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث.

- * أما عن تعريف البعث اصطلاحا: فالتعريف المتفق عليه أنه إحياء الله تعالى الموتى من قبورهم كما كانوا في الدنيا، ليلقى كل واحد منهم جزاءه الذي قدر له من نعيم أو عذاب جزاء على ما قدم من أفعال في الدار الدنيا.

المسلك الثاني: البعث في القرآن الكريم

ننتخب مما يدل عليه:

- * قوله تعالى: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. {المجادلة 6}.
- * قوله تعالى: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ". (المؤمنون: 115).
- * قوله تعالى: {أئذا متنا وكنا ترابا وعضاما أننا لمبعوثون} الصافات: 16

* قوله تعالى: {ثم إنكم يوم القيامة تبعثون} (المؤمنون: 16).
* قال تعالى: {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون} المؤمنون: 99-100.

* قال تعالى: {وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (النحل: 38).

* قال تعالى: {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير} (التغابن: 7).

* وقوله تعالى: قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى؟ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن؟ قَالَ بَلَى؟ وَ لَ كِن لَّيَطْمَئِنُّ قَلْبِي؟ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا؟ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260) {البقرة}.

المسلك الثالث: نموذج مخبري علمي للإقناع بحقيقة البعث

النموذج العملي: نموذج عملي مخبري براغماتي نبتة البقلة (البقول = Tubercule d'Igname) في لغز البعث

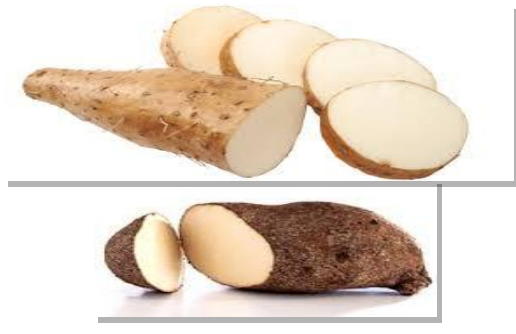
فانظر وعلى سبيل المثال تحليلا علمي وعملي لمراحل نبتة البقول وقس عليها مراحل حياة الإنسان ولادة وموتا وبعثا من الأرض.



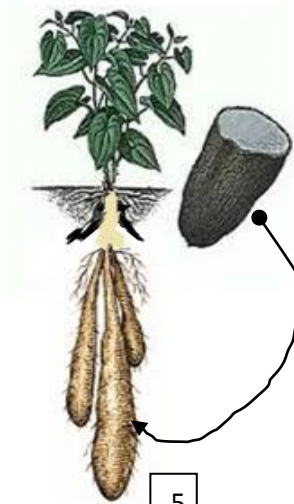
1



3



2



5



4



فهذه السلسلة من الصور، لم تنظّم عشوائياً وإنما عن طريق علمي مدقق، والذي يرسم لنا طريقة زرع ونبته هذه البقلة في علاقتها بفهم البعث – عملياً أو برغماتياً – بعد الموت.

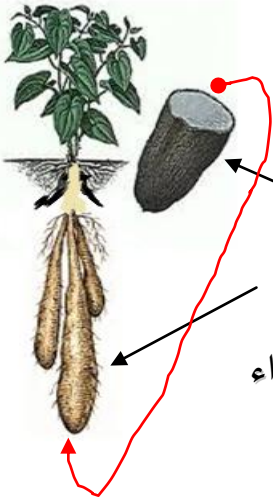
وعليه؛ فلو راجعنا:

* إلى صورة الرقم 1: لرأينا البقلة المعنية بالأمر تتمتع بوصفها أي ببقوليتها وأوراقها الحية.

* وإلى الصورة رقم 2: لرأينا أنه ولزراعة هذه البقلة يتوجب أولاً تقطيعها إلى جزيئات صغيرة قبل دسها في التربة وهو أمر مشابه (وهو أمر مشابه لدفن الإنسان في التراب).

* وإلى الصورة رقم 3: لرأينا البقلة الأرضية المحروسة والمجهزة لأن تزرع أو تدس فيها البقلة لتنتبت، (وهو أمر مشابه لـ "القبر/المقبرة" الذي هو مدفن الإنسان).

* وإلى الصور رقم 4: نلاحظ صوراً ترينا البقلة وهي فاسدة، مما يعني بأن هذه البقلة عادة لا تنتبت إلا بعد أن فسدت لتنتبت فيها من جديد نبتة حية والتي ستحيا وستقدّم لنا مادة البقلة المأكولة (الشيء المشابهة ومع "تلاشي/اندثار" الإنسان في القبر ليعث بعدها يوم القيامة حياً كما كان).



انظر النموذج الواقعي للعملية في الصورة الأخيرة (رقم 5):

حيث نلاحظ فيها صورتين لبقلتين مختلفين، ففي الأولى يمينا

(نرى بقلة وقد تلفت/فسدت مع أنها هي المزروعة أصلاً). بينما الثانية

ويسارا، هي النبتة ذاتها وقد ظهرت عليها علامات الحياة بأوراقها الخضراء

والتي فوقها (مع العلم بأنها المتفرعة من البقلة الأولى والمزروعة أساساً).

وبالجملة: هنا قدمنا الموضوع على نموذج تحريري مفاده:

- تحليل البعث مقياساً على طريقة غرس/زرع النبتة: ومثال ذلك نبات البقلة تغرس قبل أن تنتبت (وهو أمر مماثل للإنسان إذ الإنسان يدفن قبل أن يبعث يوم القيامة للحساب)

- كما حللنا كيفية البعث عن طريقة نبات النبتة؛ أي أن البقلة نبات تتلف/تفسد بعد غرسها قبل أن تنبت من جديد نبتة حية على أنقاضها (الشيء المماثل للإنسان أيضا، حيث إن الإنسان يلقى في القبر قبل أن تجمع من جديد عظامه... ليوم الحساب).

فهذا التحليل الموجز إن دلّ على شيء إنما على نموذج بسيط عن أسلوب وطريقة تحليل يرادبه هاهنا (أي في دراسات/ تحليلات الدينيات التطبيقية الميتافيزيقية) فضلا من أنها تحليل قابل للعقلنة ولتقريب الصورة إلى الأذهان. (فهذا هو النموذج هو الميتافيزيقية التطبيقية).

المطلب الخامس: سؤال الجزاء والعقاب يوم القيامة وافتراض الإقناع به علميا

المسلك الأول: مفهوم القيامة والجزاء

لم تفصل الكتب المقدسة أمور الجنة والنار والجزاء والعقاب مثلما فصلها القرآن. والسنة المشرفة. إذ لا يعدو ما جاء في الكتب المقدسة عن أمر الجنة والنار أن يكون مجملات على سبيل (ضرب المثال للترغيب والترهيب إما لترغيب في الجنة وإما لترهيب من النار) الأمر الذي سنكتشفه لاحقا.

ومع ذلك فعموما ما وجدناه في كتب النصارى من حديث عن الجنة والنار يتفق منه الكثير مع ما جاء في القرآن والسنة النبوية الشريفة وإن كان حدث هناك اختلاف في بعض التفسيرات عندهم لبعض القضايا منها قولهم: إنهم في الجنة لا يتزوجون ولا يزوجون وأنهم في الجنة أرواح وليسوا أجسادا ...

دعونا نعرض المشهور من ذلك في العهدين القديم والجديد معا

المسلك الثاني: مفهوم القيامة والجزاء في التوراة والإنجيل والقرآن

أولا: ما يعنيه الجزاء والعقاب والقيامة في التوراة

* يقول الكتاب المقدس (العهد القديم) عن يوم القيامة : {والأحياء يعرفون أنهم سيموتون. أمّا الأموات فلا يعرفون شيئا ولا جزاء لهم بعد، وذكرهم طواه النسيان. حُبُّهم وبُغْضُهُمْ وحسَدُهُمْ زال جميعاً، ولا حظَّ لهم بعد في شيء مما يجري تحت الشمس. فأذهب كلَّ خبزك بفرح وأشربْ خمرَكَ بقلبٍ مسرورٍ، فما تعملُهُ رَضِيَ اللهُ سَلْفًا عَنْهُ}. الجامعة: 9: 5-7.

ثانيا: ما يعنيه الجزاء والعقاب والقيامة في الإنجيل:

* يقول الكتاب المقدس (العهد الجديد) عن يوم القيامة قائلا : { سَيَجِيءُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: فِي الْحَاضِرِينَ هُنَا مَنْ لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يُشَاهَدُوا مَجِيءَ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي مَلَكُوتِهِ } متى 16: 27-28.

* وقوله: { وَتَظْهَرُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ عَلَامَةٌ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ، فَتَنْتَجِبُ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيَرَى النَّاسُ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ فِي كُلِّ عِزَّةٍ وَجَلَالٍ. فَيُرْسَلُ مَلَائِكَتُهُ بِبُوقٍ عَظِيمٍ الصَّوْتِ إِلَى جِهَاتِ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ لِيَجْمَعُوا مُخْتَارِيهِ مِنْ أَقْصَى السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَاهَا... الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يَنْقُضِيَ هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَتِمَّ هَذَا كُلُّهُ } متى 24: 30-34.

* وَقَالَ لَهُمْ: { الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: فِي الْحَاضِرِينَ هُنَا مَنْ لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ، حَتَّى يُشَاهَدُوا مَجِيءَ مَلَكُوتِ اللَّهِ فِي مَجْدٍ عَظِيمٍ } . مرقس 9: 1.

- ثالثا: ما تعنيه القيامة والجزاء والعقاب في القرآن الكريم:

عن القيامة نذكر:

* قوله تعالى: { يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ } الآية 2/ البقرة.

* قوله تعالى: { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ } الأنبياء 104

* وقوله تعالى : { يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } إبراهيم 48.

* قوله تعالى: { الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ... يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ } القارعة 1-5.

وعن الجزاء والعقاب نذكر:

* قوله تعال { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ } (15) سورة محمد.

*وقوله تعالى: { إن يوم الفصل كان ميقاتاً * يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا *
وفتحت السماء فكانت أبواباً * وسيرت الجبال فكانت سراباً * إن جهنم كانت مرصاداً
* للطاغين مناباً * لابئين فيها أحقاباً * لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً * إلا حميماً
وغساقاً * جزاءً وفاقاً * إنهم كانوا لا يرجون حساباً * ... * فذوقوا فلن نزيدكم إلا
عذاباً { النبا 17-30.

* وقوله تعالى: {إن للمتقين مفازاً * حدائق وأعناباً * وكواعباً أتراباً * وكأساً دهاقاً *
لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً * جزاء من ربك عطاء حساباً * { النبا 31-36.

- قوله تعال {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ
يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ (15) { سورة محمد.

وفي الآثار: حديث حنظلة -رضي الله عنه - قال: "قلت: نكون عند رسول الله - ؟ -
يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين" . جزء من الحديث عند مسلم (2750) . وفي
سنن الترمذي (2483) وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه - عن ؟ قال:
«لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أُعِدَّتْ
لأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أُعِدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ
فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ؛ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانظُرْ
إِلَى مَا أُعِدَّتْ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ
وَعِزَّتِكَ لَقَدْ حُفَّتْ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: أَذْهَبَ إِلَى النَّارِ فَانظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أُعِدَّتْ
لأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ
فَيَدْخُلُهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ؛ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ
خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا» .

تقويم:

وبالمقارنة بين نصوص القرآن والسنة من جهة وبين نصوص التوراة والإنجيل
التي تحدثت عن أمور الآخرة وما تفرع عن هذه النصوص من تفسيرات في
الهيرمونوطيقا والتلموذ وتفاسير الإسلام يتأكد لدينا ما يشبه الإجماع من مذاهب الأمة أن
حقائق الآخرة محمولة على الحسية إذ ينعم المنعمون فيها ويعذب المعذبون فيها حسياً
على نحو ما نحن عليه في الحياة الدنيا.

وهو اعتقاد سائغ لأنه مبني على دليل الإمكان الذي يوطره قوله تعالى: ((أليس الذي
خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهن بلى وهو الخلاق العليم)) يس / 81

إلا أن قلة من متفلسفي الأمة ومن متكلمي المعتزلة نفوا حشر الأجساد بأن حملوا تلذذ الأدميين بالنكاح من قبيل ما يأباه تنزه الجنة عن الدنائس كالماء المهين المتخلق من البشر. وهو رأي جل مذاهب النصارى واليهود الذين يرون أن العذاب والنعيم في الآخرة إنما هو للأرواح لا للأجساد.

- رابعا: الرد على من قال بعدم حشر الأجساد:

ولا بد هنا من وقفة نعرض فيها أهم ما تناقلته كتب الملل والنحل من أقوال المعتزلة في أمور الآخرة مما اعتبره جل الأمة شنوذا عقديا. يقول الشهرستاني في الجاحظ وفي مذهب الجاحظية: (كان من فضلاء المعتزلة والمصنفين لهم، وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة، وخط وروج كثيرا من مقالاتهم بعباراته البليغة، وحسن براعته اللطيفة. وكان في أيام المعتصم والمتوكل. وانفرد عن أصحابه بمسائل:

منها قوله: إن المعارف كلها ضرورية طباع، وليس شيء من ذلك من أفعال العباد. وليس للعبد كسب سوى الإرادة وتحصل أفعاله منه طباعا كما قال ثمامة.

ونقل عنه أيضا: أنه أنكر أصل الإرادة وكونها جنسا من الأعراض فقال: إذا انتفى السهو عن الفاعل وكان عالما بما يفعله فهو المرید على التحقيق، وأما الإرادة المتعلقة بفعل الغير فهو ميل النفس إليه. وزاد على ذلك بإثبات الطبائع للأجسام كما قال الطبيعيون من الفلاسفة وأثبت لها أفعالا مخصوصة بها. وقال باستحالة عدم الجواهر، فالأعراض تتبدل، والجواهر لا يجوز أن تنفى.

ومنها قوله في أهل النار: إنهم لا يخلدون فيها عذابا، بل يصيرون إلى طبيعة النار. وكان يقول: النار تجذب أهلها إلى نفسها من غير أن يدخل أحد فيها. ومذهبه: مذهب الفلاسفة في نفي الصفات وفي إثبات القدر خيره وشره من العبد؛ مذهب المعتزلة.

وحكى الكعبي عنه أنه قال: يوصف البارئ تعالى بأنه مرید؛ بمعنى أنه لا يصح عليه السهو في أفعاله ولا الجهل ولا يجوز أن يغلب ويقهر. وقال: إن الخلق كلهم من العقلاء عالمون بأن الله تعالى خالقهم، وعارفون بأنهم محتاجون إلى النبي، وهم محجوجون بمعرفتهم. ثم هم صنفان: عالم بالتوحيد، وجاهل به. فالجاهل معذور، والعالم محجوج.

ومن انتحل دين الإسلام فإن اعتقد أن الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يرى بالأبصار، وهو عدل لا يجوز ولا يريد المعاصي، وبعد الاعتقاد واليقين أقر بذلك كله؛ فهو مسلم حقا. وإن عرف ذلك كله ثم جده وأنكره وقال بالتشبيه والجبر؛ فهو مشرك

كافر حقا. وإن لم ينظر في شيء من ذلك كله، واعتقد أن الله تعالى ربه، وأن محمدا رسول الله؛ فهو مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك.

وحكى ابن الراوندي عنه أنه قال: إن للقرآن جسدا يجوز أن يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا. وهذا مثل ما يحكى عن أبي بكر الأصبم أنه زعم أن القرآن جسم مخلوق. وأنكر الأعراض أصلا، وأنكر صفات الباري تعالى.

ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة، إلا أن الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين منهم أكثر منه إلى الإلهيين¹.

أما البغدادي فقد ذكر فرقة الجاحظية وانتسابها لأبي عمرو الجاحظ فقال في فرقه: (ذَكَرَ الجاحظية منهم؛ هؤلاء أتباع عمرو بن يحيى الجاحظ، وهم الذين اغتروا بحسن بذله (هكذا) الجاحظ في كتبه التي لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول. ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنسانا فضلا عن أن ينسبوا إليه إحسانا..)².

وذكر من فضائح هذه الفرقة فقال: (ومن فضائح الجاحظ أيضا قوله باستحالة عدم الأجسام بعد حدوثها. وهذا يوجب القول بأن الله سبحانه وتعالى يقدر على خلق شيء ولا يقدر على إفنائه. وأنه لا يصح بقاؤه بعد أن خلق الخلق منفردا كما كان منفردا قبل أن خلق الخلق. ونحن وإن قلنا إن الله لا يفني الجنة ونعيمها والنار وعذابها ولسنا نجعل ذلك بأن الله عز وجل قادر على إفناء ذلك كله، وإنما نقول بدوام الجنة والنار بطريق الخبر..)[5].

ويضيف بعد ذلك: (ومن فضائح الجاحظ أيضا قوله بأن الله لا يدخل النار أحدا وإنما النار تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها ثم تمسكهم في نفسها على الخلود. ويلزمه على هذا القول أن يقول في الجنة أنها تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها وأن الله لا يدخل أحدا الجنة. فإن قال بذلك قطع الرغبة إلى الله في الثواب وأبطل فائدة الدعاء. وإن قال إن الله تعالى هو يدخل أهل الجنة الجنة لزمه القول بأن يدخل النار أهلها...)

- المسلك الثالث: كيف السبيل إلى إقناع البسطاء علميا ومخبريا بلحوق أبنائهم بهم يوم القيامة:

¹ - الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني-دار ابن حزم-الطبعة الأولى/2005 - ص: 49-50
² - [4] الفرق بين الفرق-عبد القاهر البغدادي-تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد-مكتبة دار التراث/القاهرة-طبعة/2007- ج/ 1 -ص: 160

نموذج من القياس الشرطي من عدة مقدمات



والطريق إلى ذلك اعتماد قياس علمي، حاصله: ما يلي:

- أنه إذا سلم المخاطب بما قدمناه بأن بعد هذه الحياة حياة أخرى،

- وإذا سلم بمحض العقول أن السعادة التي يتقاسمها الآباء مع أبنائهم في هذه الدنيا من شرطها الإحسان المتبادل بين الآباء والأبناء، وأن ذلك لا يتم إلا بصلاح الآباء ومن ثم بصلاح الأبناء، فلماذا لا يصح افتراض تقاسم تلك السعادة في الآخرة؟

- وإذا سلم في عالم الشهود بأن الأبناء المتمردين على الآباء الصالحين منبوزون في عرف المجتمع ومنبوزون في أسرهم وأن مآل التشنج الأسري هو التفرق والمنازعة، فلم لا يفترض ذلك في عالم الآخرة؟

- وإذا سلم بأن الآباء غير الصالحين والذين يربون أبناءهم على الشرور وقلة التدين ينظر إليهم المجتمع المسلم على أنهم استثناء قبيح من مجموع جميل، فكيف لا يفترض أن يتقاسموا في الآخرة الخزي والعذاب جزاء على سوء أعمالهم؟

الباب الثاني

تقويم العلوم المتفرعة عن الكتب
السماوية وموقعها من المنفعة المادية
والروحية النفسية

الباب الثاني:

- تقويم العلوم المتفرعة عن الكتب السماوية وموقعها من المنفعة المادية والروحية النفسية:

توطئة:

الغرض من هذا الباب هو عرض العلوم المتفرعة عن الكتب الثلاثة على محك النظر المصلحي المؤيد بالعلم المخبري العملي، وذلك في سبيل الكشف عما حققته هذه العلوم من المنافع المادية والنفسية والروحية في ضوء مبدأ الاستخلاف الذي هو أصل عقيدة الأديان السماوية كلها. أي من هذه العلوم يصح اعتباره خادماً لهذا المبدأ وأي منها يصح القول معه إنه مهذرة للزمن وتشويش على فعل الاستخلاف والعمارة وإقامة العدالة في الأرض؟



المبحث الأول: نوع العلوم المتفرعة عن التوراة والإنجيل وتقويمها المطلب الأول: بيان ما تعنيه التوراة والتلموذ ومضمونها على الإجمال:

الكتاب المقدس الذي أنزل على موسى في عقيدة اليهود هو التوراة. لكن أحكام وشرائع التوراة تشرحها الشريعة الشفوية وهي الشرح الحاخامي لنصوص التوراة والذي قد سجل لاحقاً في التلموذ.
الأمر الذي جعل اليهود الأرثوذكسية تعترف بكل من التوراة والتلموذ، وتقبل كل النواميس، ويعتقد أن الله قد أوحى ذلك كله إلى موسى مباشرة في جبل سيناء (وإن لم يكن الأمر كذلك عند بعض الطوائف اليهودية الأخرى).
أ- المفهوم اللغوي الاصطلاحي (للتوراة)؛

ترجع كلمة "التوراة" إلى أصل كلمة عبرانية والتي تعني التعليم أو التوجيه (التوراتي بالمعنى الحرفي) وخصوصاً فيما يتعلق بالتعليمات والتوجيهات القانونية، وترمز التوراة للأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس اليهودي التناخ. ويحتوي كتاب اليهود المقدس 24 كتاباً كتبت بالعبرية أو الآرامية، وقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء، يتضمن الجزء الأول خمسة كتب، والتي – استناداً إلى التقاليد – كشفها الرب إلى موسى في جبل سيناء، أما الجزء الثاني فيسمى بأسفار الأنبياء، والجزء الثالث يسمى بأسفار الكتابات.

*أما التلموذ (תלמוד):

فهي كلمة عبرية التي تعني الدراسة، وهو كتاب لتعليم الديانة اليهودية، وبتعريف آخر هو تدوين لنقاشات حاخامات اليهود حول الشريعة اليهودية، الأخلاق، الأعراف، وقصص موثقة من التراث اليهودي، وهو أيضاً المصدر الأساسي لتشريع الحاخامات

في دعاوى القانونية، والتلمود مركب من عنصرين، الميشناه Mishnah מִשְׁנָה هي
النسخة الأولى المكتوبة من الشريعة اليهودية التي كانت تتناقل شفويا، الجمارا גמרא
و Gemara وهذا القسم من التلمود يتناول الميشناه بالبحث والدراسة (أحيانا يستعمل أحد
المصطلحين تلمود أو جيمارا للدلالة على المصطلح الآخر).

ويدعي اليهود أن موسى ألقى التلمود على بني إسرائيل فوق طور سيناء، وحفظه عند
هارون، ثم تلقاه من هارون يوشع بن نون، ثم إليعاز وهلم جرا ... حتى وصل الحاخام
يهودا حيث وضع التلمود بصورته الحالية في القرن الثاني قبل الميلاد. ويعطي اليهود
التلمود أهمية كبرى لدرجة أنهم يعتبرونه الكتاب الثاني، والمصدر الثاني للتشريع، حتى
أنهم يقولون "أنه من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارة فليس له إله" والمشناة والجمارة
هما جزءا التلمود.

لكن الجيمارا يصنف كتعليقات على الميشناه وكتابات للحاخامات الحكماء، نراه
أيضا يخوض مواضيع أخرى في التناخ Tanakh תנ"ך ويتناولها بالشرح الواسع.

*وأما الجيمارا، فإنه يضمّ المبادئ الأساسية لجميع قوانين شريعة الحاخامات وهو علاوة
على ذلك اقتباسات من مؤلفات أدبية لحاخامات آخرين. والتلمود ومن ضمنه الجيمارا
يقترن بشكل تقليدي بوصفه شاس (اختصار عبري لعبارة شيشة سيداريم أي الدرجات
الست للميشناه)¹.

ب)- خصائص التوراة بوصف واقع الحال لها؛

- أنها تمثل قسم العهد القديم في الكتاب المقدس
- أنها الكتاب لأتباع الديانة اليهودية
- أنها نزلت وحيا وعلى جبل سيناء على كليم الله موسى عليه السلام
- أنها كتاب مصدر لعديد من نصوص العهد الجديد
- وأن التوراة هي الشريعة المكتوبة أما الشريعة الشفوية فوظيفتها هي تطوير المعاني
المكتوبة في التوراة وتأهيلها للتطبيق العملي.
- كما أن من إحدى الفروقات الكبيرة بينها وبين الإنجيل أن اللغة التي كُتبت بها
النصوص الأصلية للكتاب المقدس لليهود (هي اللغة العبرية أو الأرامية).

ج)- التوراة بوصف القرآن الكريم لها

فالتوراة: بالنسبة للمسلمين هي كتاب الله عز وجل المنزل على موسى عليه الصلاة
والسلام، الذي أرسله الله عز وجل إلى بني إسرائيل. وعلى ذلك آيات عدة في القرآن
الكريم من مثل:

¹ - أجزاء من مقالة طارق فتحي المسجل بالتاريخ 2010/12/19.

* قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: 44].

* قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 43].

° قال قتادة – عند قوله تعالى: "ولقد آتينا موسى الكتاب" قال: التوراة.

° وروى الإمام حمد والبيهقي في "شعب الإيمان" عن واثلة بن الأسقع أن النبي ؟ قال: أنزلت التوراة لست مضين من رمضان... الحديث.

° ومما يدل على عظم مكانة التوراة ومنزلتها: أن الله عز وجل كتبها بيده سبحانه وتعالى، كما في حديث مُحَاجَّةَ آدم موسى، "فقال آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره علي قبل أن يَخْلُقَنِي بأربعين سنة؟" رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المطلب الثاني: بيان ما يعنيه الإنجيل والهيرمونوطيقا المسيحية ومضمونها على الإجمال:

نشأت المسيحية في القرن الأول بعد الميلاد وتعرف بديانة المسيح، فالمسيحية واليهودية ديانتان إبراهيميتان خرجتا من نفس الأصل إلا أنهما تختلفان في المعتقد، والتعاليم والطقوس، كما أن أصل كلمة كتابيهما من أصول كلمة لغوية مختلفة ككتاب المقدس المسيحيين مثلا (أي الإنجيل).

(أ)- المفهوم اللغوي الاصطلاحي (للإنجيل)؛

كلمة (الكتاب المقدس) «Bible» آتية من الكلمة الإغريقية «biblia» والتي تعني كتب أو مخطوطات، وتسمى كلا الديانتين مخطوطاتها بالكتاب المقدس أو «Bible».

ويجدر الذكر بأن الإنجيل يتضمن النصوص اليهودية العبرية ولكنها ذات ترتيب مختلف، وقد حولت إلى 39 كتاباً جمعت معاً وسميت لدى المسيحيين بالعهد القديم، أما العهد الجديد للمسيحيين فيتألف من 27 كتاباً تحتوي النصوص المسيحية المبكرة، وبأية حالة فإن عدد الكتب لدى البروتستانت 39 كتاباً، وبعدها 46 لدى الكاثوليك، و 53 لدى المسيحيين الأرثوذكس، وبالنسبة للمسيحيين يأخذ العهد الجديد أفضلية على حساب العهد القديم ولا يستعينون بالعهد القديم إلا لتأكيد ما جاء في العهد الجديد.

إحدى الفروقات الكبيرة الأخرى هو اللغة التي كتبت بها النصوص الأصلية لكل كتاب، فقد كتب الكتاب المقدس لليهود بالعبرية أو الأرمنية بينما كتب العهد القديم للمسيحية بالسبعينية، وأكثر من ذلك، فإن ترتيب النصوص يختلف كلياً في الكتابين،

إن المسيحية هي فرع تفرع من اليهودية وقد نتج هذا التفرع من الفرق في المحتوى لكلا النصين، علاوة على ذلك فإن أهمية التعاليم الشفوية في اليهودية كانت سبباً في التفريق بين الكتابين لأن اليهودية أعطت أهمية متساوية لكل من التعاليم المكتوبة والشفوية، وعلى الجانب الآخر تجد المسيحية تشدد فقط على الجانب النصي من كتاباتها المقدسة، وبالرغم من أن تفاسير الكنيسة تتبوا شأنًا عظيمًا لكنها ليست بنفس أهمية التفاسير الحاخامية اليهودية.

وفي المحصلة، فإنه لمن المهم ملاحظة أن هاتين الديانتين مترابطتان، لكن تختلف كتب كل منهما بشكل ملحوظ عن الأخرى. والفروق الرئيسية بينهما نجدها في عدد الكتب الموجودة في كل منهما، وترتيب الكتب، واللغة الرئيسية التي قرأت بها أو درست بها، ومحتوى الكتابين، والأهمية التي أعطيت للتعاليم الشفوية أو المكتوبة في أثناء كتابتها.

ويمكن تلخيص هذه الفروق على الشكل التالي:

- عدد الكتب
- طريقة ترتيب الكتب
- اللغة الرئيسية التي كتبت بها أو درست وقرأت بها
- محتوى الكتابين
- الأهمية التي أعطيت لكل جزئية فيها¹.

(ب)- خصائص الإنجيل في ضوء واقع الحال

= أن الإنجيل ذو ترتيب مختلف عن التوراة رغم تضمّنه نصوصاً من النصوص اليهودية العبرية

= أن الكتاب المقدس مقسم إلى عهدين؛ سميت بالعهد القديم لدى اليهود، وبالعهد الجديد لدى المسيحيين.

¹- راجع: صفحة إسلام ويب/ مركز الفتوى (العرض الموضوعي < العقيدة الإسلامية < أركان الإيمان < الإيمان بالكتب)، تعريف التوراة والإنجيل / الأربعة 3 رمضان 1424 - 29-10-2003 / رقم الفتوى: 39572التصنيف: الإيمان بالكتب.

- وبالنسبة للمسيحيين يأخذ العهد الجديد أفضلية على حساب العهد القديم

- وأن إحدى الخصوصيات الكبرى للإنجيل (العهد الجديد) اللغة التي كتبت بها نصوصها، فقد كتب الكتاب المقدس لليهود بالعبرية أو الأرمنية بينما كتب العهد القديم للمسيحية بالسبعينية.

= وقس على ذلك الخ...

(ج)- الإنجيل بوصف القرآن له:

وهو في القرآن كتاب الله المنزل على عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، الذي أرسله الله عز وجل إلى بني إسرائيل بعد موسى. وقد ورد آيات عدة على ذكره في كتابنا حيث من بينها؛

* قوله تعالى: {وَفَقِينَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَاتَّبَنَاهُ الْإِنجِيلَ} [الحديد: 27].

* قوله تعالى: {وَفَقِينَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَاتَّبَنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} [المائدة: 46].

-وأما عن الآثار؛ فحديث واثلة بن الأسقع قال: "وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان" رواه أحمد والبيهقي.

المطلب الثالث: بيان أن اليهود لم يفرعوا عن التوراة علوما نافعة بل تناقضات

وبسبب ذلك تصدى لهم عدد من أهل التحقيق بكتب كثيرة تكشف هذه التناقضات من أشهرها كتاب "بذل المجهود في إفحام اليهود للحكيم السموأل المغربي المتوفى في القرن السادس، وذكر كل تلك الكتب التي ردت على اليهود تناقضاتهم تستعصي على الحصر.

وكفانا من ذلك تلخيص نتف من تناقضاتهم عبر ما قاله سيجموند فرويد العالم النفسي اليهودي في حق دينهم.

يرى فرويد أن من بين التناقضات العديدة في الديانة العبرية (اليهودية/ المسيحية/) ما ورد بشأن شخصية (موسى) فرغم أنه (نبي) وفق ما جاء في شُعب تلك الديانة الثلاث، فإن من كتب سفر التثنية ذكر أن موسى وهارون خانا الرب، رغم أن (الرب) أعطى الأرض لبني إسرائيل (تثنية- الإصحاح 32- الآيات من 48- 52) فكيف حدث

ذلك؟ ولماذا خان موسى وهارون الرب؟ وهل يتقبّل العقل الحر هذا الكلام على أنه حقيقة) أم أنه أساطير هبطت لدرجة الخرافة؟

وأليس ذلك أكبر دليل على التناقضات العديدة في العهد القديم والتي رصد سيجموند فرويد بعضها في كتابه (موسى والتوحيد ص103) ونقل فرويد رأى العالم (إدوارد ميير) أنّ موسى ليس أكثر من أسطورة وليس شخصاً تاريخياً)) وأضاف ((ولذلك لم ينجح أحد من الذين عاملوه كشخص تاريخي (فيما عدا الذين يقبلون التراث برمته كحقيقة تاريخية) في ملء هذا الشكل الفارغ بأى مضمون، وفي وصفه ك فردية متجسمة، ولم يكن لديهم شيء يقولونه عما حققته أو عن رسالته في التاريخ)) (ص87)

وتساءل فرويد : من الذى يختار الآخر: الشعب يختار إلهه؟ أم الإله يختار شعبه؟ وهذا السؤال واحد من الاشكالية فى الديانة العبرية (ص105، 106) وكيف يكون إله بنى إسرائيل (يهوا) إله البراكين؟ وبالتالي كان لابد من تزويق هذه الصفة للرب العبرى ((بسمات تثبت العظمة المخيفة لهذا الإله البركانى، مثل عمود الدخان الذى تحوّل إلى عمود من نار فى الليل)) (ص96) ولذلك وصف فرويد هذا الرب العبرى قائلاً ((لم يكن ذلك الرب كائنًا عظيمًا بأى حال من الأحوال. فقد كان إلهًا فظًا ، ضيق العقل ، محليًا ، عنيفًا ومُتعطشًا للدماء ، وكان قد وعد أتباعه أن يعطيهم أرضًا ((تفيض لبنًا وعسلًا) وشجّعهم على أن يُخلّصوا البلد من سكانه الأصليين ((بحد السيف)) (ص113)

وبينما الرب العبرى هو رب بنى إسرائيل أتباع موسى (فقط) وبهذه الوحشية، فإنّ إله المصريين ((يحتوى كل البشر. وهو إله الحب كما هو إله القوة. ويُبغض كل طقوس السحر، ويضع حياة ملؤها الحق والعدل، كهدف أسمى للإنسانية. وأنّ أخناتون (رغم أنه هو الذى ابتدع الوجدانية التى انتقلت إلى الديانة العبرية- ط . ر) وصف نفسه فى نقوشه باعتباره ((يعيش فى الماعت ، أى الحق والعدل)) ولذلك فإنّ إله المصريين أكثر روحانية من كل الآلهة فى الديانات الأخرى. ولذلك فإنّ الإله (يهوه) حاز شرفًا لا يستحقه)) (ص114)

كما أنّ الإله العبرى وجّه ضربة للأصل المصرى لعادة الختان. وأنّ (يهوه) طلبها لإبراهيم وأقامها كعلامة على الميثاق المضروب بينه وبين نسل إبراهيم. وهذه على أية حال بدعة حمقاء بوجه خاص... وليس من الممكن أن يجهل الإسرائيليون الذين خلقوا التوراة، أنّ المصريين كانوا يُمارسون عادة الختان، ومع ذلك كان لابد من إخفاء الحقيقة بأى ثمن (104، 105)

ويرى فرويد أنّ الديانة اليهودية ((صارت ديانة حصرية)) (ص182) ولأنّ فرويد عالم يحترم لغة العلم لذلك كتب عن شخصية عيسى ((الواقع أننا لانملك - تقريباً - معرفة محددة بتاريخه أكثر مما نعرف عن موسى. ولانعرف هل كان هو حقيقة الإنسان العظيم الذى تُصوّرهُ الأناجيل؟ أم إنّ واقعة موته وظروفها كانت بالأحرى هى العامل الحاسم فى إضفاء هذه الأهمية عليه؟ وحتى بولس الذى صار رسوله لم يكن هو نفسه يعرفه)) وأضاف ((وهكذا صار مقتل موسى الذى ارتكبه شعبه والذى رآه (سيللين) فى آثار التراث، جزءاً لا يتجزأ من تفكيرنا، وهمزة وصل هامة بين العقل المنسى للعصور البدائية ومعاودة ظهوره بالتالى فى شكل الديانات التوحيدية.

وإنها لفكرة جذابة أن نقول بأنّ الذنب المُتعلق بمقتل موسى هو الدافع لقيام أمنية ظهور المسيح الذى سيعود ويعطى شعبه الخلاص والسيادة الموعودة على العالم. فإذا كان موسى هو المسيح الأول، فإنّ يسوع صار بديله وخليفته، حينئذ يحق لبولس بعض الشيء أن يقول للشعوب ((انظروا إنّ المسيح قد قدم حقيقة. ولقد قُتل حقاً أمام أعينكم)) وحينئذ تكون هناك أيضاً بعض الحقائق التاريخية فى إعادة مولد المسيح، على أنه كان (موسى) الذى بُعث حياً. وكان كذلك الأب البدائى العائد للعشيرة البدائية، بشكل مغاير هذه المرة، وكابن فى مكان أبيه)) (من ص182-185)

سخافة حاقدة من فرويد فى حق نبي الإسلام

وكان من رأى فرويد أنّ ((قيام الديانة المحمدية كان تكراراً على نطاق ضيق للديانة اليهودية. وأنّ الديانة المحمدية ظهرت مُقلّدة للديانة العبرية. وهناك من الأسباب ما يدعوننا إلى الاعتقاد أنّ النبي (محمد) كان يزمع فى الأصل اعتناق اليهودية، من أجل الإيمان بالأب الواحد البدائى والكبير. ولكن (الله) كافأ شعبه الإسلامى (الأدق شعبه العربى- ط. ر) المختار بأكثر مما كافأ به (يهوا) شعبه اليهودى المختار عندما اعتنق ديانته. ولكن التطور الداخلى للديانة الإسلامية الجديدة سرعان ما توقف، ور بما كان ذلك لأنّ العمق كان ينقصها، ولذلك فإنّ ديانات الشرق التى تبدو فى ظاهرها وكأنها تقوم على العقل، بينما هى فى جوهرها عقائد سلف، تتوقف عند مرحلة مبكرة من عملية إعادة بناء الماضى)) (من ص189-191)

وقد يتصوّر البعض أنّ فرويد كان مُتحاملاً على المسيحية والإسلام (نظراً لديانته الموسوية) بينما هو كان شديد التجرد من أية أفكار مسبقة وهو يكتب كتابه (موسى والتوحيد) ولذلك عندما تناول شخصية (موسى) وعرض وجهات النظر المختلفة حول شخصيته: هل هو شخصية حقيقة أم لا، وهل كان (موسى) مصرياً كما يدعى البعض، فإنه كتب ((سواء ثبت ذلك أم لم يثبت، فلا يمكن استخلاص شيء أكثر

من ذلك (حتى الآن) وليس بوسع أى مؤرخ أن ينظر إلى القصة الواردة فى التوراة عن موسى والخروج، بأكثر من أنها أسطورة دينية ، قلبت إحدى الروايات البعيدة لمصلحة اتجاهاتها.... ولكننا لانستطيع أن نبقى بغير اكتراث عندما نجد أنفسنا فى تعارض مع البحوث التاريخية اليقظة لعصرنا)) (ص84)

وعلى العكس من كل أصحاب الأدمغة العبرية (من صهاينة وعرب ومصريين) الذين شغلوا أنفسهم وشغلوا القراء معهم بحكاية (اسم الملك / الفرعون حسب التسمية العبرية) الذى (خرج) بنو إسرائيل فى عهده ، فإنّ فرويد تناول الموضوع من وجهة نظر مختلفة ، فكتب عن زعم البعض بأنّ (الخروج) حدث فى عهد (مرنبتاح) بعد أن يأس كثيرون من أنّ (الخروج) حدث فى عهد رمسيس الثانى، فقال إنّ مرنبتاح لا يمكن أن يكون هو فرعون الخروج كما يُفترض من قبل. وأضاف ((ويبدو لى سؤال : من كان فرعون فى وقت حدوث الخروج، سؤالاً فارغاً، فلم يكن هناك فرعون فى ذلك الوقت ، لأنّ الخروج حدث فى الفترة التى تخلّت حكمين)) وهذا الرأى يتفق مع ما كتبه العالم إدوارد ميير (ص111، 112)

ورغم أنّ فرويد موسى الديانه، فإنه كان شديد الموضوعية والتجرد العلمى عندما وصف أجدادنا المصريين القدماء بالوداعة، بينما وصف العبريين أتباع موسى وكل الساميين بأنهم (همج)¹ وعندما هرب من حكم النازى إلى بريطانيا أخذ معه أصدقاءه ، فمن كانوا هؤلاء الأصدقاء؟ مجموعة من التماثيل المصرية الصغيرة، كان من بينها تمثال ل (توت) أو (جوتى) إله الحكمة والمعرفة فى الديانة المصرية القديمة، وكان هذا التمثال (بالذات) موضع حبه ، ولذلك وضعه على مكتبه، ليكون أمام عينيه².

المطلب الرابع: بيان أن المسيحيين لم يفرعوا عن الإنجيل علوما نافعة بل تناقضات

وبديهي كما قدمناه سابقا ان تصدت اقلام كثيرة لاهل التحقيق لهذه التناقضات بكتب مبسوطه كثيرة تستعصي على الحصر نذكر منها حصرا كتاب (الرد على النصارى) لأبي الحسين صالح الجعفري المصري. وبديهي أيضا ان الإسهاب فى ذكر هذه التناقضات سيعتبر ضربا من التكرار، ولعلي أكون قد قدمت إفادة بالوقوف هنا على بعض اعترافات حديثة بهذه التناقضات من لدن من اعتنقوا الإسلام حديثا من الرهبان.

¹- موسى والتوحيد سيجموند فرويد من ص:3 إلى ص: 9 - بتصرف
² - الحوار المتمدن-العدد: 5321 - 2016 / 10 / 22 - 14:00 المحور: العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
طلعت رضوان

انظر مثلاً إلى سيرة هذا الراهب الإثيوبي الذي تحول من المسيحية إلى الإسلام بعدما بان له من تناقضات الأنجيل المتعددة وجفافها من الأحكام التفصيلية. وهو ما يطاعنا به مقال قيم على وجازته لمحمود الشمري هذا نصه:

"كان اسمه قبل دخوله الإسلام "الم ولدقرقس" ، ولد في أثيوبيا ولكنه يحمل الجنسية الإترية . كان قسيساً في الكنيسة الكاثوليكية متعصباً للمسيحية ، يقوم بالتنصير .. و يشاء الله الهادي أن يتحول إلى داعية إسلامي يقوم بالدعوة للإسلام .

يسرد قصة تحوله من قسيس متعصب إلى داعية إسلامي مؤمن برسالته فيقول :

" إن التناقضات الكثيرة في الديانة المسيحية دفعتني إلى الشك في وظيفتي كقسيس يدعو إلى النصرانية الصحيحة ، في حين أن رواية القرآن الكريم عن السيد المسيح و احترام الإسلام له جعلني أتشكك في الروايات المتناقضة للمذاهب المسيحية ، و أميل إلى مواقف الإسلام منه عليه السلام ."

ثم يوضح اللحظة التاريخية في تحوله للإسلام فيقول :

" وجدت نسخة قديمة من الإنجيل في الكنيسة الأثيوبية كتب فيها "و يأتي رسول من بعدي اسمه أحمد فاتبعوه" .. هذه النسخة تتناقض مع ما يقوله القساوسة ، و هذا ما دفعني أكثر إلى استطلاع الأمر و معرفة الإسلام معرفة حقيقية "

ويذكر أنه أمام عظمة الإسلام و اقتناعه بأنه آخر الرسالات السماوية و أنقاه من الشوائب و أسماها في المعاني و المقاصد الدنيوية و الأخروية ن كل ذلك حفزه على التخلي عن كل المزايا الممنوحة له من الكنيسة ، فقد كان عمله قسيساً يمنحه مزايا كثيرة ، مثل السكن المؤثث ، و السيارة الفاخرة ، و جواز السفر الأممي ، فضلاً عن راتبه الضخم كما أوضح أنه وجد صعوبات و مضايقات كثيرة بعد تحوله إلى الإسلام و بعد أن فتح صفحة جديدة في حياته عندما تزوج امرأة مسلمة و بدأ ممارسة حياته وفقاً لقواعد الشريعة الإسلامية السمحة .

وتطرق الداعية "عبد الله إبراهيم" - وهو اسمه بعد إسلامه- إلى بعض الفروق بين الإسلام و الأديان الأخرى ، فأوضح أن القرآن الكريم كتاب غير محرف و ينبذ الطبقية حيث يدعو إلى المساواة بين مختلف الأجناس و القوميات و لا يعطي أية ميزة في التفاضل إلا للتقوى و العلم .

ثم أشار إلى أن الحج مناسبة إسلامية فريدة تعطي الدليل على تساوي المسلمين مهما كانت مكانتهم الاجتماعية مثل الصلاة .

و لم يكتفِ بإسلامه - كما ذكرنا - و إنما أخذ يدعو للإسلام و ينادي بضرورة تكثيف نشاط الدعوة الإسلامية لمواجهة النشاط المنظم للتبشير المسيحي .. و يؤكد على ضرورة توحيد مواقف المسلمين لمواجهة التحديات المختلفة .. كما يقول :

" أتمنى أن يزداد اهتمام المسلمين بإخوانهم الجدد الداخلين في الإسلام حتى يصلوا إلى مرحلة متقدمة تحصنهم من الدعاية المضادة "

و مما هو جدير بالذكر أنه قد أسلم على يديه بعد إسلامه هو أكثر من أربعين نصرانياً ، فقد كان يشعر أن من واجبه أن يقوم بتعريف الإسلام و جوهره العظيم للآخرين ، لأنه دين يبعث الطمأنينة في النفس ، و يرجع ذلك - على حد قوله - لسابق خبرته بالدين المسيحي لذا فمهمته ربما تكون أيسر من إخوانه الدعاة ، و من ثم يتوقع مزيداً من اعتناق المسيحيين للإسلام . إن مستقبل الإسلام في القارة السوداء بخير ، برغم النقص الواضح في الدعاة و عدم دعم بعض الحكومات الإسلامية لهذه الدعوة ، فالإسلام بخير برغم الفرق الواضح في الجهود المبذولة في تنصير المسلمين و ما يبذل من مال من أجل ذلك ، غير أن الداخلين في الإسلام هم الأكثر .. و برغم استغلال جهات التنصير للمجاعة الشائعة في إفريقيا فإن الإسلام يزداد انتشاراً ،

و من هنا فنحن نريد و نطمح من جميع المسلمين في أنحاء العالم أن يتكاتفوا متعاونين في دعم دعوة الإسلام و تبليغها لغيرهم ممن لا يدينون بها ، خصوصاً أن انتشار الإسلام أفضل و أسرع إذا وجد الدعاة المخلصون "

و يرى أيضاً أن المناظرات و المحاورات بين علماء الدين الإسلامي و القساوسة تخدم الإسلام ، و لا سيما إذا كانت هذه المناظرات تبحث عن الحقيقة ، على أن يكون المناظر المسلم ذا إمام بالدين الإسلامي و عقيدة المسيحيين ، و يكون أيضاً ذا شخصية جذابة مقنعة تستطيع أن توضح و تظهر فساد العقائد الأخرى¹ .

وفي الجانب الآخر من المسلمين المعاصرين الذين اطلعوا على لغات الغرب ما كتبته أستاذة الحضارة الفرنسية زينب عبد العزيز حول بعض تناقضات الأناجيل حول شخص عيسى عليه السلام نورد من ذلك ما يلي:

"أدهشني ما أثاره بعض إخواننا المسيحيين من تعليقات تستنكر ما نشرته في مقال سابق حول تحريف الأناجيل، لذلك لا يسعني إلا تقديم بعض النماذج الأخرى حتى

¹ - تناقضات المسيحية تدفعه للأسلام محمود الشمري الحوار المتمدن-العدد: 2739 - 2009 / 8 / 15 - 06:58

وإن كانت مسألة تحريف " الكتاب المقدس " برمته محسومة بين العلماء بل واقرها الفاتيكان فى مجمعه الثانى سنة 1965 وليست بحاجة إلى مزيد من الأمثلة..

وقد اقتصرت الكاتبة على خمسة نماذج فقط من هذه المتناقضات، التى تُعد بالألاف، وكلها متعلقة مباشرة بيسوع عليه السلام. ويسوع المسيح يُعد أهم شخصية فى المسيحية بكل إنقساماتها وفرقها التى تعدت الثلاثمائة سبع وأربعين الأعضاء بمجلس الكنائس العالمى. ويقولون إن كل ما هو مكتوب عن يسوع فى هذه الأناجيل صحيح تماماً و"منزل من عند الله" .. ليرى القارىء بنفسه ما تقدمه المؤسسة الكنسية من نصوص، عانت فعلا على مر التاريخ من شتى أنواع التلاعب والتغيير والتبديل، إلى درجة تمس تعاليم العقيدة نفسها من جهة، ومن جهة اخرى، ان هذه المؤسسة الكنسية تسعى لفرضها على العالم أجمع بدءاً بالمسلمين، لذلك يتعين علينا كمسلمين أن نفهم ما بها...

قالت معلقة: "وكل ما أرجوه من إخواننا المسيحيين هو ان يفتحوا أناجيلهم ليراجعوا فيها الآيات الواردة منها هنا أو فى أى مقال آخر كتبتة. علما بأننى أستعين بطبعة 1966 ، لا لقلّة ما لدىّ من نسخ متفاوتة التواريخ ، بدءاً من تسة 1671 ، ولكن لأنها النسخة التى لم تطلها التعديلات الجديدة بعد مجمع الفاتيكان الثانى المنتهى عام 1965، مع الأخذ فى الإعتبار بأن جميعها تختلف فعلا من طبعة لأخرى. وهذه الآيات من المفترض أنها كافية لإقناع أى قارىء بوجود متناقضات .. وابدأ بمن هو مفترض جد يسوع" :

1 - الإختلاف فى والد يوسف :

يقول إنجيل متى: " ويعقوب وُلد يوسف رجل مريم التى وُلد منها يسوع الذى يُدعى المسيح " (1 : 16). ويقول إنجيل لوقا : "ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يُظن ابن يوسف ابن هالى" (3 : 23)، فأيهما والد يوسف: يعقوب أم هالى؟ فمن المحال ان يكون له أبان بيولوجيان ، والحديث هنا عن إنسان، بشر عادى، وليس عن إنسان تم تأليهه ويطلقون عليه "ربنا يسوع المسيح" !.

2 – الإختلاف فى شجرة نسب يسوع :

توجد شجرة نسب يسوع ابن مريم فى إنجيل متى (1 : 6-16) ، كما توجد فى إنجيل لوقا (3 : 23-31). إنجيل متى يبدأ من سيدنا إبراهيم نزولا إلى يسوع، ولوقا يبدأ من يسوع صعودا إلى آدم، والإسم الوحيد المشترك بين هاتين القائمتين ، من داود ليسوع، هو يوسف.. فكيف يستقيم كل ذلك التفاوت؟! بل والأدهى من ذلك كيف يمكن

أن يكون ليسوع شجرة عائلة مثبتة بالإسماء ، وإن اختلفت، والكنيسة تؤكد أنه أتى من الروح القدس وأنه ابن الله؟. بغض الطرف هنا عن ان الروح القدس – كما تؤكد الكنيسة أيضاً، هو جزء من الثالوث الذى لا يتجزأ فالثلاثة واحد وهو ما يفهم منه ان يسوع قد أنجب نفسه، لكى لا نكرر أقوال بعض العلماء فى الغرب من ان ذلك يمثل حالة زنا إذا ما أخذنا والعياذ بالله بأن مريم "ام الله" كما يقولون ، حملت من الروح القدس أى من ابنها!..

3 – الإختلاف فى مولد يسوع :

تورد الأناجيل مرة ان يسوع وُلد أيام هيرودس (متى 2 : 1)، ومرة أيام كيرينئوس (لوقا 2 : 2) .. والثابت تاريخياً أن هيرودس مات سنة 4 قبل الميلاد ، بينما كيرينئوس قد تم تعيينه والياً على منطقة سوريّة فى عام ستة ميلادية ! أى ان الفرق الزمنى بين التاريخين قدره على الأقل عشر سنوات لتحديد تاريخ ميلاد يسوع، فهل هذا معقول ؟ بل والثابت تاريخياً أيضاً أنه لم تحدث أية مجزرة للأطفال أيام هيرودس ! وما يكشف عن إختلاف آخر أن إنجيل مرقس يقول أنه وُلد فى الناصرة ، بالجليل ، بينما يقول كل من متى ولوقا انه وُلد فى بيت لحم بمنطقة اليهودية : فأَيهم أصدق ، وجميعهم رسل وقديسين؟! وهنا لا بد من الإشارة إلى قول العالم الفرنسى إميل بويخ (E. Puech) مدير المعهد القومى للأبحاث العلمية (CNRS) فى فرنسا مؤكداً : "يجب علينا أن نعترف بأمانة أننا لا نمتلك حتى الآن أى نص من شهود عيان عن يسوع"، وذلك لأن كل ما كتب عنه كتب بأثر رجعى وبعد أجيال وقرون...

4 – الإختلاف فى معرفة يسوع ابن من؟! :

يقول إنجيل لوقا أنه عندما تخلف الصبى يسوع فى المعبد وهو فى الثانية عشر " وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح" (2 : 41) ضل عنهما الطفل يسوع، وبعد ثلاثة أيام من البحث وجدا الصبى فى الهيكل جالسا وسط المعلمين فلما أبصره إندهشا : " وقالت له أمه يابنى لماذا فعلت بنا هكذا. هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين" (2 : 48). ويزداد الأمر خطأً حينما يجيبها الطفل يسوع قائلاً : " لماذا كنتما تطلبانى ألم تعلمتا أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى.

فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما" (2 : 39-50) أى ان مريم وزوجها والد الطفل يسوع (كما تقول هى فالمفترض أنها أدرى ممن أنجبت ابنها) وأيضاً كما يقول إنجيل لوقا ، المهم ان الإثنين لا يعرفان أى شىء عن رسالة يسوع ، وهو ما يخالف ما ورد بنفس الإصحاح فى الآية 19 حينما راح ملاك الرب يخبر الرعاة بمجىء الرب يسوع المخلص ، ثم ذهب الرعاة يخبروا بالكلام الذى قيل لهم عن هذا الصبى : " وأما مريم

فكانت تحفظ هذا الكلام متفكرة به فى قلبها" .. فكيف تعرف مريم هذا الكلام عن ظهر قلب وحينما يحدثها ذلك الرب، الذى هو ابنها، لا تفقه منه شيئاً؟؟ بل والأكثر من ذلك ان كل ما ورد بإنجيل لوقا حول واقعة المعبد يتناقض تماما مع قصة نزوح العائلة المقدسة إلى مصر ..

وعملية تنفيذ حضور العائلة المقدسة الى مصر تناولها فى الغرب العديد من المؤرخين والباحثين ولن أشير هنا سوى الى ميشيل كوكيه (M. Coquet) القس السابق وكتابه "إزالة الخدع عن حياة يسوع" الصادر عام 2003 ، وتقول الفقرة :

"أقر المؤرخون والله الحمد ان هروب العائلة المقدسة الى مصر، كما يصفها لنا إنجيل متى لا مصداقية لها. فعبور الصحراء الشديدة الحر نهاراً والشديدة البرودة ليلاً، مسافة خمسمائة كيلومتراً، فى منطقة مليئة باللصوص وبالحيوانات المفترسة، على ركوبة لا يمكنها ان تحمل على ظهرها المياه والأكل اللازم لمثل هذه الرحلة، تبدو عملية مستحيلة التنفيذ بالنسبة لزوجين وطفل رضيع. والأكثر من ذلك، إذا سار يوسف على قدميه بواقع خمسة عشر كيلومتراً فى اليوم، فسيأخذ منه ذلك حوالى شهراً فى ظروف شديدة القسوة.

فالطريق الذى سار فيه بدأ من بيت لحم الى الخليل. ومن غزة كان على العائلة المقدسة ان تتبع قرب الشاطئ الى القنطرة والإسماعيلية واخيراً القاهرة. وفى واقع الأمر، ليس لدينا أى دليل على هذه الرحلة، حتى وإن قامت الكنيسة القبطية بنشر خط السير هذا (بمساعدة وزارة السياحة المصرية!) (الأقواس وعلامة التعجب من الكاتب)، اعتماداً على بردية من القرن الخامس مكتوب عليها خط السير الذى سلكته العائلة المقدسة، بل ويحددون ان الإقامة إمتدت لمدة ثلاث سنوات وأحد عشر شهراً، والقرن الخامس بكل سوء حظ هو القرن الذى إنتهوا فيه من إستكمال إختلاق قصة يسوع . وبعد قرن من الحفائر الأثرية فى الأرض المقدسة لم يتم العثور على أى دليل لهذا الهروب" (صفحة 266) .. واللهم لا تعليق !

5 – الإختلاف حول إنجيل يسوع :

يقول القديس بولس، الذى افرَدت له مؤسسة الفاتيكان عاماً بأسره ، من 2008/6/28 الى 2009/6/29 للإحتفال به، نظراً لأهميته اللاهوتية وفى الدعوة وسط الأمم ، يقول هذا الرسول القديس إلى أهل رومية : " ... حتى انى من أورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح" (15 : 19) ، وفى نفس الرسالة فى الآية 29 يقول " ... وأنا أعلم انى اذا جنّت اليكم سأجى فى ملء بركة إنجيل المسيح" ، وفى الرسالة الثانية الى أهل كورنثوس يقول : " ... إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة

الله" (4 : 4)، وفي نفس الرسالة يقول : " فإنه إن كان الآتى يكرز بيسوع آخر لم نكرز به أو كنتم تأخذون روحا آخر لم تأخذوه أو إنجيلا آخر لم تقبلوه فحسنا كنتم تحتلمون" (11: 4) ، وإلى أهل غلاطية يقول : " إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون ان يحولوا إنجيل المسيح " (1: 3-6) ..

وما نخرج به من هذه الآيات الصادرة عن أهم الحواريين فى نظر الكنيسة، وبوضوح لا لبس فيه، ان السيد المسيح كان له إنجيلا يكرز به ، وهو ما لا أثر له فى التراث الكنسى الحالى ب كله وإن كان يتفق تماما مع ما يثبته القرآن الكريم من أن الله عز وجل قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بن مريم ..

ومن ناحية أخرى، من المفترض ان رسائل بولس هذه صيغت سنة 54 ميلادية كما يقول المختصون الكنسيون .. وهنا يمكن الجهر بكل ثقة للمؤسسة الكنسية بكامل هيئاتها وبناءً على أقوال بولس الرسول : ان السيد المسيح كان له إنجيلا يبشر به فأين هو؟! فرسائل بولس وأعمال الرسل هى أول نصوص كتبت فى المسيحية وتؤرخونها بعام 54، وكل ما يقال فى الوثائق الكنسية ان صياغة الأناجيل تمت من سنة 70 الى 95 .

فإذا اضفنا أعمار الحواريين الى هذه التواريخ لأدركنا انهم كانوا فى حوالى المائة سنة سنأ أو أكثر، وهو ما لا يتماشى مع نسبة متوسط الأعمار من الفين سنة مضت – بغض الطرف عن مخالفة هذه المعلومة للواقع ، إذ ان صياغة الأناجيل إمتدت حتى أواخر القرن الرابع بإعتراف القديس جيروم نفسه، فهو الذى كوّن هذه الأناجيل الأربعة وعدّل وبدّل فيها كما قال فى المقدمة التى تنصدر ترجمته.. فكيف يتحدث بولس ويحذّر الأتباع من الإلتفات إلى أى إنجيل آخر سوى إنجيل يسوع الذى كان يبشر به؟! .

وأغض الطرف هنا أيضا عن أن هذا القول من بولس يتضمن إتهاما لباقي الحواريين، إتهام بالكذب وتحريف الرسالة، فلم يكن آنذاك اى فرد آخر يقوم بالتبشير سوى الحواريين الذين يتهمهم بولس صراحة بأنهم كذبة ..

فهل يحتاج الأمر بعد ذلك إلى مزيد من الأدلة على التناقضات فى الأناجيل ؟ ولا يسعنى إلا أن أضيف بكل هدوء إلى إخواننا المسيحيين بكل فرقهم : إقرأوا أناجيلكم بدلا من الإنسياق فى التعاون مع الذين فرضوا عليكم المساهمة فى عملية تنصير العالم ، فوثيقة "إلى العلمانيين" المخجلة ، الصادرة عن مجمع الفاتيكان الثانى، التى يفرض فيها لأول مرة فى التاريخ على كافة المسيحيين ، الكنسيين منهم والمدنيين، العمل على إقتلاع الإسلام والمسلمين لتنصير العالم، موجودة ومنشورة ضمن قرارات ذلك المجمع.

وفي ختام عرضها لهذه النماذج عطفت الأستاذة القديرة على المسيحيين بهذا النداء الساخر: " إقرأوا أناجيلكم بإمعان ، وافهموا ما بها ، فما من عاقلٍ أمينٍ مع نفسه يمكنه قبول مثل هذه المتناقضات أو الإيمان بها لسبب بسيط هو : هل يمكن لمثل هذا الخلط والتناقض أن يكون منزلاً من عند الله؟! ¹..

وجدير بالتنويه في ختام هذا المطلب بدراسة قيمة برسم نيل الدكتوراه بعنوان : (جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر « عرض ونقد») رسالة دكتوراة مقدمة لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر - فرع المنصورة / 1424 هـ - 2004 م) المؤلف: رمضان مصطفى الدسوقي حسنين (المتوفى: 1433هـ) إشراف: أ. د/ عمارة نجيب محمّد موسى مناقشة كل من: أ. د/ فرج إبراهيم محمد الوصيف، وأ. د/ حسن عبد الحميد حسن الناشر: رسالة دكتوراة محفوظة بمكتبة كلية أصول الدين -جامعة الأزهر - فرع المنصورة.

المطلب الخامس: فرضيات المطلب الرابع بأبعاد جديدة:

فإذ تبين بما قدمناه أن الدينين اليهودي والمسيحي في مختلف نسخ العهد القديم والجديد ينطويان على تناقض فاضح فما بالك بما تعج به تفاسيرهما من ملحقات سخيفة يمجها العقل والوجدان. فضلا عن تشريعات يضيفها المجمع الكنسي كل سنة في اجتماعه السنوي منذ قرون في تجمعات إكس لاشايل منذ القرن السابع عشر في محاولات لإيجاد تشريعات قانونية تفصيلية تنظم حياتهم.

وكان من حسن طالع مسيحيي الغرب أن أمدهم الفقه الإسلامي بتشريعات في مختلف الميادين العملية كما في التشريع المدني الفرنسي والإنجليزي والإسباني والبرتغالي والفضل في ذلك يرجع إلى ترجمة نابوليون 1805 لشرح الدردير على مختصر خليل أثناء حملته على مصر وعن فرنسا نقلته أغلب البلاد الأوروبية ناهيك عن استفادة البرتغال وإسبانيا قبلهم لتشريعاتهم من محاكم الأندلس إلخ وهو أمر مستفيض تجده في كتب المقارنات التشريعية كما عند بدران أبو العينين بدران وعبد المتعال الصعيدي وغيرهما.

لكن السؤال الخطير في كل هذا هو:

- كيف نوفق بين تبليغ هذه الحقائق إلى الناس البسطاء في كوت ديفوار وبين دعوتهم إلى الإيمان بكل الكتب السماوية؟
- ما هي الوسائل المنهجية التي ينبغي اعتمادها في التمييز بين الأمرين؟
- كيف السبيل إلى إقناعهم بأن اختلافات المسلمين في مختلف العلوم التي أنتجوها كلها تخدم الإسلام؟ ما هو الشاذ الذي ينبغي طرحه وما هو الصالح الذي ينبغي الإبقاء عليه؟

¹ - مقال لزينب عبد العزيز بعنوان "المتناقضات في الأناجيل مجلة صيد الفوائد تاريخ 13 - 11 - 2008

المبحث الثاني: إشكالية وجوب الإيمان بكل الكتب السماوية ويكون الإسلام ناسخاً لها

وجه الإشكال هنا:

- كيف ن فك الارتباط بين الأمر الإلهي لنا بالإيمان بكل الرسل وبكل الرسالات السماوية وبين المضامين التي صارت عليها هذه الرسالات اليوم مما هو مخالف للحقائق الفطرية والوجودية والقيم الكونية؟

- بأي معنى نقنع الإنسان البسيط في كوت ديفوار بوجوب الإيمان بكل الرسالات السماوية، وبأن الدين عند الله هو الإسلام؟

قبل الجواب على ذلك لابد من التوظئة له بعرض المعطيات النصية التي عليها مدار الإشكال.

المطلب الأول: المعطيات الدينية التي عليها مدار الإشكال

ننتخب من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى أَفَنُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ؟ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؟ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيَّ ؟ أَشَدَّ الْعَذَابِ ؟ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ { البقرة (85)}

وَأَمْ لَمْ يُنزلِ الْكِتَابَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُبِينَةِ ؟ وَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرَسُولِهِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ؟ سورة البقرة الآية: 285.

- وقوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70)) سورة آل عمران، ونحو ذلك...

- وقوله تعالى: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَقُلْ مَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ؟ سورة الشورى الآية: 15.

- وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا؟ سورة النساء الآية: 136.

المطلب الثاني: دراسة إجرائية وأجوبة العينات عن سؤال الإيمان بكل الكتب المقدسة وعلى أي نحو؟

وفي سبيل كشف الغطاء عن واقع إيمان الناس بهذه الرسائل السماوية وعلى النحو الذي يتصورونها عليه وجهنا مجموعة من الأسئلة إلى عينات مختلفة من المجتمع المغربي، فكانت النتيجة على النحو الذي يلخصه هذا الجدول.

نوعية الدراسة	عنوان الدراسة	الإشكالية المطروحة على الأفراد	النسبة % (الإيجابية)	النسبة % (السلبية)
إحصائية Statistic (Sondage/f r)	الإيمان واللاإيمان بالكتب المقدسة	هل تؤمن بالكتب كلها، أم ببعضها، وبالتالي ما هو؟	المؤمنون بالكل 18.52%	اللا مؤمن بالكل 81.48%
			أجابوا؟- (نعم)	أجابوا؟- (لا)
المساهمون / المرجع		1. الأفراد الشارع 2. مؤسسة جامع القرويين 3. كنيسة سان فرانسوا-فاس 4. كلية الحقوق والعلوم الاجتماعية والاقتصاد (جامعة سيدي محمد بن عبد الله) بفاس 5. طلبة الباحثين في الدراسات الإسلامية بالدكتوراه في كلية الآداب والعلوم الإنسانية-سايس-فاس.		

المطلب الثالث: تقويم أجوبة الدراسة:

بناء على هذه الأرقام الناطقة عن نفسها في الموضوع يتضح أن هناك بونا شاسعا بين ما هي عليه الكتب السماوية في أنفسها اليوم وبين ما يعتقد المعتمد . ومع ذلك فقد اكتشفنا أن المسلمين كانوا هم أغلب من صوتوا بنعم لصالح الإيمان بكل الكتب المقدسة. بخلاف النصارى الذين صوت كل منهم لكتابه فقط. مع قلة من اليهود ليس لها أثر كبير في الدراسة لفتهم.

وهذا ما جعلنا نتساءل مع بسطاء الأيمان؟ أليست كتبهم أخبرتهم عن نبينا الكريم وعن ديننا الرحيم، مثلما أن القرآن أخبرنا عن رسالاتهم كما في قوله تعالى: (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد...) ¹

¹ - و " أحمد " اسم نبينا صلى الله عليه وسلم . وهو اسم علم منقول من صفة لا من فعل ; فتلك الصفة أفعال التي يراد بها التفضيل . فمعنى " أحمد " أي أحمد الحامدين لربه . والأنبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله ، ونبينا أحمد أكثرهم حمدا . وأما محمد فمنقول من صفة أيضا ، وهي في معنى محمود ; ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار . فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة . كما أن المكرم من الكرم مرة بعد مرة . وكذلك الممدوح ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ، والله سبحانه سماه قبل أن يسمى به نفسه . فهذا علم من أعلام نبوته ، إذ كان اسمه صادقا عليه ; فهو محمود في الدنيا لما هدي إليه ونفع به من العلم والحكمة . وهو محمود في الآخرة بالشفاعة .
فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ . ثم إنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد ، حمد ربه فنباؤه وشرفه ; فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال : اسمه أحمد . وذكره موسى عليه السلام حين

وإن الجواب عن هذا السؤال يتطلب منا جهداً جهيداً لحصر شبه اليهود والنصارى التي أنكرت ورود نبوة سيدنا محمد في التوراة ومن ثم حصر المواطن التي وردت فيها البشارات بنبوة سيد المرسلين. وأخيراً العكوف على كتب التفسير التي يعتد بها في تفسير الآيات الواردة في الموضوع¹.

وإن موضوعاً كهذا لجدير بأن يكون محل مناظرات ومؤتمرات يجب تكثيف عقدها في العالم لمناقشة النصارى واليهود فيها².

قال له ربه : تلك أمة أحمد ، فقال : اللهم اجعلني من أمة أحمد . فأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد ، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له . فلما وجد وبعث كان محمداً بالفعل . وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه ، فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته . وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اسمي في التوراة أحييد ؛ لأنني أحييد أمتي عن النار ، واسمي في الزبور الماحي ، مح الله بي عبدة الأوثان ، واسمي في الإنجيل أحمد واسمي في القرآن محمد لأنني محمود في أهل السماء والأرض " .

وفي الصحيح : " لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي تحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب " . وقد تقدم . فلما جاءهم بالبينات قيل عيسى . وقيل : محمد صلى الله عليه وسلم/ تفسير القرطبي للآية 6 من سورة الصف

¹ - ثالثاً: قال ابن القيم رحمه الله: " قال في التوراة في السفر الخامس: -: " أقبل الله من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران، ومعه ربوات الإظهار عن يمينه " وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة: نبوة موسى، ونبوة عيسى، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فمجيبه من " سيناء " وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، ونبأه عليه إخبار عن نبوته، وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس، و " ساعير " قرية معروفة هناك إلى اليوم، وهذه بشارة بنبوة المسيح.

"وفاران": هي مكة، وشبه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه ونبوة خاتم الأنبياء باستعلاء الشمس، وظهور ضوؤها في الأفاق، ووقع الأمر كما أخبر به سواء. فإن الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم، وذكر هذه النبوات الثلاثة التي اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة (النتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين " ا. هـ) انظر هداية الحيارى ص 110، وما ذكره ابن القيم هو في العهد القديم سفر التثنية الإصحاح 33 فقرة [1].

رابعاً: ذكر الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتابه: (البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية السابقة) أن إنجيل برنابا في الباب 22 جاء فيه: " وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله "، وجاء في سفر أشعيا: إني جعلت اسمك محمداً يا محمد، يا قدوس الرب: اسمك موجود من الأبد، وجاء في سفر أشعيا: " وما أعطيته لا أعطيه لغيره، أحمد يحمد الله حمداً حديثاً يأتي من أفضل الأرض، فتفرح به البرية، ويوحدون على كل شرف، ويعظمونه على كل رابية " انتهى.

وقد ذكر العلماء العديد من المواضع التي ذكر فيها اسم النبي صلى الله عليه وسلم، مرة بذكر اسمه الصريح، ومرة بذكر وصف لا ينطبق إلا عليه صلى الله عليه وسلم. ويمكنك مراجعة العديد من النصوص في الوصلة التالية:

<http://arabic.islamicweb.com/christianity>

واعلم أنه قد طرأ تغيير على الكتب الموجودة الآن من التوراة والإنجيل وحدث تغيير فيها، وقد ذكر المؤرخون من غير المسلمين هذا الأمر، لكن مع ذلك كله لازلنا نجد في التوراة والإنجيل التبشير بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الشيخ رحمة الله الهندي أن النصارى كلما استطاعوا تحريف موضع حرفوه، ولذلك تجد بعض العلماء القدامى يذكرون مواضع في التوراة والإنجيل ليست موجودة الآن، لكن هناك مواضع أخرى لا زالت تبشر بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وقدمه.

واعلم أنه لا بد من تسلح الإنسان بالعلم الصحيح الوافي عند مناقشة النصارى، وهم وإن لم يكن لديهم حجج، إلا إنه يسعون لبيت الشبه في نفوس الناس، ليستسلموا لها، وليغيب الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

ومن الكتب المفيدة في هذا السياق كتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، وكتاب هداية الحيارى لابن القيم، ومن قبله الجواب الصحيح لابن تيمي

² - ومما ورد في الكتاب السابقة ما يلي:

المبحث الثالث: تحفيظ القرآن تحفيظ لأصول العلم / بين اليسر والعسر دراسة ميدانية

• المطلب الأول: المعطيات الدينية التي عليها مدار الدراسة:

ننتخب من ذلك :

- قوله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر) القمر: 17

- ما رواه سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي عن الوليد بن مسلم: حدثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال بأبي أنت وأمي تفلت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه فقال رسول الله ﷺ: "يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت ويثبت ما تعلمت في صدرك قال أجل يا رسول الله فعلمني ...".¹ وقال الترمذي: "حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم".

فها نحن بين نصين:

- نص قرآني يؤكد على أن الله تعالى صاغ قرآنه في أرقى ما تكون البلاغة بما يجعله ميسراً في القراءة والحفظ معاً. وإلا فعلى ماذا يدل السؤتال الإنكاري الذي عقب به تعالى هذا الإخبار وهو قوله: فهل من مذكر؟

- وفي المقابل نصطدم على فرض صحة الحديث بهذه الشكوى التيرفعها علي بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من آمن بالدعوة من الصبيان. كيف الجمع بينهما؟

أولاً: جاء في التوراة في سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر الفقرات 18 و19: "يا موسى أني سأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوانهم مثلك أجعل كلامي فيه ويقول لهم ما أمره به والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه"، وهذا النص موجود عندهم الآن، فقوله: "من إخوانهم"، لو كان منهم من بني إسرائيل لقال سأقيم لهم نبياً منهم قال من إخوانهم أي أبناء إسماعيل.

ثانياً: جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح السادس عشر الفقرات 16-17: "إن خيراً لكم أن أنطلق لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط فإذا أرسلته إليكم فإذا جاء فهو يوبخ العالم على الخطيئة، وإن لي كلاماً كثيراً أريد قوله ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي"، وهذا لا ينطبق إلا على النبي صلى الله عليه وسلم.

¹ - أخرجه الترمذي (2/ 275)، والحاكم (1/ 316-317)، والأصبهاني في "الترغيب" (2/ 127)، وابن عساكر في "جزء أخبار حفظ القرآن" (ق 84 / 2-86 / 1)، والضياء في "المختارة" (65 / 64-1 / 2) من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي عن الوليد بن مسلم: حدثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه قال: ...

انطلاقاً من هذين المعنيين: معنى اليسر ومعنى العسر والصعوبة أجرينا دراسة على عينات من الناس في سبيل النظر علل أجوبتهم باليسر واليسر معا وصولاً إلى الكشف عن الأسباب التي تجعله سهل الحفظ عند البعض والأسباب التي تجعله صعب الحفظ عند البعض الآخر. وكانت نتيجة الدراسة وفقاً لهذا الجدول:

نوعية الدراسة	عنوان الدراسة	الإشكالية المطروحة على الأفراد	النسبة % (الإيجابية)	النسبة % (المتحفظة)	النسبة % (السلبية)
إحصائية Statistic	صعوبة حفظ القرآن وعدمه	هل تجد حفظ القرآن صعباً أم سهلاً؟	سهل 55%	على حسب 10%	صعب 45%
			أجابوا؟- (نعم)	لم يبدووا عن موقف	لأنه كلام الله
					لشخصية الحافظ
					33%
					12%
المساهمون / المرجع		1- الأفراد المسلمة (عن حفظ كتابهم) 2- مؤسسة جامع القرويين (الحافظ للمتون وللنصوص أصلاً) 3- وخريجي جامع القرويين			

المطلب الثاني: تقويم الأجوبة عدداً وتعليلاً

بناءً على طبيعة التعليقات التي أفادنا بها المستجوبون في هذا الدراسة وعند مقارنتها بطبيعة التدين في المجتمع المغربي والإيفواري بحيث يتفاوت الناس في امتثالهم للدين وللعبادات المفروضة يتحصل لنا أن الذين أجابوا بأن القرآن سهل في الحفظ بنوا هذا الجواب على ما هم عليه من حسن الفهم له وبأنه قابل لاحتضان العلوم وأن أحكامه وقصصه مدلول عليها علمياً. وذلك سر أقبالهم على حفظه وتيسر حفظه لهم. تماماً كما كان الحال مع الصحابة في انفعالهم بحقائقه. وطبيعي أن يجوده سهلاً في الحفظ. فلا عجب مع هذا أن تجد حفاظه كثيراً في البلاد التي تحترم العلم والراسخة في الإسلام من قبيل السينيغال وموريتانيا المغرب ومالي.

وهو ما نرجو أن يتحقق في بقية البلاد الإفريقية. وقد تأكد لنا من الدراسة أن تعليل السهولة والصعوبة له صلة وطيدة بأهلية الناس الروحية لتقبل الإسلام كدين له دستور ناظم هو القرآن الكريم.

لكن في مقابل ذلك تبين لنا على هامش هذه الدراسة أن كثيرين من حفاظ القرآن لم يحفظوه بدافع هذا الحس وإنما بدافع التقليد العائلي. ومن جهة أخرى فاجأنا ما وجدناه

بين طلبة القرويين من أن كثيرين منهم لا يحفظون القرآن مع أننا لا نشك في حرصهم على دينهم.

وهو ما يدعو إلى السؤال عن استعادة أمجاد الدراسة الإسلامية العتيقة بالموازاة مع إجبارية تحفيظ القرآن الكريم لمن اختاروا ذلك المسار.

وجدير بالإشارة إليه أيضا أن من استجوبناهم ممن قالوا بأن القرآن صعب الحفظ كانوا يشيرون من حيث لا يشعرون إلى صدورهم. وفي ذلك ما فيه من أن المشكلة عند هؤلاء ليست في القرآن وإنما في الأشخاص وحمولتهم النفسية ودرجات استعدادهم لتقبل شرع الله وكلام الله. وهكذا نسبوا صعوبة حفظ القرآن إلى طبيعة شخصية الإنسان.

المبحث الرابع: علمية ومصدرية الحديث النبوي وإشكالية التوثيق والعمل به وترك العمل به

والغرض من هذا المبحث هو محاولة فك الارتباط بين معادلتني: كون الحديث النبوي المصدر الثاني للتشريع وكون كثير من الحديث محل خلاف قبولاً ورداً تصحيحاً وإبطالاً. وهو أمر كان عسيراً في زمن كان الناس فيه قريبي العهد بالعربية فما بالك اليوم بهؤلاء النوابت الذين يعمدون إلى النخل في أحاديث ضعفتها أئمة المذاهب قديماً ولم يعملوا بها، فإذا بهم اليوم يحاولون تصحيحها وجبرها بمختلف الطرق حتى يسلم لهم بناء ما يدعون إليه عليها من مذاهب شاذة وفكر متطرف. وهذا ما سنحاول معالجته عبر هذه المطالب.

المطلب الأول: الحديث لغة واصطلاحاً:

الحديث لغة ضد القديم وفي اصطلاح الشرع: يعني كل ما أضيف إلى النبي ؟ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية. والمرجع في تعريفها إلى الأصوليين العارفين بعلوم الحديث ومحامل العبارات ربطاً بأصولها في القرآن. إزاء أما الكلام عن أقسامه وأنواعه فهو حديث يطول ليس هذا موضوعه. والمرجع فيه إلى كتب مصطلح الحديث.

المطلب الثاني: بأي وجه يصح القول بأن الحديث النبوي حافل بالعلوم المختلفة خلافاً لتفاسير الإنجيل والتوراة؟..

قد يبدو هذا السؤال بسيطاً عند قراءته لأول وهلة بمعزل عن المقاصد التي أملت طرحه هنا. وفك هذا اللغز هو بيان الكنوز المعرفية التي انطوى عليها الحديث النبوي الشريف والتي انسحبت على كل ما يهم الإنسان في حياته. وتلك خصيصة الحديث على فرض صحته سنداً ومتناً وفقاً لشروط النقل.

والذي يفحص الكتب التي عنيت بشرح الصحيحين في الغرب الإسلامي من قبيل شرح ابن بطل والقسطلاني على البخاري وشرح المازري وعباض والقرطبي على مسلم وغيرها، سيقف على فقه مختلف عن الفقه التقليدي. ذلك أن هؤلاء المحققون أجهدوا أنفسهم في تتبع صيغ الأحاديث بما تضمنته من تكرار وإشارات وما انطوت عليه من البلاغة النازمة للمعنى بما يخدم مقصد تربية الإنسان وتأهيله لرسالة الاستخلاف والعمران.

وانطلاقاً من هذه الخصيصة البلاغية التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم توأماً للمعاني القصديّة الحاملة للأحكام والمتأرجحة بين قطبي الترغيب والترهيب، طفق علماءنا في الغرب الإسلامي يختزلون شروط الصحة والبطان وذلك بالانكفاء على فحص البنية اللغوية والبلاغية للحديث، عرضاً على مقاييس البلاغة من جهة وعرضاً على القواعد الشرعية الكلية من جهة أخرى، وهم في ذلك يستحضرون الخصائص التي تميز كلام النبي عن كلام الإنسان العادي.

ولا غرابة في أن المالكية بهذا المقياس تركوا كثيراً من الأحاديث ولو جاءت على شرط الصحيح إذا خالف مصلحة طارئة تشهد لها القواعد الكلية بإعمالها.

- المسلك الأول: بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من أسس لترك الحديث إذا خالف مصلحة إلى حديث أو قاعدة شرعية يوافقها

ففي معرض الجواب عن سؤال وجهه أحد طلبة العلم إلى الدكتور سعد بن عبد الله الحميد أجاب جواباً مفصلاً تلتته مناقشة حافلة في الموضوع يقتضي المقام اختزال ما يخدم هذا المبحث منه.

وقد استشهد هذا الباحث بقول ابن أبي ليلى: "لا يتفقه الرجل في الحديث حتى يأخذ منه ويدع منه". واستطرد: وهذا المنهج في التعامل مع حديث رسول الله من قبل أكثر الفقهاء، مخالف لما هو معهود عند المحدثين، فهم يعتبرون أن: كل قول، أو فعل، أو تقرير، أو سنة خلقية، أو خلقية، أو سيرة، قبل البعثة وبعدها هو تشريع.

ولا شك أن هذا الاختلاف في التعامل مع حديث النبي له أثره الكبير في الحكم على المسائل الفقهية.

ثم أورد ذلك باقتباسات من تحقيقات الطاهر بن عاشور خلاصتها أن (منهج الفقهاء في هذه المسألة يركز على قاعدة كبرى، وهي: "فهم معاني ودلالات النص". والتي سماها الشيخ الطاهر بن عاشور -رحمه الله- بـ: "حافات السياق". والسياق هو: الموضوع الذي سبق الكلام لأجله، ودار البحث فيه. ويجب أن يُراعى فيه: السبق (ما يسبق الجملة المراد فهمها)، واللحوق (ما يؤول إليه السياق).

فنظرة الفقهاء للحديث نظرة أوسع، تتعدى حرفية النص إلى ما يسمى بإبعاد النص. فتأمل... وفهم أقوال النبي وتصرفاته وأخذ الأحكام منها يستلزم فهم السياق الذي تكلم به.

صحيح أن النبي يتصرف بصفته مُبَلِّغٍ وَحِيٍّ وتشريع. إلا أنه قد يتصرف بتصرفات نظراً للمكانة التي يحتلها، كأن يكون إماماً، أو قاضياً، أو مفتياً.

وهذا التمييز في غاية الأهمية لأن الاستدلال بنصوص السنة يُوجب استيعاباً تاماً للمقام الذي ورد فيه النص. نتمثل لتأكيد هذا المقصد بعدة تطبيقات من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. نورد من ذلك:

- نماذج من تصرفاته صلى الله عليه وسلم بموجب النبوة:

1. ففي قوله: "من أحيا أرضاً ميتة فهي له". قال أبو حنيفة رحمه الله: هذا منه عليه السلام تُصَرَّفُ بالإمامة فلا يجوز لأحد أن يحيي أرضاً إلا بإذن الإمام لأن فيه تمليكاً فأشبهه الإقطاعات، والإقطاع يتوقف على إذن الإمام.

2. وفي قوله لهند لما أتته تشكو إليه أبا سفيان، وأنه رجل شحيح لا يعطيها وولدها ما يكفيها: "خذي لك ولولدك ما يكفيك بالمعروف". قال بعض أهل العلم، هذا تُصَرَّفُ من النبي قضاءً، فقد أتته تشكي، فحكم لها، فلا يجري هذا الحكم على كل من ظفر بشيء من حقه لدى غيره ممن له حق عليه.

3. وتأمل أيضاً في قوله في الحرب: "من قتل قتيلاً فله سلبه". فقال مالك رحمه الله: هذا تصرف منه بالإمامة، فقد كان قائد جيش، فلا يجوز لأحد أن يختص بسلب إلا بإذن الإمام.

4. وانظر أيضاً لقوله، للذي واقع زوجته نهار رمضان: "هل تستطيع أن تعتق رقبة؟"، قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟، قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟، قال: لا، قال: اجلس، فجلس فأتي النبي بعرق فيه تمر، والعرق المكنث الضخم، قال: تصدق به، فقال: ما بين لابتيها أحد أفقر منا، قال: فضحك النبي حتى بدت أنيابه، قال: فخذ فاطمه أهلك¹.

وقد خلص من هذا المثال الأخير إلى أن هذا تدرج من النبي في إعطاء الحكم، وانظر إلى النتيجة، فقد أسقط الحكم. ولا يقول عاقل أن النبي نسخ كفارة الجماع.

ثم يرد السؤال عن العلة وجوابه: أنه في هذه الحالة تصرّف كمفتي. والإفتاء يتطلب زيادة على الفقه المجرد، فقه بالحال (فقه الواقع).

تقويم:

فيئأس على هذا وأمثاله أن من أراد أن يرسخ في الفقه أن يُدرك جيداً السياق الذي لأجله قام الكلام، ولا يرضى لنفسه بالإجابات السهلة، أو أن يفعل كما يفعل بعض من

¹ - أخرجه البخاري (1936)، ومسلم (1111)

يهتم بتحقيق الكتب: إذا وجد قولاً لم يفهم مخرجه، كتب في الحاشية ينصح المالكية أو الحنفية باتباع الدليل، ويذكر بعض العبارات التي -والله- ما فهم معناها، كأن يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي!!!، وكلّ يؤخذ من قوله ويُرد، وغيرها من العبارات التي توضع -غالباً- في غير مكانها.

- المسلك الثاني: بيان وجه المصلحة في ترك الفقهاء لنماذج من تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم

أما فيما يخص كلامه وهو مبلغ للشرع، ففيه أيضاً ما لا يصلح للعمل.

1. فقد لا يعمل بالحديث لأنّ فيه عموماً، مخصوصاً بدليل آخر.
- ومثاله: ترك الحديث الذي نهى عن المعازف في حالة الأعراس والأعياد، لأنّ حديثاً آخر خصص ذلك، وهو حديث: "فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف في النكاح". / رواه أحمد والترمذي وحسنه.
2. أو قد يُترك العمل بالحديث لأنّ فيه إطلاقاً قيّد بحديث آخر. ومثاله: ترك العمل بحديث: "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين" في أوقات النهي، لأنّه قيّد بنص آخر جاء فيه.
3. أو قد يُترك العمل بالحديث لورود النسخ. كترك العمل بالحديث الذي ورد فيه نهى النساء عن زيارة القبور، لورود حديث: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها...".
4. أو قد يُترك العمل بالحديث لقيام معارض أقوى منه. ومثاله: ترك الإمام مالك رحمه الله القول بنجاسة الكلب. لقيام التقابل بينه وبين قوله تعالى: (فكلوا مما أمسكن عليكم). قال مالك: "يؤكل صيده فكيف يُكره لعبه؟".
5. أو قد يُترك العمل بالحديث الذي فيه نفي، لقيام الإثبات. كترك العمل بحديث طارق الأشجعي الذي قال فيه بأن تخصيص القنوت في الفجر محدث وبدعة، لوجود حديث أنس بن مالك الذي قال فيه: "أنّ النبي قنّت شهراً يدعو عليهم ثم ترك، فأما في الصباح فلم يزل يقنّت حتى فارق الدنيا". فخادم رسول الله الذي لا يُفارقه إلا قليلاً يثبت القنوت، والأشجعي ينفي القنوت، والمثبت مقدم على النافي.
6. أو قد يُترك العمل بالحديث لأنّه ورد على سبب معين. كوضع الأصبعين في الأذنين أثناء الأذان. فالغرض منه هو رفع الصوت ليعلم البعيد، فقد قال في الحديث: "اجعل

إصبعيك في أذنيك فإنه أرفع لصوتك". // لكن اليوم وباستخدام الوسائل الحديثة ارتفع السبب الذي لأجله أمر النبي .

- ومثله : الاستدارة في الأذان. فقد جاء في صحيح ابن خزيمة: " رأيت بلالاً يؤذن ويدور..". وجاء في المدونة لابن القاسم: "أنكر مالك الاستدارة للمؤذن إنكاراً شديداً". ثم قال ابن القاسم: "وبلغني أنه قال: إن كان يريد أن يُسمع فلا بأس به". فانظر إلى فقهه رحمه الله، كيف فهم سبب الاستدارة.

7 - أو قد يُترك العمل بالحديث لقابليته لحديث آخر مُعَضَّد. كالحال في التكبيرات الأربعة في صفة الأذان. فقد ورد في حديث بن عمر رضي أن الأذان بأربع تكبيرات، لكن في المقابل ورد حديث آخر بتكبيرتين فقط. فحديث التكبيرتين مُقَدَّم على غيره، لأنه وجد ما يُقَوِّيه ويعضده، فقد عضده العمل، فهذا مسجد رسول الله في المدينة ضلَّ في القرون الثلاث المفضلة يُدَوِّي بتكبيرتين فقط دون إنكار.

هذا وإن الحديث قد يسقط الاحتجاج به لأسباب أخرى، علمها من علمها، وجهلها من جهلها¹.

المسلك الثالث: بيان وجه المصلحة في بلاغة نظم الحديث النبوي

ننتخب من ذلك ما يلي:

الأولى: الغنى في الأفكار، والعمق في المعاني، وسبر أغوار النفس الإنسانية ، حتى إنه يمكن القول: إن حديث رسول الله ؟ لم يترك معنى من معاني الحياة، والعقيدة، والتشريع، والخلق إلا قرَّرها، وفصل فيها القول، ولنضرب مثلاً واحداً من آلاف الأمثلة من الأحاديث: عن عائشة أن أم سلمة رضي الله عنهما ذكَّرت لِرَسُولِ اللَّهِ ؟ كَنِيْسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَّةُ، فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّورِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ؟: (أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ) رواه البخاري.

الثانية: السَّمَوِّ، والشَّمُولِ، والارتقاء بالمستوى الإنساني ، ومن أمثلة ذلك من الحديث الشريف قوله عليه الصلوة والسلام: (لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان، وإن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب) متفق عليه.

¹ - مقال جوابي مفصل للدكتور سعد بن عبد الله الحميد بتصرف - موقع المجلس العلمي شبكة الألوكة 6 يوليو 2002 7 ذو الحجة 1443هـ

الثالثة: الإحكام في عرض الأحكام الدينية، وعدم التناقض في سياق الأفكار، والدقة البالغة في إبلاغ المعنى، والسلامة من التنافر، والاختلاف ، ومن ذلك حديث: (الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، و لكتابه، و لرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم) رواه مسلم.

الرابعة: قوة التراكيب اللغوية، وفصاحة الكلمات، ووضوح الدلالة ، وهذه سمات الكلام الفصيح، والبيان البليغ، أن يكون متين التراكيب واضح الدلالة، ولا يمنع ذلك ما ورد من كلام عن غريب الحديث، وما ألف فيه من كُتب؛ فإنَّ النبيَّ ؟ كان أفصح العرب، وكان يُحدِّث الوفود، والقبائل بلهجاتهم.

ومن أمثلة ذلك حديث: (إنَّ الحلال بيِّن وإنَّ الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهنَّ كثير من النَّاس، فمن اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالرَّاعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإنَّ لكلِّ ملك حمى، ألا وإنَّ حمى الله محارمه، ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) متفق عليه.

الخامسة: البُعد عن التَّكلف، والوصول إلى المعنى بسهولة ويسر ، وقد كان النبيُّ صلوات الله وسلامه عليه ينهى عن التَّشدد، والتَّكلف، والتَّفيهق، والتَّنطع، والتَّثرثرة، ومشابهة الكهَّان في أسجاعهم، وفي الحديث الصَّحيح: (إنَّ من أحبكم إليَّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإنَّ أبغضكم إليَّ، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثُّرثارون، والمتشدِّقون، والمتفيهقون)، قالوا: يا رسول الله! قد علمنا "الثُّرثارون والمتشدِّقون"، فما المتفيهقون؟ قال: (المُتكبِّرون) رواه الترمذي.

السادسة: غنى الحديث النبوي الشريف بألوان التصوير، والبيان، والمجاز اللطيف المحرَّك للنفس، والمصوِّر للمعنى، وبديع القول ، ومن ذلك: قوله : (مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا) متفق عليه، وأيضا حديث: (مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ، وَلَا بَقْرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي زَكَّاتَهَا، إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ، حَتَّى تَنْطَحَهُ بِفُرُونِهَا، وَتَطَّاهُ بِأَخْفَافِهَا، كُلَّمَا نَفِدَتْ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ أَوْ النَّاسِ) رواه مسلم، وأيضا حديث: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَنْرَجَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ

الرَّيْحَانَةُ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُتَأَنِّفِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ) متفق عليه.

السابعة: كثرة الإشارات، وحركات اليد، وعبارات التنبيه، وتكرار القول، واستخدام أساليب التوكيد... كل ذلك لإيضاح المعنى، وتوكيده، وتقريره، والحرص على إبلاغه للناس كافة، فقد كان النبي ﷺ؟ لا يدع مجلساً يتحدث فيه إلى قوم حتى يطمئن إلى أن رسالته قد بلغت، وأن حكم الله قد فهم، ولهذا كثرت تلك الإشارات، والوسائل التي يوضح فيها القول، وقد توصل علماء اللغة المعاصرون إلى إدراك أثر هذه الوسائل في إبلاغ المعنى، فتحدثوا عما سموه علم اللغة الحركي "السيمياء"، ووضعوا له النظريات العديدة.

الثامنة: التفصيل في القول، والتمهل في الحديث، والإبانة في النطق، والدقة في الأداء، دل على ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "كان كلام رسول الله ﷺ؟ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه" رواه أبو داود.

ومن أجود ما وُصِفَ به حديثُ رسول الله عليه الصلاة والسلام ولغته، قول الجاحظ في (البيان والتبيين):

"وأنا ذاكرٌ بعد هذا فناً آخر من كلامه - ؟ -، وهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصنعة، ونَزَّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: {وما أنا من المتكلمين}، فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشيَّد بالتأييد، ويسَّر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخطب الطوال بالكلم القصار ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبنيء ولا يعجل، ولا ينهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً،

ولا أكرمَ مطلبًا، ولا أحسنَ موقعًا، ولا أسهلَ مخرجًا، ولا أفصحَ معنًى، ولا أبينَ في
فحوى، من كلامه ؟ كثيرًا¹.

تقويم:

فبتحصل لك من هذه المطالب والمسالك أن الحديث النبوي على الرغم مما يلاحظه
بسيط الاطلاع من الاختلاف حوله أخذًا وردًا وعملا به في حال دون حال... إلخ، فإنه
عبارة عن علوم شتى في الحياة البشرية: علوم ضربت على أوتار النفس البشرية فذلك
علم النفس، وعلى أوتار العلاقات الاجتماعية فذلك علم الاجتماع، وعلى أوتار الجمال
في الإنسان وفي الطبيعة فذلك علم الجمال، وعلى أوتار تاريخ الأمم والديانات فذلك علم
التاريخ، وعلى أوتار المرونة والتقصي والتأني في إصدار الأحكام المتسرة غير
المستوثقة فذلك علم القضاء وعلى أوتار العناية بالصحة العامة للناس في المأكل
والمشرب والمنكح والملبس فذلك علم الطب، وعلى أوتار حفظ البيئة من شجر وحيوان
فذلك علم البيئة. والاستطراد في استنباط هذه الكنوز المعرفية يطول به المقام.

فإذا ضمنا هذه الكنوز السننية إلى كنوز القرآن بما هي أصول لها يسلم لديننا
الإسلامي أن يكون ديننا ناسخا لكافة الأديان. ولك أن تقارن سنة النبي الشارحة والمبينة
للقرآن بالتلموذ الشارح للتوراة والهيرمونوطيقا الشارحة للإنجيل. فستقف على أن لا
قياس مع وجود الفارق.

¹- راجع إسلام ويب، والذي نشر الموضوع عليه بالتاريخ: 2016/04/10م.

المبحث الخامس: تجديد علم أصول الفقه بين استحضار الشروط والتمرد على الشروط

• توطئة:

وطرح هذا الإشكال تفرّيعاً على القرآن ما اعتبرناه علوماً خادمة له ، إنما اقتضته دعاوى التجديد التي طبقت الآفاق في زماننا من لدن كثير من الدارسين والأساتذة الباحثين في الدراسات الإسلامية. والخطير في هذا أن كثيرين ممن نادوا بالتجديد في هذا العلم الذي نحسبه عصب الشريعة وعنده مقاطع المعارف، جاؤوا من تخصص الفلسفة أو علم الاجتماع أو من مسارات الفكر الإسلامي البحث، وسمحوا لأنفسهم في سوء اطلاع على الدرس الأصولي نظرياً وتطبيقياً للمناداة بالتجديد فيه.

وأنت تتقصى البحوث التي عنيت بهذه الدعوات تعلقاً بعلم أصول الفقه ، تجدها مجرد كلام نظري لا يقدم بديلاً منهجياً واضحاً يرمم ما يراه ثلماً في جدار علم أصول الفقه أو أو يستدرك مباحث أخرى تكون مطية لاستنباط الأحكام من القرآن والسنة للنوازل المستجدة.

المطلب الأول : ما مشروعية التجديد في علم أصول الفقه؟

بديهياً أنه من حيث الإجمال يسوغ الحديث عن مشروعية التجديد متى بنيناه على مبررات واقعية ودللتنا عليه بالدلائل الشرعية ولا بد من الوقوف عندها، لأن التجديد في العصر الراهن يتجاذبه طرفان ووسط، طرف غالٍ منكر لعلوم السلف جملة وتفصيلاً، وطرف جافٍ منكر لكل تجديد متخوِّفٍ من فتح الباب لمن يريد هدم علوم الإسلام، ووسط إصلاحٍ يفسّر التجديد بمعاني لا تمس الجوهر الأصيل والثوابت ويضبطه في إطار يجعله في منأى من أغراض الحداثيين والمنسلخين من الشريعة.

المسلك الأول : مفهوم التجديد

التجديد فعيل من "جَدَّ يَجِدُّ بالكسر جِدَّةً فهو جَدِيدٌ وهو خلاف القديم و جَدَّدَ فلان الأمر وأَجَدَّهُ واستَجَدَّهُ إذا أحدثه فَتَجَدَّدَ فمعنى التجديد في اللغة تصيير الشيء جديداً أو إرجاعه إلى حاله، بعدما طرأ عليه ما أبلاه وغيره¹

وقد تنوّعت عبارات العلماء في تحديد معناه في الشرع، وتعدّدت صيغهم، وليس ذلك اختلافاً في المعنى، بل هو إما اختلاف في عبارة أو دلالة على جزء من المعنى، لذلك نرى أقوالهم يستلزم بعضها بعضاً، وهي كلها لا تخرج عن المعنى اللغوي المذكور:

¹ - انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (1/ 92).

أولاً : إحياء ما اندرس من معالم الشريعة والسنن ونشرها بين الناس، وقد نص على هذا المعنى ابن تيمية والمنائوي ومن المعاصرين المودودي¹.

ثانياً : قمع البدع والمحدثات، وتنقية الإسلام مما علق به من أوضاع الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام². وهذا المعنى مكمل للسابق ملازم له لأن المخالفة للدين إما نقص منه أو زيادة فيه، فالتعريف الأول انصب على النقص والثاني انصب على الزيادة.

ثالثاً: تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد من وقائع وأحداث، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي³. وهذا ربط للتجديد بالاجتهاد الذي هو أهم معالم الشريعة الإسلامية، وسر خلودها وصلاحياتها لكل الأزمنة والأمكنة.

وقد جمع هذه المعاني الثلاث محمد رشيد رضا فقال: «المراد بتجديد الدين تجديد هدايته وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه، أو الفتور في إقامته ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران في شريعته»⁴

ومن أحسن ما قيل في تلخيص تلك المعاني: «تجديد الدين بمعنى إحياء وبعث ما اندرس منه ، وتخليصه من البدع والمحدثات وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها»

المسلك الثاني : دلائل مشروعية التجديد

الفرع الأول : الدلائل الصريحة في السنة النبوية

أولاً: صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» وهذا نص صريح في أن الله تعالى يسخر لهذا الدين الذي ارتضاه ليكون خاتمة الأديان من يجدده في النفوس ومن يجدد معالمه ويظهره مما ليس منه حتى تبقى حجة الله قائمة إلى العباد، وفي نفس المعنى ورد حديث آخر لفظه: « لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»⁵. وقد أشار إلى هذه المعاني غير واحد من العلماء السابقين، ومن معاني هذا التجديد والاستعمال تسخير العلماء الذي

¹ انظر لسان العرب لابن منظور (50/2) مختار الصحاح للرازي (57) التجديد في الفكر الإسلامي لعبدان محمد أمامة (16).

² - مجموع الفتاوى لابن تيمية (297/18) فيض القدير للمناوي (365/2) التجديد في الفكر الإسلامي لعبدان أمامة (17).

³ - مجموع الفتاوى لابن تيمية (297/18) فيض القدير للمناوي (365/2) التجديد في الفكر الإسلامي لعبدان أمامة (17).

⁴ - انظر: فيض القدير للمناوي (365/2) عون المعبود للعظيم أبادي (391-386/11). والاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية لعمر عبيد حسنة (20) نقلا عن التجديد في الفكر الإسلامي (18).

⁵ - مجلة المنار لمحمد رشيد رضا (115/30) ونقله في التجديد في الفكر الإسلامي لعبدان أمامة (17) عن السيوطي خطأ. التجديد في الفكر الإسلامي لعبدان محمد أمامة (19).

أبرزوا العلوم التي كانت كامنة فرسموا حدودها وقعدوا قواعدها وضبطوا مسائلها، كالشافعي مع أصول الفقه والشاطبي مع المقاصد .

ثانيا : ومن الأحاديث الدالة على معنى التجدد قوله صلى الله عليه وسلم : «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، فمعنى العودة يلتقي مع معنى التجدد، وقد استدل به العلماء على معاني التجديد المذكورة بما فيها الدعوة إلى الاجتهاد.

الفرع الثاني : الدلائل المستنبطة من الكتاب والسنة

أولا : أدلة حفظ الدين كقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:9) إن الرسل عليهم السلام كانوا يبعثون مجددين للدين ومصلحين لما أفسده البشر، وقد جاء رسولنا صلى الله عليه وسلم بالسرعة الخاتمة فلا نبي بعده، ولذلك تكفل الله بحفظ هذا الدين قدرا ولم يكله إلى العباد، وقد هيا لهذا الحفظ أسبابا ظاهرة تخدمه، منها العلماء المجددين للعلوم المتعلقة بهذا الذكر الحكيم، والذين ينفون عنه تحريفات الغالين وتأويلات الجاهلين وانتحالات المبطلين.

ثانيا: أدلة شمول الدين وكماله، وكفايته لكل ما يحتاجه الناس، كقول الله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل 89) وقوله تعالى: (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (النساء 59)، وتقريرا على ذلك قال الشافعي: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»، ومقتضى هذا الشمول للأحداث في الأزمنة والأمكنة؛ أن يتجدد التفاعل مع نصوصه، من أجل تنزيلها على هذه الوقائع الممتدة غير المحدودة.

المسلك الثالث : الفرق بين تجديد الأصول وتجديد العلم

إن الدلائل المقدمة على مشروعية التجديد مضافة إلى التفسيرات التي ذكر العلماء للتجديد المذكور في الحديث النبوي، تُعطينا مفهوما واضحا متكاملا لتجديد الدين، والذي يعني إعادته إلى سابق وضعه تنقية مما ليس منه وإحياء لما نسي من تعاليمه، بما في ذلك الاجتهاد الذي يجعله صالحا مصلحا للأوضاع البشرية، ويظهر من هذا التفسير ضرورة وجود أصول ومعايير ثابتة يتحاكم إليها في هذا التجديد، وهي عند التأمل نصوص الوحي وقطعياته وأحكام الشرع وكلياته التي كان عليها خير القرون..

فحقيقة الدين لا تبلى بتقادم الزمان ومرّ العهود، وإنما يُضيعه أصحابه نسيانا وتحريفا زيادة ونقصا، والحديث أشار إلى هذا المعنى إذ قال صلى الله عليه وسلم : « من يجدد لها دينها » فأضاف الدين إلى الأمة ولم يقل يجدد لها الدين، وذلك أن الدين وما

اشتمل عليه من عقائد وعبادات وأخلاق؛ ثابت لا يقبل التغيير والتجديد، أما دين الأمة بمعنى علاقة الأمة بالدين ومدى تمسكها وتخلقها به، فهو المعنى القابل للتجديد والتغيير، حيث يطرأ عليه الانحراف والتغيير والنسيان¹.

وإذا طبقنا هذا المعنى على علم أصول الفقه نقول إن أصول الفقه التي هي مصادر الدين وقواعد الفهم المتعلقة بهذه المصادر ثابتة غير قابلة للتجديد والتغيير والاستبدال، لأنها أساس الدين بناء وفهما، وإنما الذي يقبل التجديد: هو تلك المؤلفات التي احتوت هذه الأصول وتلك المناهج التي أُلِّفت في ضوءها تلك المؤلفات، وسُلكت في معالجة القضايا الجزئية في العلم، تصويرا واستدلالات وترجيحا، وهذا يُوصلنا إلى التفريق بين تجديد الأصول التي هي الدين، وتجديد علم الأصول الذي هو طريقة عرض الأصول ومعالجة قضاياها، وهي علاقة عقل الإنسان بهذه الأصول.

إن تجديد العلم هو عملية نقدية لانجازات بشرية واجتهادات ظنية فردية؛ يُظن فيها أنها انحرفت عن الطريق الصحيح؛ بينما تجديد الأصول هو نقد للدين في حد ذاته من جهة التشكيك في قطعياته وهدم كلياته.

وهذه نقطة الاختلاف بين دعاة التجديد الإصلاحية الإسلامي ودعاة التجديد الحداثي العلماني.

المسلك الرابع : مبررات التجديد وأثرها في تحديد المنحى التجديدي:

الفرع الأول : مبررات التجديد الواقعية في علم أصول الفقه

أولا : وجود مسائل إضافية من علم الكلام واللغة والمنطق وغيرها من العلوم؛ شغلت حيزا كبيرا في مادة العلم وقد ظهر عدم جدواها، حيث تجد في الأصوليين من يصرح بكونها دخيلة أو كونها غير مفيدة في الفقه، أو أن الخلاف فيها مجرد خلاف نظري أو لفظي، وقد اشتهر هذا المنحى على لسان الشاطبي، وقد تعلق بكلامه كلُّ دعاة التجديد بمختلف اتجاهاته:

ثانيا: ومن الأمور التي تشبَّت بها المنتقدون للعلم: غلبة الجدل العقلي العقيم على المباحث الأصولية، وأيضا تحكيم القواعد المنطقية في مسائله وحدوده، وهذا أيضا مبررٌ مشترك بين دعاة التجديد.

¹ - مجلة المنار لمحمد رشيد رضا (115/30) ونقله في التجديد في الفكر الإسلامي لعبدان أمارة (17) عن السيوطي خطأ انظر : مدارج السالكين لابن القيم (79/3) الصواعق المرسلات لابن القيم (400/2). وانظر : أعلام الموقعين لابن القيم (231/2) و مجموع الفتاوى لابن تيمية (11/ 435) التجديد والمجددون لعبد السلام بن محمد بن عبد الكريم (69).

ثالثا: من الأشياء المتفق عليها أن علم الأصول بصورته الموروثة صار لا يستجيب لحاجات العصر، لأنه اكتسى ثوب التجريد والنظرية وانفصل عن الفقه، فعلم الأصول صار منتجا للأقوال والجدال ولا ينتج فقها ولا فروعا، وهذا أمر قد انتبه له بعض الأصوليين المتقدمين، فألفوا في تخريج الفروع على الأصول تكميلا لهذا النقص الواضح.

رابعا: إن العلم هو علم الاجتهاد، لكنه فشل في تكوين العقول المتحررة من التقليد؛ التي تمتلك آلات النظر في الأدلة، فترجح في المسائل القديمة وتخرج أحكاما للمسائل المستجدة، فأصبح علم الأصول علما كماليا، ربما يستعمل في ترسيخ فكرة التقليد وغلق باب الاجتهاد وتعطيل الاستدلال

الفرع الثاني : المنحى التجديدي لهذه المبررات:

إن المبررات الواقعية والمتفق عليها المذكورة؛ تؤكد أن العيب والنقص ليس في ذات أصول الفقه الإسلامي؛ ولكن في العلم الذي انحرف منهج التأليف فيه .

أولا : فدعوى وجود الدخيل يتضمن الإقرار بوجود الأصل؛ الذي ينبغي الاقتصار عليه والاكتفاء به ربعا للوقت وتوفيرا للجهد، وشغلا للعقول بما يفيد في تكوينها وتأهيلها لرُتب الاجتهاد، لا بما يرهقها ويعطلها وينحرف بمسارها ثم يُجمدها.

ثانيا : وكذلك انتقاد الجدل العقلي العقيم، واقحام قواعد المنطق في المسائل والحدود والاستدلال، فهو نقد لأمر إضافي في العلم وليست أصيلة فيه، وقد غلط غلطا عظيما من اعتقد أصلاتها ومن ثم جعلها مبررا لإلغاء أصول الفقه، وتبديلها بأصول أخرى أكثر تحررا من القيود وأكثر إنتاجا حسب زعمه

ثالثا : وانتقاد العلم بكونه منفصلا عن الفقه وغير منتج في عصرنا؛ مع الاقرار بكونه كان منتجا في عصر سابق؛ يؤكد أن التجديد المطلوب يتعلق بالصياغة والمنهج لا بذات الأصول، فالأصول منتجة بدلالة كونها أنتجت في عصر ما وصارت غير منتجة بسبب انفصالها عن الفقه ، وهذا نقد للعلم وليس للأصول.

رابعا : وكذلك إسهام العلم في ترسيخ التقليد بدلا أن يكون دافعا لحركة الاجتهاد، لا يبرر إلغاء الأصول؛ ولكن يبرر إعادة النظر في بعض مسائله، ومعالجة طريقة تدريسيه والتأليف فيه ليس إلا.

المسلك الخامس : أدلة الرافضين للتجديد في علم أصول الفقه:

يعترض بعض المعاصرين على تجديد العلم فضلا عن غيره، ولهم في ذلك عدّة حجج نختصرها في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول : أن في التجديد إنكارا لجهود الأصوليين المتقدمين

قيل: إن دعوى التجديد تتضمن إنكارا ضمنيا لجهود العلماء السابقين الكاشفين عن غوامضه والمتفنيين في أساليب الكتابة فيه. وربما يقول آخرون إنّ علم الأصول نضج ولم يحترق، نضج بتقرير قواعده وتفريع فروعه، ولم يحترق حيث إنه لم يبلغ النهاية في ذلك، ويردّد فريق ثالث: "أنه ما ترك الأول للأخر شيئا". الجواب عن هذا من وجوه:

أولا : أنّ مستند دعاة التجديد في القضايا محل النقاش؛ هو كلام الأصوليين المجددين أنفسهم، ولا يلزم من التجديد والالتزام بالقواعد المنهجية في التأليف أن تُنكر جهود المتقدمين، وإلا كان كلُّ واحد من الأئمة المصنفين على وفق طريقة مبتكرة؛ مخالفة لطريقة من تقدمه منكرًا هو الآخر لجهود من تقدمه، وهذا الجويني يعطي لنفسه حق انتقاد من تقدمه، ويجوّز ضمنا لمن بعده أن يتعقبه فيقول: «السابق وإن كان له حق الوضع والتأسيس والتأصيل فللمتأخر الناقد حق التتيمم والتكميل... وهذا واضح في الحرف والصناعات، فضلا عن العلوم ومسالك الظنون، وهذه الطريقة يقبلها كل منصف وليس فيها تعرض لنقض مرتبة إمام». «

ثانيا : إنّ الذي لا يمكن جحوده هو التفوق العلمي للأصوليين المتقدمين، والتسليم بسعة مداركهم التي مكنتهم من إثراء هذا العلم، ولكن ليس معنى ذلك قصر الإبداع والابتكار عليهم؛ حتى لم يبق لأحد بعدهم شيء يضيفه، ومنع المتأخرين من الانخراط في سلكهم واللاحق بركبهم، ومقولة "ما ترك الأول للأخر" قد قوبلت بالرفض منذ القديم، واعتبرت من أنماط التثبيط لهمم المتأخرين، كما أن شواهد التاريخ تنادي ببطلان هذه المقولة وفسادها.

ثالثا: إنّ من ملامح التجديد العلو في الإسناد والرجوع إلى ما كان عليه الأولون، وهذا مما لا يزال العلماء ينصحون به، كالشاطبي الذي نص على ضرورة تحرى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد لأنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين.

الفرع الثاني: فتح الباب للفوضى العلمية:

قيل: إن في هذه الدعوة فتحة لباب الفوضى العلمية، فيعسر ضبط اجتهادات الناس، لأنها تضع قوانين الاجتهاد في محل الاتهام، وسيتمكن كل متحلل من أحكام الشريعة أن يزعم التجديد، وأنه لا يعترف بتلك الأصول القديمة المدونة.

والجواب: أن حركة التجديد إذا بلغت غايتها هي التي ستمكن من ضبط الاجتهاد، لأن من غاياتها سدُّ ثغرات هي موجودة ومنها ينفذ هؤلاء المتحللون، وليس من معنى التجديد كما قيل وضع قوانين الاجتهاد في قفص الاتهام، فإن الاختلاف في قواعد الاجتهاد قديم، وإنما يقول هذا من لم يتحرر عنده معنى التجديد المشروع المختلف جذريا عن تجديد رافضي الشريعة الإسلامية، وإن جنس هؤلاء لا يزال موجودا، وليس السكوت عن الأخطاء المنهجية التي طغت على المؤلفات الأصولية، هو الذي سيصرفهم عن أعمالهم وأقوالهم وتشكيكاتهم.

المطلب الثاني : محاور التجديد في علم أصول الفقه:

بعد أن بيّنا مفهوم التجديد ومشروعيته، وأردفنا ذلك بتصحيح مساره والرد شبهات من يتوَجس منه، ننتقل في هذا المبحث إلى شرح أهم محاور التجديد في علم أصول الفقه، وذلك سواء من ناحية الشكل أو المضمون، وسأحاول إبرازها بشكل موجز أجمع فيه بين التنظير والتطبيق، إمعانا في الإقناع بضرورة التجديد وإفاضة في شرح فحواه.

المسلك الأول : حذف الدخيل والمسائل الفرضية

أبرز محاور التّجديد حذف المسائل التي ليست من العلم، والمسائل التي الفرضية التي لا ثمره لها، وبيانها فيما يأتي.

الفرع الأول : المسائل الفرضية

فأمّا المسائل الفرضية المقدّرة فلا ثمره ترجى منها؛ فهي مجرد حشو بلا فائدة، ومنها تلك المتعلقة بالجواز العقلي، كبحثهم في جواز حصول الإجماع عن توفيق بلا دلالة؟ وهل يجوز نسخ الحكم الثابت بالإجماع؟، وهل يجوز أن ينسخ جميع القرآن؟

ومنها مسألة تخصيص العموم بصورة مجهولة التي عُدَّت من أسباب الإجمال، كما لو قال: "اقتلوا المشركين" ثم قال بعد ذلك: "بعضهم غير مراد لي من لفظي"، وقد علّق عليه عبد الرزاق عفيفي: «هذا مثال فرضي لا يقع مثله في التكليف» ومنها مسألة تعارض الفعلين التي قال عنها المازري إنها لا تُتصوّر، لأن كل فعل يختص بمحله ويقع في زمنه، والتضاد إنما يتحقّق مع تساوي الزمن والمحل، ومسألة النهي عن شيء لا

بعينه، ومسألة ارتداد أمة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر من الأعصار، وكالبحث في وجود مرتبة متوسطة بين الصدق والكذب، وهل يدخل جبريل عليه السلام في التكليف. وغيرها من المسائل التي هي محض فضول، ويمكن للخيال أن يقدرها، ولا يُمكن نسبتها لعلم من العلوم.

ونقد إدراج هذه المسائل موجود في ثنايا بعض البحوث، كما نص عليه ابن القيم حين تعرض لحكم دراسة العلم

الفرع الثاني : المسائل الدخيلة

وأما المسائل الدخيلة التي هي من ضمن علوم أخرى، أو المسائل المستعارة التي لا يبنى عليها فقه، ولا تكون عوناً في ذلك كما قال الشاطبي فما أكثرها، وقد وقفت على اعتراف كثير من الأصوليين بأن محل دراستها ليس علم الأصول، فأقحام مسائل الكلام التي لا حاجة إليها اعترف به أبو الحسين البصري والغزالي، وهي لا تحتاج إلى تمثيل، وإقحام المسائل اللغوية التي لا حاجة إليها انتقده الجويني والغزالي قبل الشاطبي وانتقد ابن السمعاني والغزالي إقحام مسائل فقهية، وانتقد ابن السبكي إقحام المسائل الحديثية وانتقد الغزالي إقحام مسائل علم الجدل، وانتقد ابن رشد الحفيد إقحام مسائل المنطق، وله في ذلك عبارة رائعة تدل على عمق نظريته المنهجية، حيث قال: « فلنترك كل شيء إلى موضعه، فإن من رام أن يتعلم أشياء أكثر من واحد في وقت واحد لم يمكنه أن يتعلم ولا واحدا منها»

المسلك الثاني : إضافة مسائل وتوسيع أخرى

من محاور التجديد المطلوب إلحاق مسائل أصولية، وبحوث كثيرة ذات خطر وأثر عظيم في تحقيق غاية هذا العلم، وتحقيق ما لم يتم تحقيقه؛ ومنها المسائل التي تحتاج إلى تتبع واستقراء للنصوص الشرعية كصوارف الأمر عن الوجوب، ومنها ما هو جدير بالإدراج ونجده عند غير الأصوليين؛ كحجية الحديث الحسن والحديث الضعيف، ومنها ما يحتاج إلى مزيد تفصيل وتأصيل؛ كأسباب الزلل في التأويل الذي ابتدأه الجويني بالمثل ولما يتم، وتطوير بحث التفريق بين الاصطلاح الشرعي والوضعي؛ في ظل إثبات الحقائق الشرعية والعرفية، ومما اقترح في هذا السياق التفصيل في مسألة المذهبية.

وعدَّ بعضهم من صور التجديد في هذا العلم التمحيص والترجيح فيما تنازع فيه الأصوليون. ونازع آخرون في عدِّ ذلك من صور التجديد، لأن المرجح لم يأت بشيء جديد، وإنما قد اختار قولاً قد سبق إليه، والصواب أنه ليس كل ترجيح يُعدّ تجديدًا، وإنما التجديد في الترجيح المبني على استقراءات مفيدة للقطع، حيث تصير المسألة الخلافية

قطعية، وكذلك التجديد بإقصاء المذاهب المحدثه، والآراء غير المعتمدة من كتب الأصول، والإبقاء على ما فيه خلاف معتبر.

المسلك الثالث : الابتعاد عن العصبية وروم الموضوعية

من محاور التجديد أيضا تحقيق الحياد في كتب الأصول، والابتعاد عن العصبية التي صيرت من علم الأصول فرعا لا أصلا وتابعا لا متبوعا، فإن علم الأصول إذا كان يهدف إلى دعم المذاهب وتقرير التقليد، كما جرت عليه طريقة كثير من الفقهاء، فإنه لن يكون مفيدا لغرضه ولا محققا لهدفه، إذ من الأصوليين من أكثر من إيراد المسائل الفقهية الفرعية وجرّد قلمه للانتصار لمذهب إمامه، بل قرّر قواعد الأصول على ضوء ما حكم به إمامه في هذه المسائل، فكأنه يؤلّف ليؤهل ويكوّن مجتهد المذهب، لا المجتهد المطلق الذي يعتني ببحث القواعد الأصولية على ضوء أصول الشريعة، والاستدلال عليها بالكتاب والسنة دون ميل إلى نصره مذهب إمام معين. وهذه نماذج لغير أصولي الحنفية نُمثل بها لما ذكرنا:

النموذج الأول: ابن السمعاني الذي قرر وجوب تقليد الشافعي، وله تعقبات كثيرة على الجويني الذي عُرف بعدم التقيد بالمذهب، منها قوله: "وهذا ترك لمذهب الشافعي رحمه الله، ومساعدة للمخالفين، وليس سبيل من ينتصب للتقدم في مذهبه ويعتقد أنه الفحل المدافع عن حريمه؛ أنه إذا جاء إشكال في المسألة يترك مذهب صاحبه ويوافق الخصوم، بل ينبغي أن يبذل له جهده ويجعل وكده لحل الإشكال، فإن أمكنه ذلك وإلا تركه إلى من يوفقه الله تعالى له ويهديه إليه».

والنموذج الثاني: أبو الخطاب الكلوزاني الحنبلي، ففي مسألة جواز التعليل بالحكم في إثبات حكم آخر ذكر قولين: الأول جواز ذلك ونسبه للحنابلة، والثاني عدم الجواز ونسبه إلى بعض المتأخرين، وقال عن الأخير: « وهو الصحيح عندي، ولكن ننصر قول أصحابنا»

المسلك الرابع : إحياء الصلة بين أصول الفقه والفقه

من محاور التجديد الأساسية إعادة الترابط بين علم الأصول وعلم الفقه، وذلك عن طريق الحرص على التمثيل للقواعد الأصولية بالأمثلة الواقعة في النصوص الشرعية، وكذلك باعتماد التفريع الفقهي على القواعد الأصولية الخلفية، بجلب فروع فقهية من كتب الخلاف المؤلفة على المذاهب الفقهية الأربعة وغيرها، ولعل هذا المحور من الأمور التي يوافق عليها حتى بعض من يعارض دعوى التجديد بمعناها الإيجابي، إذ وجدنا في كلام بعضهم استثناء: العمل على إخراج مسائل العلم وبحوثه ومضموناته بأسلوب آخر يمتاز بمزيد من الوضوح والتفصيل، ويعزز بمزيد من الأمثلة الفقهية التي توضح العلاقة السارية بين القواعد الأصولية وثمراتها الفقهية.

ومن المعاصرين من يدعو إلى تعديد التفريعات التي تنتخرج على القواعد الأصولية، وإلى انتقاء أمثلة جديدة من الحوادث المستجدة في حياتنا المعاصرة، وذلك لإضفاء نوع من الحيوية في هذا العلم، وليبيان خلود هذه الشريعة وديمومتها، وكذلك لإشعار الدراسين بأهمية هذا العلم وجدواه فضلا عن تدريبهم على توظيفه في المسائل الفقهية، وذلك من غلو في الإيراد ولا خروج إلى مناقشة المسائل الفرعية كما لوحظ على الحنفية، وهذه الطريقة المتوسطة هي التي سار عليه الإمام الشافعي واطرحها في المسائل الفرعية كما لوحظ على الحنفية، وهذه كآبن حزم وآبن السمعاني والجصاص ومن المتأخرين آبن القيم في أعلام الموقعين والزركشي في البحر المحيط.

وفي هذا المعنى يقول عبد الرزاق عفيفي: «ولو سلك المؤلفون في الأصول بعد الشافعي طريقته في الأمرين تعيدا واستدلالا وتطبيقا وإيضاحا بكثرة الأمثلة، وتركوا الخيال وكثرة الجدال والفروض واطرحوا العصبية في النقاش والحجاج، ولم يزيدوا إلا ما تقتضي طبيعة النماء في العلوم إضافته من مسائل وتفصيل لما أصل في الأبواب، وإلا ما تدعو إليه الحاجة من التطبيق والتمثيل من واقع الحياة للإيضاح - كما فعل آبن حزم - لسهل هذا العلم على طالبه ولانتهى بمن اشتغل به إلى صفوف المجتهدين من قريب».

وقد عدَّ بعض المعاصرين من محاور التجديد دراسة قواعد أصولية لم تدرس بطريقة شاملة تبرز خصائصها وأهميتها، وآثارها في الفقه ومسائل الخلاف، وهذا المنحى متعلق باتجاه جديد من اتجاهات الدراسات الأصولية وهو تخريج الفروع على الأصول، وأغلب الدراسات الأصولية الجامعية اتخذت هذا الطابع؛ وفي اعتقادي أن الدراسات التي لم تصبغ بهذه الصبغة فهي غير مجدية.

المسلك الخامس : تجديد المنهج في عرض المسائل الأصولية

ومن محاور التجديد إعادة النظر في طريقة عرض مسائل العلم ابتداء من اللغة والأسلوب، وحسن التبويب والترتيب، حتى يسهل فهمه ويبعد عن التعقيد والغموض، الذي طبع أكثر الكتب الأصولية المتأخرة؛ وخاصة المختصرات الملغزة وحواشيها، فلا بد من تأليف كتب مختصرة للمبتدئين واضحة لا تحتاج إلى شرح لغتها، وأخرى متوسطة ومبسوطة يستغنى عن اختصارها، تُكتب بأسلوب منهجي موافق لروح العصر وميول أهله ويتلاءم مع قدرات الطلاب على اختلاف مستوياتهم.

ومما يلتحق بتجديد طريقة العرض الالتزام بما تقتضيه المنهجية العلمية السليمة في وضع الحدود والتعاريف وحكاية المذاهب وذكر الأدلة ومناقشتها. والاعتناء بذكر أدلة القواعد الأصولية من الآيات القرآنية، وما ثبت من الأحاديث النبوية والآثار السلفية، وما

صح من الأدلة العقلية والشواهد اللغوية. وشرح هذه القضايا وتفاصيلها وضوابطها؛ قد حاولت الإمام به في أطروحة الدكتوراه الموسومة بمنهجية البحث في علم أصول الفقه.

المسلك السادس: الرجوع بالعلم إلى ما كان عليه في عهد الأئمة

من محاور التجديد الأساسية: محاولة الرجوع بهذا العلم إلى ما كان عليه السلف وخاصة الأئمة المجتهدين، وذلك عن طريق اعتماد آثار الصحابة وإجماع السلف في أدلة الأصول، وتقديمها على أدلة المعقول، وكذلك عن طريق الاعتناء بنقل آراء الأئمة المجتهدين لمعرفتها وعدم الخروج عنها، وتقديم اختيارات أتباعهم على غيرهم من المتكلمين.

ومن فوائد الالتزام بطرائق الفقهاء المتقدمين ابتداء من عصر الأئمة وسلفهم من الصحابة والتابعين، وأتباعهم الأولين: تقليل الخلاف في المسائل الأصولية وإقصاء الكثير من الأقاويل الشاذة والمحدثة، وكشف إبهام بعض الأدلة المجملة، أو تقييد مطلقاتها، أو تخصيص عموماتها، أو دفع وهم التعارض بينها، والدعوة إلى الالتزام بآراء المتقدمين سبق إليه مجددوا العصور السابقة كابن تيمية، الذي جعل معرفة أقوالهم أفضل من معرفة أقوال المتأخرين في جميع علوم الدين، وكذا الشاطبي الذي قال: «يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل».

وهذا الأمر يكاد يكون مُغيباً في طريقة المتكلمين الذين غلو في الاستقلالية عن مذاهب الأئمة في ميدان علم أصول الفقه، وصاروا لا ينظرون أصلاً في آراء الفقهاء، أو ينظرون إليها نظرة دونية باعتبار قصورهم في علم الكلام وعدم إلمامهم بمسائله، ولا أظهر دليلاً على ما أقوله من إهمال ذكر آراء الأئمة الأربعة وأتباعهم في أكثر كتب المتأخرين، وسننقل هنا نصوصاً لعلها تكون صادمة للبعض، لكنها كاشفة لحقيقة موقف المتكلمين من الفقهاء، فهذا الباقلاني مؤسس طريقة المتكلمين الأشعرية؛ إذا قال أصحابنا وشيوخنا وأهل الحق والتحقيق فإنما يقصد المتكلمين لا الفقهاء، وقد صدرت منه عبارات استعلاء فيها غض من الإمام الشافعي مؤسس هذا العلم فكيف بغيره، ومن ذلك عندما تطرق إلى مسألة تصويب المجتهدين؛ مذهب الشافعي في المسألة معروف ومنصوص في الرسالة، ومع ذلك نسب إليه ضده وقال: «لولا أن مذهبه هذا وإلا ما عدته من الأصولية»، وتكرر منه ذلك في مسألة تخصيص العلة، وكذا الجويني فإن موقفه أشد تطرفاً،

وقد اختار في مسألة في نسخ القرآن بالسنة خلاف قول الشافعي والسلف وقال: «والذي اختاره المتكلمون وهو الحق المبين: أن نسخ الكتاب بالسنة غير ممتنع»، وقال

في رد مذهب الشافعي في المسألة الأخرى وهي منع نسخ السنة بالقرآن: «..فإن منعه كان منكرا من القول، وإن جوزه وزعم أن الرسول يسن عند نزوله سنة بخلاف السنة الأولى، فيقع نسخ السنة بالسنة، فهذا من الهزاء واللعب والتلاعب بالحقائق».

وهذا الموصوف بهذه الصفات هو رأي الشافعي البين الواضح في الرسالة، ولا تسأل عن موقفه من الأئمة الآخرين والمتأخرين من فقهاء الشافعية وغيرهم، وقد صدرت منه رحمه الله وعفا عنا وعنه عبارات غير لائقة في حقهم فقال: «وأما أبو حنيفة فما كان من المجتهدين أصلا، لأنه لم يعرف العربية»، وما أكثر عباراته التي يلغي فيها الفقهاء إلغاء؛ بما فيهم كبار علماء الشافعية كالصيرفي شارح الرسالة، بل هو لا يستثني إلا من درس علم الكلام كأبي الطيب الطبري وهذا نصه: « وذكر القاضي أبو الطيب الطبري أن هذا المسلك من أعلى المسالك المظنونة وكاد يدعي إفضاءه إلى القطع، وإنما سميت هذا الشيخ لغشيانه مجلس القاضي مدة واعتلاقه أطرافا من كلامه، ومن عداه حثالة وغباء».

ولذلك تجد المتكلمين يحكون الإجماع في مسائل خلاف الفقهاء فيها مشهور، وإنما يعنون بالإجماع إجماع المتكلمين، وأضرب مثلا واحدا في مسألة عملية مهمة جدا؛ وهي تقليد الميت من العلماء، حيث قال فيها الغزالي: «وقد قال الفقهاء يقلده وإن مات لأن مذهبه لم يرتفع بموته وأجمع علماء الأصول على أنه لا يفعل ذلك». ولا أدري كيف تم هذا الإجماع والأمة لا تزال تقلد الأئمة الأربعة بعد موتهم وهي مجمعة إجماعا عمليا على إباحة تقليد الصحابة ومن بعدهم، ولذلك قال الصنعاني ترجمة المسألة: «واعلم أنه اختلف في جواز تقليد الميت فقليل يحرم وادعي عليه الإجماع، وقيل يجوز وادعي عليه الإجماع أيضا».

وفي مما يندرج في هذا المضمار ضرورة نفض الغبار عن مدرسة الفقهاء المتقدمين من المالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية، التي تحمل كثيرا من السمات المنهجية المفيدة في التجديد، وهي مخالفة لطريقة المتكلمين وأولى منها؛ إلا في قضية التعصب والتقليد، فهذه المسألة الحق فيها وقف بين غلو بعض الفقهاء وجفاء أكثر المتكلمين والعلم عند الله تعالى.

خاتمة هذا المبحث:

إن تجديد الدين بمعنى إحياء ما اندرس منه وبعثه، وتخليصه من البدع والمحدثات الملصقة به والاجتهاد في تنزيله على واقع الحياة ومستجداتها، أمر مشروع بل واجب من أعظم الواجبات وهو من مهام ورثة الأنبياء، وقد دل على وجوبه ووقوعه أحاديث نبوية صريحة كقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل سنة

من يجدد لها أمر دينها"، وهذا التجديد من مقتضيات حفظ الدين الذي وعد به رب العالمين، ومن سبل بيان شموله وصلاحيته للأزمنة والأمكنة، وعلم أصول الفقه من جملة العلوم الإسلامية التي ينبغي تجديدها بالمعاني الثلاثة المذكورة إحياء له وإثراء، وتخليصا له مما ليس منه مما أعاق إثماره، وربطاً له بالفقه وسائر العلوم الإسلامية، وهذا التجديد كما هو موضح إنما يمس شكله ومناهج دراسته وإخلاءه مما ليس منه، وبحث سبل تفعيله وليس بمعنى تبديل الأصول التي هي مصادر الشريعة الإسلامية، أو استبدال آليات الفهم وقواعده،

وعندما نظرنا في مبررات التجديد المشتركة والمتفق عليها وجدناها تخدم التجديد الشرعي لا الحدائي، ثم إنه بسبب وجود دعوات الحدائين وجد طرف يرفض التجديد بالمعنيين، ويزعم أن تشريعه يفتح الباب للدخلاء المنحليين، وقد بينا أن ذلك غير لازم بل بقاء العلم معطلا هو الذي يفتح باب النقد للإسلام، كما أنّ الرافضين أيضا زعموا أن في التجديد إهدارا لجهود المتقدمين وإنكارا لفضلهم؛ وليس ذلك بلازم بل هو استمرارٌ لحركة التأليف وفق المناهج المناسبة لكل عصر، فكما خالف بعضهم بعضا في مناهج التأليف، وانتقد بعضهم بعضا في المسائل عبر الزمن ولم يعتبر ذلك إهدارا ولا إنكارا، بل صنيعهم يشرع لمن جاء بعدهم أن يفعل نحو ذلك،

ثم إن قواعد التجديد مستلهمة أكثرها من نصوصهم المصححة والناقدة، وقد تم استقرار ما تيسر منها في هذا البحث، وهي في مجملها تصبُّ في ستِّ محاور أساسية يكمل بعضها بعضا، ومنخرطة كلها في معنى تجديد الدين المطلوب ولا محذور فيها، وهي: أولا: حذف الدخيل وإرجاعه وإرجائه إلى علومه الأصيلة، وكذا حذف المسائل الفرضية التي لا طائل من ورائها، ثانيا: إضافة مسائل مهمة حقها أن تدرس في أصول الفقه وتوسيع أخرى بالتفصيل والتأصيل الناتج عن الاستقرار، ثالثا: الابتعاد عن التعصب المذهبي وتحقيق الحياد قدر الجهد في علم نقصد به وضع معايير الآراء الصائبة في الشريعة الإسلامية، وليس الانتصار لمذهب معين دون غيره، رابعا: إبراز الترابط بين علم الأصول وعلم الفقه الذي هو ميدانه ومكان إنتاجه وإثماره، خامسا: تجديد المنهج في عرض المسائل الأصولية؛ تعاريفا وتقسима وحكاية للمذاهب وأدلة ومناقشة، سادسا: الرجوع بالعلم إلى ما كان عليه في عهد الأئمة المجتهدين،

وقد عللنا كل منحي من هذه المناحي، وذكرنا من أشار إليه من أعلام المتقدمين والمتأخرين، كما أننا دعمنا الدعوى أحيانا بشواهد تقطع الشك باليقين في وجود الخلل والحاجة إلى التصحيح، وهذه المحاور وجد من اعتنى ببعضها، ولكن التجديد المجدي والمؤتي ثماره إن شاء الله تعالى يكون باتخاذها غايات وأهداف في الدراسات الجامعية

الأكاديمية، وبإعمالها مجتمعة غير متفرقة فيما يُؤلف من مؤلفات تعليمية في علم أصول الفقه.

وفي ختام هذا المبحث أريد أن أستشهد بعبارة وجيهة للدكتور محمد جمال وهي قوله:

" أن "التجديد في علم أصول الفقه عندي هو تجريده من المسائل النظرية المجردة والمسائل العقديّة التي لا تخدم الأحكام الفقهيّة. أما فيما يتعلق في مباحث أصول الفقه باللغويات. فلا سبيل إلى التجديد فيه. لأن معاني اللغة منضبطة لتراتبية مترددة بين ثنائيات متقابلة وثلاثيات ورباعيات من قبيل تردد اللفظ بين الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد والإجمال والبيان والتقديم والتأخير والوصل والفصل والعطف والوقف والاستغراق والاستثناء والذكورة والأنوثة والإفراد والجمع والتثنية، والإلزام وغير الإلزام والأمر والنهي والقطع والظن وما هو نص فيما يدل عليه وما يحتمل أكثر من معنى كالمؤول والمشارك. وكذلك في الأشباه التي تنطوي عليها الفروع والأصول وترددها بين قوة التأثير في الحكم وضعف التأثير فيه. كل ذلك وغيره مما هو منضبط باللغة وبالسياق فإنه لا يتقدم مع الزمن.

ويضيف الدكتور محمد جمال: "نعم لا أرى ما نعا من اعتماد ضرب من القياس العلمي بما لا يختلف في قوته عن القياس الشرعي المستوي وذلك بجعل بعض نتائج العلوم في قضية مخصوصة مقدمة أو مقدمات بديهية مدلول عليها بشهادة قطعية العلم المخبري لنتيجة صحيحة مبنية عليها تؤسس للحكم. وهكذا"¹.

¹ - محاضرات في مادة الاجتهاد والتعليل للدكتور محمد جمال - جامعة السلطان مولاي سليمان المملكة المغربية ت

المبحث السادس : تجديد علم أصول العقيدة بين استحضار الشروط والتمرد على الشروط:

* توطئة:

وهو بلا خلاف علم متفرع عن القرآن وبديهي أن القرآن هو من أسس له بالأمر بالحوار باتي هي أحسن وكذا بفصول رائعة من محاجة الباري للكفار والكتابين ولعامة الناس وعامة المؤمنين وآحادهم.

لكن مع ما أسفر عنه الخوض في علوم العقيدة من الاختلاف المذهبي الخطير من شيعة وخوارج ومرجئة ومعتزلة وأشعرية وماتريدية ووهابية وسلفية حديثة وكافة الأطياف المتطرفة وما نتج عن ذلك من التكفير والتهجير والقتال والتشريد واستباحة الأعراض والأنفس في كثير من بقاع العالم الإسلامي، كل ذلك يطرح أسئلة خطيرة:

- أي مذهب من هذه المذاهب هو الصحيح؟

- بأي وجه يصح وصف مذهب عقدي ما بأنه علم نظري متفرع عن التوجيه العلمي المنهجي للقرآن؟

1- إلى أي حد يصح معه وصف علوم العقيدة بأنها علم يدخل فيه العقل؟ أم لا مدخل للعلم في العقديات باعتبارها غيبيات توفيقية؟

2- ما السبيل إلى التحرر من المذهبية العقدية المتعصبة؟ هل بانتقاء الصحيح السليم من كل مذهب؟ أم بتجريد المنهج الكلامي عن التراث المذهب ومحاولة تجريبه مرة أخرى وفقا لواقعنا اليوم في مشاريع بحوث نظرية وتطبيقية؟ ثم من هم المخولون لهذا العمل الكبير؟

تلك هي الأسئلة التي وجهناها إلى عينات من الناس المثقفين فكانت أجوبتهم متباينة وفقا لهذا الجدول.

المطلب الأول: أجوبة العينات المبحوثة:

طرحنا هذه الأسئلة على عينات من الناس في مختلف المؤسسات التعليمية ذات المرجع الإسلامي في المغرب الشقيق فكانت أجوبتهم متباينة. وهو ما يدعونا إلى الكشف عن أسباب هذا التباين بقدر الكشف عن صواب أصحاب الاتجاه الذي صوت لصالح

الحقيقة وبطلان الاتجاه الذي صوت لصالح الظلامية والتعصب والاتكالية والخنوع المعرفي.

تأمل الجدول :

النسبة % (السلبية)	النسبة % (الإيجابية)	الإشكالية المطروحة على الأفراد	عنوان الدراسة
لا مجال له %46.67	دور هام %53.33	هل ترى العقيدة علما روحيا محضاً، وهل ترى للعقل فيها دوراً؟	دور العقل في مجال العقيدة وعلم الكلام
أجابوا على عدم أهمية ذلك	أجابوا بضرورة وأهمية استخدام العقل في العقيدة		المساهمون / المرجع
1- المجتمع الإسلامي 2- طلبة مؤسسة جامع القرويين 3- طلبة سيدي محمد بن عبد الله (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) فاس-سائيس. 4- طلبة ماستر في (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) بني ملال.			

المطلب الثاني: مناقشة طبيعة أجوبة المبحوثين

يبحث أسباب اختلاف العينات المبحوثة تجد أنها تعيد نفس الأبواب التي فرقت الناس بين قبول علم الكلام ورفضه قديماً. فالذين لم يدرسوا المنطق ولم يذوقوا حلوة علم الأصول واكتفوا في ثقافتهم بالنقول هم من عارضوا علم الكلام قديماً وحديثاً.

وبالمقابل فالذين لم يضبطوا المنطق والأصول ضبطاً عملياً منتجا من المتقدمين الذي خاضوا في مسائل علم الكلام هم من أنتجوا الشذوذ الكلامي. وهو ما يصدق أيضاً على من نادوا بالتجديد في علم الكلام ولم يدرسوا علم المنطق والجدال الذي هو منهج علم الكلام فضلاً عن قلة بضاعتهم في علم أصول الفقه. فالعيب ليس في علم الكلام ولا في العقيدة ولكن في سوء استخدام منهج علم الكلام مما آل إلى شذوذ عقدي متكرر عبر التاريخ كل فرقة من فرق علم الكلام لها شيء من ذلك الشذوذ الذي مرجعه سوء استعمال منهج علم الكلام. وإن أخوف ما نخافه اليوم هو إعادة تكرار سوء استعمال المنهج المنطقي في إعادة تجديد علم الكلام.

وسوف نتناول هذا المحور من خلال عدة نقاط رئيسة منها:

أولاً: حقيقة وجود ما يمكن أن نطلق عليه علم الكلام الجديد، فعلاً فإن هناك علم كلام جديد له منهج محدد، بيد أنه تغير كثيراً عن المنهج الذي كان مألوفاً من ذي قبل. كما أن له مفاهيم إجرائية ولكنها مختلفة أيضاً عن المفاهيم التي كانت موجودة من ذي قبل، و نلاحظ أن له قضايا وهي كالعادة مختلفة عن القضايا التي كانت موجودة من قبل.

أما النقطة الثانية في هذا المحور فتتمثل في المنهج الجديد الذي يتبعه علم الكلام الجديد إذ نرى أن المنهج الجديد يتمثل في ممارسة الفعل الذي يعتمد على الواقع تارة و على النص تارة أخرى¹. وتتمثل النقطة الثالثة في معرفة الهدف الذي قام من أجله علم الكلام الجديد و الذي يكمن في وضع حد لحالات الركود التي سيطرت على الدراسات الكلامية في القرون الأخيرة، كما يكمن في إعادة بعث النتاج الكلامي من جديد وربطه بالتطورات التي طرأت على المعرفة الإنسانية و التي تأثرت بالعاصفة الغربية ، و يكمن أيضاً في تحقيق تنمية فكرية لعلم الكلام ووضعه في السياق الذي يتناسب معه . وتتمثل النقطة الرابعة في معرفة مجالات التجديد في علم الكلام خصوصاً و قد قلنا من قبل بمشروعية وجود علم كلام جديد، وعلى أيه حال فإنه من الملاحظ أن التجديد كان على أكثر من مستوى وعلى أكثر من صعيد ويمكننا إيجازه على النحو التالي :

1-التجديد في المسائل الكلامية: حيث وجد المهتمون بالتجديد لعلم الكلام إن هناك مسائل كثيرة لسنا بحاجة إليها في أيامنا تلك، بل رأوا أن هناك مذاهب ومدارس كلامية بأكملها لسنا بحاجة إليها. و في المقابل نادوا بضرورة وجود أفكار جديدة ومذاهب ومدارس كلامية جديدة تكون بعيدة كل البعد عن الصراع، وتعتمد على أنماط تفكير أخرى غير التي كانت تعتمد عليها من ذي قبل.

2- التجديد في المبادئ: وذلك بهدف تغيير دراسات علم المعرفة والوجود وكذلك العلوم الإنسانية والطبيعية والأبحاث الرياضية.

3- التجديد في المنهج: و الذي يعتبره البعض من أهم أنواع التجديد ، حيث كان المنهج القديم الذي يستخدمه المتكلمون هو المنهج الجدلي الذي تطور فيما بعد، وأصبح مزيجاً من الفلسفة والكلام، إلا أننا وجدناهم ينادون بضرورة التغيير لذا صار المنهج عندهم متمثلاً في العقل الكلامي².

وتكمن النقطة الخامسة في معرفة القضايا التي يهتم بها علم الكلام الجديد، وأول ما نلاحظه أن معظم هذه القضايا تعبر عن إشكاليات متعلقة بحقوق الإنسان وتوفيقه مع عصره . وثاني الملاحظات تتمثل في إمكانية تقسيم القضايا التي يهتم بها علم الكلام الجديد إلى ستة أفرع رئيسة هي على النحو التالي:

- الفرع الأول و يتعلق بالقضايا العقدية الإلهية: ومن أمثلة هذه القضايا البحوث الخاصة بأصول الدين ، تلك البحوث التي تتميز بكونها بحثاً قديمة إلا أنها عولجت معالجة جديدة كان من أبرزها ” الردود الخاصة حول الشبهات الفلسفية والعلمية

¹ - يحيى محمد، علم الكلام الجديد: الهوية والوظيفة . <http://www.fahmaldin.com/index.php?id=68>

² - حيدر رجب الله، آفاق علم الكلام الجديد: قراءة أولية <http://aafaqcenter.com/post/669>

الحدیثة“ ، ونذكر أيضا من أهم المعالجات الحدیثة والتي تعد أكثر منهجية معالجة المفكر ”محمد باقر الصدر“ الذي قام بتأسيس الأصول الدينية على منهجه في الاستقراء وحساب الاحتمال، وتحقيقاً لذلك فقد وجدناه يخصص كتابين الأول ”الأسس المنطقية للاستقراء“ ويمتاز بالبساطة وهدف منه التأكيد على وجود القاسم الذي يثبت كلا من العلوم الطبيعية والإيمان بالله، أما الثاني فعنوانه ”موجز أصول الدين ، المرسل - الرسول والرسالة“ وهدف من خلاله إلي توسيع قضايا العقيدة من خلال النظر إلى الواقع معتمداً في ذلك على منطق الاستقراء.

- الفرع الثاني ويتعلق بقضايا التربية العقائدية: وذلك لترسيخ العقيدة لدى الإنسان المسلم دون الاكتفاء بالاعتقاد المعرفي المبني على الدليل والتحقيق .

- الفرع الثالث ويتعلق بالقضايا الأيديولوجية: وذلك بهدف تحويل معاني العقيدة إلى معان اجتماعية غرضها الأساسي إصلاح الواقع الاجتماعي للأمة. وهنا نجد ”محمد إقبال“ خصوصاً في مشروعه ”تجديد التفكير الديني في الإسلام“ من أول المهتمين بهذا المجال، حيث جعل من التوحيد الميتافيزيقي توحيداً قابلاً للتنزيل و أيضاً وجدنا ”محمد باقر الصدر“ قد استمد من وحدانية الله وعدالته مطلبين هما : إقامة العدل في المجتمع ووحدة الأمة.

الفرع الرابع ويتعلق بالقضايا النظمية: وهذا معناه أن هذا الفرع يهتم بإيضاح ما يتضمنه الإسلام من نظم قد تضاهى قدرتها وقوتها سائر النظم الحدیثة.

الفرع الخامس ويتعلق بقضايا حقوق الإنسان: ويتميز هذا الفرع بأنه يشغل اهتمام المتكلمين بكل ما تحويه الكلمة من معنى، حيث نشر المتكلمون بحثاً في هذا المجال كان معظمها متعلقاً بالحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية والمواطنةإلخ.

الفرع السادس والأخير ويتعلق بالقضايا التوفيقية مع العصر: وتمتاز هذه القضايا بانشغال المفكر بها منذ النشأة ، وكان يطلق عليها من قبل البعض التوفيق بين الأصالة والمعاصرة تارة والتوفيق مع قضايا العلوم الطبيعية تارة أخرى.¹

أما النقطة السادسة والأخيرة فتتمثل في الإشارة السريعة إلى أبرز القائلين بضرورة تجديد علم الكلام، حيث يعد ” شلبي النعماني“ (1857-1914م) من أبرز المنادين بضرورة تجديد علم الكلام وظهر ذلك على نحو جلي في سائر كتاباته الكلامية ، كما نرى الأستاذ ”مرتضى مطهري“ (1920-1979) يؤكد على ضرورة إحداث تحولات في العلوم الكلامية وتأسيس علم كلام جديد. وعلى أية حال فإنه من الملاحظ أنه قد

¹ - يحيى محمد، علم الكلام الجديد: الهوية والوظيفة

كثرت الأبحاث في هذا المجال الجديد رغم مرور أقل من مئة عام على الدعوة إلى تجديد هذا العلم، حيث كثرت البحوث والكتب خلال الأعوام الماضية القليلة بخصوص المسائل والقضايا المتعلقة بالعلم الجديد.

غير أن الأستاذ "أحمد قراملكي" لاحظ حقيقة على قدر كبير من الأهمية هي أنه على الرغم من كون هذا العلم علماً جديداً ، وكانت هناك أبحاث وكتب بخصوصه ، إلا إنه قد تناول - في بعض الأحيان- قضايا ومسائل ليس لها صلة بعلم الكلام الجديد. وقد أرجع "أحمد قراملكي" ذلك إلى سببين لا ثالث لهما هما: الأول ويرى من خلاله أن علم الكلام الجديد لا يشارك علم الكلام التقليدي الذي كان سائداً من ذي قبل إلا في اللفظ أو العنوان. أما السبب الثاني فيتمثل في أنه رأى أن البعض قال على علم الكلام الجديد إنه علم له هدف ومنهج مختلف عن علم الكلام التقليدي ، إلا أنهم لم يلاحظوا علي هذا العلم أية استقلالية سواء من حيث الهدف أو المنهج. من هنا نظر "أحمد القراملكي" إلى هذين السببين واعتبرهما من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى غموض علم الكلام الجديد.¹

وقريب من رأى كل من "شليبي النعماني" و"مرتضى مطهري" نجد "طه عبد الرحمن" الذي يعد من أبرز المنادين بضرورة تجديد علم الكلام حيث رأى أن علم الكلام الجديد هو السبيل النافع والجاد لتقويم النزعات الفكرية المستجدة، والنظر إلى التغيرات العميقة التي أحدثت التقدم العلمي والتقني في المجتمع المسلم.² غير أننا لو تعمقنا في رأى "طه عبد الرحمن" في علم الكلام الجديد نجده في البداية يريد أن يطلق على علم الكلام مصطلح "علم المناظرة العقدي". كما نجده يحدد لنا شروطاً رئيسة ينبغي توافرها لهذا العلم هي على النحو التالي:

- الشرط الأول الاعتقاد: بمعنى أن يسلم القائم على هذا العلم - في التسليم- بما ورد في الكتاب والسنة النبوية.

- الشرط الثاني النظر: فلقد اعتمد "طه عبد الرحمن" على هذا الشرط نظراً لاعتقاده بإمكانية تسمية علم الكلام "بعلم النظر والاستدلال".

- الشرط الثالث والأخير وهو التحاور: والتحاور المقصود هنا أن يكون هناك خطاب بين اثنين ولكل منهما مقامان: مقام المخاطب ومقام المخاطب، ووظيفتان هما: العارض والمعترض و قد هدف "طه عبد الرحمن" من وراء ذلك أن يجعل علم الكلام "علماً للمقالات الإسلامية" وليس علماً للمكالمة أو المناظرة.³

¹ - أحمد قراملكي، التجديد في علم الكلام. <http://www.alargam.com/sorts/kalam/105.htm>

² - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2000، ص 157

³ - المرجع السابق ، ص - ص 70-71

أما بالنسبة لموقفه النهائي من علم الكلام فنجده يقول : إن علم الكلام قد تعرض للاعتراض والاستنكار الشديد وللأسف قد وجد هذا الاعتراض قوة وسنداً نتيجة لما وقع فيه بعض المتكلمين من شبهات مقصودة و غير مقصودة، ونتيجة لما سلوه عن عمد أو غير عمد من طرق فلسفية طلبوا من خلالها نصرة آرائهم الكلامية. وعلى الرغم من ذلك نجد "طه عبد الرحمن" يعترف بمقدرة علم الكلام الفعلية على الجمع بين أصول النقل وبين مبادئ العقل .

و ما نريد التأكيد عليه بخصوص رأيه في علم الكلام يتمثل في أن غرضه الأساسي لا يكمن في الانحياز إلى موقف قد يتعارض بشكل أو بآخر مع المعارض على علم الكلام، فينتصر لمذاهب المتكلمين جملة وتفصيلاً، وإنما نجده يريد أن ينظر إلى المتكلمين فيما أصابوا فيه بهدف الاستفادة من تقدير الطاقة الإبداعية في إنتاجهم. وعلى أية حال فقد لاحظ على المهتمين بعلم الكلام الجديد عدة ملاحظات مهمة هي على النحو التالي : أولاً: لعب المهتمون بعلم الكلام دوراً مهماً في مواجهة التيارات الاعتقادية غير الإسلامية المنزلة أو غير المنزلة، وكذلك الاتجاهات الفكرية القائمة على العقلانية المادية. ثانياً توصل المهتمون بعلم الكلام إلى مستوى رفيع يتمثل في ضبط مناهجهم العقلية وأخذهم القويم للأدلة المنطقية ، وقد فاق مستواهم مستوى علماء المسلمين عند تصديهم للمذاهب الفكرية غير الإسلامية في وقتنا الحالي ، كما فاق مستوى المفكرين العرب المعاصرين المهتمين بتجديد التنظير لمناهج البحث في الإنتاج الإسلامي.

وتأكيداً لهذه الملاحظات وجدناه يقدم دليلين هما : الدليل الأول و يتمثل في اعتقاده الراسخ باستيعاب المتكلمين لمختلف أسباب عصرهم العلمية والتاريخية . وأما الدليل الثاني فيتمثل في اعتقاده بأنهم انتهجوا في أبحاثهم طرقاً استدلالية تتمتع بالتجريد والدقة ، كما اعتمدوا في تحليلاتهم على أساليب تمتاز بالدقة والطرافة¹.

¹ - المرجع السابق، - ص 71-72

الخاتمة:

من خلال عرضنا السابق نخلص الى الحقائق الآتية:

- يعد علم الكلام علماً من العلوم التي تهتم بالدفاع عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية، كما أنه يختلف عن علم الفقه ، مع الوضع في الاعتبار أنه علم يتصل اتصالاً مباشراً بعلم الفقه.

- هناك مناهج متعددة يعتمد عليها المتكلمون عند تناولهم لقضية ما و من أبرز هذه المناهج: منهج البرهان الكلامي، ومنهج التأويل ، و منهج التفويض.

- كان لعلم الكلام الكثير من المسميات فالبعض يطلق عليه " علم التوحيد"، و البعض الآخر يطلق عليه " علم أصول الدين" ، و علم الفقه الأكبر، و علم النظر و الاستدلال....إلخ. كما كان لعلم الكلام هدف أسمى يتمثل في الدفاع عن الإسلام و الإقرار بأنه دين واحد و لا يوجد به أية انقسامات أو تحزبات.

- حدث لعلم الكلام تحول إذ انتقل من كونه علماً مختصاً بعلم الكلام إلي كونه فلسفة خالصة، و يرجع ذلك إلي أسباب عدة منها: ارتباط علم الكلام المتأخر باستخدام المنطق الصوري أداة و منهجاً للبحث و الاستدلال، و اهتمام علماء الكلام المتأخرين بمنهج التأويل العقلي المعتزلي، الأمر الذي نتج عنه مزج علم الكلام بالفلسفة، و تأثير الفكر الإسماعيلي في انطباع الموضوعات الكلامية بالطابع الفلسفي، و أخيراً ارتباط علم الكلام المتأخر بالأصول الكلامية في فلسفة ابن سينا.

- على الرغم من أصالة علم الكلام التي أقرها العديد من الباحثين، إلا أنه قوبل – لدي البعض- باستنكار شديد و على وجه الخصوص لدي أهل الحديث و الفقهاء و الصوفية، و في المقابل نرى أن هناك من رحب و اشتغل بعلم الكلام و أقر بقيمته و مشروعيته. من هنا يمكننا القول بأن هناك موقفين تجاه علم الكلام: الأول كان مستنكراً لعلم الكلام ، و الثاني كان قابلاً له و مقراً بقيمته و أهميته.

- ظهرت دعوات عديدة مع مطلع القرن العشرين نادى بضرورة تجديد علم الكلام ، و من أبرز الشخصيات التي نادى بذلك: محمد إقبال، و عبد الحميد بن باديس، و مالك بن نبي....إلخ. و على أية حال من الأحوال، فإن التجديد في علم الكلام قد تضمن التجديد في المسائل الكلامية، و في المبادئ، و في المنهج. كما كان التجديد منصباً على الاهتمام بقضايا رئيسة منها: القضايا العقدية الإلهية، القضايا المتعلقة بالتربية العقائدية، القضايا الأيديولوجية، القضايا التنظيمية، القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان، و أخيراً القضايا المتعلقة بالتوفيق مع العصر.

المبحث السابع: الإيمان الأجوف بالغيبيات عن جهل عند رجل الشارع من المسلمين واليهود والنصارى وأثاره السلبية على العالم

المطلب الأول: المعطيات الدينية التي عليها مدار الدراسة

ننتخب من ذلك:

- قوله تعالى: {الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون} 3/ البقرة.

والغرض عندي من طرق هذا الباب هو إخراج ذاكرة التدين عند كل من المسلمين واليهود والنصارى. ذلك أن كثيرا من الحروب والمواقف التي تخوضها إسرائيل والغرب المسيحي عندما يتعلق الأمر بالمسلمين تخوضها تحت ستار الدين وذريعة التدين. كما أن الحروب التي يخوضها حزب الله وإيران وحماس والحوثيون وسنة وشيعة العراق والأفغان والشيشان والهنود والباكستان وبوكو حرام والإخوان في مصر والوهابية بطرقها المختلفة تخوضها أيضا باسم الدين.

وإن الذي يضعنا أمام سؤال شرود وتأمل يدعو إلى الاستغراب ما وجدناه من فرق كبير بين أن يصدر المتدين أو صاحب طائفة عقدية عن دين لا يفقه فيه كثيرا في حربه للآخرين. وهو ما دفعنا إلى بحث عينات من الناس من مختلف الديانات والطوائف في سبيل امتحان الإيمان العميق في قلوبهم وامتحن الإحاطة المعرفية بدينهم في عقولهم. فكانت النتيجة وفقا لما تضمنه هذا الجدول:

عنوان الدراسة	الإشكالية المطروحة على الأفراد	النسبة % (الإيجابية)	النسبة % (السلبية)
الإيمان بالميتافيزيقيات (الغيبيات) أم بالمعقولات (المستوعبات)	هل تؤمن بكل ما وراء الحجاب (وما سبب ذلك)؟	الإيمان بالغيب %94.44	اللا إيمان بالغيب %05.56
		على خلفية إيمانية فقط %83.33	أجابوا على عدم الإيمانية %22.22
المساهمون / المرجع	1- المجتمع الإسلامي 2- جامع القرويين 3- كنيسة سان فرانسوا بفاس 4- جامعة سيدي محمد بن عبد الله (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) فاس-سايس. 5- جامعة سيدي محمد بن عبد الله (كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية والاجتماعية) فاس-ظهر المهرز 6- كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال.	على خلفية عقلية فقط %11.11	روح-عقلية معا %22.22

المطلب الثاني: سلبيات الإيمان الذي لم يبين على المعرفة والعلم:

على الرغم من أن أغلب المستجوبين صوتوا لصالح الإيمان بالغيب إلا أنا في محادثات جنبية على هامس الاستجواب اكتشفنا بأن الكثيرين منهم يعتقدون في الغيبيات من غير علم. إنه تقليد روحي أشبه بحب الأوطان وحب الراية وحب الأشياء وحب الوالدين. فمحنة هؤلاء الله تعالى لا نشك فيها ولكنها مبنية على الجهل على كثير من الجهل بأحكام الشريعة وأصول الدين التي هي شرط فروع الدين.

وهو أمر يشترك فيه المسلمون وغير المسلمين من اليهود والنصارى. وهذا ما يسمى بالإيمان الأجلوف أو الإيمان الجاهل وهو: عدم بناء الإيمان على قواعد التفكير النقدي، بما يعنيه - التفكير النقدي - من انفتاح على الاحتمال المخالف، وتقبل الدخول في حوار متفاعل منتج، وبالتالي إمكانية التعديل أو التغيير للأفكار التي هي مورد قناعة سابقة عبر اختبار معطيات جديدة.

العقل وبناء العقيدة

من المسلمات عند أهل التحقيق أنّ العقيدة خاطبت في الإنسان فطرة العقل وعليه تأسست عند الكلاميين الأوائل قاعدة (العقيدة مبنية على مقررات العقول). فما استطاع العقل أن يثبت وجوده أو نفيه بالدليل المقنع، أمكن إدخاله إلى مجموعة الاعتقادات، أما ما لم يستطع العقل أن يثبت وجوده أو نفيه، سواء لم يقم عليه دليل أصلاً، أو كان الدليل غير تامّ بنظر العقل، فيبقيه في دائرة الاحتمال، وجوداً أو نفيًا، وبالتالي، لم يمكن إدخاله في مجموعة اعتقادات الإنسان

ولعلّ قوله تعالى: { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } يؤسس لذلك، حيث إنّ ثمة تلازمًا - في ميزان العقل - بين صدق أيّ قضية وبين إقامة البرهان عليها، بحيث لا يكون ثمة مبرر للإدعان لأيّ فكرة إذا لم يمكن إقامة البرهان عليها، بحيث تكون مفردات هذا البرهان مقنعة للعقل، ومحققة لسكونه واطمئنانه؛ إذ ليس لدينا من وسيلة للتأكد من صحة أيّ فكرة سوى العقل، وما لم نحقق له قناعاته انطلاقاً من القواعد التي يعمل وفقها، فإنه لا سبيل للتأكد من أنّ تلك الفكرة هي فكرة موهومة أو خيالية، أو هي فكرة حقيقية لها مجال وتحقق في حيز الواقع.

ليس بالضرورة أن يكون الدليل معقداً، فقد قيل لأعرابي: كيف تستدلّ على وجود الله؟ فقال: " البعرة تدلّ على البعير، وأثر الأقدام يدلّ على المسير، أفسماوات ذات أبراج، وأرض ذات ارتجاج، لا تدلّ على اللطيف الخبير؟! ". وسئلت امرأة تغزل الصوف

السؤال نفسه، فأجابت: "بهذا المغزل؛ إن حركته تحرك، وإن سكتته سكت... فإن العقل بمدركاته الأولية، يستطيع أن يقارب الأمور الفطرية بهذا اللون من الأدلة،

لكنها في كل الأحوال أدلة يقتنع بها العقل؛ بل هي تشكل المادة المحورية للدليل الفلسفي المعمق، والذي يراد من خلاله إثبات حدوث العالم، وفرضيات نشأة الكون والخلق والخالق وما إلى ذلك؛ فإن المقاربة الفلسفية سوف تنطلق من المحسوس لتثبت حدوث العالم، لكن بالإحاطة بمفردات أكثر، ومن خلال معالجة بعض الأسئلة الإشكالية التي لا يهتم بها أو لا يلتفت إليها عموم الناس،

حتى إذا انتهى لإثبات الحدوث، وضع أمامه فرضيات النشأة، وبدأ بمعالجتها من خلال التحليل المعمق الذي يطرح الإشكاليات ويعمل على الإجابة عليها، ليصل في النتيجة إلى أن الكون حادث، ولكل حادث محدث، وكل الفرضيات لا تصلح لتفسير هذا الحدوث، سوى أن يكون قد صدر عن خالق عالم قادر حكيم... وهذا الذي قصدناه من إشارتنا إلى أن لب العلم البسيط والمعمق واحد، ولكن الاختلاف في الأسئلة المتخصصة وأجوبتها؛ والله تعالى أعلم وأحكم.

فينتج من هذا ضرورة الالتفات إلى أن قوة العقيدة إنما تتحقق عبر مسارٍ حوارِيٍّ مع كل الأسئلة والإشكاليات التي تقف أمام أي فكرة، ومن ثم، تثير الصراع بين الأدلة، لتكون عملية التفكير النقدي هي العملية التي تتحرك في دائرة الصراع هذه، لتصل في النهاية إلى الفناعة والاعتقاد عبر قوة بعض الأدلة على بعض، مع إلغاء الاحتمال المقابل أو إبقائه كوجهة نظر أخرى، أو عدم الوصول إلى الفناعة والاعتقاد، والبقاء - تالياً - في خانة الشكوك العلمية التي تحتاج إلى معطيات جديدة لتحسم المسألة.

الاعتقاد طريق الإيمان:

بعد أن ينتهي العقل من هذا المسار في إثبات فكرة ما، ويتأكد من أنه فكرة حقيقية واقعية، وليست وهمًا أو خيالًا أو اختلاطًا ببعض الأفكار الأخرى، تدخل الفكرة إلى مجموعة الاعتقادات التي قد تكون أساسًا لمجموعة من الأفعال والممارسات التي غالبًا ما تكون عبادية أو أخلاقية سلوكية، وهذه الممارسة العبادية أو الأخلاقية، تمثل عملية تربوية تقوم بربط الفكرة العقلية المجردة بالأوضاع الحياتية المتنوعة، وهو ما يؤدي إلى تحويلها إلى إيمان راسخ، مُفعم بالمشاعر والأحاسيس الإيمانية، قابل - بالتالي - لتحريك الإنسان نحو ما يتوافق مع إيمانه، تمامًا كما تحركه أي فكرة هي جزء من وجدانه وكيانه.

وبهذا نكون مزكين لمبد (أنه لا إيمان من دون فكر)، ولا فكر من دون عملية نقدية يتم فيها اختبار الأفكار المخالفة، وإثبات عدم صلاحيتها لتعطيل القناعة بذلك الفكر، عبر الدليل والبرهان الذي يدعن له العقل ويستكين.

الحوار طريق من طرق الإيمان الراسخ:

هناك طريقتان لامتحان الفكر المخالف:

الأولى: هي التفكير الذاتي، بمعنى أن أحدد أنا - من موقعي الفكري والثقافي - الفكرة التي يطرحها الآخر، وأفهمها على ضوء ذلك، ثم أجيّب عنها.

الثانية: هي الاختبار المباشر، وذلك عبر الدخول في عملية حوار حقيقي مع الآخر، والاستماع إلى وجهة نظره، والسّماح بالأخذ والردّ في عملية النقد، وصولاً إلى تشكيل القناعات.

لكن النوع الثاني هو الأصوب، لأننا في النوع الأول نناقش ما نتصوّره نحن من فكر الآخر، وهذا يسمح بهامش من الخطأ، وفي بعض الأحيان، قد تثبت لنا الوقائع أننا لا نناقش الآخر، وإنما نناقش الأفكار التي نسبناها إليه وحسبنا يتبناها حسب تصوّراتنا!

ومن شأن هذا الأمر أن يفضي بنا إلى إدراك أهميّة الحوارات المباشرة، وانفتاح مجال النقد العام، بشكل عفويّ أو عبر مؤسّساته المفترضة، كالمؤسّسات العلمية الدينية (كالمعاهد الدينية)، أو الأكاديمية (الجامعات)، أو مراكز الأبحاث والدراسات، أو الإعلام بمجالاته المرئية والمسموعة والمقروءة، ومنه وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، التي أفسحت في المجال أمام كلّ فردٍ في هذا العالم لإبداء رأيه، وإجراء تعليقه على أيّ قضية مهما كان حجمها وتخصّصها، وأياً كان مطلقها وموقعه في تصنيفات المواقع والمقامات.

ولذلك قلنا إن الفكر النقدي بما له من آليات تبقيه في إطار مناقشة الأفكار، وإثارة الأسئلة بطريقة منطقيّة، بعيداً من المهاترات الكلامية وكلّ ما لا يمتّ إلى التفكير النقدي بصلة. قد تكون المسألة جدليّة هنا، ولكننا لا يصحّ هنا عدم الاحتكام إلى ضوابط عامّة بالإجمال، وهو - بكلّ الأحوال - موضوع آخر لسنا في مجال بحثه هنا، وإنما أشرنا إليه لمناسبة الكلام.

هذا هو المدخل إلى الفكر الإيماني الركامي المنغلق المنتج للمخازي والنكسات

الإيمان الأجوف المبني على الجهل

- الإيمان الأجوف المبني على الجهل

نحاول تلخيصه في جملة من الخلاصات الجامعة لخصائصه منها:

1- منظومة من الفكر الاعتقادي المغلق والمحوري، بمعنى أنه ثابت في مقولاته، غير حوارِي وإنما جدلي، وبالتالي هو غير منفتح على أفكار أخرى بطريقة نقدية حقيقية. ومعنى أنه محوريّ، أن نقاشاته لأيّ فكرة أخرى هي عملية تستبطن آخر وتناقشه، ولا تناقش آخر في الواقع والحقيقة.¹

2- الإيمان اليقيني القابل للتحرّك بدرجة خياليّة أحياناً، بحيث تجد الواحد من هذه الجماعات المتطرفة مندفعاً نحو الموت من دون أن يرفّ له جفنٌ، أو يهنّ له قلبٌ، كما أنّ مستوى عبادة هؤلاء تقوم على بذل جهود لا تقاس بها جهود الإنسان العاديّ في العبادات ذاتها.

ولعلّ من المناسب هنا إيراد ما أثر عن النبيّ (ص) من وصفٍ لمثل هذه الجماعات، ففي حديث أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سلمة قال: "جاء رجلٌ إلى أبي سعيد فقال: هل سمعت رسول الله (ص) يذكر في الحرورية² شيئاً، قال: سمعته يذكر قومًا يتعمقون في الدّين، يحقّر أحدكم صلاته عند صلاتهم، وصومه عند صومهم، يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية..."³ وفي حديث البخاري عن رسول الله (ص)، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو يقسم من الغنائم، وهو رجلٌ من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل! فقال: ويلك! ومن يعدل إلى لم أعدل!؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر: يا رسول الله، انذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه! فإنّ له أصحاباً يحقّر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يجوز تراقيهم، يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية..."⁴

وقد طلب الإمام عليّ من عبد الله بن عباس أن لا يحاججهم بالقرآن، وإنما يحاججهم بالسّنة، فقال له: "لا تخاصمهم بالقرآن؛ فإنّ القرآن حمالٌ ذو وجهٍ، تقولُ ويقولون، ولكن حاججهم بالسّنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً"⁵؛ وأغلب الظنّ أنّ السّبب في ذلك، أنّ وجود وجه مختلف للكلام، يفترض عملية تحليليّة فكريّة عميقة، تردّ الفروع إلى الأصول، وتفهم المفردة في سياقها، وتقيس الكلام إلى مثله من الموارد، وتتنظر في العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والمحكمات والمتشابهات، لتصل في النهاية إلى

1 - هي لغة النقول بما لا يفهم الناقل ولا يعيه يتشدد به ويجرد سيفه لمكاحمة الناس بظاهر النصوص تجريدا لها عن السياق وعن المعنى المرجوح

2 - هم الخوارج الذي خرجوا على عليّ (ر) بحروراء.

3 - مسند أحمد، ج3، ص33، من حديث أبي سعيد الخدري.

4 - البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص179.

5 - نهج البلاغة، ج3، ص136.

تشكيل قناعة بالمراد.. وهذا الأمر لا يتمتع به هؤلاء، بسبب سطحية تفكيرهم، ولذلك كان لا بد من ربطهم بالمحسوس أكثر من ربطهم بالمجرد العقلي، فكان الأمر بمحاجبتهم بالسنة.

ولعلنا نستطيع أن نفهم - انطلاقاً من ذلك - لماذا استطاع عمرو بن العاص أن يخدعهم في قضية التحكيم في حرب صفين، عبر رفع شعار "لا حكم إلا لله"، الذي أفضى بهم إلى إرباك القيادة، والسقوط تحت تأثير الخدعة، وبالتالي، منع الإمام عليّ (ع) من تحقيق أهداف الحرب.. وقد روي عن عليّ قوله فيهم عندما سمع منهم مقولتهم تلك: "كلمة حق يُراد بها باطل. نعم، إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاقل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح برّ، ويستراح من فاجر"¹؛ فإن الله لا يحكم الناس بشكل مباشر، وإنما ثمة نظام لا بد من أن يتحرك في حياة الناس، ولكن هؤلاء - بسطحية تفكيرهم - حركوا الشعار في الواقع في غير موضعه، وتصوّروه على غير وجهه، فكان تطبيقه في الواقع دماراً ووبالاً على الإسلام والمسلمين! وتحولوا في نهاية المطاف إلى قتلة وقطاع طرق²، ووصل الأمر بهم إلى قتل عليّ (ع) وهو يصلّي في محرابه، وربما قتلوه تقريباً إلى الله أيضاً!

إن التاريخ عندما يقص لنا كيف استطاع هؤلاء الذين كانوا بحيث يحقر الناس صلاتهم إلى صلاتهم، وصيامهم إلى صيامهم، فلقي نفهم من ذلك أن العبادة بمجردا لا تستطيع أن تصوغ شخصية متوازنة متماسكة أمام التحديات التي تواجهها في أفكارها واعتقادها، وتتطلب منها موقفاً حاسماً لا ارتباك فيه ولا تردد، لأن دور العبادة أن تقوم بترسيخ الأفكار في وجدان الإنسان، ليدخل الإيمان في قلبه³، ولكنها لا تؤسس فكراً إيمانياً قوياً، ولا توجد أخلاقاً قويمه، وإنما تأتي العبادة في مرتبة ثانية، على ما ذكرنا آنفاً، بعد ترسيخ الفكر، عبر قواعد العلم والمنطق والبرهان والدليل الذي يتحرك على حدّ السيف في الفكرة ودليلها، والرأي وبرهانه، والنقد ودلائله، حتى إذا أصبحت الفكرة قادرة على إثبات ذاتها من داخلها، عكست الحقيقة والواقع، وكان الإيمان - تالياً - هو المحرك لها في الحياة.

¹ - نهج البلاغة، ج1، ص91.

² - راجع ما ذكره ابن سعد في طبقاته عن قتل الخوارج لعبد الله بن خباب، لحديث رواه عن رسول الله، وقتلوا معه زوجته. الطبقات الكبرى، ج5، ص245، وذكر ذلك ابن قتيبة الدينوري في الأخبار الطوال، ص207، وآخرون

³ - سورة نوح، الآية 7.

عجا أن ترى أناسًا يصلُّون ويصومون ويحجُّون، ويتحمَّلون المشاقَّ والصَّعاب في عباداتهم، ولديهم نبرة قويَّة في الصَّدع بآيات الكتاب وأحاديث الرسول، وشكيمة صلبة في تطبيق الحدود، غير مباليين بما يقول عنهم النَّاس، ويخبر عنهم الإعلام، ويفتي ضدَّهم المفتون... ولكثهم - في الوقت عينه - يندفعون إلى المساجد ليقتلوا المصلِّين الصَّائمين في شهر رمضان، زاعمًا ذلك المفجِّر نفسه - وربما صادقًا في نيَّته - أنه سيكون مع رسول الله في الجنَّة، وكذلك الذي يقتحم على ناسٍ سوقهم ليقتل العشرات؛ بل المئات، بحجَّة أنه يريد أن ينتصر لدين والله، ولشريعة خاتم النبيِّين! كلَّ ذلك يجعلنا ندرك ما يمكن أن تفعله السطحيَّة الإيمانيَّة في الحياة، وحجم الكوارث التي يمكن أن تجنيها على الأمة، لا في حاضرها فقط، وإنَّما في مستقبلها أيضًا، وليس في واقعها فقط، وإنَّما في ذهنيَّة الأمة وأفكارها أيضًا..

تخيَّل أنَّ هذه الجماعات ذات الإيمان السطحي يمكن أن تنخرط في مخطَّطات جهنَّمية لتدمير الإسلام وبلاد المسلمين، تخطَّطها أجهزة مخابرات دولية وإقليمية، تعمل في خدمة الاستكبار العالمي والصهيوني، وهي تحسبُ أنَّها تقوم بواجبها الشرعي؟!!

الذي لم يبين إيمانه على قاعدة من التحليل العميق للأفكار، ونقدٍ دقيقٍ للأدلة، وانفتاح واسع للآراء الأخرى، والذي هو مستعدُّ لكي ينتقل إلى مرحلة التربية الإيمانيَّة انطلاقًا من مجموعة أفكار جاهزة، أقام حولها سياجًا يمنع من إعادة النظر فيها، على طريقة ما قصَّه الله تعالى: { جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا }¹، هذا لم تُصغ شخصيَّته على أساس العلم والمعرفة العميقين، وإنَّما ارتبطوا بالشكل، حتَّى أصبح كلُّ من التحى وقصر ثوبه أميرًا مطاعًا، وكلُّ من اقتحم القبور نابشًا لها ومدمَّرًا صار موحدًا، وكلُّ من دعمهم بالسَّلاح على عدوِّهم (المشرك) صديقًا...

لن نطيل كثيرًا في وصف ذلك، فالواقع على مرمى حجرٍ منَّا جميعًا، وما حصل خلال العقدين الأخيرين، كان منقطع النظير في حجمه وتداعياته، وإن لم يكن جديدًا بنوعه ووحشيَّته تاريخيًا، ولكننا أردنا أن نشير إلى نقطة قد نقع فيها جميعًا في طريقة التنسُّة الإيمانيَّة، وبالتالي، يسهل على كثير ممَّن امتهنوا التخطيط والشيطنة أن يستثمرونا في حروبٍ أو صراعات جديدة، ولعلنا من هنا نستطيع أن نفهم مثل الحديث القائل: "ركعتان من عالمٍ خير من سبعين ركعة من جاهل؛ لأنَّ العالم تأتيه الفتنة فيخرج

¹ - ميزان الحكمة، ج3، ص207

منها بعلمه، وتأتي الجاهل فينصفه نفساً"؛ إذ المسألة لا تقاسُ بالشكل، وإنما بالوعي الذي يحرك الشكل والحركة والفعل في أرض الواقع.

المبحث الثامن: تشيئ الله في الفكر الظلامي الحديث / أنموذج للإيمان الأجوف القاتل:

• المطلب الأول: بحث ميداني بالسؤال عن المكانيّة واللامكانيّة في حق الله تعالى

والغرض من طرق هذا المبحث هو الكشف عن مظهر من مظاهر الجهل العقدي الجاثم على صدور كثيرين من الوهابية ومن هنا نحوهم من بسطاء الناس الذين تأثروا بأبواقهم في البلاد الإفريقية . وقد أعدنا لهذه الدراسة سؤالاً محورياً طرحناه على عينة من المبحوثين من مختلف المراكز الدينية والعلمية من مسلمين ومسيحيين فكانت النتيجة صادمة وفقاً للجدول الآتي:

النسبة % (السلبية)	النسبة % (المحتفظة)	النسبة % (الإيجابية)	الإشكالية المطروحة على الأفراد	عنوان الدراسة
اللامكانيّة %58.82	المحايدون %11.76	المكانيون %23.53	هل تعتقد أن لله مكان أم لا؟	المكانيّة وألا مكانيّة لله سبحانه
أيدوا بذلك المدرسة العقائدية القائلة باللا مكان لله وب بعلمه في كل مكان	فضلوا عدم الخوض في هذا النقاش	أيدوا بذلك المدرسة العقائدية القائلة بأن الله في السماء		
الطلبة والباحثون في؛				المساهمون / المرجع
1- مؤسسة جامع القرويين 2- جامعة سيدي محمد بن عبد الله (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) فاس-سايس {شعبة الدراسات الإسلامية} 3- كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال {طلبة ماستر في الحوار الديني} 4 - كنيسة سان فرانسوا-فاس 5- المجتمع الإسلامي.				

المطلب الثاني: تقويم الاتجاهين وفقاً للعوامل التي أنتجتهم

ومما وجب تسجيله انطلاقاً من التعليقات التي استمعنا إليها من من أفواه
المستجوبين :

- أن من صوتوا لصالح لا مكانيّة الباري تعالى كانوا على قدر لا بأس به من مطالعة
العقيدة الأشعرية خاصة من المنتسبين لكليات الشريعة وشعب الدراسات الإسلامية.

وهؤلاء كانوا يشيدون بمن علمهم هذه العقيدة السليمة. لهذا وجدناهم يشيدون بجهود أساتذتهم الحريصين على العقيدة الأشعرية والمالكية.

- أن من صوتوا لصالح مكانية الباري وحلوله في الأماكن، غالبيتهم بسطاء الفكر والمؤسف أن منهم طلبة في الدراسات الإسلامية منبهرون بمنابر شيوخ الوهابية. ف. بل منهم من نغم على العقيدة الأشعرية وعلى أساتذة العقيدة في المغرب. ومنهم من ينتظر شهادة جامعية في الإسلاميات ويتمنى لو يدرس في السعودية بعد الإجازة.

المطلب الثالث: أجوبة منتخبة من سلف الأمة تبطل ادعاء الوهابية المكانية في حق الباري تعالى

عجا للوهابية كيف يبدعون من نزه الباري تعالى عن المكانية. حتى بدعوا ابن حجر والنووي. فيلزمهم على هذا تبديع صلاح الدين الأيوبي حامي السنة فقد كان على هذا المعتقد السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله (589 هـ) كما وصفه أصحاب التراجم: "شافعي المذهب، أشعري الاعتقاد"، وقد كان له اعتناء خاص بنشر عقيدة الإمام الأشعري رحمه الله فقد قال السيوطي ما نصه "فلما ولي صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين في وقت التسبيح أن يعلنوا العقيدة الأشعرية، فوظف المؤذنين على ذكرها كل ليلة الى وقتنا هذا) اهـ أي إلى وقت السيوطي المتوفى سنة 911هـ.

ويقول الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي ما نصه: "فلما ولي صلاح الدين بن أيوب وحمل الناس على اعتقاد مذهب الأشعري أمر المؤذنين أن يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة الأشعرية التي تعرف بالمرشدية فواظبوا على ذكرها كل ليلة" اهـ.

ولما كان للسلطان المذكور هذا الاهتمام بعقيدة الأشعري ألف الشيخ الفقيه النحوي محمد بن هبة الله رسالة في العقيدة وأسمائها "حدائق الفصول وجواهر الأصول" وأهداها للسلطان فأقبل عليها وأمر بتعليمها حتى للصبيان في المكاتب، " وصارت تسمى فيما بعد "بالعقيدة الصلاحية". ومما جاء في هذه الرسالة¹

وصانع العالم لا يحويه قطر تعالى الله عن تشبيهه
قد كان موجودا. ولا مكانا وحكمه الان على ما كانا
سبحانه جل عن المكان وعز عن تغير الزمان
فقد غلا وزاد في الغلو من خصه بجهة الغلو
وحصر الصانع في السماء مبدعها والعرش فوق الماء
وأثبتوا لذاته التحيزا قد ضل ذو التشبيه فيما جوزا

¹ - انظر على التوالي هذه النصوص في: الوسائل إلى مسامرة الأوائل (ص/ 15). والفتوحات الربانية (2/ 113). وحدائق الفصول (ص/ 15).

ولا يستغرب هذا الاهتمام البالغ من السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى فإنه كان قد نشأ على هذا الاعتقاد منذ كان في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق، فحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألقاها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري وصار يحفظها صغار أولاده، فلذلك عقد جميع سلاطين بني أيوب الخناصر وشدوا البنان على مذهب الأشعري واستمر الحال جميع أيامهم وانتقل إلى أيام السلاطين المماليك ثم إلى سلاطين بني عثمان رحمهم الله تعالى إلى وقتنا هذا.

ولما كان أهل السنة والجماعة هم حرّاس العقيدة الحقّة والمدافعين عنها والداحضين لشبه المشبهة والمجسمة الذين انكسروا أمام الحجج القاطعة التي يوردها أهل الحق، ولمّا كان الوهابية أتباع ابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب الذي خرج من نجد من الفرق التي تدعو إلى عقيدة تشبيه الخالق بالمخلوق كوصف الله بالجلوس والاستقرار على العرش ونسبة الجهة والمكان والأعضاء والجوارح لله عزّ وجلّ والعياذ بالله من الكفر، عمدوا إلى التضليل والطعن بعلماء أهل السنة والجماعة وبالأخص علماء التوحيد، حتى وصل الأمر بالوهابية إلى تعليم الناس أن هؤلاء العلماء كفار عند أهل السنة، فقالوا بعد أن ذكروا أن الجهمية ينفون أسماء الله ما نصه:

"وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فلهذا كفرهم كثيرون من أهل السنة" انتهى بحروفه. وهذا الكلام لعبد الرحمن بن حسن حفيد محمد بن عبد الوهاب مؤسس بدعة المذهب الوهابي، ذكره في كتابه المسمى "فتح المجيد"، وهذا دليل على أن الوهابية يضللون علماء المسلمين من الأشاعرة وغيرهم منذ مائتي سنة تقريبا، وزعمه أن أهل السنة كفروا الأشاعرة كذب وزور وبهتان فإن أكثر علماء الحديث والفقهاء والتفسير والتجويد واللغة وغيرهم من الأشاعرة. ودعاة الوهابية على هذا الانحراف في سب علماء الأمة، فهذا صالح ابن فوزان الفوزان أحد أبرز دعاة الوهابية يقول ما نصه: "و الأشاعرة والماتريديّة خالفوا الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة في كثير من المسائل الاعتقادية وأصول الدين فلم يستحقوا أن يلقبوا بأهل السنة والجماعة" انتهى بحروفه.

قلنا: علماء أهل السنة من الأشاعرة والماتريديّة الذين انتشروا في أنحاء الأرض لتعليم الناس عقيدة أهل الحق منذ ألف ومائتي سنة تقريبا لا يعلم عددهم على الحقيقة إلا الله تبارك وتعالى، وإذا أردنا أن نجتمع أسماءهم فقط مع تعدد فنونهم إن كان في العقيدة أو الحديث أو الفقه أو التفسير أو غير ذلك لجاء ذلك في مجلدات كثيرة. ولو عمل بقول الوهابية بتضليل كل ماتريدي وأشعري في عقيدته لانقطع سند العدالة بيننا وبين السلف الصالح الذي يزعم الوهابية أنهم ينتسبون إليه.

و الوهابية يقولون عن النووي وابن حجر وغيرهما من الأشاعرة والماتريدية إنهم على البدعة والضلالة والكفر، وكذلك على مقتضى كلامهم المجاهد صلاح الدين الأيوبي الذي دافع عن بلاد المسلمين ونصر المظلومين يكون من المبتدعة الضالين لأنه أشعري المعتقد، فلم تسلم من ألسنتهم الأموات ولا الأحياء، وإلى الله المشتكى واليه المصير

- قال الإمام الحافظ المفسر عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي الحنبلي (597 هـ) ما نصه: " الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله تعالى لا يحويه مكان ولا يوصف بالتغير والانتقال " اهـ.

- وقال أيضا: افترى اقوام يسمعون أخبار الصفات فيحملونها على ما يقتضيه الحس، كقول قائلهم: ينزل بذاته إلى السماء وينتقل، وهذا فهم رديء، لأن المنتقل يكون من مكان إلى مكان، ويوجب ذلك كون المكان أكبر منه، ويلزم منه الحركة، وكل ذلك محال على الحق عز وجل " اهـ.

وابن الجوزي من أساطين الحنابلة وصاحب كتاب دفع شبه التشبيه " الذي رد فيه على المجسمة الذين ينسبون أنفسهم إلى مذهب الامام أحمد والإمام أحمد بريء مما يعتقدون. وقد بين ابن الجوزي في هذا الكتاب أن عقيدة السلف وعقيدة الإمام أحمد تنزيه الله عن الجهة والمكان والحد والجسمية والقيام والجلوس والاستقرار وغيرها من صفات الحوادث والأجسام.

- ومما قاله في هذا الكتاب¹: " كل من هو في جهة يكون مقدرًا محدودًا وهو يتعالى عن ذلك، وإنما الجهات للجواهر والأجسام لأنها أجرام تحتاج إلى جهة، وإذا ثبت بطلان الجهة ثبت بطلان المكان " اهـ.

- وقال أيضا ما نصه: " فإن قيل: نفي الجهات يحيل وجوده، قلنا: إن كان الموجود يقبل الاتصال والانفصال فقد صدقت، فأما إذا لم يقبلهما فليس خلوه من طرق النقيض بمحال " اهـ.

- وقال الشيخ تاج الدين محمد بن هبة الله المكي الحموي المصري (599 هـ) في تنزيه الله عن المكان ما نصه

¹ - انظر مواطن هذه النصوص على التوالي في: المسمى "فتح المجيد": باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات: (ص/353)، مكتبة دار السلام- الرياض، ط أولى 13 4 1 ص- 1 992 و"من مشاهير المجددين في الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب" على زعمه: (ص/32) طبع و نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- السعودية (طبع عام 1408 هـ) وهذا يعني أن مجلس الافتاء عندهم يتبنى الطعن ودم علماء الأمة. وأنظر كتاب "لقاء الباب المقترح": (ص/42) دار الوطن- الرياض، ط أولى 1414 هـ. ودفع شبه التشبيه (ص/58). (2) صيد الخاطر (ص/476). والهاز الأشهب (ص/57).

"وصانع العالم لا يحويه قطر تعالى الله عن تشبيهه

قد كان موجودا ولا مكانا وحكمه الان على ما كانا

سبحانه جل عن المكان وعز عن تغير الزمان" اهـ

- وقال المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (606 ص) ما نصه: "المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والعمل الصالح، لا قرب الذات والمكان لأن ذلك من صفات الأجسام، والله يتعالى عن ذلك ويتقدس " اهـ.

- وقال المفسر فخرالدين الرازي (606 هـ) ما نصه: "واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى "أأمنتم من في السماء" اهـ أي أن اعتقاد أن الله في مكان فوق العرش أو غير ذلك من الأماكن هو اعتقاد المشبهة الذين قاسوا الخالق على المخلوق وهو قياس فاسد منشؤه الجهل واتباع الوهم " اهـ.

- وقال أيضا: " قوله تعالى " وهو العلي العظيم " لا يجوز أن يكون المراد بكونه عليا العلو في الجهة والمكان لما ثبتت الدلالة على فساده، ولا يجوز أن يكون المراد من العظيم العظمة بالجثة وكبر الجسم، لأن ذلك يقتضي كونه مؤلفا من الأجزاء والأبعاد، وذلك ضد قوله " قل هو الله أحد" فوجب أن يكون المراد من العلي المتعالي عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات، ومن العظيم العظمة بالقدرة والقهر بالاستعلاء وكمال الإلهية، اهـ.

- وقال الشيخ أبو منصور فخر الدين عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن عساكر (620 هـ) عن الله تعالى ما نصه: "موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، ولا يقال متى كان، ولا أين كان ولا كيف، كان ولا مكان، كون الأكوان، ودبر الزمان، لا يتفقد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان " اهـ.¹

- وقال الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الشيباني الحنفي (629 ص) ما نصه (19): "مسألة: قال أهل الحق: إن "الله تعالى متعال عن المكان، غير متمكن في مكان، ولا متحيز إلى جهة خلافا للكرامية والمجسمة... والذي يدل عليه قوله تعالى "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

فالله سبحانه وتعالى نفى أن يكون له مثل من الأشياء، والمكان والمتمكن متساويان قدرا متماثلا لاستوائهما في العدد، فكان القول بالمكان والتمكن ردا لهذا النص المحكم

¹ - انظر عن هذه النصوص الكتب الآتية:

الذي لا احتمال فيه، ورد مثله يكون كفرا. ومن حيث المعقول: ان الله تعالى كان ولا مكان، لأن المكان حادث بالإجماع، فلم يقينا أنه لم يكن متمكنا في الأزل في مكان، فلو صار متمكنا بعد وجود المكان لصار متمكنا بعد أن لم يكن متمكنا، ولا شك أن هذا المعنى حادث وحدوث المعنى في الذات أمارة الحدث، وذات القديم يستحيل أن يكون محل الحوادث على ما مر، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا" اهـ.

- وقال المتكلم سيف الدين الأمدي (631 هـ) ما نصه (20): "وما يروى عن السلف من ألفاظ يوهم ظاهرها إثبات الجهة والمكان فهو محمول على هذا الذي ذكرنا من امتناعهم عن إجرائها على ظواهرها والإيمان بتنزيلها وتلاوة كل آية على ما ذكرنا عنهم، وبين السلف الاختلاف في الألفاظ التي يطلقون فيها، كل ذلك اختلاف منهم في العبارة، مع اتفاقهم جميعا في المعنى أنه تعالى ليس بمتكّن في مكان ولا متحيّز بجهة، ومن اشتغل منهم بتأويل يليق بدلائل التوحيد قالوا في قوله: "وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله" أراد به ثبوت الألوهية في السماء لا ثبوت ذاته، وكذي في هذا قوله: "وهو الله في السماوات وفي الأرض" أي ألوهيته فيهما لذاته، وكذي في (هذا) قوله: "أأمنتم من في السماء" ألوهيته إلا أن ألوهيته أضمرت بدلالة ما سبق من الآيات، وقوله: "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" أي يعلم ذلك ولا يخفى عليه شيء، وقوله: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" أي بالسلطان والقدرة.

وكذا القول بأنه فوق كل شيء أي بالقهر على ما قال تعالى: "وهو القاهر فوق عباده" وقالوا في قوله: "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه". سورة فاطر، إن الله تعالى جعل ديوان أعمال العباد في السماء والحفظة من الملائكة فيها فيكون ما رفع إلى هناك رفعا إليه، وهذا كما في قوله: "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" (85/سورة الواقعة)، وقوله: "وأنتم حينئذ تنظرون" (84/سورة الواقعة) قالوا ملك الموت وأعوانه، والمجسمة لا يمكنهم أن يقولوا: إنه بالذات عند كل محتضر، ولا أن يقولوا: إنه بالذات في السماء لما يلزمهم القول بجعله تحت العرش وتحت عدد من السموات، فوقعوا بهوهم في مثل هذه المناقضات الفاحشة.

فيكون معنى قوله: "إليه يصعد الكلم الطيب" (10/سورة فاطر) كما في قوله تعالى خبرا عن إبراهيم صلوات الله عليه: "وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين" (99/سورة الصافات) أي إلى الموضع الذي أمرني ربي أن أذهب إليه، وقالوا في قوله: "إن الذين عند ربك" (206/سورة الأعراف)، يعني الملائكة، أن المراد منه قرب المنزلة لا قرب المكان كما قال موسى: "وكان عند الله وجيها" (69) سورة الأحزاب وقال تعالى: "وانكروا عبادة إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار" (45/سورة ص)

قال المفسرون وأئمة الهدى: أي أولو القوة في الدين والبصارة في الأمر، ولم يفهم أحد من السلف والخلف منه الأيدي الجارحة مع كونهم موصوفين حقيقة بالأبصار الجارحة والأيدي الجارحة: فكيف فهمت المشبهة من قوله: " خلقت بيدي " (75) سورة ص واليدين الجارحتين، ومن قوله: " ولتصنع على عيني " (39/ سورة طه) العين الجارحة، ومن الخبر المروي: " إن الصدقة تقع في كف الرحمن " (1) الكف الجارحة مع قوله تعالى: " ليس كمثله شيء " (11/ سورة الشورى) وقوله: " ولم يكن له كفوا أحد " (4) سورة الأخرس وقوله: " سبحان الله عما يصفون " (91) سورة المؤمنون وقوله: " إن الله لغني عن العالمين " (6) سورة العنكبوت فما فهموا من تلك المتشابهات إثبات الجسم والجوارح " الصورة إلا لخبث عقيدتهم وسوء سريرتهم. وبالله العصمة من الخذلان " اهـ.¹

- وقال الشيخ جمال الدين محمود بن أحمد الحصري شيخ الحنفية في زمانه (636 ص) بعد أن قرأ فتوى ابن عبد السلام في تنزيه الله عن المكان والحروف والصوت ما نصه²: " هذا اعتقاد المسلمين، وشعار الصالحين، ويقين المؤمنين، وكل ما فيهما صحيح، ومن خالف ما فيهما وذهب إلى ما قاله الخصم من إثبات الحرف والصوت فهو حمار " اهـ.

- وقال الشيخ جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي (646 هـ) مثنيا على العقيدة التي كتبها الشيخ عبد العزيز ابن عبد السلام ومما جاء في هذه العقيدة قول ابن عبد السلام: " كان - الله - قبل أن كون المكان ودبر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان " اهـ. ومن جملة ما ذكره في ثنائيه قوله: " ما قاله ابن عبد السلام هو مذهب أهل الحق، وأن جمهور السلف والخلف على ذلك، ولم يخالفهم إلا طائفة مخذولة، يخفون مذهبهم ويدسونه على تخوف إلى من يستضعفون علمه وعقله " اهـ.

قلنا: منذ مائتي سنة تقريبا إلى زماننا هذا والوهابية يتجاسرون على إظهار ونشر عقيدة المشبهة والمجسمة وبكل وقاحة، فقد زعم عبد الرحمن بن حسن وهو حفيد محمد بن عبد الوهاب (مؤسس بدعة المذهب الوهابي) أن بعض الناس إذا سمعوا صفات الله ينكرونها، ويعني هذا المجسم- الذي أخذ عقيدة التجسيم من مدرسة جدّه محمد بن عبد الوهاب- بصفات الله: الجلوس على الكرسي والعياذ بالله تعالى، فقال ما نصه: " فإذا

¹ - انظر عن هذه النصوص على الترتيب الكتب الآتية: قال تاج الدين السبكي في طبقاته: " كان فقيها فرضيا نحويا متكلما، أشعري العقيدة، إماما من أئمة المسلمين، إليه مرجع أهل الديار المصرية في فتاويهم. وله نظم كثير منه ارجوزة سماها " حدائق الفصول وجواهر الأصول " صنفتها للسلطان صلاح الدين، وهي حسنة جدا نافعة، عذبة النظم) اهـ. (23/7-25).

² - منظومة " حدائق الفصول وجواهر الأصول " في التوحيد، التي كان أمر بتدريسها السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبي (ص10). والنهائية في غريب الحديث (مادة ق ر ب، 4/32). و تفسير الرازي المسمى بالتفسير الكبير (سورة الملك/ آية 16- 30/69). والمصدر السابق (سورة الشورى آية 4- 27/144). وطبقات الشافعية (8/186). وشرح على العقيدة الطحاوية المسمى ببيان اعتقاد أهل السنة (ص/45).

سمعوا شيئاً من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له، فلم يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين. قال الذهبي: حدث وكيع عن إسرائيل بحديث: "إذا جلس الرب على الكرسي" فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع وقال: "أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها" انتهى كلامه من كتابه المسمى "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد"¹ الذي يعتبره الوهابية من أهم كتب العقيدة عندهم، فانظر أيها القارئ كيف يصفون الله تعالى بالجلوس الذي هو من صفات البشر والبهائم، ويموهون على الناس بنسبة هذا القول إلى علماء المسلمين ليسهل عليهم نشر هذا الاعتقاد الفاسد.

واعلم أنه لم يصح عن عالم من علماء السلف المعتبرين نسبة القول بالجلوس، بل عقيدة السلف كما قال الإمام الحافظ الفقيه أبو جعفر الطحاوي (توفي سنة 321 ص) وهو أحد أئمة السلف:، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالإنسان " اهـ

¹ - (19) أبحاث الأفكار (ص/ 194- 195)، مخطوط. وكتاب كتاب الزكاة: باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتر بيتها في صحيح مسلم و طبقات الشافعية الكبرى: ترجمة عبد العزيز بن عبد السلام (8/ 237). و صحيفة 356، مكتبة دار السلام: (الرياض، ط 1 عام 1413 هـ ار 1992).

المبحث التاسع: علمية علم المواريث وإبطال شبه العلمانيين :

ودأبا على ما رماه في هذا الباب من تأكيد علمية العلوم المتفرعة عن القرآن والسنة خلافا لما رأيناه مع الإنجيل والتوراة، تدعو الضرورة إلى حشد علم المواريث حجة دامغة على أن الإسلام أصل العلوم وموجهها توجيهها مقاصديا.

المطلب الأول: تقويم أجوبة المبحوثين حول علمية وعدالة علم المواريث:

أعدنا سؤالا محوريا فرعنا عنه جملة أسئلة على هامش الاستجواب ووجهناه إلى عينات من الطلبة في عدة جامعات وكانت نتيجة الاستجواب وفقا لما يلخصه الجدول

النسبة % (السلبية)			النسبة % (الإيجابية)	الإشكالية المطروحة على الأفراد	عنوان الدراسة
صعبة %71.87			سهلة %21.88	هل علم الفرائض صعبة أم سهلة؟	صعوبة العلم من سهولتها
العلة في ذات العلم	العلة في الأستاذ	العلة في الطالب	أجابوا على سلاسة العلم		
%25	%6.25	%37.5			
فقط خصت الطلبة والباحثون: <ol style="list-style-type: none"> 1. طلبة مؤسسة جامع القرويين 2. طلبة سيدي محمد بن عبد الله (كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس-سائيس 3. طلبة الدراسات المعمّقة في الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بفاس 4. وطلبة ماستر ببني ملال (كلية الآداب). 					المساهمون / المرجع

- تقويم:

فها أنت ترى من خلال هذه الأجوبة كيف تفرقت مسؤولية الصعوبة على ثلاثة أقطاب: على المادة وعلى الطالب وعلى الأستاذ. لا يهمننا هنا النسبة المئوية بقدر ما يهمننا أن الأستاذ والطالب يتحملان مسؤولية كبرى في عدم ضبطهم لهذا العلم الجليل الذي هو فخر أمتنا وسبب مهم من أسباب الطعن في ديننا من لدن أعدائه.

وذكر الطالب والأستاذ يجرنا إلى ذكر المناهج التربوية التي نحسبها المسؤولة الأولى عن انتكاسة الطالب والأستاذ في هذا الاختصاص. ذلك أن المناهج هي مرجع الأستاذ في تبليغ هذه المادة، باعتبار أن الحيز الزمني الذي أعطي للمادة قليل جدا لا يتناسب وحجمها وقيمتها

العلمية التاريخية والدينية على السواء. ولا شك في أن ذلك من شأنه أن يؤثر على عطاء الأستاذ وعطاء التلميذ على حد سواء في كل الأسلاك التعليمية.

وهذا ما يدعو إلى إعادة النظر في البرامج عموماً وفي برنامج المادة خصوصاً ربطاً لها بخصوصيتنا الدينية وهي أننا دول إسلامية ينبغي مراعاة هويتنا الدينية والحضارية ومسؤوليات دولنا اتجاه الناشئة.

المطلب الثاني: علمية وعدالة منظومة المواريث في مواجهة شبهات الطاعنين:

- المسلك الأول: شبهات الطاعنين في منظومة الإرث الإسلامي لرياض - خاص بـ«الجزيرة»:

والمدخل إلى ذلك هو الإحالة على الصور النمطية الكريهة والمسيئة التي ما فتئ يقدمها الفكر والإعلام الغربي بمختلف الأشكال والألوان، استمداداً من الفكر الاستشراقي المعادي للإسلام. ومن ذلك الادعاءات الباطلة أن الإسلام ظلم المرأة في الميراث، وأنه أعطى للذكر مثل حظ الأنثيين، وغيرها من الادعاءات القديمة المتجددة حتى وصلت لمواقع التواصل الاجتماعي.

ولقد أحسنت قناة الجزيرة نيت صنعاً لما استدعت خيرة من الفقهاء المتخصصين أوكلت إليهم مهمة تنفيذ هذه الفرية التي توارثتها أجيالهم.. فماذا قالوا؟

فهذه الدكتورة سارة بنت متلع القحطاني أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الكويت ترد إجمالاً بأن التفاوت بين الذكور والإناث في مسائل الميراث ليس على إطلاقه. وقد مهدت لمرافعتها العلمية بعرض المنظومة الحقوقية للمرأة في الإسلام بما يجليها في أعين القارئ.

وتقدير كلامها أنه لا بد أولاً من الإقرار بأمرين قبل الشروع في تنفيذ هذه الشبهة.

- الأول: أن الشريعة الإسلامية في أحكامها مترابطة النسيج، بحيث تتكامل أجزاؤها في توازن دقيق من جهة، وتتوافق روافد أحكامها بحيث تقوم على أساس العدل من جهة أخرى.

الثاني: أن التفاوت بين الذكور والإناث في مسائل الميراث ليس على إطلاقه، ذلك أن مسائل الميراث تحكمها ثلاثة معايير هي:

أولاً: درجة القرابة بين الوارث - ذكراً أو أنثى - وبين المورث - المتوفى - والقاعدة أنه كلما اقتربت الصلة زاد نصيب الوارث وكلما بعدت الصلة قل النصيب في الميراث دونما اعتبار لجنس الوارثين.

ثانياً: موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال، فالأجيال التي تستقبل الحياة وتستعد لحمل أعبائها عادة ما يكون نصيبها أكبر من نصيب الأجيال التي تستدبر الحياة وتخفف من أعبائها بل وتصبح أعباؤها عادة مفروضة على غيرها، وذلك بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للورثة.

ثالثاً: العبء المالي الذي يوجب الشرع على الوارث تحمله، والقيام به حيال الآخرين، وهذا المعيار الوحيد الذي يثمر تفاوتاً بين الذكر والأنثى ولكنه تفاوت لا يفضي إلى ظلم للأنثى أو انتقاص إنصافها، إذ لما كان الرجل قواماً على المرأة، مكلفاً بالإنفاق على أسرته، جاء هذا التشريع مظهراً من المظاهر التشريعية لتطبيق هذا الأصل - وهو تكليف الرجل بالإنفاق على أسرته.

وقد استشهدت الدكتورة بقول للإمام النووي في بيان الحكمة من زيادة حصة الذكر على الأنثى في بعض الأحوال ونصه: «حكمته أن الرجال تلحقهم مؤن كثيرة في القيام على العيال والضيغان والأرقاء والقاصدين ومواساة السائلين وتحمل لغرامات وغير ذلك، والله أعلم»، ومن جهة أخرى فإن استقرار حالات الميراث ومسائله - كما جاءت في علم الفرائض - يكشف عن الحقائق الآتية:

- 1- هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل.
- 2- هناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماماً.
- 3- هناك عشر حالات أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل.
- 4- هناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث فيها نظيرها من الرجال. تسع حالات

وتتميماً لهذا الرد العلمي على شبه الطاعنين عطف الدكتور فهد بن سعد المقرن الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض على الموضوع مستفتحاً بقول الله تعالى: ((إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ))، ويقول سبحانه: ((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)).

من منطوق هاتين الآيتين الكريمتين، يرى الباحث أن قضايا الحكم بين الناس مردها إلى الوحي المبين المبلغ عن الرسول الأمين - صلى الله عليه وسلم، وهما الكتاب والسنة الصحيحة، وهو دستور هذه البلاد المملكة العربية السعودية أعزها الله ونصرها، ولهذا فما يروجّه الأعداء والمعاندون لشريعة الإسلام من أن الإسلام ظلم المرأة ولم ينصفها بجعل نصيب الرجل في الميراث أكثر من ميراث المرأة.

فهذا الكلام في حقيقته اجتزاء لصورة واحدة، وهو وجود ذكر مساوي لها في الميراث فهو في هذه الحالة يرث أكثر منها، أما الصور الأخرى فقد ترث المرأة أكثر من الرجل في تسع حالات معلومة عند أهل العلم بالفرائض، وهؤلاء وضعوا عين النقد على صورة واحدة، وتغافلوا عن صور متعددة ترث فيه المرأة أكثر من الرجل، وليس الشأن في بيان هذا.

فالذي قسم الميراث هو رب السموات من فوق سبع سموات، والعبودية تقتضي التسليم والإذعان والخضوع لحكمه والانقياد له بالطاعة، ولهذا لم يسمع هذا الصوت النشاز إلا من قبل من لم يدين بدين الإسلام، وإلا فالمؤمن يذعن لحكم الله كما قال تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا، على أن الحكمة في كون الذكر يأخذ أعلى من نصيب الأنثى في حالات معينة معللة في الشريعة الإسلامية، فالرجل في الإسلام مكلف بالنفقة على المرأة في نفسها أو بيتها أو أولادها، وهو مكلف بالمهر عند الزواج، وعليه من الواجبات ما ليس على المرأة، ومع هذا فدعاوى المناوئين للشريعة قديمة لا تزال تتجدد، وهي شنشنة نعرفها منهم، وهم في هذا يصدق فيهم قول الشاعر:

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوْهِنَهَا // فَلَمْ يَصْرِهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

ثم انتصب الدكتور فهد بن عبدالرحمن اليحي أستاذ الفقه بجامعة القصيم ليؤكد أن ليس صحيحاً أن ميراث المرأة دائماً على نصف ميراث الرجل بل هذا عنده في بعض الصور والحالات فحسب، فمن درس فقه المواريث في الشريعة الإسلامية علم أن الأنثى ترث أحياناً كالذكر في منزلتها، وأحياناً أفضل منه، وأحياناً ترث لو كانت أنثى وتسقط لو كانت ذكراً، وتفصيل ذلك معروف لدى الفقهاء.

ثانياً: أن في جميع كتب الفقه باباً مستقلاً عنوانه النفقات أو النفقة يتكلم فيه الفقهاء بعبارات قانونية محددة عن تجب عليه النفقة ومن تجب له النفقة، ونلاحظ في باب النفقات أن المرأة تحظى بجانب مهم في هذه المواد القانونية، فمن أهم النفقات وأكدها نفقة الزوجة، ثم نجد أن المرأة أيضاً تجب لها النفقة بوصفها أمّاً أو بنتاً أو أختاً بل قد تجب النفقة لها وإن كانت صلتها أبعد من هذا، وهذه المواد القانونية في النفقات لا نجد لها مثيلاً أبداً في القوانين الغربية، فلا يوجد للمرأة حق في نفقة على زوج أو على أب أو على أخ أو على ابن...

لا يوجد مثل ذلك وإن وجد شيء من ذلك فهو يسير جداً لا يمكن أن يقارن بالحق الذي فرضه الإسلام للمرأة في النفقة، وحينئذٍ فيجب على المنصف أن يجمع أبواب الفقه جنباً إلى جنب وينظر إليها بنظرة شمولية وتقييم شمولي، هذه دعوتي للغربيين ولمن قد يتأثر بمثل ما يطرحه أولئك، عليه أن ينظر إلى الحقوق الواجبة للمرأة في الفقه الإسلامي وسيجدها بمجموعها أفضل بكثير من جميع قوانين البشر وثقافتهم،

ومن هنا يتبين لنا أن الإسلام حينما أعطى المرأة في الميراث حقاً في بعض الصور أقل من الرجل فذلك في مقابل ما هو مخفف عليها من الأعباء المادية .. بل هي مكفولة لا تجب عليها نفقة وإنما تجب لها نفقة، فناسب أن يُعطي المنفق ضعف من ليس عليه نفقة، خذ مثلاً من توفي عن ابن وبنت فللبنت نصف ميراث الابن في هذه الحال، ولكن لو احتاجت البنت إلى سكن أو غيرها من النفقات الضرورية لوجب على أخيها الإنفاق عليها ما دام قادراً على سد حاجتها أو بعض حاجتها.

وفي ترتيب لسؤال إنكاري على هذا العرض طفق الباحث يرد على الغربيين بمنطق قانونهم. ونص كلامه:

أفلا ينظر هؤلاء الغربيون أو من ينتهج منهجهم ماذا قدموا للمرأة مادياً من خلال قوانينهم قبل أن ينتقدوا غيرهم؟ فلا مهر يجب عند الزواج في كثير من القوانين، وتكاليف الحياة يتقاسمها الزوجان (ليس عندهم سكنى ونفقة للزوجة) وغير ذلك مما يطول تفصيله، ثم ما العدالة في الميراث في قوانينهم؟! لقد اعترف بعض المنصفين منهم بتفوق القانون الإسلامي على القوانين الأخرى في الميراث وإنصاف المرأة كغوستاف لوبون ولورا فاغليري ومارسيل بوازار ولويس سيد يو وسالي مارش وأنا ماريا وغيرهم، فقوانين الغرب بل وجميع الحضارات الأخرى مضطربة عجيبية في شأن الميراث وكثير منها يمنح الشخص كامل الحرية في الوصية بميراثه يهبه لمن يشاء ويمنعه من يشاء حتى كان منهم من أوصى بميراثه لكلبه دون أبنائه بقوة القانون وحمائته¹.

المطلب الثالث: عرض الحالات التسع التي تترث فيها المرأة أكثر من الرجل:

وحتى نعطي لهذه الردود المجملة مشروعيتها العلمية نرى لزاماً علينا القيام بمسح شامل لأحوال المرأة في الميراث وهي أحوال تزيد على الثلاثين منها ما تأخذ فيه أقل من نصيب الرجل ومنها ما تأخذ فيه على السوية مع الرجل ومنها ما تأخذ فيه أكثر من الرجل.

الحالة الأولى: تترث فيها المرأة نصف نصيب الرجل، ولهذه الحالة قسمان، هما القسم الأول: حالات تترث فيها المرأة تعصياً بالرجل، وتأخذ نصفه، ولها أربع صور فقط، هي:

- 1- إذا ترك الميت: ابناً، وبنتاً. فللبنت هنا نصف نصيب الابن، يقول تعالى: {يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين}.
- 2- إذا ترك الميت: ابن ابن، وبنت ابن. فللبنت الابن نصف نصيب ابن الابن.

¹ - انظر في هذا الباب " حقيقة ادعاء ظلم الإسلام للمرأة في الميراث" / موقع الجزيرة نت / الرابط:
<https://www.al-jazirah.com/2020/20201023/tn1.htm>

- 3- إذا ترك الميت: أبا شقيق، وأختا شقيقة. فلأخت الشقيقة نصف نصيب الأخ الشقيق، {وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين}.
- 4- إذا ترك الميت: أبا لأب، وأختا لأب. فلأخت لأب نصف نصيب الأخ لأب

القسم الثاني: حالات تأخذ فيها المرأة نصف الرجل لو وجدت مكانه، وهي

- 1- إذا ماتت الزوجة وتركت زوجا، ولم يكن لها فرع وارث، فلزوج نصف التركة. بينما إذا مات الزوج وتركت زوجة، ولم يكن له فرع وارث، فللزوجة ربع التركة.
- 2- إذا ماتت الزوجة وتركت زوجا، ولها فرع وارث، فلزوج ربع التركة. بينما إذا مات الزوج وتركت زوجة، وله فرع وارث، فللزوجة ثمن التركة، يقول الله تعالى: {ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين}.

الحالة الثانية: ترث فيها المرأة مثل نصيب الرجل، ولها صور كثيرة، منها

- 1- إذا ترك الميت: بنتا، وأبا فللبنت نصف التركة فرضا؛ لقوله تعالى: {يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف}.
- وللأب باقى التركة تعصيبا (أى نصف التركة مثل البنت)؛ لما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقى فلاولى رجل ذكر».
- 2- إذا ترك الميت: بنت ابن، وجدا فللبنت الابن نصف التركة فرضا؛ لأنها تحل محل البنت عند عدم وجود أولاد للميت وللجد باقى التركة تعصيبا.
- 3- إذا ترك الميت: ابنا، وأبا، وأما فلكل واحد من الأب والأم سدس التركة فرضا؛ لقوله تعالى: {ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد}. والباقى للابن تعصيبا. وهنا تتساوى الأم مع الأب.
- 4- إذا ترك الميت: ابن ابن، وجدا، وجدة فلكل واحد من الجد والجدة سدس التركة فرضا، والباقى لابن الابن تعصيبا. وهنا تتساوى الجدة مع الجد.
- 5- إذا ترك الميت: بنتا، وابن ابن فللبنت نصف التركة فرضا؛ لقوله تعالى: {يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف} ولابن الابن باقى التركة تعصيبا (أى نصف التركة مثل البنت)؛ لما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقى فلاولى رجل ذكر».

6-أما، أختا لأم، أختا لأم، عما فلأخ والأخت لأم ثلث التركة يقسم بينهم بالتساوى للذكر مثل الأنثى؛ لقوله تعالى: {وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار}.

7-إذا ترك الميت: أختا شقيقة، وأختا لأب. فلأخت الشقيقة نصف التركة فرضا؛ لقوله تعالى: {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك} ولأخ لأب باقى التركة تعصيبا (أى نصف التركة مثل البنت)؛ لما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقى فلأولى رجل ذكر.

الحالة الثالثة: تترك فيها المرأة نصيبا أكبر من نصيب الرجل، ولها صور كثيرة، منها:

1- إذا ترك الميت: بنتا، أبا، أما فللبنت نصف التركة فرضا؛ لقوله تعالى: {يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف}. وللأم سدس التركة فرضا؛ لقوله تعالى: {ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد}

وللأب سدس التركة فرضا والباقى تعصيبا؛ لقوله تعالى: {ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد}، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقى فلأولى رجل ذكر وبهذا يكون نصيب البنت أكبر من نصيب الأب.

2-إذا ترك الميت: بنت ابن، وجداء، وجدة فللبنت الابن نصف التركة فرضا، وللجدة سدس التركة فرضا، وللجد السدس فرضا والباقى تعصيب وبهذا يكون نصيب بنت الابن أكبر من نصيب الجد.

3-إذا تركت الميتة: بنت ابن، وزجاء، وأبا فللبنت الابن نصف التركة فرضا، وللزوج ربع التركة، وللأب سدس التركة فرضا والباقى تعصيبا وبهذا يكون نصيب بنت الابن أكبر من نصيب الزوج ومن نصيب الأب أيضا.

4- إذا تركت الميتة: زوجا، وبنتا فللزوج ربع التركة فرضا؛ لقوله تعالى: {ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين} وللبنات نصف التركة فرضا، وباقى التركة ردا.

5- إذا مات وترك: أما، وأختا شقيقة، وأختا لأب فللأم سدس التركة فرضا، وللأخت الشقيقة نصف التركة فرضا، والباقى للأخ لأب تعصيبا وبهذا يكون نصيب الأخت الشقيقة أكبر من الأخ لأب.

6- إذا مات وترك: زوجة، أختاً لأب، ابن أخ شقيق فللزوجة ربع التركة فرضاً، وللأخت لأب نصف التركة فرضاً، والباقي لابن الأخ الشقيق تعصياً وبهذا يكون نصيب الأخت لأب أكبر من نصيب ابن الأخ الشقيق.

وفى بعض الصور، تأخذ المرأة أكثر من نصيب الرجل إذا وجدت مكانه، منها:

1- إذا تركت الميتة: ابنين، وزوجاً، وأماً، وأباً فللزوج ربع التركة فرضاً، وللأم سدس التركة فرضاً، وللأب سدس التركة فرضاً، وللابنين الباقي بعد أصحاب الفروض وإذا وضعنا مكان الابنين بنتين، لكان نصيب البنين ثلثا التركة، وهو بلا شك أكبر بكثير من نصيب الابنين.

2- إذا تركت الميتة: زوجاً، وأماً، وأخاً شقيقاً فللزوج نصف التركة فرضاً، وللأم ثلث التركة فرضاً، والباقي يكون للأخ تعصياً وإذا وضعنا مكان الأخ الشقيق أختاً شقيقة، كان لها نصف التركة فرضاً، وهو بلا شك أكبر بكثير من نصيب الأخ الشقيق.

3- إذا تركت الميتة: زوجاً، وجدة، وأخاً لأب فللزوج النصف فرضاً، وللجدة السدس فرضاً، وللأخ لأب الباقي تعصياً وإذا وضعنا مكان الأخ لأب أختاً لأب، كان لها نصف التركة فرضاً، وهو بلا شك أكبر من نصيب الأخ لأب.

الحالة الرابعة: تراث فيها المرأة ولا يرث فيها الرجل، ولها قسمان، هما:

القسم الأول: حالات تراث فيها المرأة ولا يرث الرجل:

1 - إذا ترك الميت: بنتاً، وأخاً للأم فإن البنت تحجب الأخ للأم، ولا يرث شيئاً بسببها.
2 - إذا ترك الميت: بنتاً، وأختاً شقيقة، وأخاً شقيقاً فللبنت نصف التركة فرضاً، وللأخت الشقيقة باقى التركة مع البنت، ولا شيء للأخ للأب؛ لأنه حجب بسبب إرث الأخ الشقيقة بالتعصيب.

3 - إذا ترك الميت: بنت ابن، أختاً لأب، ابن أخ شقيق. فللبنت الابن نصف التركة فرضاً، وللأخت الأب باقى التركة تعصياً مع بنت الابن؛ ولا شيء لابن الأخ الشقيق؛ لأنه حجب بسبب إرث أخت الأب.

4 - إذا ترك الميت: بنت ابن، وإخوة لأب، فإن بنت الابن تحجب الإخوة للأم مهما بلغ عددهم القسم الثاني: صور تراث فيها المرأة ولو وجد مكانها رجل لا يأخذ شيئاً:

1 - إذا تركت الميتة: زوجاً، وأماً، وأباً، وبنتاً، وبنت ابن. فللزوج ربع التركة، وللأم سدس التركة، وللأب سدس التركة والباقي إن تبقى شيئاً، وللبنت نصف التركة، وللبنت الابن سدس التركة.

فلو وضعنا مكان بنت الابن الرجل المساوى لها وهو ابن الابن، فلا يأخذ شيئاً؛ لأنه يرث بالتعصيب ما يتبقى بعد أصحاب الفروض، وفى هذه المسألة لن يتبقى له شيء، أما بنت الابن فإنها تراث السدس فرضاً، وهذه المسألة ستعول حتى تأخذ بنت الابن نصيبها.

2- إذا ترك الميت: أباً، وأم أم، فلأم الأم سدس التركة.

ولو وضعنا مكان أم الأم الرجل المناظر لها وهو أب الأم، فإنه لا يرث شيئاً؛ أنه ليس من الورثة أصلاً.

3- إذا تركت الميتة: زوجاً، وأختاً شقيقة، وأختاً لأب، فالزوج نصف التركة فرضاً، وللأخت الشقيقة نصف التركة فرضاً، وللأخت لأب السدس فرضاً، والمسألة نعول حتى تأخذ الأخت لأب نصيبها. ولو وضعنا مكان الأخت لأب الرجل المناظر وهو الأخ لأب، لكان نصيبه من التركة صفر؛ لأنه يرث الباقي بعد أصحاب الفروض في المسألة، وهم الزوج والأخت الشقيقة، فلا يتبقى له شيء¹.

¹ - هذا مجهود عدد من العلماء أنجزوه بطلب من مفتي الجمهورية الدكتور شوقي علام ونشرت مسودته في مجلة اليوم السابع من طرف الأستاذ لؤي علي في 29 نونبر 2018 . وانظر في هذا الباب باب المواريث في بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الجزء الثاني وشرح ميارة على تحفة ابن عاصم والقوانين الفقهية لابن جزي

الخلاصة العامة:

- I. **نتيجة الرسالة:** توصلنا من خلال هذه الأطروحة إلى أهم ما يلي:
- أنه وبناء على المعطيات المقدّمة في الرسالة يمكننا استخلاص واستنباط أهم العناصر الآتية:
- ◀ أن الدّراسة الدّينية التّطبيقية ثمرة علمي؛
 - العلوم الدّينية (النصوص-النقولة)
 - العلوم المعرفية (الإنسانية-العقلية)
 - ◀ أن **موضوع** الدّينيات التّطبيقية عبارة عن دراسة المنظومة الدّينية (منهاجاً وموضوعاً، قضايا وإشكالية، كما نقداً لتقديد حلولاً...)
 - ◀ وأن من أهم مقاصد و**أهداف** الدّراسة الدّينية التّطبيقية السعي إلى "مهنية الدّعوة = Professionalism"، وبعبارة أخرى "ملّموسيّة الدّعوة ومادويّتها = Materialism of D'awah" أي جعل العلوم الدّينية معارفا مادوية أكثر من كونه معارفا معنوية، وموضوعات تطبيقية أكثر من كونه موضوعات نظرية بغية جذب أكبر عدد من المقتنعين بالدّعوة الإسلامية- إن لم نقول الدّينية ككل- والمعتنقين بعقيدتها، والمستسلمين- منذ الآن- لتعليماتها السامية، وبنصوصها المقدّسة. تلك إلى جانب براغماتية علومها...
 - ◀ أن الدّينيات التّطبيقية لا تختصر وحسب على دراسة الدّراسات الدّينية- أي علومها- وإنما الدّين نفسها في بعدها الروحانية إلى بعدها البراغماتية بالأخص على الأرض والسلوك- مرفوقة بكل ما تتطلبها من الآليات، الضوابط، والمعايير اللائقة...-استناداً إلى ذلك هو أن الدّراسات الدّينية لا تمثّل إلا جزءاً بسيطاً من جزئيات المنظومة الدّينية ككل
 - ◀ وإنما يكفي للمسألة على أن تكون مسألة موضوعية لها الصلة بالدّين وبقضاياها كي تطرح للدّراسة في إطار ما يعرف بالدّراسات الدّينية التّطبيقية.
 - ◀ فضلاً من كونها موضوعات علمية وفقهية بحثية، حتى يتعمد إلى دراستها دراسة تجريبية (إن لم نقول تطبيقية) في إطار ما يعرف بالدّراسات الدّينية التّطبيقية.
 - ◀ والدّينيات التّطبيقية هي العلم/ النظرية المناسبة-دوماً وأبداً وفي كل الزمان و المكان- لدراسة المنظومة الدّينية من حيث براغماتيتها على الأرض وسلوك العباد، ذلك من خلال تسنينات، وتأمّلات الفكرية المؤدية إلى وضع الآليات التشريعية والقواعد الاجتهادية المناسبة لها والمتماشية ومع أحداث العصر ونوازلها دونما الخروج من دائرة مبادئ وكماليات الشّرع. فالأمر إذن مسألة **انفتاح تحافضي**؛ أي على العصر تواكبا لمستجداتها وتمسكة كل التمسك في الآن ذاته بمبادئ وكماليات الدّين.

◀ دراسات الدِّينيات التَّطبيقية لا تقصي دينًا من دائرة دراساتها، بل إنما هو علم صالح لكلِّ منها، وعلى أن تدرس وتسنُّ لها طُرا الآليات المناسبة والقواعد الاجتهادية- الدِّينية اللازمة لدراساتها (براغماتيةً لعلومها ولروحانيتها على أراض البلاد وسلوكيات العباد).

وبالجملة؛ الدِّينيات التَّطبيقية هي كلُّ نوع من الدِّراسات الدِّينية والفكرية التي أدت حصيلة دراستها إلى وضع القواعد اللازمة والآليات المناسبة... لملموسية العقيدة الدِّينية وروحانياتها على سلوك وحياة الإنسان، كذا إلى براغماتية دراساتها وعلومها السامية على العباد والبلاد على حد سواء.

II. توصيات الأطروحة: فبالنظر إلى ذلك كله فإننا نوصي علماء الدِّين المعاصرين بأهم ما يلي:

◀ الاهتمام بنظرية دينية كهذه – أي نظرية الدِّينيات التَّطبيقية- في تحليل ومناقشة القضايا الدِّينية المعاصرة للإنسان المعاصر والطامح أصلا إلى ذلك بالحفاوة!
◀ وأن نتعاون يدا بيد من أجل تطوير والنهوض بهذه النظرية إلى الواجهة وإلى القمم.
◀ إذ هي حاليا نظرية فنية رأت النور – بعون الله سبحانه- على يد ابنكم وطالبكم المناقش عليها حاليا (دوسو هارونا).

◀ ذلك أن تطوّر نظرية كهذه سوف يؤدي –حتما لا محال- إلى:

- النهوض بالدِّين
- لملموسية الخطابات الدِّينية للمسلم ولغير مسلم
- مادوية قضاياها التي لطالما اعتبرناها من باب: (سمعنا وأطعنا دون معرفة السبب، أو استسلمنا على غير بصيرة) وهلم جرا...

ولكنها الآن ستضحى من المسائل: (أؤمن على بصيرة أنا ومن اتبعني، وأو لم تؤمن قال بلى ليطمئن قلبي) وهكذا الخ...

وهذا إن دلّ على شيء إنما على أن لهذه النظرية الدِّينية مكانة غير مستهان بها في تحليل المسائل الدِّينية للإنسان المتمدرس واللامتمدرس قصد اقناعه واستسلامه لما يؤمر به أو ينهى عنه في الشرع فضلا من كونها جسرا هاما لربط وتقييد حوار جدي وبناء بين الثقافات والأديان إذ إنها تستفيد من تلكم الثقافات وكتبها المقدسة وتعتمدهما كمنطلق لها في تحليلاتها العقلانية، البراغماتية، التجريبية أو المختبرية حتى... للوصول إلى الحقائق الدِّينية فالقضاء بها والعمل بها بعد ان استسلم لها العقل والشرع معًا.

الخاتمة العامة (٢٠٢٢-٢٠٢٣)¹:

هذه الرسالة تسجّل نفسها في إطار مشروع الأطروحة الجامعية لنيل شهادة الدكتوراة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، وبمختبر الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية، تحت موضوع أطروحة مفادها؛ **الدينيات التطبيقية (النظرية الحديثة لدراسة المنظومة الدينية وعلومها)** ، وتحت الإشراف المنور عليه **لأستاذ الدكتور محمد جمال للسنة الجامعية 2022 – 2023 = 1443 - 1444 هـ.**

مشروع علمي وعملي الذي تعلمنا الكثير منه وفي سبيل إنجازه، أشياء لم نكن لنعرفها إلا أن أنجزناها، إذ قد دفعنا العديد من موضوعاتها إلى إجراء دراسات ميدانية، تجريبية، إحصائية، ومختبرية حتى...مما اطلعنا على أمور كثيرة لم نكن لنطلع فيما لو اختصر دراستنا لهذه الموضوعات على دراسة الوصفية أو النظرية في المنزل.

كما ساعدتنا دراساتنا (أي دراسات الدينيات التطبيقية) من الوقوف على النماذج والتقنيات الواعدة في تحليل وتقديم منظور جديد عن مفهوم النصوص المقدسة والعلوم الدينية كذلك، فكل هذه العوامل منحتنا فرصة ثمينة لمراجعة الذات بالذات كما أنها كانت مناسبة غالبية لنا لمراجعة أفكار لطالما حملناها بمنأى عن واقع الأمر وحقائقها العلمية والموضوعية (وعليه ليجزي الله كل من ساعدنا وأتاح لنا هذه الفرصة لخوض تجربة ممتازة كهذه والتي ستستعصي علينا نسيانها).

¹ - غاف-طنا = Gafé-tonan أي الخاتمة، ذلك في اللغة الأفريقية الموحدة (أي فرافين-إيدي=Frafin-èdè).

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
2	الإهداء
3	كلمة شكر وتقدير
4	مقدمة
10	فصل تمهيدي المبحث الأول: تقديم نبذة تعريفية بموضوع الأطروحة
10	المطلب الأول: مفهوم الدينيات التطبيقية (أ)- مفهوم الدينيات التطبيقية لغة (ب)- مفهوم الدينيات التطبيقية اصطلاحاً؛
15	المطلب الثاني: عمدة الدينيات التطبيقية ومصادر استلهامها (أ) - عمدة الدينيات التطبيقية من الكتاب والسنة (ب)- الكتب العلمية مثل:
16	المطلب الثالث: خصائص ومميزات الدينيات التطبيقية
17	المطلب الرابع: أهداف الدينيات التطبيقية:
18	المطلب الخامس: الفرق بين الدينيات التطبيقية وغيرها: 1- الفرق بين الدينيات التطبيقية وإعجاز علم القرآن: 2 - الفرق بين الدينيات التطبيقية والعلوم العقلية / علم الكلام 3 - الفرق بين دراسات الدينيات التطبيقية ودراسات العلوم التطبيقية/ المعرفية
19	المطلب السادس: المصطلحات المستعملة في الدينيات التطبيقية : Terminologies
19	المطلب السابع: ميادين أجراة الدراسات الدينيات التطبيقية
19	المطلب الثامن: وسائل/ آليات أجراة دراسة الدينيات التطبيقية: Moynes
21	المطلب التاسع: منهجية/طريقة أجراة الدراسات الدينيات التطبيقية : Methodologies
22	المطلب العاشر: مجالات الدينيات التطبيقية: Interventions Domains
23	المبحث الثاني؛ الدينيات التطبيقية في دراسة المنظومة الدينية المطلب الأول: الدينيات التطبيقية في دراسة منظومة العقديات الروحانيات
23	- موضوع الدراسة رقم 1: التوحيد في الأديان السماوية الثلاثة "
23	- الشق النظري
24	- الشقّ التطبيقي:
	موضوع الدراسة رقم 2: معنى التوحيد والوحدانية والواحدية والأحادية - الشقّ النظري:

42	- الشقّ التطبيقي:
48	موضوع الدراسة رقم 3 " الإيمان والإلحاد» العنوان: تقبل أو عدم تقبل المؤمن للملحد وتقبل الملحد للمؤمن أو عدم تقبله له
48	- الشقّ النظري:
52	- الشقّ التطبيقي:
55	موضوع الدراسة رقم 4: المذاهب والفرق العقائدية في الدين
55	- الشقّ النظري:
56	- الشقّ التطبيقي:
60	موضوع الدراسة رقم 5 : الحوار الديني الحضاري
60	.II الشقّ النظري:
62	.III الشقّ التطبيقي:
64	موضوع الدراسة رقم 6: إلى متى ستصمد العلوم الإسلامية في وجه العلوم العلوم التكنولوجية؟؟
67	موضوع الدراسة رقم 7: ما الدين الأكثر شمولا والأقل شمولا؟
69	المطلب الثاني: الدّينيات التّطبيقية من خلال نظام العبادات
69	النموذج التطبيقي الأول: قسم النجاسة: المنى بين النجاسة والطهارة طبيا ودينيا
69	المرصد الأول: نجاسة المنى في الفقه الإسلامي مقارنا بالطب
69	- الشقّ النظري:
69	- الشقّ التطبيقي:
71	أولا: - رأي الطب في الغسل من المنى
72	ثانيا: رأي الفقه في نجاسة المنى
74	المرصد الثاني: نجاسة المنى في الديانة المسيحية:
74	- المرصد الثالث: نجاسة المنى في الديانة اليهودية:
75	المرصد الرابع: موقع التيمم في الشريعة الإسلامية مقارنة بشريعة اليهود
79	النموذج التطبيقي الثاني: علاقة المنى بالعدة - توطئة: - الشقّ التطبيقي: 1- صورة افتراضية للمختبر استعدادا لتحديد عمر فعالية المنى داخل الرحم علاقة بعدة الوفاة
85	النموذج التجريبي الثالث: السواك؛
85	- الشقّ النظري:
85	- الشقّ التطبيقي:

87	ب - موازنة مخبرية بين السواك وفرشات الأسنان
90	النموذج التجريبي الرابع: منافع الوضوء طبيا وروحيا
90	- الشقّ النظري:
91	- الشقّ التطبيقي
95	النموذج التجريبي الخامس: منافع الغسل من الجنابة دينيا وطبيا
95	- الشقّ النظري:
96	- الشقّ التطبيقي
101	النموذج التطبيقي السادس: منافع الصلاة طبيا وروحيا
101	● توطئة:
101	● الشقّ التطبيقي:
101	1- موضوع الدراسة: الصلّاة والريّاض
112	المطلب الثاني: الرياضة الروحية في ديانة الجَيْرُو-غُونغْرُو = Jeirô-gongrô
112	الإفريقية الوثنية وتقويم منافعها الصحية
112	أولا: الشقّ النظري:
112	ثانيا: الشقّ التطبيقي:
117	المطلب الثالث: الرياضة الروحية في الصلّاة البوذية وتقويم منافعها الصحية والنفسية
117	أولا: الشقّ النظري:
118	ثانيا: الشقّ التطبيقي:
122	المطلب الرابع: الرياضة الروحية في الدينين اليهودي والمسيحي وتقويم منافعها الصحية والنفسية
127	النموذج التطبيقي السابع: المنافع الروحية والبدنية لنظام الزكاة في الإسلام
127	- الشقّ النظري:
127	- الشقّ التطبيقي:
131	المطلب الأول: زكاة الحبوب والماشية تجليات نفعها المادي والروحي
131	- الشقّ التطبيقي:
139	النموذج التطبيقي الثامن: المنافع الروحية والبدنية لفريضة الصوم في الإسلام
139	المرصد الأول: المنافع الروحية والبدنية للصوم في الإسلام
139	- الشقّ النظري
	- الشقّ التطبيقي
144	المرصد الثاني: سؤال عن المنافع الروحية والبدنية في الصوم النصراني:
144	- الشقّ النظري:
149	النموذج التطبيقي التاسع: المنفعة الروحية والبدنية للحج بين الإسلام والأديان الأخرى

149	- الشقّ النَّظري:
149	- الشقّ التَّطبيقي: الحجّ بعدسة الطب
153	المبحث الثالث: أصول وأركان العقيدة المسيحية واليهودية عرضا على المصالح والمفاسد
153	- المطلب الأول: عرض أصول وأركان المسيحية واليهودية / الشقّ النظري
156	- المطلب الثاني: تقويم ما يمكن أن يكون من آثار نفعية نفسيا وبدنيا في أصول الدينين المسيحي واليهودي عرضا على أصول الدين الإسلامي
158	- المطلب الثالث: الموازنة والتقويم
162	المبحث الثالث: الدِّينيات التَّطبيقية وتنزيلها على نظام الحياة
162	- المطلب الأول: الدِّينيات التَّطبيقية وتنزيلها في السياسة البيضاء = politique blanche
166	- المطلب الثاني: الدِّينيات التَّطبيقية وتنزيلها في الاقتصاد القيمي Morale Economy
166	• أولا: تعريف الاقتصاد الأخلاقي:
166	• ثانيا: الاقتصاد الأخلاقي في الفكر الرأسمالي الغربي
169	• ثالثا: الاقتصاد الأخلاقي في المنظومة الإسلامية
171	• رابعا: الاقتصاد الأخلاقي في الفكر الاقتصادي الغربي
173	المبحث الرابع: الدِّينيات التَّطبيقية وأنسية الإنسان في النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي
177	المبحث الخامس: الدِّينيات التَّطبيقية وتنزيلها على التربية والتعليم بين الدين الإسلامي والأديان السماوية // النَّظريَّة الإيْطوْأدْنِيَّة
179	المبحث السادس: الدِّينيات التَّطبيقية وتنزيلها في السنة الزمكانية عرضا على المصالح والمفاسد:
179	- المطلب الأول: السنة الزمكانية تعريفا وتقديما:
180	- المطلب الثاني: السنة الزمكانية نحو جاذبية حوار أديان مثمر
186	المبحث السابع: تقنين العقوبة بين الشريعة والقانون
186	- المطلب الأول: تأخر تقنين العقوبة في قوانين الغرب وذرائعها إلى المفسدة
187	- المطلب الثاني: سبقية الشريعة إلى تقنين العقوبة وكونها عادلة موافقة للفطرة
190	المبحث الثامن: عدالة التشريع الجنائي الإسلامي والرد على من وصفوه بالقسوة
189	- المطلب الأول: فهم عدالة التشريع الجنائي مشروط بوضعها في المنظومة التشريعية ككل
190	- المطلب الثاني: دعاوى المشككين والمتهمين للتشريع الجنائي الإسلامي بالقسوة والرد عليهم إجمالا
191	

	- المطلب الثالث: شبهات المشككين والرد عليها تفصيل
202	المبحث التاسع: وجه العدالة في نماذج من أحكام الشرع الإسلامي مقارنة بنظائرها في الشرائع الأخرى
202	- المطلب الأول: وجه العدالة في أحكام الزنى والقذف ووسائل إثباتهما قضاء في الشريعة
202	● المسلك الأول: المعطيات التي عليها مدار الدراسة في قدر العقوبة ووسائل الإثبات
202	● المسلك الثاني: إشكالية الدراسة:
204	● المسلك الثالث: مقاصدية و عدالة الشريعة الإسلامية في وسائل إثبات جرائم الأعراض
205	● المسلك الرابع: تقويم مسطرة الإثبات في الشريعة اليهودية والنصرانية
209	المبحث العاشر: الدّينيات التّطبيقية في عالم ما بعد الموت/ ظاهرة الموت والحقائق العلمية المرتبطة بها في الكتب السماوية عرضا على منطق العقل:
209	● المطلب الأول: سؤال الموت والروح في الكتاب المقدس في ضوء المنطق العقلي
210	● المطلب الثاني: سؤال الموت والروح في القرآن الكريم:
210	● المطلب الثالث: سؤال الموت والروح من خلال نظرية كُولُكُو = Koo-lôko الإفريقية
221	● المطلب الرابع: سؤال البعث بعد الموت وافترض وسائل الإقناع علميا به للبسطاء :
222	● المطلب الخامس: سؤال الجزاء والعقاب يوم القيامة وافترض الإقناع به علميا
	الباب الثاني
230	- تقويم العلوم المتفرعة عن الكتب السماوية وموقعها من المنفعة المادية والروحية النفسية:
230	المبحث الأول: نوع العلوم المتفرعة عن التوراة والإنجيل وتقويمها:
230	● المطلب الأول: بيان ما تعنيه التوراة والتلموذ ومضمونها على الإجمال:
233	● المطلب الثاني: بيان ما يعنيه الإنجيل والهيرمونوطيقا المسيحية ومضمونها على الإجمال:

225	● المطلب الثالث: بيان أن اليهود لم يفرعوا عن التوراة علوما نافعة بل تناقضات
238	● المطلب الرابع: بيان أن المسيحيين لم يفرعوا عن الإنجيل علوما نافعة بل تناقضات
245	● المطلب الخامس: فرضيات المطلب الرابع بأبعاد جديدة
246	المبحث الثاني: إشكالية وجوب الإيمان بكل الكتب السماوية وبكون الإسلام ناسخا لها :
246	● المطلب الأول: المعطيات الدينية التي عليها مدار الإشكال
247	● المطلب الثاني: دراسة إجرائية وأجوبة العينات عن سؤال الإيمان بكل الكتب المقدسة وعلى أي نحو؟
247	● المطلب الثالث: تقويم أجوبة الدراسة
249	المبحث الثالث: تحفيظ القرآن تحفيظ لأصول العلم / بين اليسر والعسر دراسة ميدانية
249	● المطلب الأول: المعطيات الدينية التي عليها مدار الدراسة
251	● المطلب الثاني: تقويم الأجوبة عددا وتعليلا
251	المبحث الرابع: علمية ومصدرية الحديث النبوي وإشكالية التوثيق والعمل به وترك العمل به:
252	● المطلب الأول: الحديث لغة واصطلاحا:
252	● المطلب الثاني: بأي وجه يصح القول بأن الحديث النبوي حافل بالعلوم المختلفة خلافا لتفسير الإنجيل والتوراة؟..
260	المبحث الخامس: تجديد علم أصول الفقه بين استحضار الشروط والتمرد على الشروط
260	- توطئة:
260	● المطلب الأول: ما مشروعية التجديد في علم أصول الفقه؟
266	● المطلب الثاني: محاور التجديد في علم أصول الفقه
272	● خاتمة هذا المبحث
274	المبحث السادس: تجديد علم أصول العقيدة بين استحضار الشروط والتمرد على الشروط :
274	● التوطئة
274	● المطلب الأول: أجوبة العينات المبحوثة
275	● المطلب الثاني: مناقشة طبيعة أجوبة المبحوثين
281	المبحث السابع: الإيمان الأجوف بالغيبيات عن جهل عند رجل الشارع من المسلمين واليهود والنصارى وأثاره السلبية على العالم

281	● المطلب الأول: المعطيات الدينية التي عليها مدار الدراسة
282	● المطلب الثاني: سلبيات الإيمان الذي لم يبين على المعرفة والعلم
289	المبحث الثامن: تشيئ الله في الفكر الظلامي الحديث / أنموذج للإيمان الأجوف القاتل:
289	● المطلب الأول: بحث ميداني بالسؤال عن المكانية واللامكانية في حق الله تعالى:
289	● المطلب الثاني: تقويم الاتجاهين وفقا للعوامل التي أنتجتهم
290	● المطلب الثالث: أجوبة منتخبة من سلف الأمة تبطل ادعاء الوهابية المكانية في حق الباري تعالى
297	المبحث التاسع: علمية علم الموارد وإبطال شبه العلمانيين
297	● المطلب الأول: تقويم أجوبة المبحوثين حول علمية وعدالة علم الموارد
298	● المطلب الثاني: علمية وعدالة منظومة الموارد في مواجهة شبهات الطاعنين
301	● المطلب الثالث: عرض الحالات التسع التي تترث فيها المرأة أكثر من الرجل:
306	الخلاصة العامة:
308	الخاتمة العامة
308	فهرست الموضوعات
316	فهرست المصادر والمراجع

فهرست المصادر والمراجع:

I. المصادر الأساسية (الكتب المقدسة):

- أ. القرآن الكريم برواية حفص
- ب. كتب الأحاديث كالكتب الستة وغيرهم
- ج. التوراة (التلمود، الإصحاء)...
- د. الانجيل (متى، يوحنا، وبرنابا)...

II. المصادر الفرعية (الكتب المؤلفة):

- أ. انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم من مدارج السالكين
 - ب. انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي.
 - ج. بداية المجتهد 1/ لابن رشد الحفيد/ الناشر: دار الحديث-القاهرة.
 - د. التذكرة للقرطبي.
 - هـ. تفسير القرطبي/ للامام القرطبي.
 - و. التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ص: 131).
 - ز. الجواهر/ لطاهر بن سلام بن قاسم الانصاري الخوارزمي/ 5: 290.
 - ح. روائع الطب الإسلامي- للد. محمد نزار الدقر- دار المعاجم-دمشق 1994م.
 - ط. رياض الصالحين/ للنووي/ نشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع/ دمشق-بيروت/ تحقيق: ماهر ياسين الفحل/ الطبعة الاولى 1428هـ.
 - ي. شرح ميارة الفاسي على تحفة ابن عاصم
 - ك. شمس العلوم- نشوان بن سعيد الحميري -المتوفي: 573هـ/1177م.
 - ل. فتح الباري شرح صحيح البخاري/ للحافظ ابن حجر العسقلاني.
 - م. الفرق بين الضاد والطاء المؤلف: تقي الدين أبو بكر عبد الله بن علي بن محمد الشيباني الموصلني ثم الدمشقي الشافعي (ت 797هـ) المحقق: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن إهداء: سيف بن أحمد الغرير الناشر: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا الطبعة: الأولى، 1424 هـ - مادة ج - ن - ب
 - ن. الفرق بين الفرق-عبد القاهر البغدادي-تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد-مكتبة دار التراث/القاهرة-طبعة/2007.
 - س. الفقه على المذاهب الأربعة / للجزيري/ ص 13.
 - ع. فيض القدير للمناوي (365/2) عون المعبود للعظيم أبيادي (386/11-391).
- والاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية لعمر عبيد حسنة (20) نقلا عن التجديد في الفكر الإسلامي.

- ف. القاموس الفقهي ص: 68 للدكتور سعدي أبو حبيب الناشر: دار الفكر. دمشق - سورية الطبعة: الثانية 1408
- ص. القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1416هـ، 1996م، ص488.
- ق. كتاب: (Dosso Harouna / 2016 / École Spirituelle Africaine (ÉSA).
ر. الكليات / لأيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي/ المحقق: عدنان درويش/ (ص: 355)
- ش. لا مذهبية في الإسلام ولافرقية/ ص 32/ 2014م لـ دوسو هارونا.
ت. لتنتقيح في شرح العروة الوثقى/ لشيخ ميرزا علي الغروي
ث. لسان العرب، ابن منظور، إعداد: يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار صادر، ودار لسان العرب، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، ج 1، ص750.
- خ. مجلة المنار لمحمد رشيد رضا (115/30) ونقله في التجديد في الفكر الإسلامي
لعدنان أمامة (17) عن السيوطي خطأ. التجديد في الفكر الإسلامي لعدنان محمد أمامة.
- ذ. مجموع الفتاوى لابن تيمية (297/18) فيض القدير للمناوي (365/2) التجديد في الفكر الإسلامي لعدنان أمامة (17).
- ض. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير / لاحمد بن محمد بن علي الفيمي ثم الحموي ابو العباس/ الناشر المكتبة العلمية بيروت (ج1/ 110).
- غ. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة أولى، 1979م، ص100.
- ظ. المعجم الغني - عبد الغني أبو العزم - صدر: 1421هـ/ 2001م.
- أ. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط3، دون تاريخ، ج1، ص212.
- ب.ب. معجم لغة الفقهاء-محمد رواس قلعه جي/حامد صادق قنبيبي-صدر: 1405هـ/1985م.
- ج.ج. معجم لغة الفقهاء-محمد رواس قلعه جي/حامد صادق قنبيبي-صدر: 1405هـ/1985م.
- د.د. الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني-دار ابن حزم-الطبعة الأولى/ 2005 .

III. المصادر المعرفية؛

- أ. *مناهج اللسانية التطبيقية.
- ب. التربية المعرفية والاستراتيجيات التعليمية من رصد كفايات التعلم معرفيا إلى أجرأتها ديداكتيكيا" لمجموع من المؤلفين الزغبوشي/مصطفى بو عنان/إسماعيل العلوي/ورشيد شاكري.
- ج. كتاب: "أبحاث معرفية، محلة علمية نسوية محكمة متخصصة في العلوم المعرفية" بنعيسى زغبوش ومصطفى بو عنان.

IV. المعابد والمصليات:

- أ. مسجد نرجس (عبد الله بن مسعود) بمدينة فاس- نرجس
- ب. كنيسة سان-فرانسوا أطلس-فاس.

V. المؤسسات العلمية-الأكاديمية:

- أ. جامع القرويين
- ب. جامعة القرويين-كلية الشريعة
- ج. جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس-سايس
- د. جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس-ظهر المهرارز
- هـ. جامعة مولاي سليمان بيني-ملال
- و. المجلس العلمي المحلي بفاس

VI. المختبرات العلمية-التجريبية:

- أ. مختبر بو عياد للتحليلات الطبية (نرجس-فاس).

VII. الصفحات/الشبكات العنكبوتية:

- أ. راجع : صفحة منتدى التوحيد.
- ب. راجع المنهل الثقافة التربوية <https://www.manhal.net/index>
- ج. راجع: صفحة إسلام ويب.
- د. شبكة الألوكة = [ww. Alukah.net](http://ww.Alukah.net)
- هـ. صفحة ويكيبيديا
- و. قناة فرانس 24 العربية، برنامج: (في فلك الممنوع).
- ز. موضوع كوم = mawdoo3.com
- ح. almwareeth.blogspot.com